رأس الشيطان

فرج فركاش

رأس الشيطان
فرج فركاش
تدقيق لغوي : عبد الله ابو الوفا
تصميم الغلاف : عبير محمد
رقم ايداع :
ترقيم دولي :

دار فصلة للنشر والتوزيع
العزيزيه - منيا القمح - مصر
٠٠٢٠١٠٦٧٠٠٠٧٠١
fasla.pub@gmail.com
Www.FaslaPub.Com

الطبعه الأولي يناير ٢٠٢٠

رأس الشيطان

. . . (رحلة فى عمق طفل). . .

فرج فركاش

فصلة للنشر و التوزيع
Fasla Publishing & Distribution

مقدمة

لِكُلُ شَخصٍ فينا لديه نقص وفقد لشعور في حياته,إما عائلة, أو حبيب, أو صديق, فما بالك ذاك الطفل!, لا وجود لمفردات الحنان في حياتهِ, ولا لقاموس الإهتمام, تَحَطَمَت و هُمِشَت طفولتِهِ, تَسَبَبُوا في هشاشَتِه النفسية, وسَلَبُوا منه حريته وكرامتهِ, والظروف والأشخاص الموجودين حوله لم يُسَاعِدُوهُ على النجاة, حَاوَلَ جاهدًا وفعل المستحيل كي يكسب الجميع, ولكن في نهاية المطاف قد تَخَلَى عنهُ الجميع حتى أقرب الناس لديه وبقى وحيدًا وأصبح هو الخاسر! والسؤال الذي يطرح نفسه كيف ستكون النهاية؟.

في هذه الرواية سأعرض لكم العديد من الأحداث حول الواقع الحديث، وعلى مأساة طفل خصيصًا، تدور أحداثها حول قصة معاناة يعيشها طفل صغير وهو الاعتداء عليه، ويعيش حياة تعيسة وحزينة مع عائلته المعقدة، والذي أصبح يعاني من مشاكل نفسية لشعوره بعدم الاهتمام وقلة العاطفة، ويدخل في متاهات وأبواب تفتح عليه ستغير حياته كلها إلى الأسوأ، والظروف التي سيعشيها ودخول أشخاص في حياته سيكون تأثيرهم سلبيًا عليه، ونهاية كل فرد في العائلة بشكل غير متوقع، وتتوالى الأحداث في إطار من الإثارة والتشويق والجرأة والحزن الطاغي عليها أيضًا، وتفاصيل كثيرة وأحداث تكشف ألغاز وخفايا سوف تكون صادمة، ولِنَعرِف كيف ستنتهي حياته وتَدُورُ الحياة به إلى أين؟

انتبهُوا لأدق التفاصيل، التفاصيل هي الأساس لحل الألغاز ومعرفة النهاية.

*****

كُلَ أمَلِي وحِلمِي أن تَلتَمِس هذه الرواية بِمَا فيها من تفاصيل قلبَ وروحَ كُلَ قارئ، وأن تترك في نفسهِ بَصمَةً وأثَرًا لن يَنسَاهُ مثل الذِي تَرَكتهُ فِي نَفسِي وقَلبِي!

تنويه

معظم الأحداث والقصص الواردة في الرواية والمواضيع التي تطرقت لها مأخوذة ومقتبسة عن قصص حقيقية حدثت بالفعل، ولكنها لا تخلو من لمسة خيال مقصودة لزيادة التشويق أو سدًا للثغرات في الرواية، لأنه من المتوقع أنها لا تحصل كثيرًا في وطننا العربي.

وإن أسماء الشخصيات لا تمت للواقع بصلة.

إهداء

وصال ووجدان وأحمد، إخوتي الصغار، أُهدِي إليكم هذا الكتاب، حفظكم الله.
إيمان الشيخي وعلا عون، الأستاذتان الفاضلتان، لكما أنتما خصيصًا أهدي هذا الكتاب، لأن لولاكما لما رأى هذا الكتاب النور.
وإلى كل من عانى في حياته كثيرًا وعاش مكسورًا، وحيدًا، وأراد الحب والعاطفة والاهتمام وفي أخر المطاف لم يجد شيئًا، وكذلك لكل من مر بمشاكل وأحداث نفسية جعلته يفعل أشياء لا يريدها، لأن داخل كل منا مرض نفسي، والكارثة أن نكتشفه بعد فوات الأوان.
أُهدِي هذا الكتاب لكل من قال لن يصل ووصلت، وإلى كل أحبتي وكل شخص يريد لي الخير ويحبني من كل قلبه، وإلى كل شيء مررت به في حياتي، لكل من ظلمني وأذاني ووقفت من جديد كي أحيا بدونه، وأعرف أن الله معي، موجود ولن يتركني.
وبالأخص إلى كل طفل مظلوم مسلوبة حريته وكرامته، ولكل من تسبب في هشاشتهم النفسية وضعف قلوبهم ودمار حياتهم، ولكن ثق وتأكد أنه سيأتي يومٌ ويَأخذُ كُلَ ذِي حقٍ حَقَهُ، وهذا ما يسمى بالظلم العادل.

*****

شكر خاص

١.أ. إيمان الشيخي، هي أخت وأم وصديقة، ومن أفضل الأساتذة اللذين قابلتهم في حياتي، لن أنسى وقوفك بجانبي وقت ضيقي وأصبحتِ الفرح الذي يترعرع وسط قلبي، والأمل المزروع بداخلي دائمًا وأبدًا؛ وهي التي كانت معي خطوة بخطوة من بداية كتابتي للرواية في شهر يناير ،٢٠١٩ حتى وصولي لهذه المرحلة، وساعدتني ودعمتني بنصائحها كثيرًا، وكانت المشرفة على هذا العمل حتى أتممته كليًا، ولولاها لما كانت بهذا الشكل الذي هي عليه الآن، شكرًا لك كثيرًا يا أغلى الناس على قلبي، يا صاحبة القلب الطيب والنية الصافية والضحكة الجميلة، والله يحفظك من شرور الناس والدنيا، ويحفظ لك زوجك وبناتك من كل شيء، وربي يطول في عمرك.

٢.أ. علا عون، لا شكر لكِ ولا أي شيء يعبر لك عن مدى احترامي وتقديري لك عن كل شيء، الأستاذة الرائعة والتي لم أر مثلها في كل حياتي، طريقة تفكيرها، عطائها، حبها للعمل الجاد، تحب كل شيء على أكمل وجه، طموحة، نشيطة، لن أنسى في كل مرة دخولك للفصل وتقولين لقد ضاعت خمسة دقائق من الحصة، لقد جعلتني أعشق مادة الكيمياء، تحفيزك الدائم لي وطموحك بأن يكون التعليم والعلم والثقافة من أفضل الأشياء لدينا، ولن أنسى أنها كانت صاحبة المشروع والفكرة، والتي بواسطتها دخلت لعالم الروايات وبدأت أكتب لأول مرة وأظنها فخورة بي، لأنها منذ بداية هذا القرن الواحد والعشرين وهي تسعى جاهدة بأن تخرج جيلًا متعلمًا مثقفًا، أتمنى لك العمر الطويل، وأن يحفظك الله لأنك بصمة لكل شخص قد تعلم على يديك وبين أقلامك، أشكرك جزيل الشكر، يا صاحبة القلب النظيف والتي لا تحمل لأي شخص سوى النية الطيبة، وأخيرًا أتمنى أن أرى كتابك يظهر للنور، وأن أكون من قرائك، وأتمنى لك كامل التوفيق في حياتك المهنية والعملية وكل شيء.

٣.معاذ الحمري، كاتب الرعب الشهير وابن بلادي وصديقي، والذي لم يتركني على الإطلاق في كل خطوة بما أنني ليس لدى الخبرة الكافية، أعترف أنني قد تسببت له بالكثير من الصداع، لأنني دائمًا أريد كل شيء بسرعة، ولكن أشكرك على كل شيء،

وأتمنى له أن يصل للعالمية وتصبح كُتبهُ دائمًا الأعلى مبيعًا، ولقد كان الحافز الأكبر لي بعدما قرأت أعماله الورقية كلها، وهذا ما جعلني أريد أن أصبح كاتبًا، مهما شكرت فيك لن أكفيك أبدًا، منذ أن كتبتها على الكمبيوتر حتى أكملتها وإرسالي لدور النشر لم تتركني، شكرًا لك والله يحفظك ويوفقك وأراك دائمًا من الأفضل للأفضل، وأخيرًا أتمنى أن تفوز روايتك الجديدة في المسابقة بالمرتبة الأولى، شكرًا معاذ.

٤.الإنسانة الوحيدة التي ظلت تدعمني وتدعمني إلى الآن في كل خطوة، والقريبة لقلبي وبيت أسراري والتي أحبها كثيرًا وأول من قرأت روايتي كاملة وأعطت لي رأيها، قالت لي سيتم قبول الرواية وهذا ما حدث! أشكرك يا أغلى الناس على قلبي وروحي، أشكرك عمتي نجاح فركاش.

٥.د. عبد الرحيم الفضلي، أشكرك كثيرًا على وقوفك بجانبي وقت المصاعب التي وجهتني أثناء كتابتي للرواية ومساعدتك لي واقتراحاتك للعمل دائمًا، لن أنسى لك هذا الموقف طوال حياتي، والله يحفظك ويحفظ لك عائلتك الكريمة ويطول لك في عمرك.

٦. سعاد فركاش، زينب العمامي، فاطمة بالطيف، ناجية الفزاني، حنان الهويدي، لن أنسى الدعم النفسي لي واللهفة بخروج كتابي للنور، جميعكن بدون استثناء وهذا الشيء كان يحفزني أكثر فأكثر، من أفضل الأساتذة اللواتي درست على أيديهن، أشكركن جزيل الشكر على حبكن وعطائكن الدائم لي، والله يحفظكن ويبعد عنكن الأذى، ويوفقكن في جميع نواحي الحياة.

٧.وأخيرا أريد أن أشكر مدرستي التي درست المرحلة الثانوية فيها"ثورة المجد"، مدير وأساتذة وطلاب وجميع القائمين عليها، والتي عشت فيها أجمل أيام حياتي، والتي من خلالها خرجت روايتي أو خرجت موهبتي في الكتابة، وأريد أن أشكر خصيصًا أصدقائي: محمد السعيطي، مصطفى التاورغي، أحمد الخفيفي، عبد الله الخراز، عبد ربه الفارسي, وأولاد العم الثلاثة: مراد منير، مراد نجيب، مراد نوري العبار، على الأغلب ذكرت الجميع ولكن لن أنسى كل من ساعدني حتى بالكلمة الطيبة والتحفيز المعنوي وفي كل مرة يسألوني متى، متى؟! شكرًا للجميع على كل شيء، شكرًا.

٨. وأشكر كذلك لكل من دعمني ولو بشيء بسيط، ولن أنسى كذلك لهفة جميع الناس أعرفهم أو لا أعرفهم لخروج كتابي هذا، وهذا كان الحافز الأكبر لي على الاستمرار كي

أصل إلى هنا الآن، وخاصة بعض الأقارب والأصدقاء والجيران, شكرًا جزيلًا للجميع على دعمكم وحبكم الدائم!

وأخيرًا أشكر نفسي على تحدي كل المصاعب التي واجهتني ولم أستسلم، وعندما وصلت إلى هنا أيقنت الآن أن لا مكان للمستحيلات أبدًا في هذه الحياة، حاول وحاول ستصل، ستتعب وستشقى ولكن حاول وكن مؤمن بربك وضع الأمل به ستصل إلى كل ما تريد، وقلت في بالي لن أرتاح حتى أرى هذا العمل كتاب بين يدي ليقرؤوه جميع الناس والذي تعبت جدًا حتى وصلت إلى هنا بعد شهور طويلة، ولن يصدقني البعض أنني كتبت هذا العمل خلال أربعة عشر يومًا فقط لساعات متواصلة لشدة اللهفة به وإصراري عليه، وآمل أن يكون نقطة تحول في حياة البعض، وأن يأخذوا منه العبر، وأستطيع أنا فرج في عمر الثامنة عشر أن أحفز كل من لديه الموهبة في بلادي ليبيا، وأن أكون مصدرهم كي يصبحوا يومًا ما هم أيضًا كُتاب لتنتشر الثقافة لدينا، ولنصبح فخر لأنفسنا وللوطن.

لكل قارئ ولكل قارئة، أتمنى أن تستمتعوا بهذه الرواية، وأن أستطيع توصيل الإحساس والمشاعر بكل ما فيها، لأن هذه ليست مجرد رواية بل هي واقع يسرد، وأستطيع أن أزرع فيكم العبرة منها، أعترف أنك لن تفرح بأحداثها كثيرًا ولا أظن أنه سيكون هناك أمل وستظل محبط معظم الوقت، ولكن أستطيع أن أقول لك وبكل ثقة وتأكد أنني في نهايتها سوف أزرع بداخلك بذرة إيمان بالله وأمل به فقط، وأتمنى لكم قراءة ممتعة.

ملحوظة

الكُتب ما هي إلا مرآة لحياة أخرى, لأشخاص آخرين، هناك الخير، وهناك الشر، ستتعلق بالبعض، وستحب الآخر، وستكره منهم، ستفكر مثل ما يفكرون، وتحوم عليهم، وستكتشف أسرارهم وخفاياهم، البعض سيصدمك، والبعض الآخر سيفرحك، ستعيش معهم خطوة بخطوة وسترى بنفسك نقطة التحول التي غالبًا ما تكون بأيدينا نحن، ولا ندري على ماذا؟ وكيف حصل هذا؟ ولكن السؤال يظل كيف ستنتهي حكايتي في هذه الدنيا؟ ومتى ستنتهي؟ ومع من؟ وأين؟ وما السبب؟ كل هذه الأسئلة سوف تظل في رأسك عندما تقرأ هذا الكتاب، الذي ستتحسر وتبكي على البعض، وتفرح على نهاية البعض، ولكن لا مفر من النهاية.

أكتب فقط ما أشعر به، كتابات ومقالات كاتب مجروح، مات بين طيات هذه الصفحات، ويتنهد بين كل سطر وسطر، ويحترق في كل حرف فيها، ولا يعرف لماذا، وإن كل ما كتبته في هذا العمل ما هو إلا نقطة في بحر من هذا العالم الذي غرقنا فيه ولن نصحو من سباته إلا بعد أن ينتهي كل شيء ويكون قد فات الأوان، وأعدك بعد الانتهاء من قراءة صفحات هذه الرواية، سأجعلك تؤمن بأشياء عديدة كنت تجهلها، وتترك أشياء عديدة كنت تفعلها، وستستفيد منها الكثير والكثير من العبر والحكم والمواعظ في حياتك القادمة، وأنا متمسك بوعدي لك!

ولقد كتبت هذه الرواية بقلوب أشخاص كانوا ولا زالوا تتردد أنفاسهم على هذه الأرض، بألسنتهم، بجروحهم الدفينة، باستنزاف مشاعرهم، بأحلامهم المحطمة، بجميع مواقفهم وتفاصيل حياتهم، بأحاسيسهم، والكلام الذي لا يباح لأحد سترونه لأول مرة، بالاعتراف الداخلي، والصراع النفسي بينهم وبين أرواحهم، بقلوب لم تعرف معنى الحب أو الاهتمام، لم تسمع عنها حتى ولم ترها، والتي ستبكون دم من أجلهم، وستريدون أن تدخلوا داخل الكتاب كي تغيروا حياتهم حتى ولو قليلًا.

وكتبت أيضًا ذلك لنفسي حتى حين أكبر إن أعطى ليَّ الله العمر المديد وأفتح هذا الكتاب وأعيد ذكرياتي والأجزاء المفقودة في حياتي، لأرى كل ضحكة، وكل دمعة، وكل

كسرة قلب، وكل تنهيدة وجع وألم، وكل خيبة أمل، وكل اختيار خاطئ، ولأرى الجزء المفضل في حياتي، لأرى أجمل أيامي، لأراك فقط.

لا البدايات التي نريدها

ولا النهايات التي نتوقعها!

هذه الجملة تَنطبِق على حياة كل شخص فينا وعندما تقرأها ستخيفك، اعتبرها حياتك وضع نفسك مكان بطل الرواية، واحكم عليها، ومع ذلك لن تفهم بدايتها ولن تأتي في بالك نهايتها!

*****

"ثق بنفسك، ولكن لا تثق بالشيطان الذي بداخلك!"

من خفايا النفس البشرية التي لا نعرف متى ستتغير؟ وكيف؟ وما سبب هذا التغير؟ أقرأ وستعرف بنفسك!

"فرج فركاش".

قلة الاهتمام تؤدي بالإنسان إلى طريق ليس له إطلاقًا، ويدخل في متاهات والعديد من المصائب والكوارث، وقد يلجأ إلى إشباع رغباته وشهوته في أشياء ليست من طبعه، ويتعلق بأشياء يظن أنه يحبها لكي يسعد نفسه ولا يشعر بالوحدة وعدم الاهتمام ليس إلا، مع الضعف والخوف والطيبة التي يمكن أن تقتل صاحبها، وهذا ما حدث مع مراد.

*****

كان الظلام والضباب يملآن المكان، والجثث على الأرض والدماء في كل مكان، وهناك طفل مولود يصرخ، يا إلهي ما هذا؟ أين أنا؟ هذا المكان قصر كبير وهذه الوجوه ليست غريبة على نظري، أبي، وأمي، عمي، من هذا الرجل الواقع على جسدي، وهناك فتاة شابة موجودة على الأرض ماذا بها؟ والزجاج مكسور والسلاح مرمي على الأرض، وصوت سيارات الإسعاف والشرطة في كل الأرجاء، يدي، يدي، وبدأت أصرخ، كلها دماء ليست مني، ماذا أفعل؟ كنت أسأل نفسي أهذا حقيقة أم حلم؟ وفجأة سمعت أجمل صوت لي في حياتي صوت جدي، لكن ماذا به؟ كان يصرخ ويتشاجر، مع من؟ أغمضت عيني بقوة، وفتحتها وجدت نفسي في غرفتي، وكان ذلك حلمًا وليس حقيقة، قلت:"الحمد لله"، كان كابوسًا مروعًا جدًا، لم أفهم شيء لأن صوت جدي ما زلت أسمعه حتى الآن، كان جدي يتشاجر بصوتٍ عالٍ مع أبي ويقول له:

-"كيف فعلت ذلك؟ قل يا مصطفى، جعلتني أعيش في وهم طيلة السبع سنوات السابقة لماذا؟ لماذا؟"

-"أبي كان يجب أن أفعل ذلك".

-"ولكن ليس هكذا، ليس بهذه الطريقة، هذا كله من طمعك، ولكن أعدك لن تأخذ شيء وسترى!!"

أجاب مصطفى بغضب شديد:

-"ماذا تقول؟ ماذا؟ سأقتلك ولن أسأل!!"

أجابه بدهشة غريبة:

-"سوف تقتل أباك! هذا الشيء المتعود عليه دائمًا".
قال له مصطفى باستهزاء:
-"وأنت ماذا؟ ألست الرأس الكبير أم نسيت ذلك؟!"
والصدمة على وجه الجد، وقال له:
-"أنت لست مصطفى!"
رد عليه بصوتٍ عالٍ:
-"لا أريد أن أسمع شيء، اصمت نهائيًا!!"
وفجأة فتحت الباب وخرجت من غرفتي ورأيت جدي، وحدق إليّ بشدة ووضع يده على قلبه، ولم أجده إلا وقع على الأرض، وقد أصيب بسكتة قلبية، فأخذت أبكي وأصرخ بقوة، وأبي كان يدخلني إلى غرفتي لا يريدني أن أراه ولم أعرف لماذا.
وبعد ذلك نقل جدي إلى المستشفى سريعًا، وكانت عمتي أميرة قد ذهبت به مسرعة إلى صديقها الدكتور شادي، وكان جدي في حالة سيئة جدًا، وقفت نبضات قلبه، بعد عدة محاولات بالصدمات الكهربائية استرجع حالته الطبيعية، ولكن ما زال في العناية المركزة، وبعدها تكلمت عمتي أميرة مع أبي، وقالت له وهي تحدق إليه بحدة شديدة:
-"ماذا فعلت له يا مصطفى؟"
حدق إليها بشكل أنه لا يبالي، وقال:
-"هذا السؤال ليس من حقك".
قالت له بصوتٍ عالٍ:
-"أبي كان على وشك الموت وأنت السبب".
-"أيمكنك أن تصمتي قليلًا؟"
رفعت إصبعها ووضعته أمام وجه مصطفى وقالت وهي تحدق في عينيه:
-"ولكن أجعل ذلك في بالك، الماضي قد يعود وفي أية لحظة ليطرق أبواب حاضرنا وحينها لن نستطيع فعل شيء إلا الاستسلام له والدمار الذي يأتي به، والمتضرر الأكبر سيكون مراد وحده، أتسمع؟"
ولم يتكلم مصطفى بشيء غير أنه قال:"اذهبي للمنزل وأخبريهم ما حدث مع أبي، هذا

الوقت سيكونون قد رجعوا من المنتجع السياحي، وأنا سأذهب لأرى أبي وأتكلم مع الدكتور شادي".
صمتت أميرة قليلًا، وقالت:
-"حسنًا سأفعل، وسأرجع إلى هنا سريعًا بعدما أرى أمي".
-"حسنًا! ولكن إياك أن تجلبي مراد إلى هنا إطلاقًا".
*****
وذهبت أميرة إلى المنزل لتخبرهم جميعًا بذلك، وجمعتهم كلهم في صالة المنزل وقالت لهم:
-"أبي اليوم أصيب بسكتة قلبية وموجود في العناية، وإياكم أن يتكلم أحد مع أمي لأنها حتى وهي في الغيبوبة تسمع كل شيء".
نهض أنور وقال:
-"وكيف لكم ألا تخبرونا؟"
-"لم أرد أن أفزعكم ليلًا، وهذا ما حصل يا أخي!"
-"وكيف جري ذلك يا أميرة؟ ألم يكن معه أحد في ذلك الحين؟"
ارتبكت أميرة وظلت خائفة أن تخبرهم أن أبوهم كان يتحدث مع مصطفى، وأنه عرف كل شيء والكارثة أيضًا أن إخوته أيضًا لا يعرفون، وقالت له:
-"لا يا أخي لم يكن هناك أحد، كان لوحده".
وقاطعتهما أسماء قائلة:
-"وكيف لكي يا أميرة ألا تخبريني؟"
حدقت إليها بحدة، وقالت لها:
-"لا تمثلي دور زوجة الابن الصالحة، لن يتماشى معك، اجعلي النفاق دائمًا على المكشوف".
أصبحت شرارة الغضب في قلب أسماء تنبع، وقالت:
-"سوف أذهب لأتصل على مصطفى".
وقال أنور إلى أميرة:
-"وأنا سوف أذهب لأرى أبي في المستشفى، وبعدها سوف أذهب إلى عائشة، أنتِ

تعرفين لم تنجب إلا من أسبوع، عملية التوأمين كانت صعبة عليها وضعتها عند أمها ومشتاق كثيرًا إلى سند وسندس".

-"اذهب يا أخي، واتصل بي طمئنني عليها كيف حالها؟ وكيف حال الأطفال؟"

وبعدها ذهبت أميرة إلى غرفة مراد لتتكلم معه، وقالت له بهدوء:

-"يا حبيبي، أأنت بخير؟"

أجابها مراد بنبرة صوت حزينة جدًا، وقال لها:

-"أنا مشتاق إلى جدي كثيرًا، أريده معي!"

-"لا تخف، أنت لا تزال صغيرًا في المرحلة الأولى الابتدائية، وسوف تعيش معه أيامًا طويلة جدًا، جدًا".

وبعدها جاء في بال أميرة أن تأخذه إلى أبيها لكي يخبره هو بنفسه بكل شيء وينكشف هذا السر المدفون.

وقال لها مراد وهو يحدق إليها بنظرات الحزن:

-"أريد أن أراه يا عمتي!"

صمتت قليلًا وقالت:

-"سوف أخذك معي ليلًا عندما ينام الجميع".

*****

وجاء المساء وحتى بعد منتصف الليل عند الساعة الواحدة أيقظت أميرة مراد ليذهبا إلى المستشفى.

واتصلت على الدكتور شادي وقالت له:

-"أنا في الطريق آتية إليك، كيف حال أبي؟ والأهم من ذلك هل مصطفى ما زال عندك؟"

-"الحاج مراد حالته خطيرة قليلًا، تعالي بسرعة، ومصطفى ذهب منذ قليل إلى البيت".

-"آتية إليك الآن".

ولم تفكر أميرة في تلك اللحظة إلا في مراد وأن يراه فقط ليخبره بكل شيء، وبعد نصف ساعة في الطريق وصلت إلى مركز بنغازي الطبي(١٢٠٠) ودخلت مسرعة ومعها مراد، صعدت إلى البرج الثاني ودخلت غرفته فلم تجده فيها، دمعت عيناها وسألت

الممرضة:
-"يا آنسة، كان موجود رجل عجوز هنا ألم تريه؟"
أجابتها بخيبة قائلة:
-"للأسف فعل الدكتور شادي كل ما في وسعه لينقذه".
-"ماذا تقصدين بكلامك؟"
دخل الدكتور شادي في تلك اللحظة وقال:
-"أنا آسف جدًا، يا أميرة، لم أستطع إنقاذه، ضغط الدم كان منخفض جدًا وتعطل عمل البنكرياس والطحال، وأصيب بجلطة حادة في الدماغ أدت له بنزيف داخلي، والصدمات الكهربائية لم تجد نفعًا، فذهب من أيدينا!"
دفعته وقالت له بصوتٍ عالٍ:
-"كيف ذهب من يدك؟"
وكانت الدمعة تنهمر من عينيها وتبكي وتصرخ:"أبي، أبي!!"
وأصبح مراد في زاوية الغرفة وصوت أنين بكائه، الذي فقد شيء كان دائمًا سنده ومثله الأعلى، ذلك الطفل الذي لم يعرف طعم السعادة إلا مع جده ولم يعرف ما ينتظره بعد ذلك من معاناة ودمار نفسي.

*****

وانتشر الخبر سريعًا بين الأقارب، القريب والبعيد منهم، وتذكر مراد أول شيء يقوله له جده:
-"أتعرف شيء يا بني؟"
-"ماذا يا جدي؟"
-"بعد وفاة أي شخص هناك أناس تسعد بذلك، وهناك من يحزن، وهناك من يتجاهل، وهناك من يشمت بذلك وهو لم يفكر أن لديه يوم هو كذلك، وهناك من يكمل حياته ولكن من دون نية لأنه قد فقد الحياة، ولأننا الآن موجودون فوق التراب سيأتي يوم ونصبح تحته، هذا ما سيحصل لك"، وصمت قليلًا وقال:"لا أريد أن أقولها وتحصل، أتمنى أن أكون قبلك".
قال له مراد بخوف:

-"لا، لا تقول ذلك يا جدي، أريدك معي دومًا وأبدًا، أتعدني؟"

-"أنا أعدك".

ابتسم مراد وضحك وقال:

-"هذا جدي!"

-"ولكن أخبرك بشيء، الدنيا لن تعدنا بذلك، هي غدارة".

وأقيمت مراسم العزاء، وكان هناك كثيرٌ من الناس يبكون على الحاج مراد، لكونه كان مرحًا جدًا ودائمًا يبتسم ويحب جميع الناس، ولم يضايق أحد في حياته مثل مراد حفيده تمامًا لأنه تعلم منه كل شيء، ولكن هل سيصبح مثله؟ لأن القادم غير منتظر على الإطلاق! أعدك بذلك.

*****

ووصل الخبر إلى ابن الحاج مراد أمير الذي تزوج منذ شهر وذهب هو وزوجته سمر إلى مصر لقضاء شهر العسل هناك، وقالت له سمر:

-"لا أظن أنه وقت مناسب ليموت فيه أبوك!"

وقال لها ببرود دم وبدون إحساس:

-"وأنا كذلك كنت لا أريد العودة، هناك أشياء رائعة كثيرة"، وكان يقصد في باله النساء.

-"والآن أين سنعيش؟"

-"سوف نأخذ البيت الذي فوق بيت أخي مصطفى".

-"لا أعرف كيف سأعيش مع هاتين المتخلفتين، زوجتي أخويك مصطفى وأنور؟!"

-"مع الوقت ستتعودين عليهما!"

ولكن المنتظر كان غير متوقع نهائيًا.

*****

وبعد مرور أسبوعين.

لم يتبق أحد من الناس يأتي إليهم، لم يكن إلا الأقارب فقط وكانت القربة بينهم ليست من الشيء الجيد، فبعد وفاة الجد ستحصل أشياء لم تكن في الحسبان.

*****

وفي ذات يوم.

استيقظ الجميع في الصباح ليتم تجمع الناس جميعًا بعد مرور أربعين يومًا على وفاة الحاج مراد، وكان مصطفى قد استيقظ على اتصال هاتفي.
-"نعم، ماذا هناك من الصباح الباكر يا رضوان؟"
-"يطلب منك المعلم الكبير أن تجلب باقي الأموال التي كان يريدها من أبيك اليوم وإلا سيحصل شيء لن يعجبك!"
-"وكيف سأفعل ذلك؟"
-"تصرف لم يبق لك الكثير".
-"حسنًا، سأتصرف".
واستيقظت أسماء من النوم بعدها وقالت:
-"من هذا يا مصطفى؟"
-"لا أحد".
-"أشعر وكأن هناك مصائب ستحصل بعد وفاة أبيك، لأنه لم يترك لنا شيء حتى الآن كي نضمن حياتنا ومستقبلنا كذلك".
-"هناك مهمة الأسبوع القادم، هناك مجموعة أطفال من الشوارع سنقوم باختطافهم ونأخذ الأعضاء وسيكون هناك مكسب كبير، وكذلك كمية كبيرة من الترامادول والحشيش، والكثير من الفتيان والفتيات لقضاء ليلة مع أكبر التجار في البلاد".
-"هذا خبر سعيد جدًا، وهل هذا الموضوع الذي كنت تتكلم فيه مع أبيك قبل وفاته؟!"
صمت قليلًا، وشعر بالخوف وقال لها بتردد:
-"لا، لا، ليس هو، لم نتكلم عن شيء".
*****

وجاء موعد قدوم الناس وحتى المساء وذهب الجميع بعد ذلك، وبقي فقد أفراد العائلة وقالت أميرة بصوت كله ألم:
-"غيابك مثل الجمر يا أبي، يا ليتك تعود!"
رد عليها مصطفى وقال:
-"لن ينفع الآن التمني، الشيء الذي ذهب لن يعود أبدًا".
قالت له بصوتٍ عالٍ:

-"أنت ماذا؟ لا تشعر نهائيًا لا وجود للدماء في جسمك!"
فتح السكين، وجرح يده، وقال بكل برود أعصاب:
-"هذه الدماء".
ابتسمت، وقالت له:
-"ولكن لا يوجد قلب، وهذا الشيء نادر والمشاعر هي الوحيدة التي لا يمكن أن تعود بعد رحيلها، تعود الأجساد للقاء، وتعود الأيدي للمصافحة، وتعود العيون لترى نفسها، ولكن شعورًا غادر الروح لن يعُود أبدًا".
-"كُفي عن هذا الكلام الفارغ!"
وقاطعهما أنور وقال:
-"أنا متعب للغاية، ذاهب للنوم، وأنتم كذلك اذهبوا للنوم، سأصعد إلى أعلى، عائشة لوحدها مع الأطفال".
وقالت ليلى أيضًا:
-"أختي أميرة، وأنا كذلك ذاهبة إلى المنزل، تعرفين أسامة عصبي جدًا".
-"عصبي ماذا؟! أأنتِ مجنونة يا أختي، لا تغضبيني أنتِ كذلك، لا أعرف كيف تعيشين مع رجل دائمًا يشرب الكحول وينام فقط".
خنقتها العبرة، وقالت لها:
-"كل ذلك من أجل أبنائي سليم وسارة فقط".
-"حسنًا، يا أختي اذهبي وأخبريني ماذا يحصل معك؟"
-"ولكن أين هو سليم؟"
-"هل كان مع مراد في الحديقة المقابلة للمنزل؟ سوف أذهب لأرى ماذا يفعلان؟"
ورن هاتف مصطفى بعد ذلك وكان رضوان هو المتصل وقال له:
-"هل رأيت ابنك؟"
-"ماذا؟!"
-"أخرج وسوف تراه الآن".
وسمع مصطفى صوت أميرة تصرخ في الخارج:"مراد، مراد، مراد!"، وخرج ورأى مشهد مروع ومأساوي.

وكان مراد قد تم الاعتداء عليه من قبل العصابة، رضوان واثنين آخرين، لأن مصطفى لم يأت بالأموال، وجاء مصطفى مسرعًا وأخذ يضرب في مراد وهو فاقد للوعي، والدماء كانت في جميع أجزاء جسمه والخدوش، وكانت هناك آثار ضرب كذلك، وقالت أميرة وهي تبكي بحرقة:

-"من فعل بك هذا يا حبيبي؟ أين أنت يا أبي كي ترى ما نحن عليه الآن".

-"تكلم أيها الحيوان".

-"ليس هكذا، ابتعد يا متخلف، لنأخذه إلى الدكتور شادي".

*****

وذهبت ليلى بسرعة إلى بيتها في الشارع الخلفي، وكان أسامة في انتظرها وقال:

-"أين كنتِ حتى هذا الوقت يا عمري؟"

وكانت في شدة خوفها وردت:

-"أنت تعرف اليوم أربعين أبي، والناس كثيرون وكنت أبحث عن سليم هل رجع للمنزل؟"

-"نعم، رجع وجاء يبكي، وقال إنه رأى أشخاص يمسكون بمراد وذهبوا به إلى داخل الحديقة المظلمة، وقال لي إن الدماء كانت في كل مكان، وهل تعرفين شيئًا آخر أراها أيضًا على وجهك الآن؟!"

بقيت صامتة بخوف شديد، وقال لها بحدة:

-"أنا سوف أجيب، الدماء".

وظل يمزق فيها من جميع أنحاء جسمها، وكانت ليلى تعيش كل يوم هكذا، مع الضرب والتعنيف من زوجها أسامة، بعدما زوجها له أبوها بعدم رضاها، لأنه كان معه أعمال مع أبي أسامة، وكانت صغيرة، ومات أبوه وأبوها، وذهبت هي الضحية بين الأرجل، وما زالت تتحمل من أجل أبنائها، سليم الذي يبلغ من العمر سبع سنوات، وسارة التي تصغره بسنة واحدة.

*****

وكانت أميرة قد وصلت ودخلت بمراد وكان ينزف نزيف حاد، وسمعت الحديث الذي يدور بين الدكتور شادي ومصطفى:

-"أنا لن أفعل هذا يا مصطفى! في طفل صغير".
-"أيها المجنون إن لم تفعله أنا سأفعلها وسأكون قد ضربت عصفورين بحجر واحد ويصبح كل شيء لي، أتفهم!"
دخلت أميرة عليهما بقوة وقالت له بصوتٍ عالٍ:
-"ماذا تريد أن تفعل يا مصطفى؟"
-"ليس لكِ دخل نهائيًا".
وأكملت حديثها والحسرة داخل عينيها:
-"هذا ابنك يا مصطفى كيف تفعل ذلك؟ استغللت وفاة أبي لمصالحك الخاصة وطمعك".
-"كل شخص يجري وراء مصلحته دائمًا، في هذه الحياة يمكن أن يتخلى عنك أبوك وأمك، وحتى أقرب الناس إليك على أهون الأسباب!"
-"ومقابل أموال تريد أن تقتل ابنك، أليس كذلك؟!"
صمتت قليلًا وقالت:
-"هذا لن يحصل إلا على جثتي، أتفهم؟ وأنت يا صديقي الدكتور أظن أنك لم تكن تريد أن تفعل شيء كهذا، أليس كذلك؟"
رد الدكتور شادي والخوف والإرباك على وجهه:
-"نهائيًا، أبدًا والله، أخلاقي المهنية أمام الناس والرب لن تسمح لي بهذا، كوني مطمئنة".
-"اذهب معي الآن لنرى مراد".
وظل مصطفى يحدق إليه وشرار الغضب خارج من عينيه، واتصلت به أسماء وقالت:
-"أين أنت يا مصطفى؟ لقد كنت في الحمام، ونامت مرام ومروة، ماذا هناك؟"
-"مراد".
-"ماذا؟"
-"اعتدوا عليه".
-"فعلوها الأنذال، يجب أن تفعل شيء كلام الناس سيكون كثير علينا، وهكذا نكون قد حصلنا على ما نريد".
-"ولكن جاءت أميرة وخربت كل شيء كنت سأفعله".

-"ما هذا الحظ؟ سوف آتي إليك حالًا أنا..."
-"لا تأتي وحدك، اجلبي معك أنور، لا نريد أن نخسر الذي في بطنك، سوف ينفعنا أكثر من مراد هذا".
-"حسنًا".

*****

ودخل أنور وأسماء إلى المستشفى، وكانت أميرة مع مراد في الغرفة، وقال مراد:
-"عمتي، عمتي، لا أعرف ماذا حصل معي؟ كنت خائفًا وحيدًا، لم يكن أحد معي، وكان كل شيء موجع".
وأصبحت أميرة تبكي بحرقة:
-"هذا شيء بسيط، لا تخف ستكون بخير".
-"أريد جدي، أين هو؟ كنت أريده معي في ذلك الحين، لم يكن ليسمح لهم بهذا الشيء".
وتذكرت كلام جدي لي:
-"سوف يأتي يا مراد يومٌ في حياتك ويحصل شيء وتقول لو لم يحصل هذا الشيء، وأحيانًا ستفهم أنه هو الشيء الصحيح".
-"وهل هذا ينطبق على جميع الحالات يا جدي؟"
-"لا ليس على جميع الحالات، جلبت لك هذا الكلام على قوله تعالى:((وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ)). وأحيانًا هذا الشيء يدمر حياتك كلها في جميع حالاتها".
-"فهمت الآن يا جدي، ولكن إن حصل معي شيء سوف تكون أنت معي، أليس كذلك؟"
-"وهذا سؤال تقوله؟! دائمًا أنا معك".
-"أتعدني؟"
-"نعم، أعدك".

*****

وقال مراد لأميرة بإحباط وبؤس شديد:
-"جدي وعدني، ولم يبق معي الآن".

ردت عليه وما يزال الدمع على خديها:
-"لا تحزن يا حبيبي، أنا هنا، لا تخف".
ودخل عليهما مصطفى وأسماء وأنور، وقال مصطفى بصوتٍ عالٍ وحاد:
-"أميرة، اتركي لي هذا العاهر!"
وأخذه مصطفى من ملابسه وأصبح يصفعه على وجهه، وقالت له أميرة بصوتٍ عالٍ:
-"لا يا مصطفى إنه ليس بحالة جيدة، اتركه، اتركه!!"
وقالت أسماء:
-"اتركيه يُعلمه درسًا لا ينساه، هذا سوف يجلب العار لعائلتنا".
وقال أنور:
-"من اللازم أن يُقتل يا أخي مصطفى!"
وردت عليهم أميرة وهي تبكي:
-"أنتِ ماذا يا حقيرة؟ هذا ابنك! يهون عليك لهذه الدرجة! لا وجود للإحساس فيك، وأنت يا أنور لم تكن هكذا! تخيل أن هذا الشيء يحصل مع سند أو سندس، أو لأنكم لم تشعروا بإحساسه عندما كان يصارع كي يحافظ على شرفه، إنه صغير، قدروا مشاعره، هكذا سيصبح مريض نفسي".
قال لها أنور مشيرًا إلى مراد:
-"والأفضل أن يموت يا أختي".
صرخت أميرة بأعلى صوتها:
-"أنتم لستم بشر، الموضوع على يسار صدوركم ليس قلب بل حجر، وحجر أسود وفي النهاية ستكونون أنتم الخاسرين الوحيدين".
صمتت أميرة قليلًا، وبدأت تصرخ:
-"أيها الأمن، أيها الأمن، يا دكتور ساعدوني!!"
وبدأت تدفع في مصطفى في حين كان يضرب في مراد، ودفعته وكانت وراءه أسماء فركلت على بطنها فسقطت على الأرض.
صدم مصطفى بذلك وبدأ يصرخ بصوتٍ عالٍ:
-"أسماء، أسماء يا دكتور افعل شيء لا أريد ابني أن يموت".

قال له الدكتور شادي:

-"الحالة خطيرة عندما كانت تأتي إلى قلت لها أنها سوف تنجب مبكرًا، والآن تحتاج إلى عملية، لن تنجب طبيعيًا".

قالت أميرة وهي مبتسمة وشامتة:

-"هذا ما كنت سوف تفعله بهذا الطفل المسكين، هذا قدر من الله وإشارة أن كل شيء تفعله سوف يرجع عليك، إن الله أقوى من أي شخص، الملك لله وحده".

رفع إصبعه ووضعه أمام وجهها، وقال لها بنبرة صوت حادة:

-"اصمتي، اصمتي، إن حصل لابني مكروه لن أرحمك!!"

ابتسمت أميرة وقالت له:

-"وهذا دليل على أن أسماء لن تهمك قلت ابنك، الإنسان شيطان لا تعرفه، يوم عليك ويوم معك".

-"سنرى، ادعي فقط ألا يحصل شيء!"

*****

وذهب مصطفى إلى غرفة العمليات ليرى أسماء، ونهض أنور وقال:

-"أنا ذاهب للبيت أتريدين شيئًا؟"

حدقت إليه بحدة وقالت:

-"أريدك أن تذهب، ولا تأتي لمراد مرة أخرى".

*****

وبقيت أسماء تحت العملية لمدة أربع ساعات متتالية، وخرجت وكان الطفل سليمًا وبكامل صحته، وأقام أسبوعًا كبيرًا جدًا وكان مراد منذ ذلك اليوم المشئوم مسجون في غرفته فقط، أصبح من المدرسة إلى البيت، وأصبح لديه خوف من كل شخص يقترب منه، رجلًا كان أو امرأة، شاب أو شابة، وكان لا يختلط بأحد ولا أحد يختلط به، أصبح وحيدًا مذلولًا مخذولًا فاقدًا للحب والحنان، وكان مصطفى منذ ولادة ابنه محمد لا يرى سواه، وهذا الشيء كان يجعل مراد كل ليلة في البكاء، وأمه التي تستغربون معاملتها والأسباب حتى الآن ليست معروفة، كان يشعر بشعور اليتيم غير المحبوب والناس والأقارب ينادونه بالمخنث، ومع ذلك كان طيبًا لدرجة خيالية، وكل يوم يتذكر

جده الذي كان الشخص الوحيد الذي رأى معه الفرحة والسعادة والحب والاهتمام والحنان والعاطفة، وبعد فقدانه فقد كل شيء، وفقد وراءه شرفه وكرامته، واليوم أنا أكتب لكم وفي هذه اللحظة بقلمي في دفتر حياتي، وموجود في إصلاحية بنغازي للأمراض النفسية الهواري، بعد ذلك اليوم بقيت أيام قليلة ووضعوني أهلي فيها، لا أعرف إن كانوا أهلي أو يستحقوا هذه الكلمة ولكن ما زلت أقول للناس أنهم دائمًا يحبونني من كل قلبهم، وأتخيل ذلك دائمًا في رأسي وأضحك، أرى أمي موجودة فوق رأسي وتقول لي ابني الغالي أنا أحبك، وأرى أبي يفتخر بي أمام الناس، كانت تلك هي أحلامي، وأنا في الثانية عشر من عمري الآن-بعد مرور خمس سنوات- في المستشفى منذ عمر السابعة وبعد مدة العلاج هذه كلها جاء اليوم الذي سأخرج فيه لأتابع دراستي في المدارس الحكومية بدل الأساتذة الذين يأتون في المستشفى بمبلغ مالي من عمتي أميرة، وعند وجودي في الحديقة أنتظر كان هناك رجل كبير في السن جلس بجانبي، ارتعبت كثيرًا وبدأت أشعر بالخوف وظننت أنه يحبني، وتذكرت ذلك اليوم المشئوم من جديد، وقال لي:

-"لا تخف مني يا بني، اعتبرني مثل جدك، لن أؤذيك!"

-"ولكن جدي قد مات، أنا لا أعرفك، فلهذا لن أتكلم معك"، نهض مراد بعد ذلك.

-"اجلس يا بني، تشبه أحد أعرفه وأحبه".

ابتسم مراد وفرح كثيرًا، وقال:

-"أنا أشبه أبي مصطفى وأمي أسماء، وهما يحبانني كثيرًا".

-"لو كانا يحبانك لما تركاك طيلة السنوات السابقة".

شعر مراد بانكسار داخل قلبه وأصبح الدمع على طرفي عينيه، وقال:

-"أرجوك أريد أن أذهب".

-"ملامحك جميلة وجذابة جدًا، مثل ابنتي، وبدأ يبكي".

-"أهي هنا؟"

-"لا لقد قتلت، كانت مثلك تمامًا، بشرتها بيضاء ناصعة وشفتيها مثل الكرز وعيناها عيني غزال الريم سوداويتين ذات أهداب كثيفة، وأنفها مثل الفستق الصغير، رشيقة القوام كان قلبها أبيض وحنونة، وأنت كذلك ولكن ذهبت وراء حب لن ينفعها إنما

ضرها فقط، وقلت لها ذلك ولم يأخذوا حقها حتى الآن".
-"ومنذ متى هذا كله؟"
-"منذ اثني عشر عامًا".
-"منذ ولادتي يعني؟"
-"أنت من أي عائلة يا بني؟"
-"أنا من عائلة مصطفى مراد مصطفى".
-"ماذا؟"، وبدأت ملامحه تتغير للأسوأ.
-"ماذا هناك؟ أتعرفهم؟"

*****

وجاءت أميرة مع مصطفى ليأخذا مراد في تلك الثانية، وعندما وجد مصطفى مراد موجود مع ذلك الرجل ركض نحوه وأمسكه من يدها وبدأ يضرب فيه برجليه وأميرة تصرخ وتقول له:

-"ماذا تفعل؟ يا ليت لم أجلبك إلى هنا".

وقال الرجل العجوز:

-"أتتذكرني يا مصطفى وما فعلته؟!"

حدقت أميرة في مصطفى وقالت له:

-"لا تقل لي إنه يتكلم على..."

أجاب ذلك الرجل المسن، قائلًا:

-"على سوزان، أتكلم يا ابنتي".

ارتعبت أسماء وقالت لمصطفى:

-"مصطفى خذ مراد فورًا إلى السيارة".

وبعدها ذهب مراد ومصطفى للسيارة، وقالت أميرة للرجل المسن:

-"يا عمي، أرجوك لا تقل شيء، مراد ما يزال بنفسية سيئة بعد ما حصل معه حتى لفترة قليلة، لا يوجد شيء يبقى مدفون دائمًا، سيكشف يومًا ما".

-"ولكن لن أجعل المدة طويلة، واجلبي لي مراد إلى هنا في أقرب وقت ممكن".

-"حسنًا، وشكرًا كثيرًا لك على تفهمك".

*****

وكان مصطفى كل متجر ألعاب وملابس ومتاجر الحلويات يقف عندها وقال مراد:

-"أبي يأخذ كل هذا لأنه مشتاق لي ويحبني أليس كذلك؟ أهي حفلة كبيرة لي؟ تلك هي الحفلة الأولى إذن!"

لم تعرف أميرة كيف تُجيب تلك الساعة وكانت الحرقة تملأ قلبها من سؤاله ولم تجب، وقال مراد:"أنا سعيد جدًا".

*****

وعندما وصلوا للمنزل دخل مراد وكان هناك عيد ميلاد محمد أخ مراد ولقد أتم الخمس سنوات من يوم دخول مراد للمستشفى إلى يوم خروجه، وكان الجميع موجودين أنور وزوجته عائشة وابنيهما التوأم سند وسندس اللذين يبلغان من العمر ست سنوات، وكان موجود أيضًا أمير وزوجته سمر، وكانت أسماء قائمة على حفلة العيد ميلاد، ومروة التي تصغر مراد بسنة واحدة موجودة في غرفتها مع أختها مرام التي كان عمرها سبع سنوات، وكانت الصدمة هنا لمراد، لم يبك بل حبسها داخله، كان هناك براكين وجع من ضرب أبيه وعدم اهتمام أمه، ولكن اعتقد أن كل هذا من أجله، كان الجميع حتى عندما صافحوه واضحًا جدًا على ملامحهم يحاولون تجنبه، ودخل لغرفة أخته مروة وقال لها وهو يبتسم:

-"أختي حبيبتي، اشتقت لكِ كثيرًا!"

-"وأنا أيضًا، كنت أريد المجيء ولكن أبي لا يريد ذلك".

-"لا عليك، هو نفسه لم يأت إلا مرتين أو ثلاثة كل هذه السنوات، واستقبلني بالضرب".

-"لماذا؟ ماذا حصل؟"

-"قصة طويلة سوف أحكي لكي مرة أخرى".

-"حسنًا، ولكن أنا مشتاقة لك كثيرًا جدًا ولأيام طفولتنا".

ضحك مراد، وقال لها:

-"أيام الطفولة يا أختي! لو جعلوا في نفسي طفولة".

-"لا تحزن يا أخي، لا تحزن!"

نظرت فيها وتذكرت كلام جدي عندما قال لي:

-"هل تعلم أن لا أحد يشعر ما تشعر به؟ سيقول لك لا تحزن ولا تخف إنني معك، وهذه الكلمات تزيد على الجرح جرح، وتؤلمك وتوجعك أكثر، وهو وقت الشدة يتركك، لا تعتمد على أحد في هذه الدنيا، كله على مصلحة نفسه فقط، العالم تغير ولا أحد بقي لأحد حتى الذين أحببتهم أو الذي أحببته توقع أن يتركك، لا أمان للبشر".

وتنهدت بوجع قلب طفل مكسور لم يعرف الحب، وقلت بعدها لأختي مروة:

-"أين مرام؟ اشتقت لها كثيراً".

-"هي هنا تغير ملابسها".

-"حسنًا، سأخرج للحديقة قليلًا وأرجع".

*****

وخرج مراد ووجد عمته أميرة ركض إليها وحضنها:

-"عمتي، أريد أن أموت يا عمتي، لا أريد أن أعيش!!"

-"لماذا؟ لا تتكلم هكذا مرة ثانيةً، وإياك أن تبكي".

-"ليس الأعين التي تبكي يا عمتي، قلبي هو الذي يبكي كل يوم ويحترق، أريد أن يشعر بي أي أحد، هل تعلمين معني أن يكون لديك عائلة وأنت لست موجودة فيها؟ أريد أب يكون لي السند، وأم مثل كل الأمهات تحبني وتهتم بي!"

-"لا يا مراد، لا تفكر هكذا، هم يحبونك كثيراً".

-"ما هي إشارة الحب؟"

ظلت أميرة صامتة ولم تتكلم، وأكمل مراد حديثه قائلًا:

-"لا يوجد جواب أليس كذلك؟ دليل الضرب والإهانات والذل والقهر واليأس، لا يوجد أصعب من هذا، أعيش وحيدًا ليست مشكلة لدي، ولكن أصعب وحدة تكون بين عائلتك وأن تشعر بعدم وجودك معهم دون السبب، أريد أن أشعر بذلك يا عمتي، أتفهمينني؟"

*****

وبعدها سمعا صوت عيد الميلاد:

"سنة حلوة يا جميل، سنة حلوة يا جميل، سنة حلوة، سنة حلوة يا حميدو، happy birthday to you ,happy birthday to you" .

وقال مراد وهو يبكي وكان بين المكابرة والألم:

-"آه يا عمتي، أتسمعين ذلك؟ أتسمعين؟ إنهم يحتفلون بخروجي لنذهب يا عمتي للداخل كي لا نؤخرهم أكثر من ذلك، لنذهب يا عمتي".

وهي كانت تحاول تهدئته:

-"مراد، مراد، استيقظ لنفسك وصفعته على وجهه".

وأصبح مراد يبكي في حضنها ويقول لها:

-"يا عمتي، قلبي يؤلمني كثيرًا، أريد الحب، أريد عيد ميلاد، لماذا أنا؟"

*****

وجاء مراد عند الباب وسمع صوت الأغاني والجميع كان يصفقون ويضحكون، وجرح محمد في يده، فخطر على بال مراد أن يفعل هذا الشيء، ودخلت أميرة وتكلمت مع مصطفى:

-"لماذا هكذا يا أخي؟ أهتم بمراد قليلًا".

-"وأنا دائمًا أهتم به، أنا مشغول حاليًا مع محمد يا حبيبي".

وقالت أميرة موجهة كلامها إلى أسماء:

-"يا أسماء أحسني التصرف مع مراد قليلًا، إنه يمر بحالة سيئة، أنتِ أمه يجب أن تعطفي عليه".

وقالت لها أسماء بنبرة استهزاء:

-"وماذا أفعل معه الآن؟ هو أصبح رجلًا كبيرًا يجب أن يعتمد على نفسه".

-"والوقت الذي ضاع منه! وطفولته وبراءته كلها ضاعت بسببكم!"

-"ليس بسببي، لست من قمت بالاعتداء عليه، وكل شيء يحصل نتاج أفعالنا".

-"أنتِ صحيح لم تقومي بالاعتداء عليه حرفيًا، ولكن الكلمة التي صدقتي فيها أن كل شيء يحصل نتاج أفعالنا، وانتظري ما سيحصل لكي نتاج أفعالك مع ذلك الطفل يا حقودة، يا عديمة الإحساس".

*****

وفجأة سمعوا صوت ضجيج الناس وخرجنا لنرى ماذا هناك؟ وكان مراد قد دهسته السيارة، ونقل مراد إلى المستشفى سريعًا، وقد لقي كسر في رجله، ومصطفى ذهب

للغرفة الأخرى، الموجود فيها محمد بعد جرح يده، ودخل مصطفى عليه قائلًا لمراد:
-"كيف حدث ذلك أيها ال٠٠٠٠؟!"
دفعته أميرة قائلة بصوتٍ عالٍ:
-"لماذا أنت هكذا؟ لا يزال يعيش في صدمة".
-"صدمة، ومسكين، وطيب، لا تدافعي عنه، ألم تَمِلِي من عيش دور المحامية، والممرضة".
صرخت أميرة في وجهه وأشارت بإصبعها إلى الباب وقالت له:
-"أخرج من الغرفة!"
-"وأنا كذلك ذاهب إلى ابني محمد".
*****

وكان مراد ينظر لما يحدث حوله، وفكر في كلام جده:
-"هل تعرف أن جميع الذين ينتحرون كانوا يريدون قتل شيء ما بدخلهم، فقتلوا أنفسهم؟"
-"وهل هذا معقول؟"
-"طبعًا، يريدون قتل الوجع والألم والقهر الذين يعيشون فيه".
-"وكيف هذا يا جدي؟"
-"لأن وبكل بساطة أفهمها دائمًا يا مراد ليس الجسد الذي يتألم بل الروح، الروح فقط، عندما تنتهك الروح كثيرًا تريد أن ترتاح فيقرر الشخص أن ينتحر كي ترتاح الروح، والروح دائمًا ضعيفة مهما كان الشكل قوي أو يتظاهر بالقوة، ستظل الروح ضعيفة أمام نفسها وأمام الله".
وقالت لي عمتي أميرة:
-"مراد، مراد، أين سرحت؟"
-"الروح ضعيفة يا عمتي، أمام نفسها، وأمام الله فقط".
فاحتضنته وقالت:"لا تخف، أنا معك".
فخطر علي كلام جدي:"العالم تغير لا أحد بقي لأحد، حتى الذي أحببته توقع أن يتركك".

*****

ومرت أيام وأيام وخرج مراد من المستشفى وتعافت رجله ودخل إلى المنزل وحضن أمه مسرعًا وجاء جميع الأقارب للمنزل لرؤيته، وقال مراد:

-"أنا سعيد يا عمتي، اليوم جاء الكثير من الأولاد، ولكن لا أحد بقي معي".

وكانت أميرة لا تدري كيف تقول له إن ذويهم يقولون لهم لا تجلسوا معه على ما حدث معه في الماضي.

-"لا يا حبيبي، لا تفكر هكذا، هم يحبونك كثيرًا، ولكن يستغربون عند رؤيتك لأنهم لا يعرفونك جيدًا".

ابتسم مراد وقال لها:

-"حسنًا، وكلامك صحيح هم لا يعرفونني جيدًا".

*****

وبعد ذلك ذهب الجميع وكل من في المنزل ذهب إلى بيته ودخلت سمر إلى الغرفة في اللحظة التي كان أمير يضع لها حبوب منع الحمل في العصير، وقالت والصدمة على وجهها والدمع على طرفي عينيها:

-"أنا.. أنا.. هذا الطفل أتمناه دومًا من الله وأنت تمنع ذلك طول الخمس سنوات التي عشناها سويًا، أنت تعرف أنني كنت وحيدة ولم يكن لي أحد، عشت حياتي مع جدتي وبقيت أشتغل في الملاهي الليلية كمقدمة للمشروبات وأحببتك وتزوجتك كي يكون لي رابط في الحياة، كنت مهووسة بهذا الموضوع لدرجة خطر في بالي أن أخطف أطفال، لماذا يا أمير تمنعني؟"

-"ببساطة لأنني لا أريد الآن أطفال".

صرخت بصوتٍ عالٍ وأشارت بيديها على الرقم خمسة قائلة:

-"الآن! لنا خمس سنوات ليس اليوم أو أمس، خمس سنوات أتسمع؟!"

-"ماذا أفعل؟ لا زلت صغيرًا وأريد أن أعيش حياتي؟"

-"تعيش حياتك على حسابي حياتي وراحتي؟!"

*****

وكان منزل مصطفى تحت منزل أمير وسمع كلام سمر وصراخهم عند وجوده في

الحمام وجاء في باله ما لم يكن في الحسبان، وقرر فعله.

*****

وأصبحت أسماء تنادي:

-"مصطفى، مصطفى، أين كنت؟"

-"كنت في الحمام".

-"تعال نام بجانبي، نريد أن نستيقظ باكرًا، لنذهب إلى بيت أهلي".

-"أهلك قد ماتوا".

-"كيف ذلك؟ لا يزال أخي المعتصم بالله، وأخي عبد الواحد مع ابنه عبد الله وابنته رتاج".

-"ولكن أليست رتاج تقرأ في المدرسة الثانوية، وعبد الله في الإعدادية؟! يقدرون على التصرف وحدهم؟"

-"ولكن لا تنس أن أمهم ماتت وهم صغار جدًا".

-"حسنًا، سنذهب غدًا صباحًا".

وتركها حتى نامت قليلًا وخرج من الغرفة وذهب لأعلى المنزل.

*****

وكان ما يزال مراد موجود في حديقة المنزل مع عمته أميرة وقال لها:

-"أين عمتي ليلى؟ لم أرها منذ فترة".

-"وأنا كذلك لم أرها".

-"ألا تزال تتعذب مع هذا أسامة؟"

-"هذا الواقع الذي تمر به الكثير من النساء في بلادنا".

-"وكيف ستكون النهاية؟"

-"ستنتهي بشيء لن يكون جيدًا، والله يستر".

-"أتمنى أن تكون لدي أم مثل عمتي ليلى؟"

-"لماذا؟"

-"لأنها تحب أبنائها سليم وسارة كثيرًا، ومستعدة أن تضحي بكل شيء لأجلهما، وهذا الشيء الذي لم أجده أنا إطلاقًا".

-"لا تدري، لعلَ حلمًا طلبته من الله قبل أعوام، يتحقق غدًا فقط قل يا رب، واصبر لعلها تأتي كما تمناها قلبك".

*****

وكان أنور نائمًا في غرفته ودخلت عليه زوجته عائشة خائفة، فقال لها:
-"ماذا بك؟"
-"لا، لا شيء".
-"أين كنتِ؟ ولم أسماء تنادي على مصطفى؟"
-"كنت في الممر، سمعت صوت قطة فخرجت لأرى من هناك، و لا أعرف لماذا تناديه لقد وجدته ينزل من أعلى المنزل".

*****

وكان مصطفى موجود في أسطح المنزل، ونزل مسرعًا وقال لأسماء:
-"كنت أتفقد الجو، سمعت صوت كلاب فوق".
حدقت به بحدة وقالت:
-"أأنت متأكد؟"
-"نعم متأكد!"، وكان واضح الارتباك على وجهه.
-"تعال لندخل".

*****

وجاء الصباح وذهبت أميرة للدكتور شادي لتجلبه لأمها، وذهبت عائشة عند أمها، وذهبت أسماء إلى إخوانها، وخرج أمير من المنزل، وما تزال سمر على الفراش تعيسة بسبب موضوع الحبوب، وكان مصطفى موجود عند أمه يقول لها:
-"أمي، سامحيني، كله بسببي، منذ أن عرفتِ ذلك الموضوع وأنتِ في الغيبوبة منذ ولادة مراد".
وفتح الإبر المخدرة التي تجعلها دائمًا في الغيبوبة والتي كان مصطفى يعطيها لها كي تظل دائمًا هكذا.
وقال أيضًا:
-"وآسف أيضًا، بعد ما قتلت أبي كنت مضطر أن أفعل ذلك، بعد ما اتصلت أميرة على

الدكتور شادي كنت معه وقلت له أن يعطي له إبرة السم لأنه لو كان على قيد الحياة لن رأى شيء من الميراث، وعندما وصلت أميرة كان قد مات، كله من أبي، كان دائمًا يشعرني أنني لست نافعًا في شيء، عكس أنور وأمير، كان يجب أن أفعل ذلك، مرض النقص الذي منذ صغري ما يزال يخنقني إلى الآن!"

*****

وكانت سمر هي الوحيدة في المنزل، فنزلت إلى عمتها بعد ما اتصلت عليها أميرة وقالت لها أن تنزل لتبقى معها قليلًا حتى تأتي بالدكتور، وعندما وصلت للباب سمعت كل هذا الكلام الذي قاله مصطفى، وهنا الكارثة.

*****

ورن بعدها هاتف سمر فارتعبت ونهض مصطفى وفتح الباب ورآها خلفه ومسكها من رقبتها وقال لها:

-"هل سمعتِ كل الكلام؟"

-"أعدك لن أقول لأحد".

-"وكيف أضمن ذلك؟"

-"أقتلني إن تكلمت".

-"إن حاولتِ فقط أقتلك، لن أضع يدي على خدي وأشاهد".

وجاءت فكرة في رأس مصطفى من اليوم السابق عندما سمع أمير وسمر، وفكر بما أن سمر تريد الابن وتشعر بالنقص وهو كذلك، ليستغل ما سمعته في ذلك!

-"هل أقول لكِ شيئًا؟"

-"ماذا؟"

-"سمعت بالأمس كلامك مع أمير، وكنت دائمًا تريدين طفلًا تعويضًا لما عيشته في طفولتك".

-"وكيف تتجرأ؟"

-"بدأنا بالغلط من الآن، لا نزال في البداية، الصبر جميل".

-"ماذا تريد؟"

-"أنتِ تريدين الطفل، وأنا أريد الطفل، أنتِ لديك النقص من هذا الشيء، وأنا كذلك،

لنفعل ما نريد!"
-"ولكن ليس بالحرام".
-"ولكن حرام أن تموتي وأنتِ ما زلتِ صغيرة، أليس كذلك؟"
-"أنت حقير ووغد".
-"وهذا الشيء الحسن لدي، فهكذا اسمعي كلامي، وأنا متأكد أنك سوف تحبينني كثيرًا!"

*****

ودخلت أميرة والدكتور شادي للمنزل، وكان مصطفى يقول:
-"أتفهمنني يا سمر؟ اتفقنا؟"
والخوف مسيطر عليها قالت سمر:
-"حسنًا".
ودخلت أميرة للغرفة وقالت:
-"ماذا بك يا سمر؟"
-"لا، لا شيء".
-"متأكدة؟"
-"أنا بخير".
ووجهت أميرة كلامها للدكتور قائلة:
-"طمئني يا شادي، كيف حال أمي اليوم؟ هل من تحسن؟"
-"أمك ليس اليوم أو بالأمس، لها ثلاثة عشر عامًا وهي هكذا، ولكن للأسف ما تزال كما هي".
-"غير لها نوع الأدوية، يمكن أن نستفيد بعد ذلك!"
وحدق مصطفى بعد ذلك في الدكتور بقوة ورفع حاجبيه.

*****

وكان مراد موجود عند أخواله، وقال عبد الواحد لأسماء:
-"ماذا به ابنك هكذا يا الخنساء؟"
-"الخنساء، منذ القدم لم تقل لي هذا الاسم!"

-"هذا اسمك دائمًا عندي ولن يتغير".
-"ولكنه اسم وكأنني مجاهدة مع داعش".
-"كيف لك أن تقولي هكذا؟"
-"أنا آسفة يا أخي! وكيف حال أعمالك الخيرية الآن؟"
-"تعرفين اليتامى والمساكين كثيرون جدًا وأنا أتعب في تعب كثير!"
-"ولماذا لا تُشغل معك أخي المعتصم بالله؟"
-"تعرفينه أنتِ، يصغرني بخمسة عشر عامًا ولا يزال شابًا، وقبضت عليه بالجرم المشهود وكان يدخن السجائر".
-"لكن يا أخي عمره اثنين وعشرين عامًا، وكل الشباب هكذا!"
-"ما علينا، ولماذا ابنك هكذا؟"
-"ماذا به؟"
-"مراد، حركاته وشكله، أحيانًا أريد أن أفرمه!"
-"كنت أعتقد إنك تتكلم عن محمد، لا تتكلم عنه أبدًا، هو هكذا منذ خروجه من المستشفى!"
-"محمد سيكون رجلًا كبيرًا من الشيوخ ويدخل معي في الأعمال الخيرية بعد عدة سنوات".
-إن شاء الله يا أخي، وأين هو المعتصم بالله؟"
-"على الأغلب كان مع أمير منذ الصباح، وبعدها لا أعرف أين خرج؟"
-"سوف أتصل به الآن".
واتصلت أسماء به، قائلة:
-"أخي أين أنت؟"
-"ماذا هناك يا أختي سوف أرجع قريبًا للمنزل".
-"تمام أنا في انتظارك، سنلتقي".
-"حسنًا".

*****

وكان المعتصم بالله وأمير في الطريق السريع حتى شاهدا فتاة في السيارة وبدأ المعتصم

يلحق بها، وظل وراءها حتى وصلت إلى مكان مظلم مهجور، وقال له أمير:

-"أظن أننا ضيعنا الطريق من جديد، وأين اختفين هؤلاء الجميلات؟"

-"أنزل من السيارة لنرى هنا".

وخرج لهما شخص بسلاح ووجهه نحو رأسيهما، وقال لهما:

-"ارفعا أيديكما لأعلى، الآن وفورًا".

وكان ذلك الشخص هو رضوان الذي يشتغل بالأعمال غير القانونية مع مصطفى واحتجزهما عنده، وبعدها اتصل رضوان بمصطفى وقال له:

-"سوف تتفاجأ! بمن أمسكت الآن؟"

-"بالشيطان الذي سيأخذك؟!"

-"إنما شيطانين وليس واحد".

-"تكلم، من؟"

-"أخوك أمير وأخو زوجتك المعتصم بالله".

-"لن تفعل شيء حتى أتي إليك".

-"حسنًا، وسوف أتصل بعبد الواحد ليأتي كذلك".

*****

وجاء مصطفى وعبد الواحد ودخلا عليهم.

-"كيف جئت إلى هنا يا أمير؟"

أجابه أمير قائلًا:

-"كنا على الطريق ورأينا الفتاة ولحقناها ولم نجد أنفسنا إلا هنا".

وضحك عبد الواحد ومصطفى بصوتٍ عالٍ،

وكذلك أمير والمعتصم بالله وقالا:

-"لماذا يضحك هؤلاء؟"

ورد مصطفى وعبد الواحد:

-"اصمتا، اصمتا".

وقال عبد الواحد لهما:

-"نحن هنا منظمة وهذه شمس فقط".

رد عليه أخوه المعتصم بالله:
-"شمس فقط! إنها تظهر كل صباح يا أخي لا يوجد شيء جديد".
-"يا مريض، لا تزال صغيراً، هذه شمس الفتاة، تخرج بالسيارة لتجول بجميع الرجال والنساء وتأتي بهم في النهاية إلينا هنا كي نستفيد من أعضائهم للبيع، ومنهم من يكون مظهره جميل نستفيد منه في الجنس".
-"سؤال يا أخي الجنس للنوعين؟"
-"نعم، هناك في زمننا هذا من يحب النساء، ولكن يعشق الرجال".
-"والآن فهمت!"
-"وأريدك منذ فترة أن تشترك معي في كل شيء".
-"وهل يوجد أموال؟"
-"ستصبح غني".
وقطاعهما أمير وقال:
-"وهل لي أنا أيضًا بالمشاركة يا أخي مصطفى؟"
قال له مصطفى:
-"طبعًا، إذا كنت تريد، لا يوجد لدي مانع".
وقطاعهما عبد الواحد:
-"والآن اذهبا، يا المعتصم بالله وأمير ونسلم لكم المهام من الأيام المقبلة".
وقالا سويًا:
-"حسنًا، موافقين".

*****

وكانت أميرة موجودة عند ليلى تشكو همومها لها:
-"أتعرفين يا أختي إن قلت لكي أنني أكره أبي كثيراً، ماذا تقولين؟"
-"لا يفرق شعوري عن شعورك شيء بتاتًا".
-"زوجني وعمري ثماني سنوات، لرجل أكبر مني سنًا، من أجل أموال أبيه، واكتشفت أنه مختل عقليًا، واستيقظت صباحًا، وكان قد قتل ابني، حسام كان صغيراً وجميلًا، وسبب لي كذلك في عاهة مستديمة أنني لن أنجب مرة أخرى، تمنيت الموت في ذلك

الحين، لذلك أنا مهتمة بمراد لأعوض نقصي فقط".
-"قولي الحمد الله على كل شيء، هذا حكم الله، مثل حالي ليس أحسن منك، أتصبح بالضرب، ويأتي الليل بالضرب كذلك، ويومه كله فاقد للوعي".
-"من المظلوم؟ ومن الظالم؟"
-"لن نعتبر نفسينا أننا مظلومين، ربما الله يحاسبنا على أشياء فعلناها بدون عمد حتى".
-"هكذا هي الحياة، لن نرتاح حتى الممات".

*****

ورجع المعتصم بالله ووجد مراد موجود في غرفته يأخذ في ملابسه، وقال مراد:
-"يا خالي، كيف حالك؟"
-"الحمد الله بعد ما رأيت وجهك الجميل وجسمك الرائع".
ارتعب مراد من هذا الكلام ولم يقل شيء، وقال المعتصم بالله وهو يحدق إليه بإغراء وعض شفتيه:
-"أتأتي تلعب معي الألعاب الإلكترونية؟"
فرح مراد وقال:
-"حسنًا، يا خالي".
-"قبل ذلك، اطمئن أن الجميع نائم في الداخل وأطفئ النور وأغلق الباب وتعال".
فعل مراد كل ما أمره به وجلس معه أمام التلفاز، وقال له المعتصم بالله:
-"تغيرت أيها الولد أصبحت أجمل، عيناك، وشفتاك، وخصرك، وجسمك، كل شيء".
وبعدها لمس فخذيه ومؤخرته وأعطاه قبلة على رقبته، ونام معه حتى الصباح.

*****

إليكم آخر الأخبار.
١.جرائم تقشعر لها الأبدان، سجن متحرش لإجبار أطفال على اغتصاب بعضهم.
٢.اعتدى أب كفيف على طفلته حبيبة التي لم تتجاوز ١١ عامًا.
٣."تعرض ثلاثة إخوة صغار للاعتداء من قبل عمهم الذي يقطن معهم في نفس المنزل بمنطقة العيايدة بمدينة سلا.

٤.سوري اعتدي على بناته الخمس من زوجاته الثلاثة بشكل متكرر على مدى سنوات.
٥.في المغرب، تلميذان يغتصبان طفلًا يصغرهما في مدرسة ابتدائية.
٦.وقضية هزت العالم، الطفلة زينب الأنصاري صاحبة ال٧ أعوام بعد أن تم اختطافها واغتصابها ومن ثم قتلها أثناء توجهها لحضور درس القرآن، وقد عثر عليها في صناديق القمامة من قبل الشرطة الباكستانية، وقالوا أنها تعرضت لهذا العمل الشنيع عدة مرات قبل خنقها حتى الموت.

وقالت أسماء:

-"ما هذا يا معتصم؟ أهذا صحيح؟"

-"نعم يا أختي، وهناك الكثير".

-"أين كنت أمس؟ اتصلت بك كثيرًا".

-"رجعت متأخر للبيت".

-"حسنًا، وهل مراد نام معك؟"

ارتبك، وقال لها:

-"نعم، نعم ولكن أشعر أنه ليس تمامًا هذا الولد"

-"لماذا يا أخي؟ هل رأيت شيئًا لأخبر والده؟"

-"ليس هكذا، ولكن لم تعجبني تصرفاته إطلاقًا!"

-"سأخبر والده بذلك".

*****

وكان مراد في الغرفة ويسمعهم وظل صامت في نفسه ولا يعرف لماذا؟ سوى أنه تذكر كلام جده له:

-"دائمًا اجعل ذلك في أذنك، اعلم أن أصعب شعور عندما تحمل هموم وأنت صغير جدًا وليست مناسبة لك، ولكن الأصعب من ذلك أن تبكي على هذه الهموم بلا دموع كي لا يشعر بك أحد، ولأنك لا تتكلم، يظنون أنك لا تتألم".

-"يا جدي، لماذا هذا الكلام؟"

-"سوف تفهم معناه عندما تكبر".

-"وأحيانًا أكون أنا الظالم وليسوا هم".

-"هذا يمكن، ولكن من أشد أنواع الظلم أن يلعب الظالم دور الضحية، ويتهم المظلوم بأنه الظالم! وماذا يكونوا قد فعلوا بك بعد كل هذا؟"

-"ماذا؟"

-"لا شيء".

-"وكيف هذا؟"

-"فقد يجعلوك تكره نفسك، أليس هذا كافيًا؟"

*****

وكانت حياة مراد هكذا مليئة بالأحداث المأساوية والمعاناة ولن يفهمها إلا من عاش ولو قليلًا من هذه المعاناة فلن يصدقها البعض.

*****

وغادر مراد للمنزل وقالت أسماء لمصطفى ودخل عليه الغرفة ليضربه، وتدخلت أميرة وقالت له أسماء:

-"أذكرك أو نسيت ما حدث معك قبل سنوات! يا صاحب الرجال".

وقال مصطفى:

-"لن أرتاح حتى أقتله".

وقاطعتهما أميرة قائلة:

-"أنتم ماذا؟ اشعروا به، أرجوكم أحب على رأسكم وأيديكم، اشعروا به!!"

ورد مصطفى:

-"قفزت صاحبة المشاعر من جديد، أنا ما زلت أحترمك لأنك أكبر مني، وعلى ما حدث معك منذ زمن".

-"وإلا ماذا؟"

رفع حاجبيه، ولم ينطق بكلمة.

وردت أميرة قائلة:

-"وإلا كنت ستضربني، أو ستقتلني".

-"يا أسماء لنخرج من هنا".

قالت له أسماء وهي تبتسم:

-"من الأحسن ذلك".

وجلست على الكرسي وبدأت الدموع تتساقط من عينيها، وحرقة قلبها تنزف، وشرارة الغضب تملأ جوفها، كانت مشاعرها تختلط، ألم، وجع، بكاء، ودمع، وحزن، قال لها مراد:

-"يا عمتي لا تحزني أرجوك لا تبكي".

وأصبح مراد يمسح في دموعها، قالت له:

-"اذهب للنوم، استلقي على فراشك ونم، غدًا أول يوم لك في المدرسة لتكن مستعدًا، اتفقنا؟"

-"حسنًا، سترين، سأكون الأول دائمًا".

*****

وكان مراد ذكيًا جدًا، حتى قال الدكتور المشرف على حالته في المستشفى التي كان فيها إنه سيكون بروفسور العرب لمصطفى، هذا السبب الذي جعل مصطفى يخرجه، كي يتظاهر بشهاداته فقط، ومراد لم يعرف السبب حتى الآن.

*****

وجاء الصباح وذهبت في أول يوم دراسي والآن أصبحت في الصف الأول الإعدادي، وقد رأيت أشياء ترعب في المدرسة، هناك فتيات مع فتيات أخريات يمارسن الفاحشة في حمامات المدرسة، وكذلك الأولاد، ويدخنون السجائر، ومنهم من يجلب معه المخدرات، ويشاهدون الأفلام الإباحية، ومع ذلك بقيت بمفردي ولم يجلس أحد معي غير نفسي، وكان الأولاد يصفونني بألقاب سيئة للغاية، وأصبحت أهرب منهم، والفتيات تضحك عندما يرونني، ولكن جميع الأساتذة أحبوني كثيرًا، سأبقي مجتهد معهم، وأتفوق على الجميع لأثبت لنفسي، ولأبي وأمي وسوف يحبوني بعدها، لأنني أحبهم كثيرًا، والآن أريد أن أغلق الدفتر قبل دخول أمي وتراني، تصبحون على ألف خير.

*****

وقد سمعت صوت أمي تقول حان وقت العشاء أصبحت مبتسم، وسألتني:

-"أنت أيها الولد أين أبوك؟"

-"لا أعرف يا أمي".

-"ولماذا تبتسم؟!"
عبس وجه مراد وقال لها:
-"أنا آسف، سوف أبحث عنه".
وذهبت أمام المنزل كان جارنا سليمان يحدق بنظرات كلها شهوة، كنت أتجنبها، حتى ذهبت إلى عمي حسن صاحب محل السجائر وسألته عنه، وأنا راجع في الطريق، أغلب السيارات تناديني بألفاظ قبيحة وغير محتشمة:"أنت يا حلو، لو أحصل عليك سأفعل فيك الكثير، أحببت هذه المؤخرة جدًا، يا الله على هذه الشفاه الجميلة، إلخ"، ومنهم بالنظرات ومنهم من يرمي رقمه والكثير والكثير، حتى وصلت عند باب المنزل ووقعت حجارة من أعلى المنزل، فصعدت للأعلى لأرى من هناك، وعندما وصلت فوق شهدت شيء لم تصدقه عيني، شعرت بشعور غريب لأول مرة أشعر به، وكنت أقول كيف لشخص أن يفعل هذا بشخص؟ ولم أفكر دائمًا إلا في كلام جدي:
-"أتعرف أن الخيانات دائمًا تأتي من أقرب الناس لنا؟!"
-"ولما يا جدي؟"
-"مثلما ذكر في القرآن حكاية قابيل وهابيل".
-"ومن هم هؤلاء؟"
-"قابيل قتل أخاه هابيل".
-"ولماذا؟"
-"لأنه كان يشعر بالغيرة منه".
-"ولكن هل الغيرة تفعل هكذا بين الإخوة؟"
-"نعم، وأكثر من ذلك، كما أقول دومًا لك، لا أمان للبشر توقع الخيانات من أقرب الناس".
وأصبحت أشاهد ذلك المشهد، وعيناي تراقبان، وقلبي يخفق بقوة، ويدي ترتعش من شدة الخوف، لأنني كنت أرى شيء كهذا لأول مرة في حياتي، خيانة أبي لأمي، والكارثة أنها مع زوجة عمي أنور عائشة، فنزلت مسرعًا خائفًا ودخلت المنزل وقالت لي أمي:
-"أين أبوك؟"
وظلت تُردد السؤال وأنا لم أجب ولم أر إلا تلك العصا متجهة نحو رأسي، وبدأ النزيف

في رأسي، وجاءت عمتي أميرة تصرخ، وأمي جامدة، ومروة ومرام تبكيان، حتى سمع الصوت أبي ونزل للأسفل وفعلت ذلك كيف يهرب وأنقذه كنت متأكد أنها سوف تضربني، ومع ذلك ما زلت أحبهم، ليصبح أبي بعد ذلك يحبني ويأخذني معه مثل أخي محمد، هذا كان كل همي من عدم إخبارهم.

*****

ومرت أيام كثيرة، الحياة كالعادة، أبي كل ليلة يصعد للأعلى على السطح ليرى يومًا عائشة واليوم الآخر ليرى سمر، وعمي أمير أصبح كل ليلة خميس مع النساء هو وخالي المعتصم بالله وهما أيضًا يتابعان هذا العمل الشنيع مع أبي وخالي عبد الواحد، وما تزال عمتي ليلى تحارب كل ليلة صراع الموت مع زوجها أسامة من أجل أبنائها فقط، وجدتي فاطمة في الغيبوبة، وعمتي أميرة التي دائمًا تنقذني من أيدي أبي وأمي، وهذا ذكرني كله بكلام جدي لي:

-"أحيانًا ستشعر بالملل من الحياة وتريد الموت، وهذا يسمى استمرار الحال من المحال".

*****

وأنا الآن موجود في ساحة المدرسة أكتب في دفتري، انتهى العام الدراسي وقليلًا جدًا وسأستلم شهادتي، وكذلك جميع من في المنزل، يا الله أجعله خير يا رب.

*****

وبدأت المعلمة تنادي على أسماء الطلبة، لتقول اسمي أخيرًا، وقلبي كان يخفق من شدة الخوف، خوف ليس من النتيجة، بل من تعاطف أبي وأمي معي ليس أكثر، وكنت أعتقد أنهما سيحبانني بعد ذلك، وفجأة نطقت الاسم وقالت:

-"الترتيب الأول: مراد مصطفى مراد".

لم أصدق ذلك، كنت سعيدًا لأنني نلت تلك الشهادة بجدارة وأفوز بحب أهلي فقط، وذهبت مسرعًا إلى المنزل ودخلت وحضنتني عمتي أميرة وكذلك عمتي ليلى، وجئت مقابل أمي وكلي سعادة، حتى سبقتني أختي مروة ومرام وجاء بعد ذلك محمد وكانت تحضن كل واحد فيهم بعد أن ترى شهادتهم، وعندما جاء دوري، أخذت الشهادة ونهضت أجري لترها أمي وفتحت يدي لها، وقالت لي:

-"الآن منشغلة قليلًا، اذهب".

*****

وذهبت وكانت الحسرة داخل قلبي، أريد أن أبكي ولكن لا أريد أحد أن يراها غيري، وحتى بعد ما جاء وقت الغداء، أنظر إليهم وهم يضحكون وأبي يحضن مرة محمد ومرة أخرى مروة وبعدها مرام وأنا أبتسم فقط، لا أعرف لما أبتسم ولكن في قلبي كأنه سكين يقطع فيه، ليس غيرة، ولا حقد، ولا كره، ولكن شعور منذ صغري يوجد في قلبي، أخاف أن أخسره هو كذلك لأنني تعودت عليه وأصبحت أحب شعوري به كل يوم وكل ليلة، ومع ذلك ستستمر الحياة مهما حدث.

*****

وجاءت العطلة الصيفية وقال لي أبي إنه يريدني أن أعمل ووجد متجر ضخم للمواد الغذائية، ووافقت وبكل إصرار، وحتى وإن أعطيتهم كل ما لدي، هذا الشيء الأكبر الذي حفزني، وكان كلام جدي لي هو الرابط القوي، عندما قال لي:

-"نحن يا مراد في هذه الدنيا في امتحان، وفي أي لحظة قد يتم سحب ورقتك وينتهي وقتك، وأية علاقة ستنتهي لأنها مجرد فيلم سينمائي فكن مستعدًا للنهاية".

*****

وفي اليوم التالي، ذهب مراد صباحًا مع مصطفى ودخل على المدير، وعند دخول مراد ظل المدير ينظر إليه من فوق إلى تحت، ووافق على الوظيفة، وأصبح مراد يذهب من الساعة الرابعة حتى العاشرة مساءً، وتعرف على شخص اسمه حسين كان أكبر منه بثلاث سنوات، وكان مدير المتجر ينظر إليه نظرات ليست جيدة وكان مراد يخاف من أي شخص في المتجر يقترب منه، إلا حسين، قال له: أحببت صداقتك كثيرًا"، وفرح مراد كثيرًا لأنه لم يكن له أصدقاء من قبل، وأنشأ له حسين على موقع التواصل الاجتماعي المشهور {فيسبوك} حسابًا، وقال له سيصبح لديه أصدقاء بعد ذلك كثيرين.

وسأله مراد قائلًا:

-"أنت أين تعيش يا حسين؟"

-"أعيش مع والدتي فقط".

-"وأين أبوك؟"

-"أبي ترك أمي".
-"وهل لديك أخوة؟"
-"لا ليس لي أخوة".
-"وهل أبوك يتصل بك؟"
-"لا، دائمًا يسافر للخارج، وأمي مع صديقاتها".
-"يعني أنت كذلك وحيد".
-"لست وحيدًا، دائمًا أرجع مع أصدقائي".
-"قلت ليس لديك أصدقاء".
-"أيها المجنون من برنامج الفيسبوك".
-"ذلك المربع الأزرق".
-"نعم، هو كذلك".
-"وسيصبح لدي أصدقاء كثيرون؟ وكم أعمارهم؟ وهل سيحبونني؟"
-"أعمارهم متفاوتة، وسيحبونك كثيرًا ويشترون لك ما تريد".
وجاء المدير، وقال:
-"يا مراد!"
-"نعم، حضرة المدير".
-"تعال إلى هنا، أريدك قليلًا".
ودخل مراد إلى مكتب المدير، وفتح له المدير ذلك الظرف، وقال له:
-"أنت تعبت كثيرًا معانا يا مراد، وأتعبتني معك".
-"لماذا أيها المدير؟ لم أغلط في شيء أبدًا، ولن أتعبك مرة أخرى".
-"أنت أتعبتني من أول يوم دخلت علي، عطرك، رائحتك، جمالك خلاب ولا يوصف، لم أرى مثله في حياتي".
-"أرجوك أيها المدير! لا أحب هذا الكلام".
-"إذن لا يوجد أي المال، وهناك زيادة خمسين في المائة لك أنت فقط".
*****

وظل مراد يفكر ويقول إن جلبت المال الكثير لأمي وأبي سيحبانني، سوف أفعل ذلك.

*****

وخرج بعدها من الغرفة والحزن واضحًا على وجهه، وقال له حسين:

-"أفعل معك ذلك الشيء؟"

-"ماذا؟!"

-"إنه يفعل ذلك مع الجميع ولكنه يحبني أنا كثيرًا".

*****

وشعرت حينها أن أمثال حسين مرضى نفسيين، لدرجة أنه أرسل لي صور له وهو عاري تمامًا، ويقول لي إن صوري عند الجميع.

*****

وعند رجوعي أعطيت جميع المال لأبي وكنت سعيدًا وحضنني وأمي كذلك، واستلقيت على فراشي ذلك اليوم وأنا سعيد منذ زمن لم أفرح هكذا.

*****

واتصل بي حسين الساعة الثانية بعد منتصف الليل وقال لي:

-"مراد لقد قتلتهم".

-"ماذا قتلت؟ عن ماذا تتحدث؟"

-"لم أقصد ذلك، رأيتها على الإنترنت وإنها قصة حقيقية فاستعملت ذلك مثل ما فعل رونالد أوبوس الأمريكي لكن أنا بتغير بسيط لأنني لا أريد أن أموت!"

-"ماذا فعلت؟"

*****

وكان حسين يريد لفت انتبه أبيه ليأتي مسرعًا للمنزل، لأن دائمًا أمه وأباه يتشاجران بالأسلحة وتكون فارغة من الرصاص، فأرسل لأبيه صورته عاريًا، وكان قد مر على منزل أبيه قبل يومين وملأ المسدس بالرصاص الذي جلبه له أحد الرجال الموجودين على الفيسبوك مقابل ممارسة الجنس معه، وكان قد كرههما جدًا وأراد التخلص منهما، ودخل أبوه للمنزل وتشاجر مع أمه وخرجت الرصاصات في نفس الوقت ومات الاثنين، ومع ذلك ظل حسين يبكي فوقهما واعترف بما فعله، وكشف أنه يعيش في مرض نفسي، وحول إلى سجن الأحداث.

*****

وظل مراد يتردد على غرفة المدير، ويأخذ المال ويعطيه لعائلته، ودخل على الفيسبوك وأصبح يتكلم مع عدة أشخاص، ويأتون يرجعون به إلى البيت، ويشترون له ما يحب، ويغرونه بالكلام الجميل، وشعر باهتمام لأول مرة، وهم كانوا عقولهم فقط في الشهوات والجنس ليس إلا.

*****

حتى يوم رأس السنة٢٠١٤.

عزمت أميرة الجميع إلى العشاء.

وقالت أسماء:

-"تعرفين أخي لن يأتي ويجلب معه عبد الله و رتاج، لهذا السبب سأقول له أن يأتي غدًا في بيتي".

*****

وكان مراد راجع للمنزل ومعه رجل من الفيسبوك، وقال له:

-"منذ فترة وأنا أوصلك إلى بيتك ولم تأتي إلى بيتي، ما رأيك بأن نذهب اليوم؟"

-"ليس اليوم".

-"أنت هكذا ستشعل النار ولن ترى هذا الحنان".

وأخذ مراد يبكي ويقول:

-"أرجوك لا تفعل بي شيئًا، أنا لا أريد أن أفعل شيئًا".

فمسك الرجل شعر مراد وضربه على رأسه، وقرب وجه مراد على وجهه وأخذ منه القبل، والدماء تسيل منه، وبعدها تركه في مكان خالٍ لا وجود للبشر به ليلًا.

في مكان مهجور مظلم، وصوت الكلاب، والذئاب، ورأى ضوءًا وسمع صوت رجال، فاختبأ بين الأشجار كي لا يروه، وسمع ذلك الكلام، وقال:

-"ذلك الصوت ليس غريب على أذني".

وتذكر مراد إنه صوت رضوان الذي اعتدى عليه، وأصبح يرتعش بخوف رهيب، وقال:

-"وما علاقة خالي عبد الواحد به؟"

وجاء في ذلك الوقت أمير والمعتصم بالله، فقال:

-"ما هذا؟ هذه منظمة كبيرة".

ودخل وراءهم ذلك الرجل الذي كان مع مراد، وقال عبد الواحد له:

-"أين هو؟"

-"آسف سيدي ولكنه قد خرج بسرعة من السيارة".

-"لا وجود للأسف هنا، الآن ضاعت من بين أيدينا بضاعة ممتازة، هل لديك صورة له؟"

-"لا يا سيدي لم أصوره".

-"لا مشكلة، هناك الكثير من الفتيان والفتيات، ستتكلم من الليلة مع عدة أشخاص، لأن المعلم الكبير سيحزن وبعدها لن يحصل خير".

*****

وكانت هذه هي الصدمة على مراد بعد سماعه هذا الكلام ومعرفته ما يفعلونه، خاله عبد الواحد المتستر بالدين، وفجأة جاء مصطفى أيضًا، وقال مراد لنفسه:

-"أبي، أبي هذا ليس صحيح ليس معهم إطلاقًا".

وقال مصطفى:

-"حصلت على رجلٍ مسن ليس لديه أحد، سنستفيد من أعضائه، وكذلك عدة فتيان وفتيات أنتم احكموا عليهم إن أعجبوكم سيصبحون للجنس، وإن لم يعجبوكم سنستفيد بهم لن يرحلوا، والمخدرات أيضًا، وهناك كمية كبيرة من السلاح ستأتي غدًا".

وقال أمير:

-"أنا ذاهب الآن، لنذهب سويًا يا معتصم بالله، هناك عشاء الليلة".

-"نعم، سأذهب معك".

*****

وظل مراد مختبئ، وأصبح يمشي بين الأشجار حتى وصل للطريق الآخر، لتأتي سيارة ويوقفها، وتذهب به للمنزل، حتى وصل ودخل للمنزل، وصدمت أميرة من شكل مراد، وقالت:

-"من فعل هذا بك؟"

-"لا أحد يا عمتي سوى أن هناك صناديق كبيرة نزلت على وجهي وأنا في المتجر".

-"هل يوجد شيء آخر حصل معك؟"
-"لا، لماذا؟"
-"أشعر بأنك مصدوم ومرتبك، أنا أعرفك جيدًا"
-"لا يا عمتي، اطمئني".

*****

ووصل الجميع على الأكل، وقالت عائشة:
-"لا أعرف هذه السنة كيف ذهبت سريعًا".
وقالت أسماء:
-"وتمني أن الله يأخذك سريعًا".
ضحكت أميرة وقالت:
-"هذا يسمي حقد الأقارب، ألن تشاركينا يا سمر؟"
قالت لها سمر:
-"أنا لن أدخل في نقاشات تافهة يا أخت زوجي".
ووجهت أميرة كلامها لأختها ليلى:
-"حبيبتي ليلى ماذا بك؟"
-"تعالي معي للخارج".
وخرجتا للحديقة، وقالت أميرة لها:
-"ماذا بك يا ليلى؟"
-"قد أخرجت نتيجة التحاليل ووجدت أنني..."
-"ماذا؟"
-"أنني حامل في الشهر الأول".
-"هذا خبر مفرح".
-"لا ليس مفرح، لا أريد منه أولاد وإلا قتلته وقتلت نفسي".
-"وهل هو اعتدى عليك أو لأنك تريدين ذلك؟"
-"لا أريده نهائيًا".
-"سنتصرف غدًا، حسنًا؟"

ودخل عليهما المعتصم بالله وأمير ومصطفى، وقال مصطفى:
-"أخُتيّ، لماذا موجودتين بالخارج؟"
-"ليس هناك شيء، من الملل فقط".
-"تعليا للداخل وأحضرا لنا العشاء سريعًا".

*****

ولا أعرف كيف مر ذلك اليوم على نفسي، كنت جالس بعيدًا منهم، وأفكر فيهم، كلهم يفعلون شيئًا من وراء الآخر، أبي وأمي وعمتي وسمر وعائشة والجميع، وحقيقة أبي وليس أبي فقط، بل جميع العائلة، وناداني سليم وقال:
-"مراد، مراد تعال إلى هنا العب معي".
-"سوف آتي".
وقطاعهما عبد الله:
-"مللت من الحياة مع أبي، لا يعطيني المال ودائما اللباس الرسمي وضغط نفسي، لا أعرف ماذا أفعل؟"
رد عليه سليم:
-"النلعب لعبة الصراحة، ما رأيكم؟"
ولعبنا تلك اللعبة وسألني كل منهما،
حان دور سؤال عبد الله:
-"ما هو الشيء الذي لو عشت حياتك من جديد لا تريده أن يعود؟"
كان الشيء الوحيد ذلك اليوم المشئوم، هو الذي يدور في رأسه، ومع ذلك قال:
-"لا يوجد شيء، كل شيء جميل".
-"أأنت متأكد؟"
-"نعم، بكل تأكيد".
-"وما حدث معك قبل سنوات تريده أن يعود".
وبدأ مراد تدمع عيناه، وجسمه يرتجف، واحمر وجهه، وشعر بانكسار شديد لأنه دائمًا كان يحاول نسيان ذلك، وتذكر حديث جده له:
-"يا بني، أتعرف أن ألسنة الناس لا تحرم؟"

-"وكيف ذلك يا جدي؟"
-"سأخبرك بقصة قصيرة وعابرة لشخص كان يريد الزواج من فتاة".
-"وماذا حصل يا جدي؟"
-"كان ذلك الشاب يحب فتاة وسمع عنها كلام أنها تخرج مع شباب وتتعاشر معهم، وكان يبكي في طرف الحديقة، وجاء إليه رجل كبير في السن، وقال له لا تحزن أنا لدي فتاة شابة اذهب واسأل عنها، ذهب ذلك الشاب وسأل عنها، وقالوا له أن هناك شخص تخرج معه، حزن الشاب كثيرًا، وبعد عدة أيام رأي ذلك الرجل المسن وقال له إن ابنتك ليست جيدة، رد عليه وقال له اذهب معي للبيت، وذهب معه ودخل منزله، وقال له ابحث يا بني في جميع الغرف، دخل الشاب لجميع الغرف ولم يجد سوى امرأة مسنة فقط، وقال له أين الفتاة؟، قال له يا بني أنا لا يوجد لدي فتيات سوي أنا وزوجتي لأننا لم ننجب أبدًا، وهذا درس لك فقط كي تعرف أن الناس دائمًا تتكلم ولا تعرف عنك شيء، اذهب وتزوج تلك الفتاة ولا تسمع لكلام أحد، أفهمت الآن يا مراد؟"
-"فهمت يا جدي، كلام الناس ليس له فائدة".
وقال لي سليم حينها:
-"مراد، مراد، أين سرحت؟"
-"أنا هنا معكم".
مع أن كلام جدي كان فيه قوة ولكن كنت ضعيف جدًا، لن أقدر أن أوجه أحد لأنني كنت أتمنى أن أعيش ذلك الشاب الشريف، كنت أريد حياة طبيعية مع عائلتي البسيطة بغض النظر عن كل أحلامي الباقية، وقال لي سليم بحقارة بشعة:
-"لا يوجد إجابة لا تحرجه أنت كذلك يا عبد الله ابن عمتك، يكفيه أمه وأباه اللذين يذكرانه بذلك اليوم كل ليلة".
ورد عليه عبد الله قائلًا:
-"هذا الواقع يا سليم، لم أقل شيء آخر".
وقاطعهما مراد وقال:
-"أنا أريد أن أنام، أكملا اللعبة وحدكما".

-"تعال إلى هنا يا مراد".
رأت مروة ذلك، وجاءت إليهم:
-"ماذا قلتما لأخي؟"
قال لها عبد الله:
-"ولا شيء، بنفسه ذهب".
-"إياكما ثم إياكما تكونا قد أزعجتماه بكلمة!!"
وقال لها سليم:
-"لا يوجد هناك شيء، لا تخافي".

*****

وذهب مراد لغرفته يبكي وحيدًا، وفتح دفتره وبدأ يكتب، وسمع صوتًا حينها، فتح الباب قليلًا، رأي أخته مروة وابنة خالها رتاج وابنة عمته سارة، وكانت رتاج تعلمهن كيف يدخلن على الشباب في المواقع، ويتقابلن بهم، وتتحدث معهم كلام الغزل، وقالت مروة:
-"لا أعرف أنتِ ترين في شكلي بشع جدًا، لو كان لدي جسم وشكل أخي مراد لجلبت الجميع بين يدي".
-"لا تخافي قليلًا من الماكياج والمساحيق، وتغيري ملابسك وتلبسي البنطلونات الضيقة، وكل شيء ضيق، وسترين الجميع كيف يأتي".
-"ولكن أنتِ في الجامعة ولا أزال أنا في الإعدادي، لن أستطيع فعل هذا".
-"تستطيعين، هناك أصغر منك ويفعلن أشياء لدرجة أن تخافي، أنا كذلك كنت أخاف في البداية، ولكن بعد ما تعرفت على سعد تغيرت حياتي كلها".
-"ومن سعد هذا؟"
-"هذا حبيبي ويريد أن يتزوجني".
-"وهذا الموقع هو الذي عرفك عليه؟"
-"نعم، الآن أصبح اغلب الناس يتزوجون من هذا الموقع الفيسبوك، وإن فعلتِ كل ما قلته لكي ستحبين حياتك كثيرًا".
قاطعتهما سارة:

-"لا أريد أن أسمع هذه الخرافات".
ردت عليها رتاج:
-"لأنك جاهلة ولا تفهمين، إلى متى ستظلان هكذا؟"
وقالت مروة:
-"صحيح إلى متى؟"
وقالت لها سارة:
-"أنتِ اصمتي لأنك ستذهبين للهلاك مع ابنة خالك المحترمة هذه".
-"اذهبي أيها المغرورة".

*****

وصدم مراد من كل هذا الكلام، ويريد أن ينصح مروة قبل أن تدخل في مواضيع أخريات، وذهب الجميع إلى منزله بعد عشاء ليلة رأس السنة، لتبدأ سنة جديدة ولا يعرف مراد ماذا يختبئ له في القدر من أشياء وأشياء.

*****

ذهبت سنة، وأتت سنة، ودخل مراد للشهادة الإعدادية، بعد ما أكمل باقي السنوات من سيارة إلى سيارة، منهم من يستسلم له، ومنهم من يحصل منه الضرب، ومنهم من يتحدث معه فقط وبعدها لم يعد يراهم، وإلخ.

*****

ودخل للمدرسة من جديد وعند خروجه من باب المدرسة، بدأ هناك مجموعة شباب يضايقونه، ومسكوه:
-"ماذا تريد هنا يا بروفسور؟"
-"أنا آسف، سامحوني".
-"لن نقبل أسفك نهائيًا، فلهذا سوف تعطينا كل ما لديك، وستظل تغششنا في جميع الامتحانات، ما رأيك بهذا الكلام؟"
وكان مراد لا يفكر إلا في أن يصبح لديه أصدقاء.
-"حسنًا، ستصبحون أصدقائي؟"
-"أصدقاء، ماذا؟"

-"أصدقائي أنا".
-"نحن لن نكون أصدقاء لشخص مثلك، يا....".
ودخلت بعدها فتاة وفتى وبقوة:
-"نحن سنصبح أصدقائك".
-"من أنتم يا صغاري؟"
-"نحن من سنكسرك الآن، هل من مانع؟"
وظلت تلك الفتاة والفتى يضربان في ذلك الشاب مع أصدقائه الثلاثة، حتى ذهبوا وكان مراد يشاهد من بعيد ويبتسم، لم يدافع عنه أحد ويضرب من شأنه، إلا جده بعد ما كان يأتي سليم وعبد الله يضربانه عندما كانوا صغارًا، وقالت له تلك الفتاة:
-"أأنت مريض؟"
-"ماذا؟"
-"لأنك كنت تضحك ونحن هنا نصارع!"
-"لا أعرف، لماذا؟"
-"أنا الذي تعرف إذن، المهم تشرفت بمعرفتك".
ومدت يديها لتصافحه، ولكن لم يمد يده وقالت له:
-"لا تريد ذلك".
-"ليس هكذا".
-"ماذا بك إذن أيها المجنون؟"
-"لا شيء".
وصافح مراد كليهما، وقالت الفتاة:
-"أنا مريم، وهذا موسى، وأنت؟"
-"أنا مراد".
-"سنصبح الآن أصدقاء حرف الميم".
ضحك الجميع بصوتٍ عالٍ، وقال مراد:
-"ستصبحون أصدقائي".
-"نعم، إن كنت تريد، ونكون فرقة الثلاثي المرح، ماذا رأيك؟"

-"أنا موافق".

وقطاعهما موسى:

-"لنذهب إذن إلى بيتي".

وقال مراد:

-"وأين هو بيتك؟"

-"في منطقة الحدائق أريدك أن تذهب معي ولو قليلاً".

-"حسنًا، ولكن لا أريد أن أتأخر على المنزل أهلي يقلقون".

*****

وذهب مراد معهما وكان موسى يسكن في بيت كبير جدًا، بغرف كبيرة، وحديقة كبيرة، وحوض سباحة كبير، ولكن هو وحيد، دخلنا ذلك المنزل الموجود في منطقة أرض بلعون، والخوف يملأ قلبي، وقال لي موسى:

-"ادخل، يا مراد، هذه غرفتي!"

-"أأنت تعيش هنا لوحدك؟"

-"نعم لوحدي!"

-"ولكن كيف ذلك؟ ما شاء الله كل هذا المنزل الكبير وبنفسك؟"

-"لا أنا وحيد فقط".

-"أين هي أمك؟"

-"لقد ماتت!"

وبدأ موسى يبكي بحرقة:

-"ماتت وتركتني مع ذئاب، مع عديمي الإحساس".

-"لا تبكي يا موسى أنا معك لن أتركك، سنصبح أصدقاء للأبد، ومع ذلك من المتوقع أن أباك معك!"

-"ولكنه ليس معي!"

شعرت في تلك اللحظة أن موسى حياته صعبة وأمه ميتة كان يجب أن أساعده، ووجدت نفسي أبكي معه أيضًا، لا أعرف عندما أرى أحد يبكي أجلس وأبكي معه، لا أعرف هل من حبي له؟ وحتى عندما أرى خيمة عزاء أصبح أبكي على الميت وأنا لا

أعرفه شخصيًا.
وقفزت مريم وقالت:
-"أريد أن أقاطعكما في حالة الاستعطاف هذه وتأتيا معي إلى الحديقة".
ورن هاتف مراد وكانت عمته أميرة على الخط:
-"أريد أن أذهب للحمام قليلًا أريد قضاء الحاجة، أين الحمام يا موسى؟"
-"إنه على اليسار عندما تنزل على الدَرج".
-"حسنًا".
وخرجت لأذهب وأتكلم مع عمتي وتركت موسى ومريم في الغرفة يتحدثان، وقال موسى:
-"إياك يا مريم، أن تخذليني؟"
-"لا تخف، أنا معك".
-"يجب أن أفعل ما أريد كي ترتاح روحي".
-"وهذا المسكين يتعذب".
-"إذن اختاري هذا أم مساعدة أمك وأخواتك من جبروت أبيك؟، تفعلين كل هذا من أجلهم تذكري ذلك".
-"حسنًا، أظن أن مراد قد أتى!"
ودخل مراد للغرفة، وقال:
-"سَامِحانِي كثيرًا، أريد أن أذهب أبي قلق وأمي كذلك"، كنت أكذب على نفسي بخوفهم علي.
قالت له مريم:
-"إنهم يحبونك كثيرًا؟!"
كان هذا السؤال دائمًا صدمتي، لا أعرف كنت أشعر بالخجل من الإجابة، أو كنت أهرب منه لأني أعرف سوف أكذب عليهما، وأن الإجابة ستكسر وتحرق قلبي بزيادة، فأُفضِل الصمت، وأجبت بكامل صدقي أمامهما:
-"نعم، يحبونني كثيرًا".

*****

والدموع تنزف من قلبي، وبراكين الوجع والألم تنهار من وسطه، نزلنا إلى أسفل وفتحت لنا الخادمة الباب كي نخرج، أتى أبو موسى:

-"أهلًا، ابنتي مريم كيف حال أهلك؟"

-"بخير يا عمي سلطان".

نظر سلطان إلى مراد نظرة كلها إغراء، وقال:

-"من أنت أيها الشاب الوسيم؟ هل هذا صديق جديد يا موسى؟"

قال له موسى:

-"نعم، يا أبي".

رد مراد وقال:

-"اسمي مراد مصطفى مراد".

-"ماذا؟"

إجابة العم سلطان بماذا بعد ما قال مراد اسمه، جعلت ملامح مراد تتغير للحزن، وزاد غضب ابنه موسى عليه، وزادت شكوك مريم! وقال سلطان:

-"أنا آسف، نستأذنكم لدي مكالمة مهمة".

وقال موسى لمراد:

-"لا تأخذ على خاطرك من أبي وأنا سأتحدث معه".

-"لا، لا، يا موسى، لا أريد التسبب بالمشاكل مع أبيك".

*****

وخرج مراد ومريم من المنزل، وهما في الطريق قال مراد لمريم:

-"مريم".

-"نعم".

-"هل من الغريب أن موسى مع كل هذه الأموال والبيوت، ويدرس في مدرسة حكومية؟!"

-"لأنه بعد وفاة أمه عاش في حالة اكتئاب وأصبح في المدارس الخاصة يعنف في الطلاب وفتح وجه المعلمة بالسكين، لأن العم سلطان كذلك لم يهتم به، فقرر يعاقبه وأدخله في مدرسة حكومية وهذه أول سنة له".

-"يا للمسكين، وأنتِ لم أرك السنوات السابقة؟"
-"ليس هنا، كنا موجودين في مدينة المرج ومنذ ستة شهور جئنا إلى هنا".
-"وأنا دائمًا أسأل نفسي من أين كل هذه القوة؟"
ضحكت مريم وقالت:
-"الحياة لا تريد أحد طيب، كل شخص يريدك حسب حاجته فقط، فكن قويًا!"
وكانت مريم تقول في نفسها:
-"سامحني يا مراد، أحتاجك حسب حاجاتي فقط، أرجوك سامحني!"
ذكرني كلام مريم بحديث جدي:
-"أسوأ ما قد يحدث للإنسان أن يكون طيب القلب، لأنه سيكون هو الخاسر دائمًا".
وقلت لها:
-"أنا أريد وقت الذي أموت فيه يتذكرني الناس بالخير فقط".
-"وأنت تعرف ماذا؟"
-"ماذا؟"
-"أنت يا مراد منذ أن رأيتك في ساحة المدرسة وحدك، قلت هذا هو الخير بنفسه".
-"شكرًا لكي يا مريم".
-"وهذا هو منزلي!"
-"أين نحن؟"
-"في منطقة حي السلام، ليست بعيدة منك، يا عمي وصل هذا الشاب إلى ما يريد".
-"هل سوف أراك مجددًا؟"
-"هذا أكيد".
-"وتكلمي مع موسى، وقولي له لا يتكلم مع أبيه".
-"حاضر سأفعل، انتبه على نفسك جيدًا".
*****

وذهبت إلى المنزل، ودخل موسى إلى أبيه:
-"لما فعلت ذلك مع مراد؟"
-"أريدك أن تنهي علاقتك به".

-"الذي يسمعك يقول إنك كل دقيقة معي، أنا يا حضرة المحترم أبقى بالأسابيع لا أراك".
-"تكلم جيدًا يا فتى".
-"وإن لم أفعل أتضربني، أنت فعلت هذا حتى بعد أن جلبت مريم ورأيتها، لماذا؟"
-"لأنهم سيؤذونك كثيرًا".
-"الأذى يأتي دومًا منك، أتعرف شيئًا يا أبي!"
-"موسى اخرج من الغرفة الآن!"
-"تعال معي فقط إلى غرفتي، لأريك جميع الشهادات العليا التي اشتريتها من المتاجر وأكرم نفسي كي أشعر أنني مجتهد وذكي مثل مراد الذي لا تريدني أن أبقى معه، أتشعر بذلك؟!"
-"موسى اخرج من الغرفة! هذا أمر".
صفق موسى بيده، وقال:
-"حاضر، يا حضرة السيد سلطان، الملك سلطان، ولكن أريد أن أقول لك شيئًا كل هذه المناصب ستزول، لن يدوم شيئًا لأحد أبدًا، وسيأتي يوم وتتذكر هذا الكلام، وأريد أن أقول شيئًا آخر، ستعرف في النهاية أن نهايتي على يدك، ونهايتك على يدي".
-"وكيف ذلك؟"
-"ستعرف قلت لك في النهاية".

*****

وبعد رجوع مراد إلى البيت والفرحة والسعادة تملأن قلبه كثيرًا، دخل إلى غرفة أخته مروة ليخبرها بما حدث معه، وبعدها جاء عند غرفة أبيه وأمه، اللذان كانا يضحكان، وقال لنفسه كيف لشخص يخدع أقرب الناس له طيلة هذه السنوات وبكل بساطة، ودخل على محمد ومرام وكانا نائمين، وجاءت أميرة من الخارج وقالت له:
-"أخبرتني أن هناك أصدقاء جدد؟! هذا جيد".
-"نعم، ولكن ماذا حصل معك مع عمتي ليلى؟".
-"لقد أجهضت الطفل! لا تريده".
-"هذا خير لها".

-"ولكن هذه روح".
-"أليست هي كذلك روح ليفعلوا بها كل هذا؟!"
-"المهم، تعال تحدث لي عما حصل معك اليوم، أظن أنها بداية سنة سعيدة".

*****

وتكلمت عن كل الذي حصل معي لعمتي أميرة، وخرج أبي وضربني بعدها وقال لي لا تجلب أحد ولا تذهب مع أحد، وبعد ما نام الجميع كان أبي يصعد للأعلى يوميًا مع عائشة زوجة عمي أنور، ويوم آخر مع سمر زوجة عمي أمير، وكلتاهما لا تعرف شيئًا عن الأخرى واستمرت الحياة هكذا، ولا أعرف ما النهاية؟ وكيف ستكون؟!

*****

وفي اليوم التالي تواعدنا أنا ومريم وموسى، وكان خالي المعتصم بالله وعبد الواحد سيأتون إلينا.

*****

وقبل أن أذهب دخلت إلى جدتي فاطمة:
-"هل أنتِ مرتاحة يا جدتي؟ أظن أنكِ مرتاحة أفضل من أن تكوني مستيقظة بكثير، في وضعك هذا كأنك جسم بلا روح، ولكن هناك أشخاص هكذا وهم مستيقظون، أتمنى أن أعرف لماذا أنتِ هكذا منذ الأسبوع الذي ولدت فيه؟! قالوا لي من الفرحة، هل هذا صحيح؟ أم هناك سبب جعلك هكذا؟!"
وفجأة حركت جدتي عينها، وطرف يدها، فرحت وركضت لأخبر الجميع بذلك، وذهب أبي ليتكلم مع الدكتور شادي وقال له:
-"أيها الغبي؟ إنها قد تستيقظ".
-"كيف هذا؟ هذا الدواء يجعلها تنام لمدة شهور ويبطل جميع الأشياء التي تعطي فرصة لاستيقاظها".
-"يجب أن تفعل شيء وتأتي الآن! لا أريد أي شيء ينكشف الآن!"
-"حاضر سآتي حالًا!"
وجاء الدكتور شادي وأعطى الدواء لجدتي وقالت له عمتي أميرة:
-"ذلك يعطي لي أمل يا دكتور إنها سوف تستيقظ!"

قطاعهما مصطفى:
-"لا يوجد أمل ولا ابتسام".
حدقت أميرة بغضب في مصطفى وقالت للدكتور شادي:
-"لا عليك يا شادي، شكرًا لك كثيرًا، لم أجد يومًا صديقًا وفي مثلك ويحب الخير".
رد الدكتور قائلًا:
-"هذا هو واجبي! أريد أن أذهب الآن!"
قال مصطفى:
-"أريدك بالخارج قليلًا".
وجلست عمتي مع جدتي، ووجدت على السرير هاتف الدكتور شادي، وقالت لي عمتي اذهب وأعطه إياه، ووجدت أبي يتكلم مع الدكتور شادي:
-"هل هناك أمل أن تستيقظ؟"
-"لا أمل ولا ابتسام".
-"أتمزح معي الآن؟! اصمت".
-"لن تستيقظ، وهذا الذي حصل معجزة!"
-"أريدك أن تقطع حتى المعجزات، أعطي لها جميع الأدوية كي تنام للأبد".
-"أتريدني أن أقتلها؟!"
-"لا ليس الآن، أريدك أن تأتي مساءً إلى ذلك المستودع في الساحل، هناك كم فتاة وشاب سنأخذ منهم أعضائهم".
-"حسنًا سآتي، على الموعد، وهل باقي المال موجود؟"
-"حسنًا، أيها الطماع كله موجود، اذهب الآن".
دخل بعدها مراد إلى الغرفة، وقالت له أميرة:
-"لماذا الهاتف ما يزال في يدك؟"
-"لقد ذهب لم أجده".
-"هل حصل معك شيء؟!"
-"لا يا عمتي كل شيء بخير، سأبقي الهاتف معي، سأدخل إلى غرفتي قليلًا".
*****

بعدها دخلت إلى غرفتي وغيرت ملابسي وعند خروجي تقابلت مع خالي المعتصم بالله وعبد الله و رتاج، وقال لي عبد الله:

-"إلى أين أنت ذاهب يا ابن عمتي؟"

-"ليس من شأنك هذا".

وقطاعهما المعتصم بالله:

-"أجب عليه بأدب أيها النذل، هذا يوضع فوق الرأس".

وذهبت أجري نحو الطريق وأخذت سيارة وذهبت إلى منزل مريم، قالت لي:

-"أين أنت يا مراد؟"

-"كانت جدتي مريضة قليلة".

-"ألف لا بأس عليها".

وقطاعهما موسى:

-"سنكمل كل هذه التهنئات وجميع المجاملات ولكن في وقت آخر".

-"أين سنذهب يا شاطر!"

تغيرت ملامح موسى بعدما قال مراد هذه الكلمة ورد عليه مراد بأسف شديد:

-"سامحني! هل أسأت لك في شيء؟"

ولم يجب موسى وذهب أمامهما، وقالت مريم:

-"إنه هكذا لأنه ليس جيد في الدراسة فأي كلمة تحزنه".

-"ولكن لم أقصد الإساءة له إطلاقًا والله".

-"أنا أعرف أين سيذهب هو الآن!"

-"لنذهب إذن!"

*****

ووصلوا إلي البحر المقابل لفندق تبستي.

وكان موسى يتكلم مع نفسه ويبكي:

-"أمي أين أنتِ؟ لماذا تركتِني ورحلتِ، أريدك معي!"

وجاء مراد من ورائه وقال:

-"أنا معك، ومريم معك، نحن الثلاثة، ولا تحزن من كلمتي لأنني قلتها بدون قصد،

وأنت كذلك تضخم في الموضوع، يجب أن يكون فرق مستويات في أي فرقة هذا هو التنوع!"

-"أنت ترى هكذا؟!"

-"نعم، وبقوة".

وقاطعتهما مريم:

-"أريد أن أدخل بينكما لأنزع حالة الاكتئاب والحزن هذه، ولنذهب الآن".

وذهبنا لجميع الأماكن من مطاعم ومتاجر، كان يومًا سعيدا جدًا، ولكن النهاية ليست جيدة.

*****

وغيرت مروة من شكلها وطريقة لبسها، وقالت لرتاج:

-"فعلت مثل ما قلت لي ولم أستفد شيئًا".

-"لم ينظر إليك أي شخص؟"

فتذكرت مروة من الذي كان ينظر لها نظرات شهوانية كان عمها أمير، ولكن قالت:

-"لا، لا أحد".

-"سترين في المدرسة وأي مكان آخر، سيظلون يدرون حولك".

-"إن شاء الله".

-"أتصل بصديقتي سُهَا لم ترد حتى الآن، أنا سأقول لعمي المعتصم بالله أن أذهب، سنلتقي قريبًا".

*****

وغادر خالي و رتاج لمنزلهما وعند وصولهما أمام المنزل، نزلت رتاج من السيارة، وذهب المعتصم بالله لأن كان عندهم اجتماع مساءً، وعندما كانت رتاج تريد أن تفتح الباب، فُتِحَ الباب وكانت هناك سُهَا، ارتبكت، والخوف كان واضح على وجهها، وقالت:

-"كنت هنا، أبحث عنك".

-"وكيف هذا؟ أنا كنت أتصل بكِ ولم تجيبي على هاتفك".

-"أهذا صحيح؟! كان على وضع الصامت".

-"وكيف دخلت؟"

-"الباب، الباب، لقد وجدته مفتوحًا".
-"أكان أبي في الداخل؟"
-"نعم، كان موجود وذهب بعد ذلك".
-"حسنًا، لندخل المنزل إذن".
-"لا، لا".
-"لماذا؟"
-"أريد أن أخرج قليلًا أشتم الهواء".
-"حسنًا لنخرج، أغلقي الباب ولنذهب".
وأرسلت سُهَا رسالة إلى عبد الواحد:
-"نحن ذاهبتان قليلًا، كي تخرج قبل أن تأتي رتاج للبيت".
*****

وخرج عبد الواحد من المنزل بعد ذلك وذهب للاجتماع، وكان هناك المعتصم بالله وغير المتوقع كان هناك سلطان أبو موسى، وكذلك الكارثة الكبرى وجود أبو مريم فائز. لقد كانوا يشتغلون مع بعضهم في جميع هذه المتاجرات.
وقال عبد الواحد:
-"يجب أن نقضي على مصطفى، سنجعله يندم".
ورد سلطان:
-"هل هذه أوامر من القيادة؟"
-"نعم، لأن الحاج مراد كان قد نصب عليهم منذ زمن، والآن جاء دور أبنائه ليدفعوا الثمن، مثل ما أخذ حقه بعد ما اغتصب حفيده مراد".
وقاطعهم فائز:
-"وهذا يعني أن نكون في وجهه أصدقاء وخلفه سنكون ضده!"
ورد عبد الواحد قائلًا:
-"نعم، وإلا سنخسر مكانتنا عندهم، والمال، وسنخسر حياتنا كذلك".
وقال سلطان وفائز:
-"نحن موافقين من أجل حياتنا".

-"ولكما هدية الآن اختارا من هؤلاء الشبان الرائعين".
قال فائز:
-"أنا أعذروني، أريد أن أذهب للمنزل".
-"خذه معك، إذا كان المنزل فارغ".
-"نعم لقد تركت المرأة مع الأولاد عند بيت أختها!"
-"حسنًا اذهب به إذن".

*****

وبعد ما رجع مراد ذهب لذلك المستودع الذي تكلم عليه أبوه لأنه هو نفسه الذي رآهم فيه قبل فترة، وبقي مختبئ من مسافة ليست بعيدة منهم، وجاء أبوه وخاله والدكتور شادي، وكانت هناك امرأة تصرخ وتقول لا تأخذ مني شيئًا، منعت نفسي حتى لا أذهب وأحررها منهم، تخيلت أنني مكانها، غريب الإنسان هناك لحظة يمكن أن تقتله، يمكن أن تحوله لشخص آخر، يمكن أن تغير حياته، وهنا الفرق مثل اللحظة التي دخلت فيها مريم على أمها، ووجدتها مشنوقة، حين اتصل بها مراد قائلًا:
-"مرحباَ، يا مريم".
وببكاء شديد وصراخ، قالت مريم:
-"مراد تعال إلى هنا".
-"ماذا هناك؟ ما الذي جرى؟"
-"أمي، يا مراد وجدتها مشنوقة".
-"أنا آتٍ إليك الآن".

*****

وذهبت على الطريق مسرعًا واتصلت بموسى، وذهبنا إلى هناك كانت جميع الناس داخل المنزل، وخالة مريم تبكي وقالت إن أم مريم كانت تريد أن تطمئن على المنزل وفائز وذهبت ولم يكن هناك شيء فيها، وهذا كان موضع شكوك، أي من الممكن أنها ماتت مقتولة وليست منتحرة!

*****

وكانت حالة مريم لا تحسد عليها، عندما شهدت كم كانت تحب أمها، تمنيت ذلك

الشعور لأن أمها كانت تحبها، ومتعلقة بها كثيرًا، وحدثتني مريم عن وعودهما لبعض أن تبقيا سويًا ويموتان سويًا، يا ليت يحبني أحد لهذه الدرجة ويتعلق بي، لا يعيش إلا معي، لن يرضى بالحياة إلا معي، فهو شيء نادر الآن! للأسف.

*****

وبعد مرور أيام العزاء.

واستمرت مريم على حالها حتى شهر كامل.

جئت أنا وموسى إلى بيت مريم وقلت لها:

-"حبيبتي مريم، لماذا لا نخرج سويًا؟ مر شهر كامل ولم تأتي إلى المدرسة، وقاربت على الانتهاء".

وقال موسى:

-"يا مريم، تعالي معنا، وأنا كذلك سوف أقيم حفلة كبيرة للتخرج من الشهادة الإعدادية نهاية الأسبوع المقبل".

-"ليس لي طاقة أو مجهود لآتي وأحضر حفلات".

وحدق فيها موسى بغضب، وقال:

-"لا يا مريم من أجلي فقط، من أجل مراد".

نظرت مريم في مراد بحزن شديد واستياء لما فعله به:

-"سامحني يا مراد".

رد مراد بغرابة، قائلًا:

-"على ماذا يا أختي؟"

قطاعهما موسى وقال بارتباك واضح:

-"تقصد أن تسامحها على أنها لن تأتي للحفلة، أليس كذلك يا حبيبتي؟"

وقال مراد:

-"ليس هناك شيء آخر يا مريم، ولكن مع ذلك سيكون اليوم والجو رائع مع أصدقاء عمري".

وقالت مريم وهي ثابتة الملامح:

-"ولكن ليس عليك يا مراد".

ورد موسى بصوتٍ عالٍ وابتسامة عريضة:
-"مفاجأة تقصد بها".
ابتسم مراد وفرح كثيراً، وقال:
-"مفاجأة لي؟"
-"طبعًا".
نهضت مريم:
-"ابتعد عن وجهي يا موسى، ابتعد واخرج الآن!"
وذهبت مريم إلى غرفتها، وتذكر موسى كلام أبيه سلطان بعد ما قال له اخرج من الغرفة، وظل يبكي وخرج من المنزل، وقال مراد لمريم إنه سوف يتصل بها.

*****

والأيام تتوالى بدون طعم أو حياة، ومع فرحة مراد الكبيرة كان لديه خوف مما سيحصل، وفي الواقع كان الذي ينتظره غير متوقع.

*****

وجاء يوم إعطاء النتائج وكالعادة كان مراد هو الأول، وكان موسى بتقدير جيد، ومريم حققت جيد جدًا، أثر ذلك على موسى وزاد انتقامه.

*****

ذهبت إلى مريم وأخذتها، وكان أغلب طلاب المدرسة في منزل موسى، وبدأت الحفلة، وصعدت أنا ومريم لأعلى لأنها كانت تريد أن تكلمني بشيء، وقلت:
-"ماذا هناك يا عزيزتي؟"
-"أنت تعرف أنني فقدت الحياة".
-"لماذا تتكلمين هكذا؟ نحن معك وأخوك وأختك الصغار ما زالا يريدانك معهما".
-"وأنا من بقي معي! وأريدك أن تسامحني على ما فعلته، لأنني كنت مضطرة لفعل ذلك، أبي كان لا يدفع المال، كانت أمي تشتغل في البيوت وأنا كذلك، وهذي كانت فرصة لي، لكن عندما عرفتك عن قرب ندمت!"
-"مريم، لا أفهم من كلامك شيء!"
-"كل شيء كان ملعوب منذ البداية".

-"كيف ذلك؟"

-"موسى مريض نفسي، لديه هوس من أي شخص أفضل منه في الدراسة، ووفاة أمه وهو صغير أثر على نفسيته كثيرًا، وعندما كان الطلاب يتكلمون عليك وعن مستواك الدراسي، أحب هو أن يستفيد منك".

-"ماذا تقولين؟"

-"أراد أن يستغلك وقت الدراسة فقط كي يأخذ منك الأسئلة، وطلب مني المساعدة مقابل المال".

وبقي مراد جامد صامت متصلب في مكانه، والدمع يتقاطر من عينيه، وبعدها خرج من الغرفة ومريم وراءه:

-"حاولت مرات عدة أن أخبرك، وأن أوضح لك، سامحني أرجوك ضميري يوجعني كثيرًا".

*****

وكان الجميع في الصالة يشاهدون شاشة العرض، ووضع لهم موسى فيديو وصور لمراد وهو في الحمام يتحمم عاريًا تمامًا، وقال موسى:

-"يا شباب، هذا الفيديو ستجدونه على الإنترنت وانشروه للجميع!"

وقال مراد بوجع وألم:

-"لماذا يا موسى؟"

-"لماذا! لأنك شخص ....".

-"لم أفعل شيء سوي أنني أحببتك فقط، كنت صديقي!"

-"صديقي! نحن لم نكن أصدقاء من الأساس، ضعها في بالك يا حبيبي أي شيء يبدأ بمصلحة سينتهي!"

قاطعتهما مريم:

-"لماذا يا حقير؟"

-"الآن مَثِلي دور المظلومة".

-"لست مظلومة، ولكن لم تقل لي إنك ستصوره وهو في الحمام".

-"والآن عرفتِ بذلك، ماذا ستفعلين؟"

-"سأتركك لربك فقط، وحسبي الله ونعم الوكيل فيك!"

*****

خرج مراد يجري من البيت، وذهبت مريم تلاحقه، وموسى طرد الجميع وهو يصرخ، وقال مراد لمريم:

-"اتركيني الآن قليلًا على البحر وسأذهب".

-"وهل ستبقى تكلمني؟"

نظر مراد بصدمة وابتسم وضحك بعد ذلك وأصبح يبكي آخر المطاف، وقال لها بنبرة صوت كلها ألم:

-"نعم".

*****

ابتسمت مريم وذهبت للمنزل وكانت تركت أخويها عند بيت خالتها ودخلت للمنزل، وفتحت الباب بهدوء كي لا يسمع والدها صوت الباب، وكان والدها فائز يتكلم على الهاتف، وقال:

-"أنا الذي قتلتها وأخذتم أنتم جميع الأموال".

-"كيف تتكلم معي بهذه الطريقة؟ هذا السيد الكبير ونحن لا نستطيع مخالفة أوامره أبدًا".

-"يا سلطان افهمني!"

وقالت مريم في نفسها:

-"قتل من؟ ومن السيد الكبير؟ وما علاقة أبي بعمي سلطان؟"

وقال فائز:

-"وما هو الحل الآن؟"

-"لا يوجد حل هذا نصيبك".

-"أي نصيب يا أبو نصيب، أنا كذبت على جميع الناس، إنها تحت التراب وإنها قتلت نفسها وتقول لي أهدأ!"

وأغلق سلطان الخط بينهما.

"تغلق على وجهي سترى اليوم ما سيحدث!"

وكان هذا الكلام يخيف مريم ماذا يفعل أبي؟ وماذا فعل بأمي؟

*****

بينما مراد الذي كان يعيش صدمة العمر، جلس أمام البحر يبكي، وتذكر كلام جده:

-"اشكر يا مراد تلك المواقف التي أيقظتك وصنعتك من جديد، واشكر العلاقات التي كنت تريدها أن تصبح من أجمل وأقوى العلاقات، ووجدت منها القليل أو لا شيء، واشكر الدروس التي لم تكن بالحسبان، وتعلم ألا تعتمد ولا تستند على أحد في هذه الحياة، ولا تتوقع الخير من أحد، الجميع يصبحون كالذئاب عند مصالحهم، واجعلها قاعدة إن النفوس تتغير خلال ساعات ودقائق لا خلال أيام".

-"ويمكن يا جدي أنني نسيت هذا الموقف".

-"هذا لأنك مراد حفيدي فقط الطيب، ليس دائمًا تنسى حتى ولو كنت طيبًا، يمكن أن تتظاهر بالنسيان، ويجب أن تتخذ مسافة أمان بينك وبين البشر".

-"حسنًا، يا جدي".

وجلس بجانب مراد امرأة كبيرة في السن، وسألته:

-"لماذا تبكي يا بني؟"

-"لا شيء يا خالة".

-"هل هناك شخص خانك؟"

-"تقريبًا".

-"تكلم لا تخجل، أصعب شيء الخيانة، والأصعب أن تأتي من أقرب الناس لنا، أفهم هذا الشعور، أنا جربته من حب عمري وأختي".

-"وكيف حصل ذلك؟"

-"لقد خاناني، كنت أحبه، ولكن خانني واستغلني ليحصل على أختي وهربا سويًا بعد ذلك".

-"وكيف قدرتي أن تتحملي ذلك؟"

-"سأعطيك مثال، هذا البحر تراه كبيرًا، أليس كذلك؟"

-"نعم".

-"وهو مليء بهموم الناس، وهناك سمكة في البحر قالت له: يا بحر لن تستطيع أن

ترى دموعي أبدًا لأنني في الماء!! ورد البحر قائلًا: لكنني أستطيع أن أشعر بدموعك لأنك في قلبي، هكذا نحن لا يشعر بنا غير من نسكن قلبه بصدق".

-"بعد كلامك هذا زاد وجعي".

-"لا تحزن ما دام الله موجود فوق سبع سماوات ستفرج عليك ويأخذ حقك من كل شخص خانك وأذاك ولعب بمشاعرك".

*****

وذهبت تلك الخالة وتركتني وشعرت بالوحدة وكأنني رجعت لأيام المستشفى موجود بنفسي في غرفتي المغلقة لا وجود إلا لرائحة الأدواء فقط، لا ضوء شمس يشرق ليضيء قلبي المظلم وعتمة الحياة.

*****

دق باب منزل موسى وقال وهو ينزل لأسفل:

-"مراد، مراد، سامحني وأنا آسف كثيرًا".

وفتح الباب ولم يجد أحد، وعندما خرج أمام باب المنزل، وجد ظرف موجود فيه أسطوانة فيديو، ومكتوب عليها ليست مقتولة، وركض على التلفاز، وشغل الأسطوانة، وأخذ يبكي فجأة، ومسك الهاتف، وقال:

-"الشرطة، تعالوا بسرعة وجدت القاتل، أشاهد الآن مشهد القتل على الأسطوانة".

*****

دق الباب في نفس الوقت،

فتح موسى الباب، ودخل رجلان وقالا:

-"أين أبوك؟"

-"قد مات".

-"أنت تمزح، لا نريد أباك بل نريدك".

-"ماذا؟"

ودخلا المنزل، ومسكاه، واغتصباه، وتم تصويره، وخرجا سريعًا قبل وصول الشرطة إلى البيت.

*****

ووصل سلطان البيت، ووجد الباب الرئيسي الكبير مفتوح والحارس فاقد للوعي والباب الداخلي مفتوح، وصرخ:

-"موسى، ابني، أين أنت؟"

ودخلت الشرطة في ذلك الحين:

-"ادخلوا وابحثوا عن تلك الأسطوانة عند التلفاز سريعًا!"

وقال لهم سلطان والصدمة على وجهه:

-"ماذا هناك؟"

-"تحدث معنا ابنك وقال وجدت القاتل وموجود داخل الأسطوانة".

-"أسطوانة!"

-"أين هو ابنك؟"

-"لا أعرف سأراه في غرفته".

صعد سلطان للغرفة ووجده غارق في دمائه.

*****

وبعد ذلك نقل سلطان للمستشفى وأصيب بجلطة خفيفة في رأسه، دخل عليه ابنه موسى وقال:

-"أبي حبيبي، أتعرف شيئًا وجدت القاتل".

-"ابني قبل القاتل، من فعل هذا بك؟ قل لي لأذهب وأقتله".

-"أنت الفاعل!"

-"ماذا؟"

-"قتلت أمي بعد ما عرفت بشغلك ورميتها من فوق المنزل وأوهمت الناس أنها سقطت بنفسها بقدر الله، ولم تمت بعد هذا كله، جلبتها للمنزل، وفصلت عنها التنفس الاصطناعي، واتهمت الممرضة المشرفة على حالتها وجعلتها تتعفن في السجون".

-"اصمت، اصمت يمكن أن يسمعك أحد".

ضحك موسى وقال:

-"يسمعني أحد! الجميع سمع بكل شيء، وليس هكذا فقط، قتلتني بسببك، ضاع شرفي، ضاعت كرامتي، ضاع كل شيء وهذا بسببك!"

*****

ودخلت الشرطة لتعتقل سلطان بتهمة القتل، ورجع حينها موسى للبيت، وبقي هناك ولم يخرج من المنزل.

*****

واتصل سلطان بفائز وهو في السجن، وقال:

-"أنت الذي فعلتها، أليس كذلك؟"

-"هذا حقك ونصيبك مثل ما قلت لي".

وخرجت مريم من غرفتها، وجاءت خلف باب غرفة أبيها.

-"سوف تندم يا فائز، قل لهم أن يخرجوني، وإلا أخبرت الشرطة عن سبب قتلي لها، قلت لهم أننا تشاجرنا فقط، وإلا سأجلبكم معي إلى هنا".

-"لن تحب الخروج من السجن".

-"لماذا؟"

-"بعد ما تم الاعتداء على موسى قد صورناه، لن تتحمل ذلك يا حرام، وأكون هكذا ضربت عصفورين بحجر، سجنك وقهرك بالشيء الذي حصل مع ابنك، وستصبح سمعتك في الأرض".

-"حسبي الله ونعم الوكيل!"

-"لا تتحسب على وجهي الآن! ما كفاك ما فعلتموه ولم أحصل على شيء من الأموال وكلها من جسم زوجتي، والآن أغلق وتعفن في السجن".

وركضت مريم دخلت إلى غرفتها قبل أن يخرج والدها.

*****

وبعدما ما انتشر فيديو مراد ووصل الخبر إلى أبيه.

-"يا عاهر، يا فاجر"، وبدأت الألفاظ البذيئة، والضرب حتى احمر وازرق جسمه، وكالعادة أميرة تدافع عنه، أسماء تحفز فيه زيادة، ومروة ومرام تبكيان، ويأتي أنور وأمير يعطيان مصطفى اقتراحات التعذيب كي يتعلم مراد من غلطه، وذلك بعد فتنة من عائشة وسمر.

*****

أما ليلى لا تزال على حالها مع زوجها أسامة، الذي كان من المخدرات لا يعرف حتى يتكلم، وقال لها:
-"ليلى، ليلى، أنتِ أيتها الغبية، يا بقرة".
-"أنا آتية، ماذا تريد؟"
-"لي ما يقارب ساعة أنادي عليك ولم تأتي".
-"كنت مع سليم كنت أعطيه العشاء، لديه غدًا تدريب في النادي مع عبد الله، أخرج له ملابسه، وسارة لديها معهد للغة الإنجليزية".
-"ومن أين المال؟"
-"وهذا سؤال تقوله، من أختي أميرة وأنور".
-"قلت لكي مليون مرة لا تأخذي من أحد مال".
-"وأجلس أنا وأبنائك في الشارع ونقول لله يا محسنين!"
-"لا تتكلمي هكذا، أنا أحبك وأريدك، وأريد أن أتعشى".
-"لقد وضعت لك الأكل وأكلت منذ ساعة".
-"لم يكن هذا قصدي! أريد أن أتعشى بك".
-"ليس الآن يا أسامة لدي شغل في المنزل".
-"تعالي إلى هنا".
-"ابتعد عني لا أريد".
دخلت سارة:
-"أبي لماذا لا تُطَلِق أمي؟"
-"ماذا قلت يا فتاة؟ هذه هي تربيتك يا مدام ليلى".
وصفق أسامة بيديه، وبعدها ضرب سارة على وجهها، وظلت ليلى تدافع عنها وقالت:
-"هذا كله من الذي تراه البنت، وليس مني يا محترم، حرامٌ عليك، لقد تعبنا كثيرًا، كله من هذا السم، لنذهب يا سارة".
-"وأين إخوتك؟ أليس لديك ثلاثة رجال، أو عدم الاهتمام بك أوجعك".
-"لم يوجعني بقدر وجعي على مستقبل أبنائي فقط".
وخرجت ليلى من الغرفة، وخرج بعد ذلك سليم من الحمام، وقال:

-"ما كل هذا الصوت يا أمي؟"

-"لا تخف يا بني! الأمور ستصبح بخير، كل شخص سينال جزاءه في الدنيا والآخرة".

*****

وكانت رتاج تخطط للزواج من حبيبها سعد الذي تعرفت عليه من موقع الفيسبوك، وقال لها:

-"حبيبتي وعمري توجي، أتحبينني؟"

-"لا أعرف وأنت؟"

-"أنا أحبك".

-"وأنا لا أحبك".

-"ماذا؟، وأنا كذلك لا أحبك".

-"وأنا أحبك".

-"دائمًا عكسي تمامًا، أيأتي يوم وتتركيني؟"

-"لماذا هذا النكد الآن؟"

-"سؤال فقط".

-"ابعد هذه الأفكار، ليست من سابع المستحيلات بل من عاشر المستحيلات، لو حصل يكون معجزة".

-"أحبك أيتها الحقيرة".

-"وأنا كذلك يا تافه".

-"عندما أحصل عليك سأعذبك من فوق إلى تحت، سأريك!!"

-"دخل عمي وأبي للمنزل الآن، سنتقابل غدًا".

*****

وجاء عبد الواحد والمعتصم بالله إلى صالة الأكل، وقال عبد الواحد:

-"أين أخوك عبد الله يا رتاج؟"

-"نائم في غرفته يا أبي، حضرت لكم العشاء".

-"اجلبيه إلى هنا الآن!"

-"أبي أريد أن أقول لك شيئًا".

-"ماذا؟"

-"إن جاء شخص وطلبني توافق".

-"ماذا؟ لا طبعًا".

-"لماذا يا أبي؟ الآن أنا في الجامعة أصبحت كبيرة".

-"اغربي عن وجهي يا بنت!"

وذهبت رتاج كي تجلب العشاء، وقال المعتصم بالله:

-"لا تكن قاسيًا عليها، ما تزال تعاني من فقدان الأم".

-"ليس لدي وقت للحنان، الحنان عند الأم وليس عندي!"

-"لا تنس أنك أنت من قضيت على حياتها".

-"اصمت وإلا سمعتك الآن، من قال لها أن تلحقني ذلك اليوم! ولقد أخذت حقها لكن!"

*****

والأسباب إلى الآن مجهولة، والقاتل خفي، وستكتشف تفاصيل وكوارث لم تكن متوقعة.

*****

رن هاتف فائز ليلًا، وكان المتصل سلطان:

-"من المتصل؟"

-"أنا سلطان معك".

-"هذا رقم من؟"

-"رقم جديد من هاتف صغير وضعته داخل ملابسي الداخلية".

-"ماذا تريد الآن؟"

-"اذهب واطمئن على ابني غدًا وأخبرني".

-"وماذا أستفيد؟ قد يكون هذا فخ".

-"لا والله ليس فخًا".

-"فكرت الآن في ابنك؟ لم تهتم به منذ قتلك أمه، وطريقة كلامك متغيرة، السجن جعلك تحترم نفسك في هذه الأيام، هذا ما يصلح مثل أشكالك ومثل ما يقولون ستندمون يوم لا ينفع الندم!"

-"أرجوك يا فائز".
-"لست خادمك، لن أسمع الكلام، ويضحك علي، مثل ما قتلت زوجتي ولم أحصل شيئًا من الأموال! اغرب عن وجهي"، وأغلق الهاتف.
دخلت مريم على أبيها:
-"قتلتها يا ظالم!"
ارتعب فائز وأقفل الهاتف وقال:
-"كنت أمزح يا ابنتي!"
-"تمزح! لست صغيرة، لكي تأخذني على قد عقلي، كانت تحبني وكانت تحبك، جعلتني يتيمة الأم وجعلت إخوتي يتامى وما زالوا صغارًا، أنت لست من بني آدم، تكلم الآن وإلا صرخت وجلبت جميع الناس".
-"سوف أحكي لكي من البداية ما حدث وتعديني أنك لن تخبري أحد".
-"حسنًا، تكلم!"
-"من البداية كنت جالب معي إلى هنا فتى، لأعاشره، وكنت متأكد أن أمك ما تزال في الخارج وسوف تبقى مع خالتك الليلة والوقت كان متأخر، وفجأة دخلت أمك وما أن رأتني حتى بدأت تصرخ، كنت أحاول أن أجعلها تصمت فقط لم أقصد قتلها، كنت أغلق فمها، ولم أدرك أنها ماتت، ولم أفكر إلا في شنقها بالحبل كي يفكر الناس أنها انتحرت، وخرجت مسرعًا من المنزل والشارع كان كله مظلم ولا يوجد أحد، ولكن ذلك الفتى أخبر المنظمة بكل شيء، وعندما وضعناها في ثلاجة الموتى، هم يعرفون دكتور هناك اسمه الدكتور شادي، أخذ أعضائها كلها كي يتم بيعها، وقالوا لي إن لي مبلغ ولم يعطوني شيئًا، وأنتِ موجودة مع موسى في الحفلة، وعندما وصلتِ إلى هنا وجدتِها".
-"حقير، حقير، تقتل وتمشي في الجنازة، ولماذا لم تدفنها بكامل جسمها، كان هذا قليل عليها، حسبي الله ونعم الوكيل فيك، وبعد ذلك لم يعطوك شيء، ففعلت نفس الشيء مع عمي سلطان فكان الخاسر هو موسى".
-"لم أجد شيء أفعله".
-"لم تجد شيء، أنت دمرت حياة أبنائك، ودمرت حياتي، قتلت امرأة أفنت حياتها من أجلك، ولماذا تشتغل مثل هذا الشغل؟"

-"لكي أُعيشكم".
-"اصمت، اصمت، أتعرف؟ أشكر الله دائمًا أنك لم تصرف علينا من مال الحرام هذا، أشكر الله أنني كنت أجمع المال وأمي تشتغل ليل مع نهار لتعيشنا، أصبحت هذه الأعمال منتشرة في كل مكان، ولكن لكم الله، وكيف عمي سلطان دخل السجن؟!"
-"كان القائد يعرف هذه القصة، وأن زوجته أصبحت تعرف كل شيء، وهو الذي جلب لسلطان تلك الممرضة من أتباعه، ووضعت الكاميرا في غرفتها لأنه كان مؤمن بأنه سيقتلها ويتهم الممرضة بذلك، وكي يصبح في المستقبل واضع يديه على رقبته وتحت أوامره، وأخذت أنا نسخة من الفيديو للاحتياط فقط!"
-"وهل تلك الممرضة ما تزال في السجن؟!"
-"نعم، الرشوة تفعل كل شيء، القاضي، ومدير السجن، والجميع".
-"كلكم مصيركم السجن، الجميع، الجميع!!"
-"لن تخبري أحد بشيء يا ابنتي".
-"أولًا، لا تقل لي ابنتي، ولا تخف لن أخبر أحد".
*****

ودخل الشرطي إلى الحجز الانفرادي وقال:
-"سلطان، انهض بسرعة لديك زيارة".
-"من هو؟"
-"انهض بدون كلام كثير، بسرعة!"
ودخل سلطان غرفة الزيارات، وأول شيء سمعه:
-"أصدقتني يا أبي عندما قلت لك أن نهايتي على يدك، ونهايتك على يدي؟!"
-"موسى، ابني حبيبي، سامحني، يا ليت لم أفعل شيء، ولم أشتغل ذلك الشغل، سامحني كثيرًا!"
-"هذا ما فعلته بيديك! هذا حصاد ما فعلت! ألم تعرف أن لك نهاية؟!"
-"كان إغراء المال جميل، كنت ضعيف أمام المال، ساعة شيطان!"
-"ومع ذلك لن تجد الراحة لا في الدنيا ولا في الآخرة".
-"سامحني يا حبيبي".

-"أسامحك، على ماذا؟"

-"على كل شيء".

-"أسألك سؤال، كم مرة كسرت خاطري؟"

صمت كلاهما قليلًا، وقال موسى:

-"خمس مرات، عشر مرات، عشرون مرة، ثلاثون، مائة، لا، الكثير، شغلك والنساء فقط، وابنك مع الخَادِمَات وفي الغرف وحيدًا، أليسَ هذا ظلم؟!"

-"لماذا تحمل مني كل هذا؟"

-"لا، لا أحمل منك شيئًا، بل الحياة ظلمتنا كلانا، ولكن الظلم ظلم عادل، مثل ما أنت أرسلت لمراد رضوان واغتصبه، فعل أبو مريم فائز نفس الشيء، أرسل لي جماعة وأخذوا مني شرفي، وهذا ظلمك، أما أنا مثلما صورت مراد ونشرته، حتى أنا كذلك صوروني ونشروني، وهذا ما ظلمتني به الدنيا ولكنه ظلم عادل، الآن صدقت جملة كما تدين تدان، والدنيا دوارة".

-"أتمنى أن أعوض لك كل شيء ضاع منك".

-"لا يوجد شيء ضاع، كل شيء قد مات، وأنا وأنت كذلك، خذ هذا المشرط، ستحتاج إليه، سمعت أنهم نقلوك للحجز الانفرادي بعد ما تشاجرت مع عدة أشخاص بسبب الفيديو".

-"نعم، ولكن قريبًا سيتم نقلي".

-"الانفرادي سيكون أفضل لك، كي لا يشتم أحد دمك، وأطلب منك طلب يا أبي؟!"

-"نعم، ما هو؟"

-"أن تجعل هذا المشرط معك".

-"حسنًا".

وأخذ الشرطي ينادي:

-"انتهت الزيارة".

وقال سلطان:

-"تعال إلي هنا دومًا".

-"يجب يا أبي أن يكون الإنسان مستغل لكل شيء، للصوت الذي يحبه، للحضن،

للوجه، للشكل، والأهم من ذلك القلب، لأنها قد تكون آخر مرة نراه فيها".
-"لماذا تتكلم هكذا؟"
-"ستفهم قريبًا!"

*****

ونهض موسى وأعطى قبلة لوالده على خديه وجبينه، وخرج موسى وكان متجهًا نحو البحر، وجلس على الكرسي، وفتح هاتفه ووضع على اسم مراد واتصل عليه:
-"مراد، سامحني كثيرًا على ما فعلته معك".
-"أنت سامحني، ولكن لماذا تتكلم هكذا؟"
-"لا أستطيع أن أعيش هكذا ذليل بعدما ضاع شرفي".
-"أيها المجنون ماذا ستفعل؟"
-"لقد تركت لك صندوق، ادخل غرفتي وخذه وفيه صور لنا وأشياء وهناك مفتاح الحل أيضًا".
-"أين أنت الآن؟"
-"سامحني كثيرًا، أحبك، صحيح لم أعرف قيمتك عندما كنت معي، وهذا دليل على أننا لن نشعر بقيمة ما لدينا إلا بعد فقدانه".
-"عرفت أين أنت، سآتي إليك الآن!"
وقال مراد لأميرة:
-"سأذهب يا عمتي، وتصرفي كأنني موجود".
-"ولكن رأسك يا مراد ما زال يؤلمك بعد ضرب أبيك على ذاك الموضوع، وسيضربك آخره".
-"صديقي لا أعرف ماذا يجري معه؟ سأذهب سريعًا".

*****

وذهب مراد إلى بيت مريم وأخذها معه، لأنهما كانا يعرفان مكانه المفضل، وكانا في الطريق والدمع على خديهما، وقلبهما يشعران بنقصان شيء منه، تمنيت تلك اللحظة أنني لم أخرج وأتركه، وحتى إن كان هو الذي أهانني ذاك اليوم، لأن الثانية التي تضيع لن تعوض، وتذكرت كلام جدي:

-"يا مراد، كن دائمًا على يقين أننا لن نموت بفراق من نُحب، ولكن لن نكذب على بعضنا، سنتألم كثيرًا، وعندما يموت أي شخص يحبه الجميع، وكما قلت لك قبل ذلك أن جميع المنتحرين كانوا يريدون قتل شيء ما بداخلهم فقتلوا أنفسهم".

*****

وتذكرت كل هذا، عندما رأينا جميع الناس الموجودين أمام البحر، وسيارات الإسعاف، والشرطة تبحث في البحر، وكان منهم من ملامحه حزينة، والسيدة التي رأته وأخبرت الشرطة والإسعاف كانت تبكي من شدة الموقف، ومنهم من كان يصور ما حصل، ومنهم من كان يضحك، والكثير منهم، ولكن دائمًا نقول أحسن خاتمتنا.

*****

وبعد يومين من البحث على جثة موسى وجدوها داخل البحر، وأقيم العزاء ولم يأت إلا القليل، وفي مجتمعنا الذي يموت منتحرًا لن يشرفهم أن يأتوا، وبعد أن عرفوا بكل شيء عن والده، لأنهم لم يشعروا بشعور ذلك الشخص، آلاف المغتصبين في العالم أصبحت لديهم حالات اكتئاب شديدة، وأمراض نفسية عديدة، والتي قد تؤدي بهم إلى الموت.

*****

والتقى مراد ومريم عند ذلك البحر، وكان كلاهما يبكيان بحرقة شديدة، لأن مهما حصل هذا الميت كان صديقهم وأكثر من ذلك، وكان بينهم خبز وملح، وعاشوا أيام سعيدة مع بعضهم، وكانوا يشاهدون صورهم سويًا، وقال مراد:

-"أترين كيف كان يفعل تلك النظرات بعينيه؟!"

-"أري، يا حبيبي ضاع هكذا".

-"وهذه آخر صورة له، أترين الفرق؟"

-"أرى ذلك، شكله لا يختلف إلا في شيء واحد".

-"إنه أصبح جسد ولكن بلا روح".

-"نعم هكذا، لن يفرق عني شيئًا، حملت مسؤولية وأنا صغيرة، صدمت بموت أمي، وأصبحت أفكر في إخوتي ماذا يفعلون؟ وأخيرًا عرفت".

-"ماذا عرفتِ؟"

ارتبكت مريم وقالت:

-"وعرفت بما حصل مع موسى فقط وفقدانه بعد ذلك".
-"سأظل أزوره دومًا، وأضع الورد على قبره".
-"لم أجد شخص مثلك، طيب لا يحب إيذاء الناس، ولا يكرههم مهما فعلوا به، وتظل وفيًا لهم مهما حدث، وأنا متأكدة لو وضعتك في اختبار لتثبت لي وفائك سأجدك دومًا، ولكن في تلك الساعة سأكون قد رحلت من هنا".
-"لأنني أحبهم فقط، ولا أحتاج إثبات ذلك، أنتِ صديقة عمري".
-"ليس هكذا، لأنك صادق، وصاحب نية نظيفة، ولست شخص سيء ولا خبيث، وقلبك نظيف، ونقاؤه نقاء البحر والسماء والهواء الجميل، تدخل لقلب الشخص وتغيره للأفضل".
-"بدأت أشعر بالخجل".
-"يا مريض، أتتذكر هذه الكلمة؟"
وضحك كلاهما، وقال مراد:
-"نعم، أتذكرها حتى ولو كان كل شيء تمثيل وكله كذب ولكن أحببته بصدق، لأنني أحببتكما كثيرًا، وجئتما في وقت أحتاج فيه لشخص معي في حياة القرف هذه، في وسط احتياجي لأم كنتما أنتما، وكنت أحتاج أب كنتما أنتما، وكنتما أخوة، وأصدقاء، أنا لا أعرف إن كنت أخدع نفسي، ولكن أفرح بذلك عندما أقوله لنفسي، مع شعور الألم والوجع ونقص بكل شيء".
صمت مراد قليلًا، وقال:
-"كان موسى أبًا لي ورحل، وأنتِ لي أم، ولا أريدك أن ترحلي وتتركيني وحدي".
-"وإن تركتك، ماذا تفعل؟"
-"إياك أن تقولي هذا الكلام!"
-"أنا أريد أن أذهب للبيت".
-"ماذا بك؟"
-"ليأخذ كل شخص حقه".
-"ماذا تقصدين؟"
-"ليعيش العالم بسلام، بلا مشاكل، بلا مصائب، بلا كوارث بشرية، بلا ألم، ولا وجع،

ولا قهر، وذل للروح".
-"لم أفهم عليك؟ أنتِ تخيفينني بكلامك هذا!"
-"أريد أن أذهب للمنزل، لدى صداع شديد".
*****

وذهب مراد ومريم في سيارة أجرة، ونزلت مريم وبعدها نادت مراد، وخرج من السيارة، وقالت له:
-"احضني؟"
-"ماذا؟"
-"أريد أن أحضنك".
-"حسنًا".
وحضنها وقالت له بحزن شديد:
-"أتبقى تتذكرني دومًا؟"
-"ما هذا الكلام! أتريدين أن تفعلي شيئًا؟"
-"لا شيء، لا تخف، اذهب الآن!"
وصعد مراد للسيارة، ودخلت مريم للبيت واستلقت على فراشها، وعندما خرج مراد من الشارع أوقف السيارة، وأعطى الرجل ماله ورجع ليراقب منزل مريم وما سيحصل، وبعد مدة قليلة، رجع فائز ودخل المنزل، وقال:
-"مريم، أين إخوتك؟"
-"لقد تركتهم في منزل خالتي ستعتني بهم بقية حياتهم".
-"بقية حياتهم! ونحن أين؟"
-"لن يبقى شيء اسمه نحن، لأننا لا شيء من الآن!"
-"عن ماذا تتحدثين أيتها المجنونة؟ تعالي وضعي لي الأكل".
-"إنه موجود في الغرفة، لقد أحضرته منذ ساعة".
-"وأنتِ؟"
-"لقد أكلت، والموت يجري في عروقي".
-"مجنونة هذه الفتاة، موت أمك أثر في دماغك وتعيشين في اكتئاب نفسي حاد".

نهضت مريم من فراشها وجاءت على غرفة المعيشة، وقالت له:
-"وليس له حل إلا شيء واحد".
-"وما هو؟"
-"الموت".
نهض فائز وقال بغضب شديد، والأكل في فمه:
-"أتريدين أن تجعليني مجنونًا مثلك الآن!"
-"ولما هذه العصبية، كله من الخوف، جعلتك تشعر به، ماذا لفظت أمي آخر كلامها؟، أولادي، أو صرخت لا تفعل هذا، وأنت لم ترحمها".
وضع فائز يده على رقبتها، ووجهه أصبح أحمر، ووقع على الأرض، وقالت له مريم:
-"كنت أريد أن أشاهدك هكذا تصارع الموت أمام عيني، مثل ما فعلت بأمي".
وظل يردد في اسمها حتى انتشر ذلك السم في جميع أنحاء جسمه.

*****

واتصلت مريم بمراد فأجاب وقال:
-"ماذا بك؟"
-"قتلت الفأر".
-"ماذا؟"
-"اشتريت سم الفئران ووضعته في الأكل كي يتعذب مثل ما قتل أمي".
-"ماذا؟ العم فائز قتل أمك؟!"
-"نعم، ولم أرد أن أقول لأحد، كنت أريد أن أخذ حقها بيدي، وليس بيد الحكومة، ووضعت لك صندوق ذكرياتنا، وبعض الأشياء، وهناك رسالة اقرأها وهناك ستجد مفتاح الحل".
-"أين أنتِ يا مجنونة؟ وكيف فعلتِ ذلك؟ أخرجي الآن!"
-"لن أستطيع!"
-"لماذا؟"
-"لأن رقبتي حولها حبل المشنقة، سأموت بنفس طريقة أمي".
-"ماذا؟"

وبدأ مراد يركض، ووصل للمنزل، وظل يصرخ في الشارع، وخرجت الناس، وأصبح يطلب المساعدة منهم بكسر الباب، واتصلوا بالشرطة والإسعاف ليأتوا، وكانت مريم تقول:

-"آتية إليك يا أمي".

*****

وظلت تردد هذه الكلمة، وفي نفس اللحظة التي كسر فيها الباب، سقطت مريم من الكرسي، ورفعها مراد وهو يبكي والناس ساعدوه، وأتت الشرطة والإسعاف، وأخذوا مريم للمستشفى، وبعد ذلك للتحقيق معها.

وجاء مراد للممرضة، وقال:

-"يا ممرضة، أريد أن أسألك على حال المريضة مريم فائز الدرسي".

-"ليست هنا".

ابتسم مراد وقال:

-"أتمزحين معي؟! منذ نصف ساعة جلبوها وأتوا بها إلى هنا، كيف تقولين لي ليست هنا؟"

-"للأسف الشديد، كانت في دمائها نسبة قليلة من السم".

وفكرت حينها في كلام مريم لي عندما قالت لي عن اختبار الوفاء وأنني سأنجح وأنها في تلك الساعة ستكون قد رحلت، كانت قد بلعت من السم قبل ذلك وتسلقت للحبل.

وبدأت عيناه تدمع، ويضحك، لم يكن مصدقًا لما يحدث، وقال:

-"أنا أنقذتها، وكانت بخير، كيف حصل ذلك؟"

-"من المتوقع أنها قد أخذت نسبة قليلة، وأخذ السم مفعوله في جسمها وانتشر فيها بعد مرور هذه الساعة، لا يسرني أن أخبرك بذلك".

-"لا تخبريني بشيء، هي هنا سوف أجدها، سوف أجدها".

وأخذ يبحث في جميع غرف المرضى:

-"مريم، مريم، حبيبتي، صديقتي، أين أنتِ؟ تعالي معي، لا تختبئي مني، لنذهب للبحر موسى موجود هناك، يا مجنونة اخرجي، أيتها الممرضة هي دائمًا تحب اللعب واللهو سنجدها هنا، أنا متأكد ابحثي معي فقط، مريم، مريم، مريم، مريم،

مريم".

حتى خرج الدكتور من الغرفة وكانت مريم ميتة ويريدون تشريح جثتها:

-"يا دكتور أهي بخير، أنا أعرفها لا تمرض دائمًا، ولكن وفاة أمها فقط، يا دكتور هل تستطيع الخروج معي أريدها معي؟! أريدها معي".

-"خوذه للغرفة وأعطوه إبرة مهدئة".

وصرخ كثيرًا، وبعد ذلك استيقظ من الإبرة، وقال:

-"أريد رؤية مريم!!"

وقالت له الممرضة:

-"مريم لقد وضعوها في الثلاجة".

-"دائمًا هذه الفتاة لا تفكر إلا في بطنها، لا شيء سوى الأكل ومع ذلك لا تسمن إطلاقا، أريد رؤيتها فورًا".

-"أنت لست بخير".

وصرخ مراد بقوة:

-"أنا بخير، أنا بخير، لدرجة أنني يمكن أن آتي الآن وأصفعك على وجهك".

-"احترمني من فضلك، أنا لست خادمة لديك، أمارس عملي فقط".

ودخل الدكتور، وقال مراد:

-"يا دكتور، أريد رؤية مريم، اشتقت لها كثيرًا".

-"حسنًا، ستراها".

ودخل مراد إلى ثلاجة الموتى، ورفع له الممرض ذاك الغطاء، وخرج:

-"يا صديقتي، ماذا بك؟ أنا منذ زمن أقول لهم أريد رؤيتك ولا يسمحون لي، أأنتِ تشعرين بالبرد! سأضع الغطاء على جسدك، أتريدين معطفي أيضًا؟! أتتذكرين عندما لعبنا بلعبة الموت في الملاهي، وقلت لكِ إنها تُخِيفُنِي كثيرًا تلك اللعبة، وموسى خرج منها، لقد ارتعب، ووعدتني أنك لن تخذُلِنِي أبدًا، قلت لي إننا سويًا على الموت وسننتصر عليه، ولكن الموت هزمك وتركني وحيدًا، وحيدًا، اخرجي الآن معي لنلعب باللعبة ونفوز عليه مع بعضنا ونقضي على الموت".

وأخذ مراد ذلك السرير وخرج به في الممر، وأوقفه الدكتور، وظل مراد يصرخ، ويقول:

-"اتركني، هل تمنعني من أن أخذ أختي وصديقتي؟ اغرب عن وجهي".
وأصبح مراد يجري في ذلك الممر، ويبتسم، ويقول:
-"لنذهب يا صديقتي، لنعش حياتنا سويًا مثل ما حلمنا!!"
والدكتور طلب الأمن، وأراد أن يوقفوه، وكان مراد في حالة هستيريا حادة، واتصلوا بأميرة وجاءت.
-"حبيبي مراد، الله سيصبرك على فراقها".
وقطاعهما مصطفى وقال:
-"ومتى هو موعدك أيضًا لتلحق أصدقائك؟"
ردت عليه أميرة قائلة:
-"ماذا تقول أنت يا مصطفى؟ كلما تأتي تقول مثل هذا الكلام وتذهب، أشعر بالطفل قليلًا".
-"هذا طفل أصبح رجلًا عمره ستة عشر عامًا".
وكان مراد في حالة صمت رهيبة، وقال:
-"لن يشعر يا عمتي، اتركيه على راحته، تعودت على الذل والوجع والألم وسوء المعاملة منهم دون سبب".
وهكذا انتهت حياتهم، لا بل حياتي.

*****

لأن الجميع كان يريدني حسب مصلحته مني، وسبب بكائي كان على نفسي فقط، وكان ذلك يذكرني بكلام جدي:
-"يا مراد، أتعرف أنك عندما تبكي على وفاتي ليس لأنك تحبني؟!"
-"لماذا تتكلم هكذا يا جدي؟ هل شككت في حبي لك؟"
-"ليس هكذا، لأنك تتعود على وجودي معك، اهتمامي بك، حناني وعطفي عليك، خوفي ودفاعي عنك دومًا، وهذا ما يحتاجه الإنسان، الحب فقط، يريده الصغير قبل الكبير، لأنه إن لم يتوفر ستعيش حياتك بلا طعم، أي بلا روح، لأن النفس ضعيفة أمام أي شيء يغريها، وستصبح مريض بالأمل والعاطفة، وللاهتمام تأثير أقوى من أي كلمة حب، ستعرفها يومًا ما".

*****

وأصبح جدي يراودني في كل موقف، وما فعلته مع مريم كان ذلك على نفسي، أصبحت أتخيل نفسي أنا مكانها وأهلي يبكون على فقداني لهذه الدرجة، وتمنيت كذلك أن يعود جدي للحياة معي، ليرحل كل شعور سيء من حياتي، لأن الحياة عبارة عن مشاعر وأحاسيس مرهفة، إن لم تشعر فأنت لست إنسان، شعور الفرح، الحزن، العطف، الحنان، الوفاء، الكبرياء، الألم، الوجع، العشق، الحب، الصداقة، الإخلاص، الوفاء، الكرامة، والأفضل شعورك بأبويك، وشعورك بحب أقرب الناس لديك، هذا هو الشعور، لأن بعض الكلام يحتاج إلى إحساس، ومن مات فيه الإحساس مات كليًا.

*****

وبعد مرور شهر.

استيقظت صباحًا، وكالعادة أمي تعد الفطور لأخي محمد ليذهب للمدرسة كأول يوم دراسي له في المرحلة الابتدائية:

-"يا محمد، يا حبيبي، أحبك يا عسل".

وجاء مصطفى:

-"يا رجل، يا رجل، هذا الرجل الذي كنت أحلم فيه".

وأخذ ينادي مراد:

-"أنت أيها الأبله! أريد أن تأخذ أخاك للمدرسة".

-"حسنًا".

وقالت أسماء لمصطفى:

-"أين كنت أمس؟ لم تقل لي إنك ستظل بالخارج".

-"نعم، حصل فجأة لم أرد أن أخبرك، هل سمر موجودة؟"

-"لماذا تسأل عليها؟"

-"هكذا لا شيء".

-"لا تزال موجودة في منزل أهلها".

-"حسنًا، فهمت".

-"ماذا فهمت؟"

-"لا، لا شيء، ما هذا المرض؟!"

*****

وخرج بعدها مصطفى من المنزل واتصل بسمر:

-"هل ما زلتِ هناك؟"

-"نعم ما زلت هناك".

-"وهل كشف أمير شيء؟!"

-"لا، لأنه لا يوجد أحد في البيت غيري، لقد ذهب".

-"وهل قال لكِ إنه لن يأتي اليوم؟"

-"لا أعرف لكن نحن هنا في منتجع سياحي يمكن أن يراك أي أحد".

-"لا تخافي لن يراني أحد، فقط كلميني الليلة!"

*****

وخرج مراد مع محمد ليوصله إلى مدرسته، وقال له محمد:

-"أحبك يا أخي"، وحضنه.

شعر مراد بشعور غريب، إحساس الأخوة لأول مرة، فرح كثيرًا بذلك، وقال له:

-"وأنا أيضًا، أحبك جدًا يا أخي".

وعندما خرج مراد من المدرسة، ظل يمشي في الطريق، ووراءه سيارة مظلمة معتمة كبيرة تلحق فيه.

*****

ووصل مسرعًا للسجن لأنه يريد رؤية أبو موسى سلطان، وقال له المكتب:

-"أتقصد سلطان الفاخري؟!"

-"نعم، أريد أن أراه لأقول له موضوعًا في غاية الأهمية".

-"سأرى في الكمبيوتر متى توفي؟"

-"ماذا تقول؟ أتقصد أن عمي سلطان توفى؟"

-"نعم، لقد قطع شريانه، بعد ما سمع وفاة ابنه، أصبح مثل المجنون والمهووس، وتشاجر كثيرًا، ووضعناه في الحجز الانفرادي من جديد، وفتحنا عليه ووجدنا على الجدران كلمات وجمل بالدم قد كتبها، وقد كان ميت".

-"وفي أي يوم تحديدًا؟!"
-"حوالي شهر من اليوم".
-"هل لديك صور له في الحجز؟"
-"موجودة عند الشرطة، وأخذت أنا نسخة".
-"هل يمكنني الرؤية؟"
-"بكل تأكيد".
-"ما هذا؟ الشر قادم، الشيطان يجول حولنا، لا تثق بأحد، ما كل هذه الجمل التي ليس لها أي معنى!"
-"لا أحد يعرف، لقد مات والسر معه".
-"وهل يوجد أي شيء أو اسم نطق به؟"
-"نعم، نعم صحيح هناك صورة أخرى كان كاتب الاسم بالدم، ولكن موجودة في قسم التحقيقات".
-"ولماذا؟"
-"حتى يعرفون ما علاقة هذا الشخص بالميت، ولم نجد أي قريب يأتي ويأخذ جثته لنسأل عن الاسم، فدفناه نحن بعد ذلك".
-"شكرًا جزيلًا".

*****

وبعدها ذهب مراد لقسم التحقيقات:
-"يا سيدي أريد صورة لقد وجدوها عند العم سلطان الذي انتحر منذ حوالي شهر".
-"ومن تكون أنت حتى أريك؟ وما هي علاقتك بالميت؟"
-"أنا كنت صديق ابنه المقرب جدًا، وسأعرف لكم من هو هذا الاسم".
-"حسنًا، سأبحث عنها".
وبعد أن بحث عنها الرجل، قال:
-"وجدتها ها هي".
-"ماذا؟"
-"هل عرفت ذاك الاسم؟"

-"لا لم أعرفه، شكرًا".
والصدمة أن المكتوب كان اهرب يا مراد، وظل مراد يفكر ما علاقته بهذا الكلام، والشكوك أصبحت تدور من جديد.

*****

وفي المساء،
بعدما اجتمع الجميع في البيت، وظلت أسماء تتصل بمصطفى ولا يجيب، ففكرت وقالت:
-"أظن إنه ذهب عند أمير بما أنه سألني عليهم في الصباح، سأتصل على أمير".
واتصلت أسماء على أمير وسمعت صوت هاتفه في الممر، وخرجت عليه، وكان واضح عليه الارتباك والخوف، وقالت له:
-"أمير، ماذا بك؟"
-"أسماء، لا شيء".
-"اتصلت على سمر ولم تجب، هل كنت معها؟"
-"لا، تركتها وحدها".
-"ولست خائف عليها".
-"أنا دائمًا لدي ثقة عمياء بسمر وتحبني، ستكون بخير".
-"ولما كنت تجول أمام الباب بهذا الارتباك؟!"
-"لا، لا شيء".
-"معني ذلك اذهب لها الآن!"
-"سأفعل، حسنًا".
ودخلت أسماء للمنزل، وخرج أمير وركب السيارة، ليذهب إلى سمر في حين كان معها مصطفى هناك، وقال لنفسه:
-"سأحصل عليك يا مروة في يومٍ ما، لم أكن أعرف أنك بهذا الجمال".

*****

وذهب أمير للمنتجع، وظل يطرق الباب، وكانت سمر في الداخل مع مصطفى وقال:
-"ماذا سنفعل يا سمر؟"

-"هذا كله منك أنت! يا للفضيحة! أنا انتهيت".
-"اصمتي! جاء في بالي فكرة خطيرة".
-"ما هي؟"
ويطرق أمير الباب حتى جلب مدير المنتجع وقال له أن يفتح الباب، وفي نفس اللحظة التي يريد فيها أن يفتح الباب، أرسلت له رسالة:
-"أمير، حبيبي، الآن خرجت من الحمام، لم أنتبه للهاتف أنا في المنزل، لقد رجعت أوصلني أخوك مصطفى، وأنت إلى أين ذاهب الليلة؟"
-"وأنا كذلك سأذهب للمعتصم بالله، لا تنتظريني".

*****

وخرج أمير من المنتجع، وجهزت سمر جميع أغراضها ووضعها مصطفى عند بداية الشارع كي لا يراهما أحد.

*****

ودخل أمير إلى غرفة الضيوف مع المعتصم بالله حيث كانتا رتاج وصديقتها سُهَا سويًا تتحدثان:
-"سُهَا، حبيبتي لماذا لا تبقين معي هنا؟ لا يصح هذا، أنتِ ليس لديك أحد وكل ليلة تنامي في الفنادق وعند كل صديقة".
-"تعرفين أنتِ لست صديقة، بل أخت، ولكن لا أستطيع أن أوافق، كلام الناس لا يرحم يقولون هذه تنام في بيت صديقتها ولا نعرف من أين تأتي أو تذهب؟! وأخوك وأبوك، اثنان رجال، لا، لا أستطيع تقبل الفكرة".
-"لا، لا، لماذا تقولين هذا الكلام؟ ألسنا إخوة صحيح؟ وأنا أضع فيك كامل ثقتي، وأنت تعرفين أبي رجل متدين ومتعصب لو كان يريد الزواج كان تزوج بعد وفاة أمي، وأخي دائمًا بالخارج أنتِ فكري في ذلك! فكري وسأجلب لكِ القهوة!"
واستغل عبد الواحد ذلك، ودخل، وقال:
-"لما لم تقولي لها أنك على علاقة معي وانتهى الموضوع!"
-"ماذا بك؟"
-"أنتِ هكذا تشككها فينا!"

-"لن تعرف أسمعت كلامها؟ أنت متدين ومن هذا الكلام، وتتذكر ماذا حصل آخر مرة؟ كانت تريد الدخول للمنزل، وكُانَا سويًا!"

-"حصل خير، أريد أن أراك كل ليلة، ووافقي على البقاء هنا".

-"حسنًا، وهل لي بمبلغ من المال؟ لقد نفذ كل ما لدي!"

-"نعم، من عيوني، كم لدي سُهَا أنا!"

-"حسنًا، اذهب قبل أن تأتي".

ودخلت رتاج بالقهوة، وقال أبوها:

-"نتشرف بك ابنتي سها، أنتِ فتاة صالحة مطيعة جدًا، الله يحفظك من كل شر يا رب".

قالت رتاج والابتسامة على وجهها:

-"قل لها يا أبي أن تبقى هنا".

وردت سُهَا:

-"سأشعر بالخجل، ولا أريد أن أضايقك".

-"لا تقولي ذلك يا مجنونة، أنتِ أختي؟"

*****

وهنا توجد الخيانة، خيانة الصديق لصديقه، وخيانة الأب للعشرة، كم من كمية وجع سيصدم الجميع سيكون في الطريق قادم.

*****

ودخلت سُهَا للغرفة واتصلت بحبيبها أنس، وقالت:

-"حبيبي، لن أعد أنام في الفندق".

-"أين؟ في الشارع؟"

-"ليس هكذا! عند صديقتي رتاج".

-"رتاج، من؟"

-"ماذا تريد فيها؟ هي التي أجلب من أبيها ذاك العجوز المال".

-"حسنًا، ولكن من هي، لم تتكلمي عنها من قبل".

-"اسمها رتاج عبد الواحد، لم يحصل فرصة".

-"أريد أن أراها غدًا لأتأكد".

-"لتتأكد من ماذا؟"

أجاب أنس بارتباك شديد:

-"لأتأكد عليك فقط، وسآتي أمام الجامعة لأراكما من بعيد!"

-"حسنًا، سأكلمك غدًا".

*****

وجاء مصطفى للمنزل بعد شجار طويل مع أسماء، ومراد يرى ذلك ويرى مدى كذب الإنسان، ونام الجميع، وأنا كل ليلة ما أزال أكتب في دفتري، وأمسك دميتي، أحكي لها كل أسراري وحكايتي وما يحدث معي، وأنظر لها، وأحضن فيها، فهي أقرب لي من عائلتي، لا أنكر أن عمتي أميرة أحبها كثيرًا، وأحكي لها ما يحدث معي، وكذلك أختي مروة لأنها لا تصغرني إلا بسنة، وأعتبرها مثل مكان الأخ وليست الأخت، لا أعرف كيف أعوض نقص الأخ والفروق التي فعلها أهلي بيني وبين أخي محمد، الذي منذ أن حضنني ذلك اليوم تلك هي المرة الأولى التي أشعر بإحساس الإخوة الحقيقي، عكس ما كنت أعيشه مع مريم وموسى الله يرحمهما، هم السابقون، ونحن اللاحقون.

*****

وما يزال الوضع على حاله، من صفقات وسرقة ونهب وحرق ودمار لأرواح الناس وكل ذلك المسبب الوحيد له عبد الواحد والمعتصم بالله وأمير ومصطفى لا أعرف كيف ستنتهي الحكاية بالخير أم بالشر؟

*****

وذهبت سُهَا للجامعة مع رتاج ورآها حبيبها أنس، وقال في نفسه:

-"هذه هي رتاج؟ سترى أيام أسود من سواد الليل، ليعود الماضي من جديد، وأصبح أستغل في هذه الغبية صاحبة الحب سُهَا وكذلك رتاج ومن ورائهما سأصبح مليونير".

*****

واستمرار الحال من المحال،

وبقيت عمتي ليلى تصارع الموت مع أسامة، وسليم دخل مع عبد الله في أمور ليست جيدة، كشرب السجائر والمخدرات ويمارسان الفاحشة مع فتيان آخرين، وهذا منتشر

الآن! وعمتي أميرة لا تزال ترجو من ربها أن تفيق أمها فاطمة من الغيبوبة، أما مصطفى أيامه مع سمر وعائشة، وأمير يحاول التحرش دائمًا بمروة، وما بقي معرفة السر المدفون الذي لو انكشف سيغير من حياة ونفسية مراد كثيرًا، ولكن سيؤدي به إلى الأسوأ والأسوأ، واستيقظ صباحًا، لأول يوم دارسي له في مرحلته الثانوية.

*****

ما يزال حال المدارس متجه إلى الدمار، تحرش المدير بطلابه، وأحيانًا الأستاذ، وأحيانًا علاقات تجمع بين الفتيان لبعضهم، والفتيات لبعضهن، وهذا ما جرى معي في أول يوم، وسمعتهم يقولون:

-"أتسمعون يا شباب عن حالات الاغتصاب في المدارس؟"

-"لا، أخبرنا".

-"بحثت على برنامج الجوجل، ووجدت أشياء تفجع، مثلًا في مدينة الغردقة بمصر حارس اعتدى وهتك عرض طالب إعدادي وبعد ذلك قتله، في داخل العمارات السكانية، أو ذلك مدرس الألعاب الرياضية في الغردقة كذلك تعدى على تلميذ بالصف الأول الابتدائي، وآخر عمره ثمانية وستين سنة اعتدى على طفل عمره أربع سنوات داخل دورة مياه المسجد".

سمعت كل هذه الأخبار زاد خوفي ورعبي، وزاد ألمي ووجعي على نفسي، وحقي الذي لم يأخذه أحد من هؤلاء وصمت أبي بمبلغ من المال كي لا يخسر شغله معهم وباعني مقابل ذلك، كنت أريد شخص يحبني يعطف ويهتم ويخاف على نفسي أكثر مني، ولكن أين سأجده؟

*****

ظل حالي هكذا طوال هذه السنة، أبكي وأبكي ويتصل كل مرة شخص من رجال الفيسبوك وأذهب معهم، وأحيانا أضعف وأفكر أن هذا هو الحب وأستسلم لهم، وأحيانا أكره نفسي لأنني أريد هذا الشيء، وتأتي لي أفكار ودائمًا أرى كل ما يحدث حولي ولم أتحدث أو انطق بكلمة، وأصبحت أبتسم لكل شيء، وجاء فجأة جدي يدور حول رأسي، وتذكرت كلامه الجميل الذي أقول كل ليلة ليته موجود لكانت حياتي أجمل معه، وعادت لي الابتسامة من جديد، والفرحة والسعادة تدخلا قلبي، لتزرع

فيني الأمل والحب والطمأنينة والراحة والأمان، وأشياء كثيرة جدًا:
-"ضع هذا حلقة في أذنك، لا يوجد إنسان سعيد، كل شخص وله هم، ومن نراه يبتسم كثيرًا ويلهو كثيرًا يكون لديه أوجاع كثيرة، ولأن نفسيتنا هي من تتحكم بنا وبمشاعرنا وبكلامنا وبأفعالنا أيضًا، ونحن نكذب ذلك، العقل يكذب، والقلب يصدق، وتبقى المقارنة هنا الأصعب، وبما أن القلب يصدق، فإنه هو من يتألم، وتصبح وراء هؤلاء الناس ابتسامة بمائة ألف دمعة وجع وألم وذل وقهر، لا يراها غير صاحبها".
-"فهمت كل شيء، إلا شيء واحد، كيف لا يراها إلا صاحبها؟ لأن الناس ستراك حين تبكي!"
-"سأعطيك مثال: هناك حريق، وهذا الحريق أخذ شخص واحد فقط، هل الشخص الذي لا يحترق سيشعر بشعور ذلك الذي يكون وسط الحريق، طبعًا لا
-"فهمت الآن!"
-"تذكر كلامي لأن في المستقبل سيصبح الوقت مخيف على الصغير والكبير، وتقول ما هذا، أنا أتألم رغم صغر سني! وكما قلت لا أحد سعيد، ولا غائب سيعود، ولا ذكريات تنسى، ولا أحد يشعر بما تشعر به! ولا أحد يستحق الثقة، إما أن تعيش كوحش، وإما تأكلك الذئاب".
وبعد ما رجعت الذكريات لتذكرني بهذا الكلام، قلت في الوقت الحالي:
-"الآن صدقتك يا جدي! لا ذكريات تنسى، ولا غائب سيعود، ولا أحد سيشعر بما تشعر به!"

*****

وبعد مرور فترة من الزمن،
جاء اليوم الذي ستتغير فيه حياة مراد ولكن للأجمل كبداية فقط ليس إلا.

*****

استيقظ مراد وكانت تلك عطلة نصف السنة الدراسية، لن أنسى ذلك التاريخ في حياتي، في أول يوم، من شهر فبراير، في سنة ألفين وثمانية عشر، تغيرت حياتي، وأصبحت أحبها في البداية، جعلني أعشقها وأشكره على ذلك، وتمنيت ذلك أن يستمر حتى بقية حياتي التعيسة، غيرت ملابسي، ومشطت شعري، ووضعت عطري، ودخلت الحمام،

من وحدتي بعد موت مريم وموسى أصبحت أتجول في منطقتي، لا أعرف ماذا تغير في؟ قالوا لي لا تلبس هذه البنطلونات الضيقة، في داخلي لا أحبها، ولكن كنت ألبسها كي أجذب الناس لأنني أعرف لم يحبُونِي إلا هكذا، وأريد أن أحب فتاة، وهي تحبني، ولكن لم أجدها، وهي لا تريدني، أفرح كثيرًا عندما تتصل امرأة وتكون قد اتصلت برقم غير صحيح أتخيل شكلها، وأننا نعيش سويًا، وتحبني! كلها أحلام كانت لي، أصنعها في مخيلتي فقط، ولم يتحقق منها شيء حتى الآن، وهل سيتحقق؟ وهل النتيجة ستكون بخير؟ وما المنتظر؟ كل هذا لم أعرفه، كنت أجري وراء نقصي، ووراء وجعي، وألمي، وكسري، في كل مرة، عندما أذهب مع هؤلاء الرجال، أعرف إنهم لم يحبوا إلا جسم مراد، وليس روح مراد، كم كنت أتمنى أن يأتي شخص، ويحبني، ويخاف، ويعطف، ويهتم بي، أريد أن أكون له الحياة، لا يستطيع العيش بدوني، لا أعرف ولكن لا يوجد شخص كهذا، ستسألون لماذا؟ ببساطة لأنه لن يستطيع أخذ هذا الحمل، وتحمل جميع هذه الأدوار والشخصيات، دور أمي، ودور أبي، دور أخي، دور صديقي، ودور الحبيب، دور جدي الذي رحل وتركني بمفردي، ودور جميع الأشخاص ويصبح معاملتهم معي كإنسان طبيعي، وليس بما يصفوني به، وذهبت بعدها إلى الشارع، والتقيت بعمتي ليلى وسمعت صوت صراخها، والجيران على الباب يحالون خلع الباب لإنقاذها من بين يديه، وسارة تصرخ وتبكي، سليم الذي ضاع ولا يتذكر شيء من الدنيا، سوى الخمر والشرب والجنس(اللواط)، وأبوه لم يهتم لذلك، وليلى تتعذب وسط ذلك، ووجدت نفسي أركض، وأركض، ووضعت يدي على رأسي، ورأسي منخفض للأسفل، واصطدمت بشخص، وكدت أقع على الأرض فأمسكني، وشكرته، وذهبت أركض، وأركض، حتى وصلت للحديقة، شكيت همي قليلًا لله، وتذكرت كلام جدي الذي لم يكن هناك سبب لأتذكر هذا الكلام ولا أعرف لماذا جاء في بالي، عندما قال لي:

-"أتعرف يا مراد؟ إن الله سيجلب لك شخص على هيئة حياة، يتصرف معك كما يتصرف مع الزجاج لا يخدشه، ويكون ظلًا، ولا يتخلى عنك وقت الشدة، وستجده يشبهك في أشياء كثيرة، ستكون دموعك غالية عليه، وسيقاسمك وحدتك، ويحمل همك، ويسأل عنك ولا يغضب عنك إذا غضبت منه ولا يعرف النوم حتى يعتذر منك، ولا يتحمل كسر خاطرك، ولا فراقك".

-"جدي، أهذا شخص عادي، أم شخص آلي؟!"
ضحك جدي كثيرًا:
-"يا مجنون، هذا ليس شخص عادي ولا شخص آلي".
-"ماذا هو إذن؟!"
-"هو الحياة فقط، وهل هناك بعد الحياة شيء".
*****

استغربت كثيرًا من أنني تذكرت ذلك الكلام، هل هذه إشارة من الله، أو تنبيهات، أو لا معنى لها! وذهبت إلى النادي الرياضي القريب من بيتنا، وهنا دخلت له، ووجدت أشخاص كانوا معي أصدقاء على الإنترنت، منهم من رأيته قبل ذلك، ومنهم من رأيته لأول مرة، وجلست على الكرسي، وصار الجميع حولي ينظرون إلى ويرمون الكلام بطريقة غير عشوائية، وأنا أصبحت في زاوية بنفسي، ومكتف الأيدي كلما أريد أن أخرج أخجل، خوفًا من نظراتهم لي، وبعدها قررت الرحيل ونهضت، كان هناك شخص جالس بجانبي ويدعى فرج قال:
-"إلى أين أنت ذاهب يا مراد؟"
أصبحت مصدوم بذلك وقلت له بغرابة:
-"كيف عرفت اسمي؟"
-"أنا أعرفك ولكن أنت لا تعرفني".
-"عرفتني من الإنترنت أليس كذلك؟ لأنك صديق لي ولكن لم نتحدث من قبل؟"
-"لا، لأنني جاركم، خلفك".
نظرت خلفي، وقلت له:
-"لا يوجد أحد خلفي".
ضحك بصوتٍ عالٍ، واستفزني ذلك كثيرًا، وقال لي:
-"أنت طيب، خلفك أقصد أنني خلف شارعكم، كنت جار عمتك ليلى، أليست هي خلفكم؟"
-"اصمت، اصمت، وكيف عرفت عمتي؟"
-"وكذلك أبوك مصطفى، وعمك أمير وأنور وأعرف ابن عمتك ليلى سليم وكذلك ابن

خالك عبد الله".

-"أنت قلت لي دفتر العائلة كله!"

-"من أجل أن تعرف فقط".

ونهضت وكنت أريد أن أخرج، وفجأة، جاء شخص، لقد رأيته، دخل قلبي لا أعرف لماذا؟ كانت ملامحه جذابة، عينان بنيتان غامقتان، وأنفه مسطح قليلًا ولكن جميل، وشفتان صغيرتان مائلتان للبني، وبشرته لونها مثل البندق أو القمح، ولديه ذقن قليلة بألوان الأسود والبني، وصوته الرفيع، وشعره المجعد الكثيف، وكان لديه كسر في أسنانه الأمامية، وندبة جرح على حاجبه، قصير القامة نوعًا ما، وجسمه رشيق، وابتسامته تشع بالحياة والحب، دخل إلى ذلك الملعب ومعه شخصين، وقال:

-"كيف حالكم، يا شباب؟

-"نحن بخير، وأنت يا إبراهيم".

وقلت في نفسي:

-"اسمه إبراهيم، وكأنني رأيته من قبل"، وبدأ فكري يجول، ولم أتذكر.

وقال فرج:

-"ماذا بك يا مراد؟"

-"لا، لا شيء".

وقال إبراهيم في نفسه:

-"مراد، مراد، ولكن رأيته قبل الآن، سأتذكر أين؟"

وأصبح إبراهيم يخرج ويدخل من ذاك الملعب، حتى أخذ طفل صغير وذهب به إلى نهاية الملعب ليتظاهر أنه يلعب معه وظل ينظر إلى مراد طوال الوقت كي يتذكره، وبعدها خرج مرة أخرى، وفي ذاك الحين قرر مراد الخروج، وقال:

-"يا فرج أريد أن أذهب الآن، وتشرفت بمعرفتك يا جاري الذي لا أعرفه على الإطلاق".

-"لماذا؟ ابقَ قليلًا؟! أما على المعرفة لأننا قد أخذنا منزل هنا قريب من النادي لأنني ألعب هنا ولا يوجد مسافة خمس دقائق وأكون أمام منزلك نحن في منطقة واحدة".

ارتعب مراد من هذا الكلام، وكان واضحًا على وجهه، وقال له فرج:

-"لا تخف، أنا أمزح فقط، اذهب الآن، وكلمني على الإنترنت".

-"لماذا أكلمك؟"
-"لا تكلمني إذن!"
-"أنا أمزح فقط".
وضحك كلاهما، ونهض مراد وخرج أمام باب الملعب، وكان إبراهيم يريد الدخول، ومر كلاهما جنب بعضهما البعض، وشعر مراد حينها أنه وجد الحب، وجد من يعوض له كل السنوات التي ضاعت من عمره أمام عينيه، يعوض له غياب الجد، والأم، والأب، والأخ، والصديق، والحبيب، لأنه لأول مرة في حياته يرتاح لشخص بهذه الطريقة، وشعر لأول مرة أنه مستقل ويتحدث مع الناس بطلاقة، وأن هناك أمل قريب، وسينير حياته، ولكن الصدمات تلاحقه وستنتظره، هكذا هي الدنيا تفرحك بشيء لتوضح العكس وتبقى على هذا العذاب بقية حياتك.
*****
ورجع مراد للمنزل سعيدًا، وقال له مصطفى:
-"ما سر هذه السعادة؟! لو كنت فزت بجائزة اليانصيب لن تفرح لهذه الدرجة".
-"لأن السعادة ليست بالمال يا أبي، بل أن تعيش براحة نفسية".
-"و أصبحت تعلمني الآن وكبرت، ما رأيك بأن أجلب العصا وتضربني؟!"
-"ليس هكذا كان قصدي!"
وخاف مراد ونزل للأسفل لأميرة، وهي كانت مع أمها فاطمة وقالت له:
-"ماذا هناك يا مراد؟"
-"أبي ورائي ويريد أن يضربني!"
دخل مصطفى وقال:
-"سأربيك من أول وجديد".
ردت أميرة قائلة:
-"أنت جلست معه قبل أن تربيه، عشت معه طفولته، الإجابة لا، فلن يحق لك أن تفعل له شيء، مراد أخرج من الغرفة سأتكلم مع والدك قليلًا".
وخرج مراد من الغرفة، وبقي أمام الباب كي يسمعهما:
-"أتتذكر يا مصطفى لماذا حصل مع أمي هكذا؟"

-"لماذا هذا السؤال الآن؟"
-"كي أذكرك بما فعلته بسوزان، تلك الطيبة التي ضحكت عليها لإشباع رغباتك والحصول على ما تريده، ماذا سيحصل بمراد عندما يعرف برأيك؟ أو ذلك الرجل العجوز الفقير الذي لم تعطيه فرصة والناس كذبته وصدقتك أنت، وعندما رأيته مع مراد ارتعبت أن يقول له شيئًا، صحيح مثل ما يقولون لا أمان للبشر، والمظاهر خداعة".
-"بلا مواعظ وحكم الآن، والأهم أن تحافظي على نفسيته حتى وصول عمره ثمانية عشر عامًا".
-"لماذا؟"
-"لا تكثري في الأسئلة، عديمة الجدوى!"
-"لأن أبي كان كاتب في الوصية لا يعطيك المال إلا عند وصول مراد لهذا العمر، أليس كذلك؟ لم أعرف أنك بهذه الحقارة والاستغلال، هذا ابنك من لحمك ودمك، ابنك الأول، الحفيد الأول للعائلة".
-"ولكن ليس الأول لدي، الشرف أهم".
-"يا خسارة، يا نذل، بسببك أتتذكر؟ بسببك، وأنت لا تعرف أنهم يضحكون عليك في كل مرة ولا يريدونك ولا يريدون بك خير، ويعرفون أن نقطة ضعفك المال والجاه والشرف والعزة، ولكن لن يدوم شيء لأحد إلا لله وحده، وستحاسب على جميع أعمالك من البشر ومن الله".
-"اصمتي، وبلا كلام فارغ ولا يوجد له أي فائدة".
-"اخرج الآن من الغرفة".

*****

بعدما سمع مراد هذا الكلام، ذهب لغرفته، وأغلق الباب، وأخذ دميته التي كانت على شكل أرنب، ويتكلم لها ويبكي بحرقة:
-"أسمعتِ ذلك الكلام؟ أبي ماذا تكلم على ابنه؟ إنه لا يحبني، لا يريدني، تمنيت أن أكون مكان محمد ليحبوني، كنت أريده أن يأخذني معه في السيارة يعلمني عليها، يحتضنني بصدق، يخاف ويهتم، أسألك سؤال؟ أأنت كذلك لا تحبني؟ لا تحبني صحيح قولِيها لن أحزن منك، لماذا لا تتكلمين معي؟ أتعرفين شيئًا إنني لا أريد أن أقول

كلمة تكرهني، كي لا أحسها ثقيلة على صدري، ومع ذلك عندما أقول لا تحبني لأي شخص قلبي يترجمها للكراهية، وأصبح أتألم أكثر وأكثر، وبعد سماعي كلام أبي، والكلام الذي قلته، تذكرت كلام جدي عندما قال لي:

-"يا مراد، تذكر إن في هذا الوقت وفي زمننا هذا أصبح حبل الكذب طويل والناس كانت صغار تلعب مع بعضها، كبروا وأصبحوا يلعبون على بعض، والظفر يخرج من اللحم، والدم سيصبح ماء، والذي يمشي جنب الحيطان يصبح خائف، وأنت والغريب على ابن عمك، الجاهل سيرتقي للأعلى، والمتعلم سينزل للأسفل، وصاحب الأخلاق متخلف، والذي يسرق وينهب سيصبح شيء كبير، والطيب هو أكثر شخص سيتعذب، والوفي سيكون لعبة في الأيادي، والصديق يزيدك في ضيقك ضيق والطعنة تأتي منه، والزمن مر ولن يرحل حتى يقتلنا ونرتاح ويرتاح".

*****

فكرت كثيرًا، أين الراحة؟ أين الحب والأمان؟ الإجابة لا يوجد.

*****

هناك أشخاص كثيرون يفكرون أن الراحة تكون في حفرة القبر، وينسون ما فعلوه في حياتهم، والعقاب سيكون أشد بكثير، اعمل الآن وستلقاه غدًا.

*****

وأخرج مراد ورقة صغيرة من حقيبة المدرسة، وكان موجود فيها رقم، وقال:

-"أتصل، أو لا أتصل، أتصل، أو لا أتصل، أتصل، أو لا أتصل".

وظل يردد هذا الكلام حتى جاء الصباح.

*****

وذهب للمدرسة، وخرج بعد ذلك، وذهب مع صديق معه في المدرسة ليأخذ منه كتابه، ويشرح له بعض الدروس، وعند وجود مراد أمام منزل ذلك الشاب، الذي كان بيته في الشوارع التي بعد بيت مراد وفجأة مرت سيارة من أمامه وكان موجود فيه فرج وإبراهيم، وضع مراد يده على قلبه، وشعر بشعور وإحساس غريب وكان قلبه يدق من الفرحة والخوف ذات الوقت، وقال فرج:

-"يا مراد، تعال وصافحنا".

صافحهما مراد وقال:
-"كيف حالكما؟"
-"الحمد الله، وأنت؟ كيف حال أهلك؟"
-"الحمد الله الجميع بخير".
وكان إبراهيم موجود في الكرسي الذي بجانب كرسي السائق، ولم يتكلم بشيء، سوى أنه ظلت عينه على مراد، وقال مراد:
-"أتعرفان بعضكما؟"
أجاب فرج وقال:
-"نعم، منذ زمن طويل إنه رفيقي وصديقي الروح بالروح، توأم روحي نوعًا ما"
-"الله يحفظكما لبعضكما، لم أتوقع أن تكونا صديقين".
-"وأنت هل لديك أصدقاء وحب".
-"أنا؟"
-"نعم، أنت، وهل هناك أحد غيرك؟"
صمت مراد ونظر إلى إبراهيم، وكان كلما ينظر إليه يغير اتجاه وجهه، وجاوب مراد بخيبة أمل:
-"لا يوجد".
-"ولكن سيصبح بدل كلمة لا يوجد، يوجد".
-"وكيف ذلك؟ ومن هو؟"
-"يمكن أن أكون أنا، هل يوجد مانع؟"
ضحك مراد وقال:
-"أنت جاري قبل كل شيء، وغالي على قلبي كثيرًا".
-"تعال إلى النادي، وقلت لي ستكلمني ولم تكلمني".
-"سآتي قريبًا، وبالأمس قد مرضت قليلًا".
-"نراك إذن".
وذهبا فرج وإبراهيم وقال مراد في نفسه:
-"أشعر وكأن حياتي ستتغير، وقال لي نراك أي هما سويًا، كم جميل إبراهيم وما يحصل

لقلبي أول ما يراه يخفق بشدة، ولا أعرف ما هذا الشعور!!"
ورجع مراد للبيت، وتكلم مع فرج على الإنترنت، وسأله عن إبراهيم وأعطى فرج رقمه لمراد وقال له:
-"هذا رقمه واعمل ما تراه مناسبًا".

*****

أصبحت الصدف تتوالى بينهما يومًا بعد يوم في المطعم، وأمام المتجر والحلاق، وأمام القهوة، وعلى الطريق، كان الله أراد أن يجمعهما، كي ينير حياته، وكي تصبح أجمل وأفضل، ويصبح هو فقط الشيء الوحيد الذي يسعده!

*****

لم يتحمل مراد ذلك، بعدما فرج سجل صوت لإبراهيم وهو يتكلم عليه وعلى أخلاقه وأسلوبه وأناقته وشكله وملابسه، ومع ذلك لم يتصل به، بل أرسل له على الإنترنت، رسالة واحدة، ولم يكتب فيها، سوى السلام ولم يجب إبراهيم لأن شاشة هاتفه مكسورة، وبعد يومين أصلحها، وتكلما سويًا، وذهب مراد ليراه، وصعد في سيارته، وقال:

-"مرحبًا، كيف حالك؟"

-"الحمد الله، وأنت؟"

-"الحمد الله".

وكان مراد صامت، إلا إنه يشاهد إبراهيم ويبتسم، وقال إبراهيم:

-"كف عن النظر".

-"أخجلت؟"

-"تقريبًا، ألا تتذكر أني أرسلت إليك على الإنترنت منذ زمن؟"

-"لا أتذكر!"

وكان مراد في نفسه، يقول:

-"كانوا كثيرون كيف أتذكر"، واستغرب من إبراهيم لم يفعل نفس الشيء".

ورد إبراهيم:

-"أين سرحت؟"

-"أنا معك".
-"يا ليت دائمًا معي، ولم تجبني على الإنترنت، ألا تتذكر؟"
ربط لسان مراد ولم يعرف ماذا يقول؟ لأول مرة شخص يقول له يا ليت دائمًا معي، وقال له:
-"سأبحث عن المحادثة وأخبرك".
-"كيف حال دراستك؟"
كانت الأسئلة تتوالى هكذا طيلة حياة مراد لم يسأله عليه أحد إلا إبراهيم وبعد كل هذا الكلام، سأل مراد إبراهيم:
-"ما هو أفضل شيء في حياتك؟"
-"وجود أمي".
-"أمك تحبك!"
-"نعم، كثيرًا، وهل هناك أم تكره ابنها؟!"
وأصيب مراد بقشعريرة وابتسم والدمع وسط عينيه.
-"نعم، ليس هناك أم تكره ابنها، وأريد أن أسألك سؤالًا؟"
-"ما هو؟"
-"أنت لا تريد أن تؤذيني، أليس كذلك؟"
-"نعم، ولا تفكر في شيء كهذا".
-"حسنًا، ولا تريد مني شيئًا معين، أليس كذلك؟"
-"نعم، تأكد من ذلك، نريد أن نصبح أصدقاء فقط".
-"طمأنتني كثيرًا، لننتقل إلى الأسئلة الشيقة والمثيرة".
-"حسنًا، اسأل".
-"وما هو أسوأ شيء حدث في حياتك؟"
-"وفاة صديق عمري أحمد، وعندما تركت حبيبتي سلسبيل".
-"كيف حصل ذلك؟"
-"أحمد توفي في الجبهة بتفجير لغم، وسلسبيل كانت تدرس معي، وعمتي أرادت أن تأخذني لبنتها فقالت لي إنها قد خطبها شخص، ولم يكن لديها هاتف كي أعرف شيء،

وأنا لقد درست حتى وصلت الشهادة الإعدادية وتركت، وخطبت بنت عمتي، وبعد فترة عرفت أن هذا الكلام كله كذب وأنها ما تزال في بيتها".

-"إنها قصة في غاية الحزن، أنا معك سأصبرك على هذا، ولديك فرج وأصدقائك المقربين هنا كثيرون جدًا، ابتسم".

-"أنا سأبتسم لأنني معك فقط".

-"لننتقل للسؤال الأخير، ما هو الشيء الذي تمنيته ولم يحصل؟"

-"تمنيت، ولكن حصل".

-"وما هو؟"

-"شيء جميل جدًا".

-"أنا أعرفه، وما هو؟"

-"شيء اسمه مراد تقريبًا".

*****

كانت تلك هي أسعد لحظات في حياة مراد الاهتمام والحب والراحة والأمان التي لم يشعر بها إلا مع إبراهيم، وكان مصطفى يتصل على مراد، وقال مراد:

-"إبراهيم أريد أن أرجع حالًا".

-"ماذا هناك؟"

-"أبي يتصل، نسيت أن أسألك سؤال؟"

-"ما هو، أيها المجنون، ألست الآن كنت خائف؟!"

-"كم هو عمرك؟"

-"ثلاثة وعشرون عامًا ولدت في شهر يناير يوم السابع والعشرين، وأنت؟"

-"سبعة عشر، أي الفرق بيننا ست سنوات".

-"لنذهب الآن، ونتكلم غدًا، يجب أن أراك ثانيةً، لقد ارتحت للكلام معك، وأحببت كل شيء معك".

*****

والوقت الذي وصل فيه مراد إلى المنزل، كان هناك مفاجأة ليست سارة، طرق الباب، وفتح له الباب أمير:

-"لقد أتيت أيها الحقير، ادخل الآن".

ومسكه أمير من رقبته، أدخله إلى وسط المنزل، ورماه على الأرض، وكان الجميع موجود مصطفى وعبد الواحد والمعتصم بالله وسليم وعبد الله.

وقال مصطفى:

-"أنت قد خفضت رأس العائلة للأسفل".

وأخذ مصطفى يضرب في مراد، يمين ثم يسار، وكذلك أمير والمعتصم بالله، وكان مراد صامتًا لا يتكلم.

وقفز سليم وقال:

-"لقد رأيته عدة مرات مع عدة أشخاص".

وقال عبد الله:

-"نعم وأنا كذلك ويأتون أصدقائي ويخبروني، وأقول لهم إن أخبروكم من يكون لا تقولوا إنه من عائلتنا نهائيًا، لن أتشرف بك أبدًا".

*****

ويرى مراد كل هذا وصامت، وكان يقول لنفسه، لما أنا هكذا دائمًا، مثل الدمية بأيديهم جميعًا، إلى متى هكذا؟! إلى متى هكذا، وعبد الله الذي لا يعرفون ماذا يفعل هو وسليم، لم أستطع أن أخبر أحد لأنني كنت أقول قلبي طيب لدرجة أن من أهداني الوجع، لا أريد رؤيته موجوع، وتؤلم دائمًا الدمعة التي تسقط من شدة القهر، وأنت صامت.

*****

وأخذوا هاتف مراد وكسروه، ولم يبق لديه شيء بعد ما رجع وكان سعيدًا جدًا انقلبت عليه هذه الفرحة، وعاش أجمل أسبوعين من عطلة نصف السنة مع إبراهيم الذي كان يتمنى مراد أن يأتي شخص مثله، أو ليس شخص مثله، بل كان يريد هذا الاهتمام فقط، وكان عبد الله وسليم هما السبب في ذلك، عندما رأياه مع إبراهيم لأنهما معه في نفس النادي ويريدان التخريب بينهما، هل كان إبراهيم يريد الأذى بمراد؟ أم كان يريد شيء آخر؟ أم كان حب واهتمام طبيعي؟ لا أحد يعرف الأسباب حتى الآن!

*****

وبعد مرور شهر.

رجعت حياة مراد إلى طبيعتها المزيفة القاهرة لأي شخص يعيش مكانه ولا أحد يحسده عليها، لم يعرف كيف يتصل بإبراهيم؟ أو ماذا يفعل؟ أصبح يتخيل طيلة هذا الشهر أيامهما، ومع أنها لم تكن إلا قليلة، ويحزن كلما يخطر على باله إنه لم يهتم لوجوده كل هذه المدة، ويقول في نفسه حتى لو جاء لن نصبح مع بعضنا، عائلتي سترفض ذلك! لأنه أكبر مني بست سنوات، وسيعرضون أكثر بعد آخر شيء حصل معي، حفاظًا على العائلة وليس على وجودي، ومن الصدفة التي حصلت، إنه جاء لي أحد معي في المدرسة وقال لي يرسل لك إبراهيم تحياته، ويقول لك أين أنت طوال هذا الوقت؟ انشغلت عليك.

*****

لم يصدق مراد ذلك من شدة الفرحة، وخرج يبتسم من المدرسة، ودخل للبيت مبتسم، ونام مبتسم، لأول مرة يفتقده شخص، وفي المساء، ذهب إلى باب ذلك النادي، ووجد إبراهيم، وفجأة خاف مراد، ورجع، وأصبح يركض، وإبراهيم وراءه ويُصَفِر له، حتى جاء عند الطريق، ومرت السيارة، فلم يستطع مراد العبور، ونظر خلفه، ووجد إبراهيم، فضحكا، وجاء مراد أمامه، وذهبا أمام منزل إبراهيم، جالسين على الكرسي، وقال إبراهيم:

-"لماذا هربت مني؟"

-"لا أعرف! مع ذلك كانت لهفة ودهشة اللقاء بك كبيرة، ولكن خفق قلبي كثيرًا ووجد نفسي أركض".

-"وأنا كذلك ارتبكت وأصبحت أركض وراءك، بعد كل هذه المدة انشغل بالي كثيرًا عليك، لم أصدق عيني حين رأيتك!"

-"أنا بخير".

-"ولما كان هاتفك مغلق".

-"لقد انكسر مني ولكن سأجلب هاتف جديد، لأكلمك دائمًا"

-"غدًا سيكون الدفع على بنت عمتي، أريدك أن تأتي".

شعر مراد حينها أن إبراهيم يضيع من بين يديه، وقال:

-"وما زلت تحب سلسبيل، أليس كذلك؟"
-"نعم، وأحب هذه كذلك، ولكن مكانة الأشخاص تفرق كثيرًا يا مراد".
-"نعم، صحيح".
-"ستأتي غدًا".
-"سوف أرى ما سيحدث معي، إن شاء الله خير".

*****

وقدم لي القهوة، والعصير، وجلب لي جميع المأكولات، وتكلم لي عن مغامرته مع الفتيات، وتكلم لي عن جميع أسراره، وتعرفت على أمه المصرية عمتي شربات وجدته، وأولاد أعمامه، ولقد كان إبراهيم وحيدًا، لكنني أحببت هذه العائلة كثيرًا، بعد أن زاد تعلقي بإبراهيم يوم بعد يوم، وهو كذلك كان نفس الشعور، أصبحنا دائمًا نتشاجر مثل توم وجيري ولكن لا نستطيع الاستغناء عن بعضنا، كان يعتبرني صديقه وأخاه الذي حرمته منه الدنيا، وهو كان لي الحياة جميعها، وجع أهلي، القهر والألم الذي كنت أعيشه معهم نسيت كل ذلك معه، أحببت الحياة لأنه فيها، أصبحت لا أستطيع أن أعيش من دونه بعد الآن، وسأغلق الدفتر، أمي قادمة، سأحكي لكم غدًا.

*****

واتصل إبراهيم بمراد، وقال:
-"اشتقت لك كثيرًا، أستطيع رؤيتك الليلة؟"
-"اليوم لا أعرف يمكن غدًا، أو الذي بعده".
-"هذا كثير جدًا، لا أستطيع التحمل هكذا، أريدك دائمًا بجانبي نذهب سويًا، وننام سويًا، ونأكل سويًا، وأن نعيش مع بعضنا دائمًا، تأتي وأكون أنا وأنت وأمي وأبي، أأنت موافق؟"
-"موافق، لكن بشرط".
-"وما هو؟"
-"أن تشتري لي الخوخ كل يوم، وأن تحضنني كذلك".
-"هذا الشيء مقدور عليه، هل هناك شيئًا آخر؟!"
-"رائحة قدميك عفنة جدًا، لا تنام بجانبي إلا وغسلتها، وأن تغسل أسنانك بالمعجون

كل يوم".
-"وسنلعب بالألعاب الإلكترونية كل يوم، وسنمشي أمام جميع الناس ليقولوا هذا إبراهيم ومراد هما الحياة لبعضهما الصديقين والحبيبين والأخوين وكل شيء".
-"وأن نأكل الشوكلاطة والذرة مع فيلم رعب في المساء".
-"تعرفني لا أحب الرعب".
-"وإذا مراد أحبه معنى ذلك إبراهيم ماذا؟!"
-"سيحبه".
-"شاطر أخي ومحترم ويسمع الكلام".
-"نعم سنعيش سويًا".
صمت مراد قليلًا وقال بحرقة قلب وخيبة أمل وبصوت كله ألم:
-"جميلة الأحلام، أليس كذلك؟ لا تجعلنا نكذب على بعضنا ونصدق ذلك ونعيش في وهم".
-"ولكن ذلك سيحدث".
-"مع عائلتي، ذاك مستحيل".
-"تأكد، سيحدث".
-"جميع الناس تفهم العلاقة بيني وبينك وفرق العمر بطريقة خاطئة كليًا".
-"بما أننا نفهم نحن بعضنا فهذا يكفي والمحبة في القلب وليس ما يظهر في الخارج".
وأخذ مراد يبكي، وأغلق إبراهيم الهاتف، وأرسل رسالة:"لا تبكي مرة أخرى، ولن أكلمك لأنني أبكي أنا كذلك، ودموعك غالية جدًا، الله لا يحرمني منك".

*****

عاش مراد أفضل وأحسن وأجمل أيام حياته في ذاك الحين، وانتهت السنة الدراسية، وبقي طيلة شهر رمضان مع إبراهيم يكلمه طوال الوقت، ويذهب إليه بعد الإفطار، حتى قبل وقت السحور، ويرجع للبيت ويظلان يتحدثان على الإنترنت، وانتهى هذا الشهر بهذه الطريقة.

*****

وجاء يوم عيد الفطر ووضع مراد صورة إبراهيم على الإنترنت، ففرح إبراهيم كثيرًا

بهذا، ولكن أناس كثيرين يحكمون عليهما بطريقة خاطئة.

*****

بينما لا تزال سُهَا موجودة في بيت رتاج ورن هاتف رتاج برقم غريب فدخلت غرفتها لتجيب:

-"يا سعد يا حبيبي، أهذا اختبار الحب أعرفك جيدًا؟!"

-"هذا أنا يا روحي".

-"من أنت؟"

-"نسيتني بهذه السرعة قبل ثلاثة سنوات، كنت حبيبك".

-"لم أفهم من أنت!"

-"كانوا كثيرين جدًا، تعرفين جميع من في الإنترنت!"

-"قلت، من أنت؟"

-"أنا الشيطان، أنا ملاك الموت، أنا حصاد الشر، واللعنة".

-"سوف أغلق الهاتف الآن!"

-"إن فعلتِ ذلك صورك ستكون منتشرة بجميع المحادثات".

-"أنس؟!"

-"نعم أنس، أتتذكرين عندما تقولي لي أرسل عضوك الذكري أنا أحبه؟! وأنتِ ترسلين لي جميع صورك عارية؟"

-"اصمت يا حقير!"

-"سأنشأ صفحة على موقع الفيسبوك باسمك وسوف أقوم بتنزيل جميع الصور، ويقتنع الجميع إنك أنتِ من تقومين بتنزيلها".

-"اصمت، اصمت، سأكلم سعد وسيتفاهم معك".

-"يا غبية وكيف سيعرف حبيبك بهذا ويبقى معك، سيتركك فورًا".

بدأت رتاج في البكاء، وقالت له بنبرة حزن:

-"يا حقير، ماذا تريد؟!"

-"أنتِ الآن تريدين مصلحتك، بدأنا نتفاهم، ماذا أريد؟ لدي لكِ مائة وعشرون صورة إذا فرضنا أن الصورة بألف دينار ستبلغ الميزانية مائة وعشرين ألف تقسيط لمدة ستة

شهور فقط".
-"أنت ماذا؟ سأبلغ فيك الشرطة".
-"وأنتِ تفضحين نفسك، هذا لا يعقل!"
-"وأنا كيف سأجلب كل هذا؟"
-"قلت لكِ بالتقسيط، وإن لم تدفعي المال جسمك في كل مرة مقابل ذلك!"
-"يا الله، يا الله، يا الله".
-"هل دخلت في الإسلام هذه الفترة، وأنا لم أعلم؟!"
-"اصمت يا حقير، اصمت يا حيوان".
-"ليس هذا وقت الغلط، لديكِ أسبوع من الآن، ووقتك بدأ".
-"أريد أن أسألك سؤال؟"
-"ما هو؟"
-"ما الذي جعلك تأتي بعد كل هذا الوقت؟"
-"لا تثقي بأحد".
بينما أرسل أنس رسالة نصية إلى سُهَا وقال:
-"إياك أن تجعليها تشعر بشيء لتكتشف ما تفعلينه مع والدها، وأنا أريد باقي الأموال من أجل زواجنا!"
ردت عليه سُهَا:
-"قال لي عبد الواحد سيعطي باقي المال لي الليلة، وسأعطيهن لك بعد ذلك غدًا".

*****

بينما كان سليم يذهب لطريق الهلاك من عدم مراعاة أبيه، وقلة حيلة أمه، على يد عبد الله، يجلب له المخدرات والهروين، والشباب المثليين جنسيًا، المخنثين، بينما أخته سارة كانت مسلمة درجة أولى وبعيدًا عن كل الشبهات والخطايا، وكانت مروة تعيش أصعب شيء يمكن أن تعيشه الفتاة، ومن عمها!، أقرب الناس لها، هل تستسلم له، أو ماذا سيحدث؟

*****

وعندما كانت مروة تضع في الملابس التي غسلتها على سطح المنزل، صعد أمير للأعلى،

وجاء لمسها من خصرها، ورقبتها، ووضع يده في أماكن حساسة في جسمها لا تذكر، وضعفت، لم تجد رجلًا يحبها، فاستغل أمير ذلك، وجعلها تستسلم من شدة جماله ووسامته، ونزلت خائفة ترتعش، وبقية الليل كله تبكي حتى ملأت الوسادة بالدموع، وندمت على ما فعلته، فهذا كان عقاب الله لمصطفى على ما يفعله مع زوجته، مثل ما تخون، يومًا ما شخص سيتم خيانتك أنت أيضًا، وهذا هو عدل الدنيا الذي أغلب الناس لا تعطي له أي اهتمام ولا تؤمن به، إلا بعدما يحصل معها.

*****

وكانا إبراهيم ومراد رمز للحب والصداقة والأخوة، كان حياة مراد كلها عبارة عن إبراهيم، صنع صور مكتوبٌ عليها اسم إبراهيم، يشتري قلوب باسم إبراهيم، ودائمًا يجلب له الهدايا، كلمة سر هاتفه باسمه، يكتب على يده، يطبع صور له، أصبح مهووسًا به جدًا، ومستعد أن يضحي من أجله دائمًا، وجاء اليوم الذي تغير فيه كل شيء، عندما جاء مراد إلى إبراهيم،

فتح مراد يديه واتجه نحوه، قائلًا:

-"أعطيني!"

بينما إبراهيم أراد أن يستفزه قائلًا:

-"أعطيك! أعطيك ماذا؟ أعطيك صفعة على وجهك، قال أعطيني قال، ماذا تحسبني؟!"

-"أيها الحيوان، أريد أن أرحل!"

رفع إبراهيم يده مشيرًا للباب:

-"هذا هو؟"

-"ماذا؟"

-"أتريد أن ترحل قلت هذا الباب!"

-"عديم الإحساس، أيها الحيوان".

نهض مراد وقال:

-"سأذهب الآن ولن تراني طوال حياتك، أتسمعني! والله وأقسم بالله".

صمت مراد ولم يكمل ما يقوله، ورد عليه إبراهيم:

-"إياك والقسم بالله لأني من الآن سأقول لك ذلك، ولا تتعب نفسك ستصوم ثلاثة

أيام".
نظر مراد بغرابة شديدة، وفجأة اتسعت عيناه، وفتح فمه، وقال إبراهيم:
-"ماذا الآن؟ القط أكل لسانك؟"
قال مراد بعصبية:
-"ليس القط، لأنني الكلب الذي سأفترسك، أتعرف نحن مثل ماذا؟"
-"مثل ماذا؟"
-"القط والكلب، دائمًا الكلب يجري وراء القط، وهذا أكرهه في نفسي لأنك نقطة ضعفي وأنت تعرف هذا!"
-"ليس ذلك، بل نحن مثل القط والفأر، أنا القط، وأنت الفأر".
-"لماذا؟"
-"لأن القط يجري دائمًا وراء الفأر، وأنا كذلك أحب هذا الفأر كثيرًا ولا يمكنني الاستغناء عنه أبدًا، لأنك نقطة ضعفي وأنت تعرف هذا!"
ضرب مراد إبراهيم بالوسادة، وبعد ذلك حضنه، وقال إبراهيم وهو يضحك:
-"وأنا كذلك أحبك يا أهبل، هل هناك أحد يكره أخاه؟"
-"لا يوجد، لكن أنت يمكن".
-"أتخلى عن الجميع ولا أتخلى عنك، أتفهم؟"
وبعد خروج مراد من المنزل، اتصل إبراهيم:
-"هل هناك شيء يا أخي؟ أو أنك اشتقت لي ولسماع صوتي".
-"اصمت وحسب".
وضع مراد يده على فمه، وقال:
-"حسنًا، سأصمت".
وبقي مراد صامت لمدة دقيقة تقريبًا، وهو في طريقه يمشي لبيته، وبدأ إبراهيم يصرخ باسمه، ومراد مكمم فمه، ويضحك بهدوء لصراخه، وقال إبراهيم:
-"مراد، مراد، ماذا حصل معك؟"
-"لا شيء، لماذا كل هذا؟"
-"ارتعبت، حسبت أنه حصل معك شيء".

-"لا تخف أنا بخير، ولما أنت اتصلت؟"
-"هل وصلت للمنزل؟"
-"نعم، أنا أمام المنزل الآن".
-"لهذا الشيء أنا اتصلت بك".
صمت مراد في ذهول تام، وقال:
-"لم أكن أتوقع ذلك! وعجز لساني عن الكلام".
-"ادخل وبلا كثرة كلام".
رد مراد بعصبية:
-"لماذا أنت هكذا؟ دائمًا الشيء الجميل تنزعه في النهاية، اتركني أشعر بإحساس جميل".
-"وهل نسيت أنك قلت إنني عديم الإحساس؟"
-"هل سنبقي هكذا مثل القط والكلب؟"
-"نحن القط والكلب، والقط والفأر، سنلاحق بعضنا البعض، ولن نترك بعضنا البعض مثلهم تمامًا، ادخل الآن سأكلمك غدًا".

*****

ودخل مراد للمنزل والفرحة تسكن قلبه وروحه، وفي النهاية وجد ذلك الاهتمام والحب الذي كان يريده، ودخل للغرفة وجد أخته مرام ومحمد وقال:
-"مرام حبيبتي، أين مروة؟"
-"لقد ذهبت لأعلى لتضع الملابس".
-"لتضع الملابس؟!"
صمت مراد قليلًا وقال:
-"أتريدين أن تنامي يا مرام؟"
-"سأبقى قليلًا وأنام، وقالت لي معلمة نوال أوصلي سلامي لأخيك وقالت دعنا نراك".
-"المعلمة نوال، أهذه معلمة العلوم للصف الثالث الابتدائي؟"
-"نعم".
وقال محمد:

-"وأنا أيضًا قال لي معلم إسماعيل أن أبلغك سلامه".

-"حسنًا، حبيبي محمد، من أين هذه الملابس؟"

-"من أبي".

ابتسم مراد وقال في نفسه:

-"مع كل حبي لإبراهيم لن يأتي شيئًا أمام حب أمك وأبيك، لن يأتي شيئًا، هم كذلك يحبوني ولكن هناك فرق بيني وبينهم، ولكن لا أعرف ما هو؟!"

*****

وصعد لأعلى ووجد أمير ومروة في الغرفة الموجودة فوق سطح المنزل، ونزل للأسفل واتصل بإبراهيم وقال:

-"أهلًا يا روح الروح".

-"الآن، الآن وضعت على اسمك وكنت سأتصل".

-"إذن أغلق واتصل بي".

-"يا حيوان".

-"لا تقلدني!"

-"أريد أن أرحل".

-"الباب أمامك".

وضحك كلاهما بصوتٍ عالٍ، كان كلاهما ينبض صوت قلبهما، كان الحب ينبع من روحهما، وبقيت أيامهما سعيدة مع بعضهما، يتشاجران على أتفه الأسباب إن لم يتصل أحد، لمدة يوم واحد، أو تأخر في الرد، أو شاهدا بعضهما البعض مع أشخاص آخرين يتكلمان فقط، الغيرة تشتعل بعد ذلك من شدة خوفهما وحبهما للآخر، وأصبحا يقهران بعضهما بالكلام والأفعال ويستفزان بعضهم البعض، ويخافان ويهتمان ببعضهما، وكان مراد إذا مرض إبراهيم حتى ببرد بسيط يبكي، لأنه لا يريد أن يخسر هذا الحب بعد كل هذا العناء والتعب.

*****

بينما رتاج في تلك اللحظة تعاني من تهديدات أنس باستغلال إما ماديًا، وإما جنسيًا، لدرجة أنها وصلت للسرقة، وبقيت سُهَا تذهب لغرفة عبد الواحد لتقيم علاقة جنسية

معه ويعطي لها المال بعد ذلك، لتعطي هي ذاك المال بحجة أنه سيتزوجها بعد ذلك، لأنها عاشت وحيدة، وأحبت ولم تفهم معنى الحب!!

*****

ضوء الشمس يشرق، من تلك النافذة، صوت العصافير، وتغريد الطيور، نائم في فراشي الناعم، مع دميتي الصغيرة، ودفئ الوسادة، والضوء موجه ناحية وجهي، فتحت عينيّ ببطء شديد، وفتحت فمي من أول استيقاظي من النوم، قلبي يخفق، وأشعر وكأنني سعيد جدًا لأول مرة في الصباح هكذا، وروحي منتعشة من الحب، نظرت خلفي، وجدت شيء لا أعرف إن كان حقيقيًا، ولكن كان جميلًا، من أول نظرة له ابتسمت، شاع صدري وجوفي بالنقاء والصفاء، وهبت نسمة هواء لطيفة، مع قطرات الندى، هذا هو الحب، رأيت إبراهيم أخي، وصديقي، وحبيبي، ونبض قلبي، وأملي بالحياة، كان متكئ على يده وبجانبي، نظرت في عينيه البنيتين وابتسامته الرقيقة، وقلت له:

-"كيف أتيت إلى هنا؟"

-"لقد وجدت الباب السفلي مفتوح، صعدت للدور الثاني، فتحت الباب، وجئت إلى غرفتك".

-"لقد فرحت كثيرًا برؤيتك، كانت أمنيتي أن تكون أول شيء في الدنيا أراه عندما أفتح عينيّ، وأول صوت أسمعه، وأول نفس أشتمه".

-"وتحققت أمنيتك كما تريد".

-"وأنت كذلك هذا كان حلمك؟"

-"نعم بكل تأكيد، والآن استيقظ وانهض من الفراش"، وحضن مراد.

وبعد ذلك، سمعت صوت كان في كل ثانية يزداد صلابة وقوة وينادي:

-"مراد، مراد، مراد، مراد استيقظ وانهض من الفراش، مراد استيقظ وانهض من الفراش".

وفتحت عيني، وكان ذلك حلمًا لأول مرة أحلم بشخص حتى بجدي لم أحلم، وكانت أمي تنادي بعصبية وقوة، ومع ذلك استيقظت سعيدًا جدًا لم أكون سعيدًا لهذه الدرجة في الصباح، وركضت، وأخذت دفتري بسرعة وكتبت ما حدث، واتصل إبراهيم وقال:

-"استيقظت اليوم؟!"
-"ماذا؟ أحلمت أنت كذلك نفس الحلم؟"
-"نعم، ولكن أنت جئت وأنا نائم في حلمي، وأنا جئت وأنت نائم في حلمك".
-"وهذا يدل على ماذا؟"
-"على أن الكره أصبح يزداد كل يوم".
-"ماذا؟ أيها الحيوان!"
-"لا تقل إنك سترحل من البيت".
-"أنا لست في بيتك، ولن آتي إليك مرة أخرى".
-"ستتحمل الاشتياق؟"
-"نعم".
-"ستتحمل الوجع وألم البعد؟"
-"نعم".
-"ستتحمل دموعك من دوني؟"
-"نعم".
-"ستتحمل الاحتياج والقهر وقلة الحيلة في فراقي؟"
-"نعم".
-"ولكن أنا لن أتحمل كل هذا من بعدك يا أخي، وهل ستتحمل موتي؟"
-"إياك وأن تقول ذلك مرة أخرى وإلا ضربتك!"
-"أنا دائمًا أتلقى الضرب منك ومع ذلك أحبه".
-"ولكن لا تأخذ على كلامي بإجابتي بنعم كنت أمزح معك فقط".
-"وأنا أعرف أيها الأهبل، هل ستأتي اليوم؟"
-"لا أعرف يمكن، ويمكن لا، يمكن، ويمكن لا".
-"أنت الخاسر إذا كنت ستأتي أنا في انتظارك".

*****

وبعد ذلك أكل مراد فطور الصباح، ودخل على أخته مروة:
-"صباح النور".

-"صباح الخير يا أخي".
ونظر مراد فيها نظرة بتعمق، وقالت له:
-"يا فتاح، يا عليم، يا رزاق، يا كريم، أخي ماذا هناك؟"
-"بما أنك تعرفين أسماء الله، ما شاء الله، لماذا لا تعرفين الله؟"
-"ماذا هناك يا أخي؟"
-"رأيتك أمس، هذا الشيء حرام، هذا اسمه زنا المحارم لقد ذكر في القرآن، وأنا كلما أتي لأحكي لكِ عن كل شيء يحصل معي وأقول لكِ وأنتِ تتهربين، منذ فترة كان أي شيء قد يحصل تقولين لي وكنت بمثابة بيت أسرارك، والآن ماذا؟"
-"لا شيء يا أخي!"
-"إياك يا مروة أن تفعلي هذا! سيحصل شيء ستندمين عليه بعد ذلك".
-"يا، وتأتي وتنصح وتُمثِل دور الشيخ الطاهر العفيف الشريف، لا تنس ما حصل!!"
دمعت عينا مراد في صمت، وقال:
-"شكرًا يا أختي!"
وخرج مراد، وبدأت الحسرة تأكل في قلب مروة، على ما قلته لمراد، وعلى ما تفعله مع عمها أمير، ولا تستطيع السيطرة فيه.

*****

ودخل مراد على عمته أميرة وليلى عند جدته فاطمة وقال:
-"صباح الخير على أهل الخير".
وردت أميرة:
-"صباح الورد والفل يا عسل".
وقالت ليلى:
-"صباح النور".
وقال مراد:
-"كيف حال جدتي اليوم؟"
أجابت أميرة:
-"ما تزال بنفس حالها، الأدوية لا تأخذ في مفعولها".

وتذكر كلام أبيه والدكتور، وقال مراد في نفسه:
-"الدكتور شادي، الدكتور شادي".
وردت أميرة بخيبة أمل:
-"ستتحسن مع الأيام، مع أن لها سنين ولكن الأمل ما زال موجودًا".
وقال مراد:
-"إن شاء الله، كيف حال سليم يا عمتي ليلى".
أجابت ليلى:
-"وهل ما زلت تسأل عنه بعد آخر موقف فعله معك هو وعبد الله؟!"
-"وهذا الشيء لا يمنع أنه ابن عمتي".
-"إنك طيبٌ جدًا يا مراد، وأما سليم فأصبح مثل أبيه، مع إنه ما يزال في الشهادة الإعدادية، ولا يوجد أحد معي يقنعه أن يذهب ليعالج نفسه، وأبوه لم يهتم لأنه كالعادة فاقد الوعي كليًا".
-"الأيام ستفرحك بسارة، أنا متفائل بهذه الفتاة كثيرًا جدًا".
-"إن شاء الله مثل ما تقول، الله يسمع منك".

*****

وعند الساعة العاشرة مساءً، اتصل مراد بإبراهيم، وردد يقول:
-"الرقم المطلوب مغلق، الرقم المطلوب مغلق".
أصيب مراد بنوبة هلع وخوف وهستيريا بكاء، وكان شعوره ليس أنه حدث شيء لإبراهيم، بل أنه لم يعد يريده فقط، ولم يكن معه رقم هاتف صديقه فرج، ولهذا ذهب إلى بيته خرجت أمه شربات، وقال:
-"عمتي شربات اتصل على إبراهيم هاتفه مغلق".
-"ماذا هناك يا مراد؟"
-"لا أعرف وليس لدي رقم صديقه فرج كي أتصل به".
-"سوف أتصل به أنا كذلك يا مراد!"
-"من أجلي يا عمتي شربات".
واتصلت بهما، وقالت له:

-"فرج كذلك مقفل، لا تخاف دائمًا إبراهيم ابني يفعل هذا".
وكان مراد من شدة الخوف وحرقة القلب والدموع تتقاطر:
-"لا، لا، لا، لا منذ اليوم الذي رأيته فيه أي قبل سبعة أشهر وعشرة أيام لم يغلق هاتفه، هناك شيء حصل معه!"
-"لا شيء، اذهب للمنزل الآن وسأخبرك بما يحدث!"
ورجع للمنزل والدموع على وجهه وبعدها اتصل هاتف مراد وكان المتصل إبراهيم رد بسرعة قائلًا:
-"ألو!! إبراهيم أخي أين أنت؟ أتصل بك هاتفك مغلق".
-"أنا دكتور المستشفى، وجدت معه هذا الهاتف وبحثت عن أكثر اسم يتصل به".
-"لماذا؟ ماذا حصل معه؟"
-"يؤسف أن أخبرك بأنه تعرض لحادث سيارة أدت إلى وفاته".

*****

لا أعرف ماذا حصل لمراد من الصدمة، خسر من كان أمله الوحيد بالحياة، دائمًا ورغم علاقتهما القوية، كان يعرف أنه سيأتي يومٌ ويفترقان، أو كان خوفه من أن إبراهيم سوف يتركه، ويحاول أن يحافظ عليه بأي شكل من الأشكال.

*****

دخل مراد لسيارة الأجرة، وأخذته إلى مستشفى الجلاء للحوادث بمدينة بنغازي، يركض ويبكي، ويصرخ ويردد اسمه، وسأل الدكتور، وهو يبكي بحرقة، وهستيريا بكاء مستمرة، قائلًا:
-"دكتور، أنا الذي كلمته بخصوص إبراهيم، أرني غرفته، مشتاق له كثيرًا".
-"حسنًا، سيأخذك المسؤول إلى الثلاجة".
وأخذه المسؤول، ويقول له مراد:
-"يا دكتور، إبراهيم لا يحب أن يأكل كثيرًا، أخي رياضي، ويحافظ على جسمه".
-"ادخل، هو ذلك على هذا السرير!"
-"يا حبيبي، قلت لك هو نائم قليلًا، وسيستيقظ بعد قليل".
وتقدم مراد للسرير وكان إبراهيم مغطى بالغطاء، وأصبح مراد يبكي بغزارة دون

توقف، قائلًا:
-"يا أخي، كنت سأجلب لك هدية، هذه القلادة لتضعها على يدك، كلما تراها تتذكرني، لماذا هكذا يا رجل؟ لماذا رحلت دون وداع؟ يا ظالم! كنا متفقين أن نلتقي، تركتني وجعلتني وحيدًا، ما زلنا لم نعش شيئًا سويًا، أحبك عندما تفعل حركات سخيفة، أحب أن أكون بجانبك، وتشاجرنا دائمًا، وكل شيء، لماذا؟ هذا ظلم، هذا ظلم!!"
صمت مراد ورفع الغطاء:
-"سآخذك الآن ونذهب للبيت مع عمتي شربات، لا تتركني، لم أشكي لك بعد، لم نفرح بعد، ماذا الآن؟ انتهى كل شيء".
صرخ بعصبية، وظل يبكي:
-"انتهى كل شيء، انتهى كل شيء، لا تتكلم، أنا سأقول، مثل ما قالت شيرين عبد الوهاب في أغنيتها، المعنى أنني لن أراك مرة أخرى، لن ألمسك ولن أتكلم لك عن شيء عني، كنت روحي عندما كان داخلي روح، عمري لم أتخيل أنك يوم سوف ترحل وتتركني وحيدًا بين هذه الجدران".
نهض مراد ونام جنب إبراهيم في السرير، قائلًا:
-"لننم قليلًا، أنا متعب، وأنت متعب، سنذهب سويًا".
فتح إبراهيم عيناه، وقال:
-"أنا لست متعب، من قال هذا؟"
-"ماذا؟"
ضحك إبراهيم كثيرًا على مراد، وقال:
-"لم أعرف إنك تحبني لهذه الدرجة".
-"حرام عليك، والله حرام عليك، تفعل في هكذا".
-"قلت أختبرك عندما فعلت نفسك إنك لن تأتي وقلت لك على الهاتف تتحمل وتتحمل من دوني قلت نعم، وهنا صدمت، وعندما قلت لك ستأتي أصبحت تفكر وتقول يمكن ويمكن لا، وأنا أعرف هنا المسؤول وقلت له أن يفعل فيك هذا المقلب، ووافق".
ظل مراد يبكي بصمت شديد، ولم يجب، وقال له إبراهيم:
-"أنت حيوان ومريض أنا أخوك وأحبك".

-"حسنًا، نسيت كل شيء ولكن تعدني ألا تتركني وسنظل إلى ما لا نهاية".
-"لا نبقى هكذا!"
-"ماذا تقول؟"
-"أتعرف أن كل هذا العالم يموت في كل دقيقة شخص واحد، ويولد شخص آخر في نفس الدقيقة".
-"نعم، أعرف، نحن سنموت سويًا في دقيقة، ويولد شخص واحد فقط في نفس الدقيقة، هذا نحن، شخصين في قلب واحد".

*****

لم يصدق مراد ما يسمعه، ولكنه بدأ في كل لحظة يتعلق أكثر فأكثر، هذا كان مرض وليس حب كما يعتقد، وجد النقص الكبير الفارغ به من عدم اهتمام عائلته به فقط.

*****

ورجع مراد للمنزل، والفرحة كانت تملأ قلبه، والحب داخل روحه من كلامه، وفكر ووجد طريقة ليرد له هذه الحركة، أن يدخل على صفحته الشخصية على الإنترنت، لأن إبراهيم أعطى له كلمة السر الخاصة به، ومنذ أن عرفه ويقول له أن يدخل عليها، ومراد لم يفعل، فقرر أن يدخل ويرى المحادثات، وهنا رأى ما لم يصدقه على الإطلاق، وجد إبراهيم وفرج وباقي الأصدقاء واللذين يقطنون بالقرب منهم، يتكلمون عليه بألفاظ بذيئة، وأشياء لا تصح أن تقال، وكان كل شيء من البداية عبارة عن لعبة عن إعجاب إبراهيم بمراد بعد ما اصطدم به، واتصل سريعًا بصديقه فرج عندما رآه دخل للنادي، والصدفة أن فرج كان جار مراد منذ القدم، وجاء إبراهيم في تلك الساعة، وأوهم أصدقائه إنه يفعل معه الجنس، ومع أن ذلك لم يحصل، ولكن كان يريد أن يجعل نفسه بطلًا في نظرهم، حتى لا يقولون بدأ بشيء ولم يكمله، وإنه ليس رجلًا، وكان ذلك على حساب مراد المظلوم الوحيد، وفتح مراد هاتفه، وأراد أن يتصل بإبراهيم، في حين كان إبراهيم مع صديقه فرج:
-"أخي مراد، هل أراك الليلة؟ مشتاق كثيرًا".
-"مشتاق، وأنا كذلك مشتاق، أين أنت؟"
-"في النادي، مع فرج".

-"حسنًا، سأراك بعد قليل".
-"حسنًا، انتبه على نفسك جيدًا".
وترك إبراهيم الهاتف مفتوح ولم ينتبه له، وسمع مراد كل ما تحدثُ فيه وبعد مرور عدة دقائق ومراد في طريقه يمشي للنادي، كان إبراهيم يقول:
-"أتعرف يا فرج لم أر مثل طيبة مراد أبدًا؟ طيب لدرجة أنني أكرهها وأحبها في ذات الوقت، يصمت عن حقه حتى مع أهله وهذا يزعجني، إنني واقف ولم أستطع أن أفعل شيء لآن أهله لا يعرفونني وأخاف من ذلك".
-"أعرف كل هذا، ولكن أنت لم تنس ما بدأته، أوهمت الجميع ألا تتذكر، ألا يعذبك ضميرك، ألا تخاف من ردة فعله".
-"لا أعرف، مراد طيب سيسامحني، أنا متأكد".
وقطاعهما مراد قائلًا:
-"لا تكن متأكد بعد الآن!"
ورد إبراهيم قال:
-"مراد، ماذا تفعل هنا؟ هؤلاء كلهم ليسوا جيدين، يجدونك جيد، سيتكلمون ويفعلون أشياء سيئة، وأنا خائف عليك".
ضحك مراد ووضع يده على قلبه، وكان يبكي ويكابر على نفسه قال:
-"خائف علي، الخوف أصبح منك، وليس منهم، وأنت من فعلت السيئة وليسوا هم، وأنت الذي استغللتني كثيرًا، وهم سمعوا فقط، يا ليت فتحت صفحتك منذ أن عرفتك! وليس بعد أن أصبحت وسط قلبي".
خفض إبراهيم رأسه وعينيه، وبدأ يبكي قائلًا:
-"أرجوك سامحني، كان ذلك منذ أن عرفتك، لم أكن أعرفك جيدًا، وكان الجميع يتكلمون عليك، وأفعل في ما شئت، اضربني، اصرخ علي، أي شيء".
-"وأنا ماذا سأستفيد؟ قل لي!!"
صمت كلاهما، قليلًا، ورد مراد:
-"لن أستفيد شيء على الإطلاق، لا تخف ولا تحزن أنا هكذا تعودت على الإساءة والذل من أقرب الناس، أبي لا يعرفني إلا وقت الذي أنجح فيه كي يراها الناس، ومنهم لا يريد

لأحد أن يعرف أنني أكون قريب له، لا أعرف هل الخطأ أنا؟! أو هم، ولكن شكرًا على كل شيء، شكرًا، حاولت أن أكذب عيني عندما رأيت الكلام، ولكن ما سمعته، أكون مجنونًا وحيوانًا جدًا بعد ذلك".

التفت مراد ليذهب، وقال له إبراهيم:

-"لا تذهب وتتركني!!"

من قلبه مراد فرح كثيرًا، وابتسم فجأة أراد أن يحضنه، ولكن ذهب، وهو في الطريق، كان سعيدًا جدًا، ونسي ما فعله، وظل يفكر في كلمته الأخيرة، ويقول في نفسه:

-"أول مرة يقول لي شخص هذا الكلام".

*****

ونام مراد تلك الليلة وكان سعيدًا، من الكلام، وكانت تختلط مشاعره بين الوجع الألم والقهر، ولاحتياجه لإبراهيم ليس حبًا كما هو يعتقد، إنما كان شيء فقده في حياته ووجده فيه، لأنه مهما فعل إبراهيم كان سيرجع مراد إليه وكأنه لم يحصل شيء، ويركن الوجع في صندوق صغير مظلم كما يفعل دائمًا ليأتي كل ليلة ويفتحه ويبكي من أجله ويقفله، وكانت الكرامة لديه معدومة لشدة الألم والاحتياج والوحدة، هذه هي الحياة التي لا يشعر بها إلا من عانى وعاش وحيدًا، مقهورًا، ذليلًا، مكسورًا، من نفسه، ومن عائلته، والناس، ويريد أن يحصل على الاهتمام فقط، وتذكر كلام جده:

-"أتعرف جيدًا يا مراد الناس؟"

-"لا أعرف!"

-"أتسمع ما يقولونه جيدًا؟"

-"لا أعرف!"

-"إذن سأقول لك، إنك لا تنظر إلى ما يرتسم على الوجوه ولا تستمع إلى ما تقوله الألسن ولا تلتفت إلى الدموع، فكل هذا هو جلد الإنسان، فالإنسان يغير جلده كل يوم ولكن ابحث عما هو تحت الجلد!"

-"وماذا يسمى هذا؟"

-"حقيقة البشر!"

*****

خرج وذهب إلى البحر في اليوم التالي،
جاءت إليه تلك الخالة مبتسمة، وقالت له:
-"لقد كبرت يا بني!"
ابتسم مراد قائلًا:
-"يا خالة أين أنتِ؟"
-"ألا زلت تتذكرني؟!"
-"نعم ولن أنسى كلامك عن البحر والسمك".
-"وهل هذه المرة شعر بك أحد؟!"
-"قال لي جدي لا أحد يشعر بأحد، وأنتِ قلت لا أحد يشعر بنا إلا من سكن قلبنا".
-"أنت لا تحب؟"
-"ماذا يعني هذا؟"
-"أنت تحتاج فقط، لأنك ما زلت صغيرًا ولم تجد اهتمام، هناك مثلك الكثير والكثير، منهم من مات مقتولًا، ومنهم منتحرًا".
-"أنتِ تحزنيني هكذا! وفي كل مرة".
-"أتكلم فقط عما يحصل لدينا هنا!! هذا بلاء على الأرض!! من يغتصبون، ومن يقهرون، ومن يقتلون أرواح البشر لإرضاء أنفسهم".
-"وماذا يعني كل هذا يا خالة؟"
-"قلبك ما دام في صدرك لا تحتاج لأحد، وتذهب الدنيا، قوله تعالى {كُلُّ مَن عليها فان} أتفهمني!، واجعل ذلك في بالك إن مقدار حبك الآن، هو مقدار ألمك غدًا، سنلتقي عن قريب!"
جعلني كلامها أفكر كثيرًا، وذكرني بكلام جدي:
-"قمة الألم يا مراد أن تعتقد نفسك شيء كبير في قلب ذلك الشخص، ثم يأتي موقف يجعلك تضحك، ولا تبقى على علاقة تكسرك وتميت قلبك، فالرحيل أفضل من ذلك".
*****

تشجع مراد كي يفعل ذلك، وعقله يقول نعم، وقلبه يقول لا، لأنه لا يريد أن يخسر الاهتمام ليس إلا، ولم يكلمه على الإطلاق ومع ذلك كان كل يوم يفتح هاتفه وينتظر

اتصاله دائمًا.

*****

وعندما رجع مراد وجد خاله عبد الواحد ومصطفى يتكلمان في الحديقة المجاورة لبيتهم، وأميرة أمام المنزل خائفة، قال لها:

-"ماذا هناك يا عمتي؟"

-"أبوك وخالك يصرخان منذ فترة لا أعرف في ماذا يتكلمان! ادخل أنت الآن".

وكان مصطفى يقول:

-"لماذا جميع الحزب يتخاصمون معي؟ أو أن القائد الأعلى متضايق مني؟!"

-"لا أعرف أنت وأفعالك!"

-"ماذا الآن؟!"

-"هناك أطفال وشباب صغار في المسجد، يعانون من معاملة أهلهم السيئة والمعقدين، لا تلفاز، لا ملابس، لا أغاني، لا شيء، ويريدون الاهتمام، فسهل جدًا أن تخدعهم، وتجعلهم يشتغلون معك تعطيهم مال بسيط في نهاية كل زبون ينامون معه، ونعطي لهم المخدرات ليبيعوها، وبعدها نأخذهم لمكان بعيد ويتم قتلهم".

-"هذا ممتاز جدًا، أنت من بعد قتل زوجتك ترفعت للأعلى وبقيت الأول".

-"اصمت، اصمت لم أكن أريد قتلها، كانت تتبعني كل ليلة، وعندما رآها ذلك الرجل الذي كان يشتغل معنا قتلها لأنها كانت تلبس اللباس الأسود، وتغطي وجهها، كي لا يراها أحد، وكانت صدمتي عندما جلبوها لي، وكشفت الغطاء ورأيتها هي، لا تعرف كم تألمت".

-"وصحيح ماذا فعلت به ذلك الرجل؟"

-"أي رجل؟"

-"الذي قتل زوجتك".

-"قتلته ورميته في البحر، أما هي كي لا يكشف أحد الموضوع، وضعنها على الطريق، وأصبح القاتل مجهول".

-"القاتل مجهول!! ها أنت أمامي".

-"لست أنا واصمت وإلا سمعك أحد، أخذت حقها من الذي قتلها، وذهبنا للمكان

التي تشتغل فيه زوجته وخطفناها وقتلتها أمام أعين أبنائها الاثنين، وأصبحا يتامى، وأخذت حقها".

*****

ودخلت أميرة لغرفة مروة وقالت:

-"هل رأيت مراد؟"

-"نعم كان معي منذ قليل وذهب لغرفته".

ودخلت أميرة لغرفة مراد بعد ذلك، وقالت له:

-"مراد أين كنت؟"

-"كنت في الحمام، وغيرت ملابسي".

-"حسنًا، نفسيتك متحسنة الأيام السابقة، هل من تغيير؟ أو صداقة؟"

ارتعب مراد أن يتكلم لأميرة وأن تحكي لمصطفى وينزع العلاقة بينه وبين إبراهيم، وقال في نفسه:

-"هي الآن لنفسها منزوعة ولا يوجد أمل فيها".

ورد على عمته أميرة قائلًا:

-"لا يا عمتي، الحياة مملة وكئيبة، مللت العيش مع ذكريات لا تنسى، وزمان لا يعود، وواقع لن يتغير، وآمال مقتولة، وأحلام محطمة، ويأس مستمر، ونور استحله الظلام، وقلوب مليئة بالنفاق، ومشاعر أقسى من الحجر ولا ترحم، وفرح غائب نسيت شكله، وسعادة لم تكتمل، النهاية ليست معروفة، والأصعب من ذلك انتظارها، إلى متى؟ لا أحد يعرف!"

-"ماذا بك يا مراد؟"

-"لا شيء يا عمتي، أفضفض لنفسي، لأريح قلبي وروحي من الألم والوجع".

-"لا عليك، يا حبيبي أنا سأظل معك".

وقال مراد في نفسه:

-"لا أحد يبقى لأحد يا عمتي!"

*****

لماذا السواد يملأ المكان؟ والسحاب مظلم، ما هذا كله؟ والسماء تتقاطر بالدماء،

والوجوه كلها سوداء، والقلوب سوداء، ما هذا؟ النار تخرج من أعينهم، والسيارة مظلمة، لقد رأيت هذه السيارة من قبل! أنا أمام النادي، لما جئت إلى هنا؟ ما السبب؟ خرج إبراهيم من الباب، أغمضت عيني، وابتسمت، وخفق قلبي، وعادت البسمة والفرحة لقلبي وروحي، ولكن بدأ يخفق قلبي من الخوف، تلك السيارة جاءت أمام الباب، وخرج السلاح من نافذة السيارة، ففزعت وصرخت:"إبراهيم، إبراهيم، أخي، أخي"، نظر إلي وابتسم، ابتعد، ابتعد، قبل وصولي إليه، خرجت الرصاصة من السلاح واخترقت قلب إبراهيم، ومراد يصرخ ويصرخ، والدموع بلا نهاية، وبدأت السماء هذه المرة تقطر ماء وليس دم، وقلت من أين يأتي هذا الماء؟ ونظرت للأعلى، وفجأة اختفى إبراهيم من بين يدي!!، ولم أجد إلا الماء بكمية كبيرة قد ملأني كليًا، فاستيقظت، وقد كان كابوسًا مروعًا، وكانت أختي مروة تسكب الماء على وجهي.

-"مروة، ماذا بك يا سخيفة؟"

-"أنا سخيفة يا شيخ، أما زلت متضايق مني عندما أسأت التصرف معك؟!"

ابتسم مراد وقال:

-"لا يا غبية أنا أتضايق من من؟ منك أنتِ؟!"

-"ولماذا؟"

-"لم أتضايق حتى من إبراهيم وعلى ما فعله معي، ولا حتى مع أهلي!"

-"لا تحزن يا أخي، ولقد سمعت وأنت نائم تنادي وتقول إبراهيم فدخلت لأوقظك كي لا يسمعك أبي أو أمي".

-"لا تهتمي لقد كان كابوسًا فقط، أنتِ فقط يجب أن تنهي ما بدأت به وفورًا، وإلا العواقب ستكون مؤلمة".

-"حسنًا، يا أخي، أريد أن أعرف شيئًا لماذا جميع صديقاتي تقولن يا ليت لنا أخ مثل مراد؟"

-"لماذا؟ لأنني أصمت دائمًا ولا أتكلم حتى إن فعلت الخطأ".

-"ليس هكذا طيب، وحنون، وراقي، ووسيم، وجميع المواصفات الرائعة موجودة فيك".

-"شكرًا يا أختي، وأنتِ كذلك بيت أسراري ومكاني الذي متأكد إذا قلت له شيء لن

يخبر أحد".
-"وأنت كذلك لن تخبر عني أنا وعمي أمير؟"
-"لا، ليس لأنني أتستر عليك، بل لأنني ما أفعله فيك الآن، سيقلب علي والدنيا تدور لن ترحم أحد، لن ترحم أحد".
-"سأقرأ هذه الآية الكريمة عليك، وستستفيد منها، وتجعلك تصبر على ما أنت فيه وجدتها على هاتفي في برنامج للقرآن، من سورة البقرة، قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين}، وكذلك من سورة الرعد، قال تعالى: {سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار}، ومن سورة الفرقان، قال تعالى: {أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحيةً وسلامًا}".

*****

وبدأت مروة تقرأ في كل مرة آية، إنها حقًا تريح البال، وتجعل كل شخص ينسى همومه ويقول الحمد الله في عز وجعي، ووقت فرحي وغضبي وصمتي، وسيظل يرددها دومًا ولن يضعف، مهما كانت الأحوال قل الحمد الله والباقي كله على الله وحده، ولله الحمد دائمًا وأبدًا.

*****

ومن شدة خوفي على إبراهيم وأن أخسره، ضعفت أمام وجعي وألمي، وسألت صديقه فرج عنه، وقال لي إنه في المستشفى منذ يومين، انكسرت يده عندما كان يلعب في المباراة وخضع لعملية جراحية، وما يزال هناك، فذهبت مسرعًا واتصلت به والدمع على خدي، وقال لي إياك أن تأتي، وإنه خائف علي من سائقي السيارات، واتصل رقم غريب وكانت أمه، عمتي شربات، أعطاها إبراهيم رقمي كي تقنعني ألا أذهب إلى هناك، وقلت لها لن آتي، وكان سائق السيارة أكبر من أبي وقال لي أن أذهب معه إلى البيت بعدما أخرج من المستشفى، أصبحت أعتاد على هذه الأشياء والمضايقات ولم أجب، ومع ذلك أوصلني إلى المستشفى بدون مال! فخطر في بالي فكرة واستغللت الرجل في الجنس داخل السيارة كي أخرج منه بمال وسرقت كل ما في السيارة لأشتري الأكل لإبراهيم، ووصلت إلى مستشفى الجلاء للحوادث، ودخلت مسرعًا، ورأيته على السرير، وأصدقائه يلعبون الشطرنج على الأرض، وصُدم بمجيئي، وقال لي:

-"ألم أقل لك لا تأت! واتصلت بك عمتك شربات؟!"
ورد مراد بخيبة أمل قائلًا:
-"حسنًا، ولكنني خفت عليك كثيرًا، لا أعرف هذا القلب خوف الأخ على أخيه".
ضحك إبراهيم كثيرًا، ورد مراد بعصبية:
-"لماذا تضحك؟"
-"أظن أنك حلمت بي اليوم كذلك".
-"وكيف عرفت؟!"
-"هكذا، إحساسي قال لي، أو نسيت ليس لدي إحساس، يا حيوان مثل ما تقول لي، فرج أخبرني بذلك!"
وقال مراد لفرج:
-"ولماذا يا فرج؟!"
رد عليه فرج قائلًا:
-"هذه أوامر من القيادة العليا، وحكم القوي على الضعيف، لا اعتراض على حكم الله".
-"حكم الله، أنتم تمزحون معي! يا حيوانات!".
وقال إبراهيم بابتسامة مستفزة:
-"أخفت علي؟"
قال مراد والابتسامة على وجهه وضحك كي يستفزه:
-"لا لم أخف على الإطلاق، لأن لدي وقت فارغ اتصلت فقط، هذا هو، لن أهتم بشيء".
-"أقسم بالله".
-"لا لن أقسم".
-"أنت تكذب".
رد مراد بعصبية قائلًا:
-"كيف عرفت؟!"
ضحك إبراهيم بأعلى صوته قائلًا:

-"لقد فضحت نفسك أمامي الآن، دائمًا هكذا تقول كل شيء عندما تراني، أسألك سؤال؟"
وكان مراد ملامح العصبية على وجهه قال:
-"نعم، قل ما هو؟"
-"لما أحبك أنا كثيرًا، وأشتاق لك كثيرًا، وكذلك من العصبية والحزن لأنك لم تعد تكلمني حصل معي هكذا، أطلب منك طلب؟!"
وكان مراد لا يصدق ما يحدث معه لأول مرة شخص يظل حزينًا من أجله، ويتأذى كذلك، ورد قائلًا، وقلبه يخفق بشدة:
-"نعم، قل ما هو؟"
-"لا تتركني وحدي مرة أخرى، ولن تذهب إلى أي مكان من دوني، وأنا قد تعودت على وجودك معي، قربك مني، ضحكاتك، طيبتك، تشاجرنا، ملامحك، حركات وجهك المقزز".
-"أنا وجهي مقزز؟!"
وضحك كلاهما، وقال مراد:
-"شكرًا".
-"بلا حزن، لأكمل لك، اشتقت لكلمة حيوان منك، مع أن الكثير يقولون لي يا حيوان!"
وقاطعهما فرج:
-"وأنا منهم".
ورد إبراهيم قائلًا:
-"أنت اصمت يا حيوان، واغطس في لعبتك".
-"أنا آسف، سأصمت".
وأكمل إبراهيم حديثه مع مراد:
-"إلى أين وصلنا؟"
-"إلى كلمة يا حيوان".
-"نعم كذلك، واشتقت إليك عندما تقول في كل مرة أريد أن أرحل، ولن ترحل، وأجيبك أقول الباب أمامك، وأنت لا تخرج، وتصبح تمثل أنك متضايق".

-"وأنت تعرف أنني أُمَثِل، وتقولها لي بكل صدق؟"
-"نعم".
-"يا حيوان، لماذا أنت بكل هذا البرود؟ جعلت صوتي يعلو أمام جميع الناس في الغرفة".
-"سنتكلم بصمت".
وأصبح إبراهيم يتكلم وهو صامت أي يحرك شفتيه فقط، وحرك يديه ورسم قلب وأدخل فيه ذاك السهم وقال أحبك أيها المجنون، وابتسما، ونزع إبراهيم تلك القلادة التي كان موجود فيها قلب من على رقبته، وقال له:
-"اجعلها دائمًا معك، هذا قلبي!"
-"لماذا؟"
-"كلما تراها ستتذكرني!"
وأعطى مراد قبلة للقلادة وبدأت ملامح الفرحة تنير وجه مراد، والبسمة على وجهيهما، وقال إبراهيم:
-"اذهب الآن الوقت متأخر، قبل أن يتصل بك أحد".
-"أريد أن أبقى قليلًا، لماذا يا حيوان؟"
-"قلت لك اذهب وانتهى الكلام".
-"حسنًا، سأذهب ولكن سآتي كل يوم لأراك، يكفي الأسبوع الذي ضاع".
-"إياك، وإلا لن أتكلم معك مرة أخرى".
-"يا حيوان، أنا بنفسي كنت سأقول إنني أريد أن أرحل!"
-"لا تخف على نفسك، لقد سبقتك!"
-"استفزازي! سأذهب ولن تراني!"
وذهب مراد بملامح العصبية، وناداه إبراهيم:
-"مراد".
فرح مراد والتفت سريعًا، وجاء ليدخل للغرفة مجددًا، وقال إبراهيم:
-"إياك والمجيء إلى هنا".
تغيرت ملامح مراد كما السابق، وقال إبراهيم ثانيةً:

-"واجعلها معك وتذكرني بها لا تنس، أفهمت؟!"

*****

لم تقدر بثمن فرحة وسعادة مراد، بل كان لا يريد شيء إلا إبراهيم، ونسي همه مع أهله، ولكن لم يعرف المصائب التي لم تأت بعد والتي تنتظره.

*****

وبعدما ذهب مراد، جاء فرج إلى جانب إبراهيم وقال له:

-"فعلت كما قلت لي! وصدقتك من قوة التمثيل".

-"نعم، ماذا أريد أن أفعل، هو هكذا يريد الحب والاهتمام".

-"واستغللت نقطة ضعفه!"

-"أنا أحبه، ولكن ليس لهذه الدرجة كما يريدها هو، وفعلت هكذا كي يرجع كما كان وأكفر عن أخطائي معه سابقًا، ضميري فقط!"

-"حسنًا، وإلى متى ستستمر معه؟"

-"لا أعرف إلى الآن ولكن يومًا ما سينتهي كل شيء، ولكن متى؟ وكيف سيكون؟ لا أعرف".

*****

هل هناك أكثر من ذلك من وجع يمكن أن يعشيه الإنسان؟ لا تنخدع في الإنسان فمهما كانت كمية الحب سيأتي يوم وسيرحل ولن يدوم أحد معك! مراد الذي لا يعرف كيف يشفي جروحه؟ واستنزاف مشاعره، وقلبه الذي يموت كل ليلة، هل سيسمع هذا الكلام يومًا ما؟ ومن هذا الكلام الذي قاله إبراهيم إياك ثم إياك أن تعطي أو يعرف أحد نقطة ضعفك! لأنها ستكون العائق أو ستصبح التهديد لحياتك فانتبه جيدًا حتى لأقرب الناس لديك.

*****

وجاء مرة أخرى في اليوم التالي، ودخل عليه، ورد إبراهيم قائلًا:

-"ألم أقل لك لا تأتِ؟"

-"لا ينفع، فيك الخير!"

تغيرت ملامح إبراهيم وانزعج بمجيء مراد ولم يتكلم معه، إلى أن قال مراد بعصبية:

-"يا حيوان، يا حيوان تكلم معي ولو قليلًا!"
وكان إبراهيم يوجه رأسه في الاتجاه الآخر، ورد مراد:
-"أتريد هذا؟ حسنًا".
وجلس مراد بقوة على السرير، وصرخ إبراهيم:
-"يدي، يدي، سأموت يا دكتور، يا دكتور، أنقذني، يا الله".
-"ماذا بك؟ ماذا فعلت أنا؟ ماذا فعلت؟"
وبدأ مراد يبكي، وإبراهيم يضحك، وقال:
-"وجهك هكذا جميل".
-"يعجبك عندما أكون حزين؟"
-"لا ليس هكذا، بل عندما أرى عينيك الجملتين".
-"وماذا تري فيهما؟"
-"الاشتياق".
ارتبك مراد وقال:
-"أي اشتياق؟!"
-"واضح في عينيك، كله من أجلي".
-"لا بل خوف عليك فقط".
-"خوف واشتياق".
-"لا".
-"لا بل خوف واشتياق".
-"لا، واصمت، وأنا أريد أن أذهب".
نهض مراد حتى وصل أمام الباب، وقال إبراهيم:
-"لا يذهب إلا بهذه الطريقة!"
التفت مراد وقال:
-"فعلت كل هذا يا حيوان كي أذهب".
وقال إبراهيم للرجل الذي بجانبه:
-"هناك شخص يا رجل أعرفه ثقيل جدًا، لا ينزل على المعدة".

-"ماذا أنا لا أنزل على المعدة، سأخرج بحنجرتك وسترى".
-"ولكن تنزل وتقيم في قلبي فقط، أرتاح قلبك الآن؟!"
صمت كلاهما قليلًا، وقال إبراهيم:
-"تستطيع أن تذهب الآن!"

*****

ورجع مراد للبيت، كان في كل مرة يقول له إبراهيم الكلام الجميل، يتخيل ذلك من أمه أسماء أو أبيه مصطفى، لهذا كان يخاف من فقدان إبراهيم حتى لا يفقد هذا الشيء، ولأن مراد كان يريد الوضع يدوم هكذا، وإبراهيم لن يصبح له طوال الوقت ومعظم مشاكلهما كانت من مراد يعاتبه على عدم اهتمامه به مثل قبل، ولم يعد يتصل كثيرًا وأصبح يبكي كل ليلة وينادي باسمه، وكان السبب شيئًا حصل مع إبراهيم غيره تمامًا.

*****

بعد ما خرج من المستشفى، ورجع للبيت جاء إليه الضيوف وكانوا الأغلب من الجيران، ومنهم شخص جاء وأخبره أن أحدًا جاء وتقدم لسلسبيل كي يتزوجها وأهلها وفقوا على ذلك، لم يعد إبراهيم يهتم ولا يسأل، وأتاه للمنزل كي يتحدث معه:
-"إبراهيم، أخي، أين أنت؟ لماذا أصبحت هكذا؟"
-"لا شيء".
-"كيف لا شيء، واضح في عينيك الحزن الشديد".
-"سلسبيل".
-"ماذا حصل لها؟"
-"ستتزوج!"
وإبراهيم أخذ يبكي، وحضنه مراد وتمنى أن يبكي عليه أحد مثلما إبراهيم يبكي على فراق حبيبته للأبد، تمنى بكاء من والده، من أمه، من صديقه، ليشعر بالسعادة في داخله، الإنسان ضعيف أمام هذه الأشياء، فما بالك مراد الذي لم يعرف طعم الاهتمام والحب والعطف والخوف عليه والفرحة والسعادة والأيام التي طيرت قلبه للأعلى!

*****

وخرج مراد وعيناه السوداوات الواسعتان تملؤهما التعاسة، والخوف من الخسارة التي سيعيشها من الآن، فاتصل به رجل من الإنترنت الذي كان يذهب معه سابقًا، وقال له اشتقت لك وأحبك كثيرًا، فذهب مراد واستغله ذاك الرجل في عز ضعفه، الوضع الذي يعيش فيه مراد يعيشونه الكثيرون ولكن بقسوة وبشاعة أقل يمكن، ذهب لمنزله بعد ذلك ودخل لغرفة مروة التي كانت مع عمها أمير قبل ذلك، وقالت له:

-"مراد، ماذا بك؟ ماذا حصل معك؟"

-"إبراهيم سيتركني!"

-"هو قال لك هذا؟"

-"لا ولكن لم يعد يريدني".

-"وأنت كيف عرفت ذلك؟"

-"التي كان يحبها ستتجوز قريبًا، وهو لا يريدني".

أصيب بحالة هستيريا وبكاء، ويردد في جملة: {إبراهيم لم يعد يريدني، سوف يتركني، إبراهيم لم يعد يريدني، سوف يتركني}.

وصفعته مروة على وجهه، وقالت:

-"مراد، مراد اهدأ، أخي حبيبي هذا ليس حب بل مرض، أنت لا تحبه، لديك نقص في كل شيء ووجدت هذا النقص في إبراهيم".

ونظر إليها مراد نظرة أرعبتها، وقالت له:

-"ما هذا؟ مراد، لما تنظر إلي هكذا؟!

-"وأنتِ لا تعيشين بالمرض، من التي تقيم علاقة محرمة مع عمها؟ أليس لديك نقص؟ لم تجدي أي شخص يحبك، ودائمًا تغضبي من الفتيات اللاتي يفقنك جمالًا، لم تجدي إلا عمك؟"

-"اصمت، اصمت، لا تجعل أحد يسمعك، أرجوك يا مراد!"

-"أنا تعبت كثيرًا، أين أنت يا جدي؟"

-"اهدأ سأجلب لك الماء وآتي إليك حالًا".

*****

وعندما خرجت، وجدت عمها أمير، الذي كان موجودًا وراء باب الغرفة، وسمع

كلاهما، وقال لها:
-"تعالي للمطبخ، ولا تجعليه يشعر بذلك".
ودخلا للمطبخ، وقالت له مروة:
-"ألك مدة طويلة أمام الغرفة؟"
-"نعم، عند كنا سويًا على السطح، ونزلت سمعت جميع كلامكما، وتحدث عني ذلك الحقير".
ومسكها أمير من رقبتها وقال:
-"إياك يا مروة تكوني قد قلتِ له".
-"لا والله هو بنفسه رآنا سويًا".
-"هذا الحيوان!"
وكانت مروة خائفة جدًا ذاك الوقت، وقال أمير:
-"يجب أن أفعل شيئًا".
-"لا تفعل شيئًا معه، مراد طيب مسكين".
-"طيب، مسكين، اصمتي، وتعالي إلى هنا".
وقرب منها، ولمس رقبتها، وخصرها، وأصبح يشتم في رقبتها بأنفه، ويعطي القبل لها على شفتيها، وهو يفعل ذلك، قال لها:
-"من إبراهيم الذي كنتما تتحدثان عنه؟"
وكانت مروة لا تقاوم ما يحدث معها على الإطلاق، وأجابت:
-"إنه كل شيء عند مراد".
-"كيف كل شيء؟"
-"يعتبره كل شيء يملكه في حياته".
-"وأين يسكن؟ هذا إبراهيم!"
-"إنه قريب من هنا، قريب من النادي الرياضي".
-"حسنًا".
وأفلتها أمير بعد ذلك، وكانت مروة مثل الذي أعطي له مخدر أمامه، وقال أمير:
-"جميع الإجابات صحيحة، عشرة على عشرة، سنعمل الآن".

*****

وخرج أمير من المطبخ، ومروة جلبت الماء لمراد، ودخلت غرفتها ولم تجده، وذهبت لغرفته وجدته نائم في فراشه.

*****

سمعت صوت بكاء، من أين يأتي ذلك الصوت، أين أنا؟ طريق فارغة، لا بشر، ولا حيوان، رأيت أحد في الزاوية وجهه عاكس على نظري، لم أره، من هو؟ وضعت يدي على كتفهِ، فأمسكها، وكانت يدهُ ملطخةٌ بالدماءِ، فارتعبت كثيرًا، وخفق قلبي بشدة، واتسعت عيناي، ونفسي ضاق على صدري، والهواء يتبخر، والتفت إلي ذلك الشخص، ووجدته كله دماء ولونه أسود مثل سواد الليل، واختفى فجأة، ووجدت نفسي في طريق آخر، الطريق مرممة بطريقة رائعة مثل دول أوروبا، وبدأ يخرج من باطنها وجوفها ينشق، والدم أصبح يملأها في كل مكان، حتى غرقت في ذلك الدم، واستيقظت منفرًا من ذلك الكابوس المرعب، ودخلت الحمام، وغسلت وجهي بالماء وتشوش تفكيري ورأيت بدل الماء دم، أغمضت عيني دقيقة، وفتحتها، وخرج من أنفي الدم، لا أعرف الإشارة كانت لماذا؟ أو ماذا يقصد به هذا الحلم.

*****

خرج مراد من الحمام، وكانت أسماء تحضر في الفطور الصباحي، ونادت الجميع:

-"محمد حبيبي أمه، مروة يا روحي، تعالوا، يا مرام استيقظي بلا كسل".

رد مراد والوجع والألم كان يملأه:

-"لا يوجد تعال يا مراد ابني، حبيبي، يا غالي، أي شيء يخرج منك".

-"اصمت، اصمت، تعال أنزل على الفطور، وأغلق فمك".

-"لماذا؟"

-"ماذا قلت!؟"

-"لماذا يا أمي؟"

وبدأت تدمع عيناه، وقال:

-"ماذا فعلت لكِ؟ لم أشعر يومًا أنك تحبينني من قلبك! أتعرفين أشعر بثقل شديد في قلبي عندما أقول كلمة يا أمي".

-"ثقل، ثقل ماذا إن شاء الله؟ تسقط على قلبك صخرة من أجل أن تشعر بثقل شديد هكذا، قل آمين! ما هذا الكلام على الصباح!"

وذهب مراد إلى غرفته، ووجد محمد بداخلها، يخرب في أغراضه الخاصة، وجاء مراد متجهًا نحوه، وصفعه على وجهه، وأخذ محمد يبكي، واشتعلت النار في أسماء، وجلبت السكين، وبدأت تضرب فيه بكف السكين حتى جرحت أصبعه، وقالت له:

-"اخرج من المنزل الآن ولا تأتي، اخرج!!"

تدخلت مروة وقالت:

-"أمي، هذا حرام لا تفعلي ذلك".

-"مروة لا تتدخلي واصمتي!"

*****

وخرج مراد من المنزل في ذاك الصباح، ونزل للأسفل، ووجد الجدة فاطمة على فراشها، وقال في نفسه:

-"لا أفرق شيئًا عنك يا جدتي! حياتي وكأنها غيبوبة، كلها مظلمة لا حياة فيها، ولا نور يخرج لها، لا أعرف إلى متى سأستمر هكذا؟! ولكن مع ذلك أحببت حياتي هكذا، أصبحت أخاف أن أعتاد على أي شيء وأحبه سريعًا، ويتغير علي مثل ما حصل معي، في علاقتي مع إبراهيم".

*****

ذهب للبحر ولم يأت في باله سوى إبراهيم فاتصل به، وكان يبكي:

-"إبراهيم، أخي، أريدك معي لا تتركني".

-"ماذا بك؟ أخفتني!"

-"أمي ضربتني وطردتني من المنزل لأنني ضربت أخي محمد على وجهه".

-"تعال عندي للمنزل".

-"أخاف أبي يراني ولن يجعلني آتي إليك!"

-"حسنًا، كما تريد!"

*****

حزن إبراهيم لذلك حزنًا شديد، من عدم مقدرة مراد الإفصاح عن صداقتهما وحبهما

أمام الناس، ومن عدم معرفة أهله المعقدين بذلك.

*****

وظل يتصل على أميرة بعد ذلك، وأجابت:

-"ماذا هناك يا مراد؟ لماذا تبكي؟"

-"أمي ضربتني".

-"حسنًا، الآن لدي شغل مهم، سأتصل بك بعدما أخرج".

وأغلقت الهاتف، وبكى مراد وخنقته عبرته، وكان بين المكابرة والألم، وجاءت أمامه حمامة، وقال:

-"ليتني مثلك، ومثل جميع الطيور كلما ضاقت بي الأرض، حلقت في السماء، ولكن لا أعرف ماذا يحدث معك فوق؟ أيهما أصعب الحرب في السماء؟ أم في الأرض؟"

قاطعته تلك المرأة المسنة، وقالت:

-"في الأرض طبعًا يا بني، ولكن كل حرب ولها ضحاياها!"

-"كل حرب ولها ضحاياها؟"

-"ولا تفكر في أحد قد نساك، ولا تبالغ بحبك لأي شخص، لا تكن عبدًا للحب، فإن صفعة الخذلان، تأتي بلا مقدمات، فمسافة الأمان، تمنحك أمان لنفسك ولقلبك، ولا تراهن على حب أحد، فالقلوب تتقلب بحسب هواها، فلا تكن أنت عبدًا، وغيرك قد حرر نفسه".

-"والذي في مثل حالتي؟"

-"نهايتهم غير معروفة، لأكون معك واضحة، لأننا جميعًا سنموت، ولكن أنت بطريقة مختلفة".

*****

بينما أميرة كانت قد دخلت لمستشفى الأمراض النفسية في بنغازي، وجاءت إلى السكرتيرة وسألتها:

-"يا أختي، أنا ممرضة في مركز بنغازي الطبي، أريد أن أرى رجل كبير في السن، موجود هنا".

-"ما هو اسمك من فضلك؟"

-"هل اسمي مهم؟"
-"نعم هنا مؤسسة ليعرفوا كل شخص يأتي ويسأل عن أي شخص آخر".
-"حسنًا، أميرة مراد".
-"ما اسم الشخص الذين تريدين أن تريه؟"
وقالت أميرة في نفسها:
-"يا ليتك تعرف يا مراد كل شيء وأتخلص من هذا الحمل".
وأجابت على السكرتيرة، قائلة:
-"آدم، اسمه آدم".
-"سأبحث عنه".
وبعد بضع دقائق، قالت السكرتيرة:
-"الله يرحمه".
أجابت أميرة بصدمة وغرابة شديدة:
-"ماذا، ماذا تقولي؟! تأكدي من فضلك!"
-"نعم، لقد توفي وليس من اليوم بل منذ شهرين".
-"وما لسبب؟"
-"قالوا جرعة زائدة من الدواء".
-"مصطفى!"
-"نعم يا أختي؟!"
-"لا شيء، شكرًا جزيلا لكِ، هل جاء أحد دخل إليه؟"
-"لا سوى الدكتور والممرضة فقط".
-"وهل هناك شخص آخر؟ تذكري لو سمحتِ!"
-"نعم تذكرت".
-"ابنه فقط، وليس دائمًا بعد فترة طويلة ليأتي قليلًا ويذهب، وجاء بعد الأمس وأخذ جميع أغراضه".
-"وهل لديكم رقمه، أو عنوان منزله؟"
-"للأسف لا".

-"شكرًا، جزيلًا لكِ".
والتفت أميرة وقالت:
-"مصطفى، له يد بذلك، كان يعرف أنني سوف آتي إلى هنا، منذ آخر مرة تكلمت فيها معه على موضوع سوزان".
وسرعان ما اتصلت السكرتيرة بمصطفى لتخبره:
-"أستاذ مصطفى جاءت الآن الآنسة أميرة، وأخبرتها بما قلت لي".
-"ممتاز تسمعين الكلام، ولا تخافي لن أنساكِ في نصيبك".
-"حسنًا، شكرًا".

*****

وأغلق مصطفى الهاتف، وكان موجود في المستودع وقال للدكتور شادي:
-"هيا، هيا يا دكتور، أخرج لي الكنز من بطن هذا الطفل".
-"ولكن أعضائه ليس بحالة جيدة".
-"لا يهم، أهم من ذلك المال".
وقال مصطفى بعصبية:
-"دائمًا أقول لهم لا تختطفون أطفال يتامى يعيشون في الشوارع أو حتى فقراء، اخطفوا الأغنياء كي نستفيد على الأقل".
-"يا مصطفى أعصابك، أعصابك ستتلف، واليتامى وأطفال الشوارع أفضل بكثير، لأن كلما كان الشيء قليل زادت قيمته في عين نفسك".
وجاء مصطفى ووضع يده على كتفه، قائلًا:
-"أتعرف يا دكتور أجمل صفة لديك؟"
ابتسم الدكتور شادي قائلًا:
-"لا تقل ذكائي".
-"خطأ، بل غبائك الجبار، واصمت واشتغل شغلك وإلا خلعت لك عينك التي ترى بها كل شيء له قيمة عالية، أتفهم؟!"
-"حسنًا، حسنًا".
واتصل عبد الواحد على مصطفى قائلًا:

-"يا مصطفى، أين أنت؟"
ارتبك مصطفى وقال:
-"أنا في المنزل".
-"أريد أن أتكلم مع أختي أسماء".
-"أسماء، أسماء ليست موجودة".
-"أين هي؟"
-"في الحمام".
-"حسنًا، قل لها أن تأتي مساءً، رتاج نجحت في السنة الثانية لها في الجامعة وتريد أن تحتفل، لأنني سمحت لها بذلك، لأن حفلة النجاح ليست حرام".
-"حسنًا، سأقول لها، ومبروك نجاح ابنتك".
-"الله يبارك فيك".
وبعدها ناداه الدكتور شادي:
-"مصطفى، مصطفى تعال إلى هنا لترى الكبد".
وقال عبد الواحد:
-"من هذا يا مصطفى؟"
مشيرًا بكلامه للدكتور شادي:
-"هذا محمد، يلعب معي يقول لي أريد أن أخرج كبدك، قبل أن أخرج بكبده وأقتله".
-"أجل، أجل هكذا أجعل الولد عنيف، أسد، من طفولته، ليس مثل مراد".
-"نعم، نعم هذا ما تربينا عليه، عادتنا وتقاليدنا ماذا نفعل؟"
-"سنلتقي مساءً إذن".
-"حسنًا".
وأغلق الهاتف، وجاء بغضب، واخذ الدكتور من ملابسه:
-"أتريد أن تفضحني أنت؟"
-"هم لا يعرفون بهذا كله! أي من وراءهم".
-"نعم وإياك أن يخرج منك هذا الكلام، وإلا قد أفرغت في دماغك الغبي هذا الرصاص، أتفهم؟!"

-"حسنًا، حسنًا، أعصابك، أعصاب..."

-"اصمت".

*****

ووقت المساء.

جاء الجميع في منزل عبد الواحد، الموجود في منطقة بوعطني، وكانت النساء في البيت الداخلي، والرجال في الخارج.

سأل مصطفى، عبد الله، قائلًا:

-"ما بك يا عبد الله؟ كأنك مريض أو أخذت المخدرات".

-"لا، لا يوجد شيء يا زوج عمتي".

-"واضح عليك أن هناك شيء".

رد عبد الله بعصبية شديدة، وبصوتٍ عالٍ، وأخذ الطاولة وقلبها:

-"قلت لك لا شيء".

نهض عبد الواحد، قائلًا:

-"اخرج الآن، اخرج، اذهب سنتحاسب في المنزل".

وخرج عبد الله من المنزل، وكامل جسمه يرتعش واتصل:

-"سعد، أتسمعني!"

-"نعم، ماذا تريد؟"

-"أريد أن أشم، لن أستطيع أن أتحمل أكثر".

-"تعال إلى المكان الذي أراك فيه دومًا".

ما هي علاقة سعد بعبد الله؟ ولماذا يفعل معه هكذا؟ سنعرف وستكون الصدمة في الانتظار.

*****

وقال مصطفى لعبد الواحد:

-"هؤلاء أولاد هذا الزمن".

قال أمير بنبرة صوت كلها شر:

-"هذا يرجع للتربية يا أخي، على الذي ربى!"

ضحك عبد الواحد وقال:

-"خطير أنت يا أمير، دائمًا أحب أسلوبك في الكلام، حتى وإن دخلت بالسوء أراه بطريقة أدبية، أعشق فيك هذا الشيء".

-"شكرًا، شهادة عظيمة أفتخر بها".

وقطاعهم المعتصم بالله:

-"دعونا نبتعد قليلًا عن أجواء الحماس، والكلام الشيق وطريقة الألغاز".

ورد مصطفى:

-"ونتكلم في المهام الجديدة أفضل".

ورد أمير:

-"أوافقك الرأي، عشرة من عشرة".

وقطاعهم عبد الواحد قائلًا:

-"ولكن قبل ذلك، هناك ثلاثة أشخاص مفقودون، أين أنور؟ وأسامة وابنه سليم؟"

رد مصطفى قائلًا:

-"أنور في الطريق سيأتي، وضع عائشة هنا وخرج، وأسامة تعرفه أنت كيف حالته، أما سليم لم يره أحد حتى أمه ليلى منذ يومين".

-"حسنًا، لنتحدث فيما يهم".

*****

وكانت النساء داخل غرف المعيشة والصالة، وقالت أسماء:

-"مبروك، مبروك النجاح يا ابنة أخي الغالية".

أجابت رتاج والبسمة على وجهها:

-"الله يبارك فيك، شكرًا يا عمتي".

وحصلت على التبريكات من الجميع، وفجأة يتصل هاتفها، وكان المتصل أنس دخلت بسرعة وفتحت السماعة:

-"ماذا تريد يا حقير؟"

-"لا، لا، لا، هكذا لن نتفق".

-"لن نتفق على ماذا؟ لك ثلاثة شهور تستغل في".

-"وما زلت أستغل، هذه البداية".
-"كرهت حياتي بسببك، لا أستطيع أن أنام، خوفي من انتشار الصور والفضيحة التي ستحدث كذلك هذه الفكرة ترعبني كثيرًا، أصبحت لا أكل جيدًا، وحتى لا أستطيع التنفس جيدًا".
و رد أنس باستهزاء قائلًا:
-"وما الحل برأيك؟"
أصبحت ملامحها كلها حقد وغل وكراهية، وقال أنس أيضًا:
-"الحل أن تجلبي لي باقي الستين ألف، وسأخصم لك، ماذا تريدي أكثر من ذلك؟ سأجعلهن خمسين ألف".
-"حقير".
-"يا، لماذا الخطأ أحزن أنا الآن؟! أنا الآن قريب من منزلك سآتي إن فعلتِ شيء خاطئ، واحمدي الله واشكريه على ما أعطاك، هذا نصيبك! ساعدتك كثيرًا، ألا تتذكري العشرون ألف التي خصمتها عندما مارسنا الجن..."
وبكت رتاج من الحرقة وقالت:
-"اصمت، ولا تكملها".
-"لماذا؟ هل شعرتِ بشعور العفة والشرف، لم يبق لكِ الكثير، من مائة وعشرين ألف وصلنا إلى القليل، تحملي واجلبي الباقي، موعدنا بعد أسبوعين من الآن"، وأغلق السماعة.
وتكلم رتاج لنفسها، قائلة:
-"وأنتَ كذلك لم يبق لك الكثير، اقتربت النهاية، ماذا سأفعل؟ ماذا سأفعل؟"
وجاءت فكرة في رأسها، لتنفذها وقالت:
-"لا يوجد حل لأنقذ نفسي إلا بهذه الطريقة".
*****

وخرجت رتاج من غرفتها للصالة، وقالت لها سمر:
-"توجي، حبيبتي ماذا بك؟ عيناك منتفختان".
-"لا شيء".

وقاطعتهما أسماء وحضنتها قائلة:
-"ماذا حصل معك؟ دخلتي الغرفة ولم يكن فيك شيء خرجتِ وأصبحت بهذا الحال".
وقالت عائشة:
-"أظنه من الحب يا أسماء، حبيبها لم يبارك لها على نجاحها".
ردت عليها أسماء:
-"الأفضل لكِ أن تصمتي أنتِ!"
ووجهت أسماء كلامها إلى رتاج:
-"هل تذكرتِ أمك، أليس كذلك؟"
-"نعم يا عمتي".
وحضنت رتاج عمتها أسماء وبكت بشدة فقالت لها:
-"لا تبكي يا حبيبتي أدعي لها، تعالي يا مروة وأين صديقتك سُهَا؟"
دخلت سُهَا:
-"أنا هنا، كنت في الحمام".
وكانت قد أرسلت رسالة نصية إلى أنس تقول:
-"حبيبي، وزوجي من الآن، عرفت كلمة سر الخزنة وفتحتها وأخذت منها مائة ألف، كما قلت لي، ونهرب سويًا، وسنتزوج كما أقسمت لي ووعدتني بذلك، أحبك كثيرًا".

*****

بينما كانت ليلى موجودة مع أميرة في غرفة الجدة فاطمة، وقالت أميرة:
-"كيف حال سليم يا ليلى؟"
-"لا أعرف عنه شيء منذ يومين".
-"كيف لم تخبريني إلا الآن؟"
-"هو هكذا، تعودت على هذا، مثلما تعودت على أبيه، يغيب يومين، أسبوع، أسبوعين، وعندما يرجع سيكون قد فقدني!"
-"أختي، لماذا تتكلمين هكذا؟"
-"أتكلم فقط، أنتِ قلتيها الآن، ليس هناك فعل".
-"يا الله، أتعرفين أنني قد نسيت مراد، قد خرجت في الصباح ونسيت أن أتصل به

حتى الآن! قال لي أن أسماء ضربته".

-"اتصلي به في الحال".

-"نعم، أين هاتفي؟ وجدته، سأتصل به الآن!"

*****

وكان مراد موجود عند البحر، وقال لنفسه:

-"لم يتصل بي أحد حتى الآن، حتى إبراهيم، ولا عمتي، سأغلق هاتفي!"

وعندما كنت في هذا الوضع لم أفكر إلا في كلام جدي، وقال:

-"أتعرف يا مراد، أن تجد الحب الحقيقي صعب، صعب جدًا، ولكن هل تعرف الأصعب من ذلك؟"

-"ما هو يا جدي؟"

-"أن تجد الشخص الصادق الذي يحب بصدق، وهذا شيء نادر، وفي معظم الوقت، لن يعشقك ويحبك ويصبح مدمن عليك فترة من الزمن، ويعلقك به ويأخذك من جميع الناس، وبعد ذلك، يرحل".

-"وبعدما يرحل يا جدي، ماذا يحدث للشخص الآخر؟"

-"يحفر في ذاكراتك ذكريات جميلة، ولكن أنت لا تحزن لأنه لن يستحقك، لأن من يحبك انتبه! من يحبك فقط! هو الذي يسأل عليك حتى وإن كنتما متخاصمين، فالخصام لا يعني الكره، ولا يفتقدك إلا من يلاحظ كبر الفراغ من دونك، والأفضل ألا تتعلق بأحد أبدًا، أبقَ وحيدًا".

وفي الوقت الحالي قال مراد لنفسه:

-"كيف أصبح يا جدي وحدي، لقد تعبت واستهلكت كل طاقتي، وتركوني مريم وموسى وحدي، وإبراهيم لن يدوم معي، ولا أعرف من سيأتي معي أو عليّ بعد ذلك".

*****

وبعدها عاد الجميع إلى بيوتهم، وعاد مراد إلى غرفته وحيدًا، ودخلت إليه أميرة قائلة:

-"أين أنت يا مراد؟ اتصل بك هاتفك مغلق!"

-"لم يتصل أحد، ولم يفكر بي أحد، فلما تتصلين؟"

حضنته أميرة وقالت:

-"لما يا مراد؟! أنا عمتك وأمك".
ضحك مراد بهدوء قائلًا:
-"أمي، أمي أعتقد أنها ماتت".
-"وقد يكون هذا هو الشيء الصحيح!"
ودخل عليهما مصطفى بغضب قائلًا:
-"مراد، يا ،٠٠٠٠ لما فعلت هذا بمحمد؟"
وأجابته أميرة:
-"وأنتم لما تفعلون هذا به؟ محمد ابنك، وهذا لا، اشعر يا بني آدم".
-"يا محترمة، اخرجي من الموضوع".
-"إياك أن تقلل أدب معي، وتذكرت شيء أريدك في موضوع بسيط على انفراد، كنت أريد أن أحادثك فيه منذ الصباح".
-"حسنًا، لنخرج الآن".
-"سآتي إليك وسيكون حسابك عسير".
-"لنخرج واصمت قليلًا".
وخرجا مصطفى وأميرة وقالت له:
-"ماذا فعلت بالرجل المسكين؟"
-"أي رجل!"
-"أي رجل! هذه الأمور لا تمشي معي، قل الآن".
-"لا أقول لكِ، ولا تقولي لي، الدنيا ليل، الأجواء باردة، لندخل ننام".
وأراد الذهاب، ومسكته أميرة من يده:
-"إياك أن تفكر أن القصة ستنتهي، أنا أعرف إنه سيأتي يوم ويعود الماضي، وتعود سوزان وسينتهي كل شيء، ونحن جميعًا سننتهي، والقادم لن يبشر بخير على الإطلاق، أتسمعني؟!"
وأخذ مصطفى يد أميرة وأنزلها للأسفل، وقال:
-"ليلتك سعيدة، يا صاحبة الماضي".
وقالت أميرة بعد دخول مصطفى لنفسها:

-"لن تهتم لكلامي الآن، ولكن نهايتنا ستكون على أيدي هذا الموضوع".

*****

وعندما دخل مصطفى اتصلت عليه عائشة وقالت:

-"تعال للأعلى أنا مشتاقة لك كثيرًا".

-"مشتاقة، أنا أريد أن أنام، لديك رجل في غرفتك".

*****

بينما كان مراد في غرفته وحيدًا، مع دميته الأرنب، ينظر إليها، ويقول:

-"إن وضعت يدي على فمك هل تستطيع أن تتكلم؟ لا تستطيع، وإذا وضعتها على قلبك كي لا تتألم، هل تستطيع تحمل ذلك؟ طبعًا لا، أنا من السهل أن أضعها على فمي كي لا أتكلم، أما على قلبي فلا أستطع فعل ذلك، كل ليلة سينزف وينهار من كثرة البكاء والألم، وإبراهيم الآن لقد تضايق مني كثيرًا، مع إنه دائمًا من يسيء إلي، وأنا من ضعفي أذهب إليه مجددًا، لذلك سأدبر له المال وأفعل له عيد ميلاد ضخم وكبير جدًا، ولكن إن قلت لعمتي لن تعطي لي المال الوفير، سأجلب له دمية مثلك، وعطر مثل عطره الذي يضعه دومًا، والحلويات والكيك موضوع عليه صورتنا معًا، والبالونات والألعاب النارية في كل مكان، سأجعل له ذلك اليوم أجمل يوم في حياته، ولكن من يأتي لي ويفعل كل هذا، أنا سأجيب بدلًا عنك، لا أحد، الإجابة مؤلمة أعرف ولكن هذا الوقع، أتسمعني! لا تتكلم معي، سأكتب الآن تلك الرسالة التي سأعطيها لإبراهيم يوم عيد ميلاده".

*****

أشرقت الشمس، وأنارت الحياة، والطيور تملأ السماء بكاملها، القوس قزح، أعادت الحياة إلى عيني؟، والفرحة تشع في وجهي، ركضت وركضت، وجدت نفسي، في مكان جميل بالألعاب، والمهرجين، والسيرك، والتقيت بالشخص الذي أريد أن أبقى معه طيلة حياتي، كان في يده بالونات كثيرة، والتفت لي، وجاء بجانبي، وأعطاها لي، وبعد ذلك أتيت أمام لعبة المرجوحة والتفت نحوه، ولم أجده، وأصبحت أصرخ إبراهيم، إبراهيم، إبراهيم، وجدته في نهاية الطريق، ابتسمت، وكان ملتفت ولم أر وجهه، جاءت سيارة أمامي، ولم أعد أرى شيئًا، أغمضت عيني، والمكان أصبح أبيض وأسود،

واختفى إبراهيم.

*****

لم أعرف أهذا كله من شدة حبي وتعلقي به، أو أن شيئًا ما سيحصل، أو سيحصل شيء خارج توقعاتي!

*****

نهضت من فراشي، وكانت الساعة السابعة وخمسة وأربعين دقيقة صباحًا، وجميع من في المنزل نائم، إلا مروة، كانت تبقى حتى الصباح الباكر من شاب إلى آخر، مررت من أمام غرفتها وسمعت حديثها، وكانت تتصنع في كلامها وتقول له:

-"هل تعرف أن صوتك دائمًا يتعبني كثيرًا؟"

-"أشعر وكأنني أتكلم مع شاب وليس فتاة".

-"لا إله إلا الله".

-"محمدًا رسول الله".

-"حسنًا، تكلم لي على حياتك يا معتز".

-"أنا من عائلة فقيرة ولقد تركت مدرستي وأنا الآن أرعى الشاه".

وقالت مروة بعصبية:

-"وأنا لقد عقدت قران زواجي".

-"ولكن ألم أخبرك شيء؟!"

-"ما هو؟"

-"توفي جدي وترك لنا ميراث اثنين مليون دينار".

وابتسمت مروة وقالت بفرحة شديدة:

-"هذا خبر مفرح! وبالأمس تشاجرنا أنا وخطيبي وانفصلنا عن بعضنا".

-"ولكن هناك الأسوأ".

وبخيبة أمل، ردت عليه:

-"ماذا هناك ثانيةً؟"

-"ولكن المال اتضح إنه كله تزوير في تزوير".

وردت عليه بعصبية شديدة:

-"كأنك تريد أن تتعبني حقًا، أهذا صحيح؟ اغرب عن وجهي!"
وأغلق الهاتف، وقالت لنفسها:
-"سوف يتعبني كثيرًا هذا معتز، الله يأخذه، رتاج لا أعرف من أين تأتي بهم لي؟ سوف أبحث في الأرقام وألقى غيره".

*****

ضحك مراد في نفسه، وخرج من البيت، وذهب ليتمشى على البحر، وجلس بعد ذلك على الكرسي، وجاء رجل جلس بجانبه، وذهب مراد في الطرف الآخر، وقال له ذاك الرجل:
-"وجهك جميل جدًا".
-"ولما هذا الكلام؟"
-"أنا رشيد القطعاني، أشتغل في مصر وأخذ المواهب الجديدة من الكُاتِبين والمُمَثِلين والمُغَنِيين والمُصَوِرين والمُخرِجين".
ابتسم مراد وقال:
-"أنا كذلك لدى هواية في التصوير والإخراج، ولكن حلمي الكبير أن أمثل".
-"ووجهك جميل وصالح للتمثيل وستحقق نسب كبيرة من المعجبين".
-"ولكن لا أحب الغناء كثيرًا، وحلمي الأعظم على الإطلاق لو أنني أكتب قصة حياتي ليقرأها جميع الناس".
-"حسنًا، سأعطي لك رقمي واتصل علي به وهذا هو الكارت".
-"حسنًا، وماذا عن التَمثِيل؟"
ضحك مراد باستهزاء قائلًا:
-"التمثيل، التمثيل على أرض الواقع، الجميع يمثل على بعضه".
وأخرج رشيد السجائر من جيبه وأشعل واحدة:
-"أنا معك، عشت إلى الآن خمسة وثلاثين عامًا، لم أجد الراحة، واجعل هذا الشيء الذي سأقوله لك في بالك، لا وفي يبقى وفي، كلها فترة وتختفي، ولكن أترى هذا السيجار؟! هو الوحيد الوفي".
نظر مراد إليه بغرابة شديدة وقال:

-"وكيف هذا؟"
-"السيجار هو الوحيد الذي لا يخونك، أتراه يحترق الآن، وأنت تموت لأجله، أهناك وفاء بعد ذلك، أدخنه منذ أن كنت في العاشرة من عمري حتى الآن".
ضحك مراد وكله وجع وألم، وأكمل رشيد حديثه:
-"وأنت من الذي خانك؟"
ونظر مراد إليه، وظل يحدق فيه، والعبرة على وجهه، ورد قائلًا:
-"الدنيا، كلها خَانَتَنِي، صديقي خَانَنِي، أمي خَانَتَنِي، أبي خَانَنِي، الأقارب خَانُونِي، الحياة خَانَتنِي، وجميع الناس خَانُونِي".
-"حياتك تعيسة لهذه الدرجة؟!"
-"ليست تعيسة أبدًا".
-"وكيف ذلك، وإذا قلت لك أوصفها لي بجملة ماذا تقول؟"
ابتسم مراد قائلًا:
-"ماذا أقول؟"
-"نعم".
-"بلا حياة، أو لا حياة، أو لا وجود للحياة".
ونهض رشيد من الكرسي:
-"حسنًا، يا مراد أنا تشرفت بمعرفتك كثيرًا، وأتمنى لو أراك مرة أخرى، وأن تجلب لي روايتك لننشرها في أقرب وقت".
-"حسنًا، سأتصل بك على هذا الرقم، سنلتقي".
*****

ورجع مراد للمنزل، وعند دخوله بهدوء، ولا يزال الجميع نائم، سمع مصطفى وسمر يتكلمان:
-"هل تسمع يا مصطفى؟ أقول لك إنني حامل! منذ ثمانية أسابيع وأستطيع أن أفعل تحليل تحديد النسب عندما يكون عمر الطفل في هذه الشهور".
-"وهل هو مني، أو من أمير؟!"
-"أنا متأكدة إنه منك، أظل معك أكثر منه، ولنتأكد أكثر يجب أن نأخذ تحليل ال

DNA".

-"وكيف ذلك؟"

-"سنذهب غدًا لمختبر الرازي مقابل مستشفى الجلاء ويأخذون مني عينة من السائل الأمينوتي أو الدم، وأنت لعاب فمك، وتخرج النتيجة بعد أسبوع واحد فقط".

-"حسنًا، سنفعل، أخيرًا، سيأتي لي طفل لأفتخر به".

-"ولكن ماذا عن أمير؟"

-"أمير سيطلقك، لن يبقى معك كثيرًا، وبعد ذلك سأتزوجك بالسر، حسنًا؟"

وكان مصطفى يقول في نفسه:

-"سأقتلك، ونستفيد من أعضائك بما إنك ليس لديك أحد، وآخذ الطفل".

*****

دخل مراد لغرفته، وكان يفكر كيف في عيد ميلاد إبراهيم، وكيف سيأخذ المال، فكر، وفكر، كيف يحافظ على وجوده معه، واتصل بالرجال الذين كان يتكلم معهم سابقًا، ليقيموا ليلة، ويأخذ من كل شخص المال، ليقدر على فعل العيد ميلاد له.

*****

وبعد ساعات، وساعات، وجاءت أيام، وذهبت أيام، ومر هذا الأسبوع، واتصل مراد بإبراهيم وقال له:

-"أتعرف يا حيوان، ما هي حرمة هجر المؤمن؟"

-"لا أعرف".

-"في الحديث الشريف الذي يقول لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا، ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام".

-"بما أنك ديني لهذه الدرجة وتعرف كل هذا لما لم تأتِ".

-"حيوان، وأفهم من كلامك كنت تريد أن تتصل بي؟"

-"لا أعرف، يمكن".

-"أكره فيك برودة أعصابك".

-"حسنًا، نعم أفتح الهاتف وأريد أن أرسل وأتراجع عن ذلك، وأريد أن أتصل وأتراجع، ولقد اشتقت لك كثيرًا، هل يمكنني أن أراك اليوم؟!"

-"لا أعرف أظن أنني مشغول قليلًا".
-"تتلاعب معي، أليس كذلك؟"
-"حسنًا، أنا لماذا اتصلت بك إذن؟!"
-"لماذا؟"
-"لا يذكرك بشيء هذا اليوم".
-"لا تقل اليوم الأسود الذي رأيتك فيه".
-"لا يومنا الأسود ذاك ما يزال بعيدًا، فكر قليلًا".
-"اليوم الذي لم أعد أدرس فيه؟"
-"يا غبي، ليس هكذا! فكر".
-"حسنًا، حسنًا، هل هي أشياء مشتركة بيننا، مثل فصيلة الدم، والندبة على الوجه؟"
-"يا غبي، لن تعرف!"
وأغلق مراد سماعة الهاتف، وقال إبراهيم لنفسه:
-"تغلق في وجهي، سترى يا مجنون اليوم".

*****

وذهب مراد ذاك اليوم، لمحل العطور، والألعاب، واشترى الألعاب النارية، والبالونات، والحلويات، والكيك، والكثير من الأشياء، ومع ذلك ظل مراد طويلًا في تلك الغرفة، وأصبح يبكي قليلًا، ونام قليلًا، ويطفئ في الشموع، وينيرها من جديد، ومرت ساعة، ساعتين، ثلاث ساعات، حتى جاء إبراهيم، نسي مراد تلك الساعات، وعادت الحياة والسعادة والفرحة والابتسامة له، وجاء إبراهيم ليدخل ويفتح الباب، أوقفه مراد:
-"إياك أن تدخل أغمض عينيك".
-"حسنًا، لما كل هذا؟!"
ودخل إبراهيم وكان وجهه عكس الاتجاه، وكان مراد يقفز في كل مكان من الغرفة، لينير الشموع من جديد، ويعيد ترتيب باقي الأشياء، وأخذ إبراهيم، وغمى عينيه، وجلبه أمام الكيك، وأخذ مراد تلك اللعبة التي يخرج منها الكثير من الألوان، وضغط عليها، فخرجت منها كل الألوان، وفتح إبراهيم عينيه، وابتسم وكانت الفرحة لا تسعه، ولا حتى الأرض، وكان يطير في السماء محلق، وقال:

-"يا مجنون كيف فعلت كل هذا؟"
وكانت الضحكة والابتسامة لا تفارق وجه إبراهيم، ورد مراد قائلًا:
-"أريدك أن تفرح حتى ولو كان على حسابي، أريد أن أرى الفرحة على خديك، والابتسامة تنبع من قلبك، وليس من وجهك".
-"وهذا ما حصل معي فعلًا اليوم"..
-"أتمنى ذلك".
وأخذ إبراهيم يلتف في الغرفة ويرى الموجود، وأخذ فجأة يضحك:
-"هناك شخص يكتب لأحد في عيد ميلاده يا حيوان وحقير على البالونات؟"
-"هذا من الحب! أنت لا تفهم ولا تشعر".
-"سأكمل بدلًا عنك، يا حيوان، ليتني لم أرك، عديم الإحساس، أريد أن أرحل، كل شيء من ذلك اليوم الأسود".
قال مراد:
-"أهم شيء أنني أفرحتك بشيء فقط وليس إلا".
-"أعرف هذا هو الطير الخاص بي، أنا فقط".
-"ولا أعرف لماذا هذا الطير يحب سَجَانُهُ".
-"إذا كنت تعرفه اسأله".
-"إن سألته سيقول لي، إن هناك شيء يتنفسه اسمه إبراهيم، ودم يجري في شريانه اسمه إبراهيم، وشيء يعيش من أجله وزرع فيه الحياة والأمل اسمه إبراهيم".
-"وإن رددت عليه وقلت إنني لولا معرفتي به وذلك اليوم الأسود لما كنت أضحك الآن، يا سر سعادتي".
ومع ذلك شعر مراد بالقلق والخوف الشديد من أنه سيتركه، وقال له:
-"لن تتركني، أليس كذلك؟"
-"هل يستطيع أحد العيش دون نفس؟!"
-"لا يستطيع".
-"أنت هكذا".
-"ولكن لا يستطيع أن يعيش دون روحه، إذا ماتت الروح سيموت كل شيء، سنعد

بعضنا الآن! ونقول ذلك سويًا يا أخي".
وقالا مع بعضهما:
-" سنبقى مع بعضنا إلى ما لا نهاية , وأقدارنا ونهايتنا ستظل مرتبطة ببعض مهما طال الزمن".

*****

وأكلا الكيك، ووزع مراد الهدايا على جميع الأطفال أقارب إبراهيم، وأعطى لهم الكثير من الحلويات، وينظر إبراهيم إليه بتعمق وحب على ما يفعله أمامه، ويقول في نفسه:
-"مراد، هذا ملاك على الأرض، لا يخسر أبدًا، يحب جميع عائلتي من داخل قلبه، لا يوجد للخبث مكان في قلبه".
والتفت مراد إليه، وابتسم:
-"ماذا هناك؟ لماذا تنظر هكذا؟!"
-"لا شيء، أتعرف أنني محظوظ بك كثيرًا، ولكن أريد منك شيء واحد ألا تلبس هذا البنطلون ثانيةً".
تغيرت ملامح مراد للحزن، ولم يتكلم، وأكمل إبراهيم حديثه:
-"أنا أقول ذلك من حبي لك، وخوفي عليك من البشر الذين بالخارج، إنهم شياطين على الأرض".
-"في كل إنسان داخله الخير والشر، ولكن على ما يستغله ويؤثر عليه في حياته".
-"أعرف، أنت الخير والحب كله، إلا هم، هل تفهمني؟! لو كان لديك محبة ولو قليلًا من أجلي!"
-"حسنًا، من أجلك فقط".
ورجع مراد للمنزل، وهو في طريقه للمنزل، اتصل إبراهيم به:
-"الله يحفظك لي، ولا يحرمني منك بيوم".
-"هل أفرحتك الليلة؟"
-"نعم وكثيرًا، لأول مرة أشعر وكأنني إنسان، بعد ما كملت عمري كله حيوان".
ضحك مراد وقال:

-"أحبك كثيرًا يا مجنون".
-"وأنا كذلك، إلى أين وصلت؟"
-"أمام المنزل".
-"ادخل إذن، وكلمني على الإنترنت الآن".
-"حسنًا".
-"وارمي ذلك البنطلون".
-"حسنًا، سأرميه".

*****

وتوالت الأيام، والساعات، وإبراهيم عاد كما كان مع مراد، وتغير بعد عدة أيام، واتصل به مراد وقال:
-"إبراهيم، أين أنت؟"
-"أنا فرج، لست إبراهيم".
-"أين إبراهيم؟"
-"مع صديقنا يتحدثان".
-"أين أنتم؟"
-"نحن في منطقة سيدي فرج في المزرعة".
-"ماذا يفعل إبراهيم مع صديقكم هذا؟!"
-"يفتح له الباب ليرى الأسد".
رد مراد بعصبية:
-"أسد، أسد، أي أسد، ويقول لي لا تلبس هذا، ولا تفعل هذا، وخائف عليك، وهو يفتح ويجعل الناس يشاهدون ذلك الأسد".
ضحك فرج بشدة:
-"يا مريض لما هذا التفكير، هنا يوجد حديقة حيوانات، وفيها أسد".
وأجاب مراد بارتياح:
-"حسنًا، فهمت الآن!"
وصمت قليلًا، وأكمل كلامه:

-"وحتى، هذا الوقت يجب أن يكون معي وليس مع أحد آخر".
-"سأعطيه لك، وتفاهم معه".
-"حسنًا".
وتكلم مع إبراهيم وقال له:
-"ماذا هناك يا ابن الحرام، ما هذه الأفكار؟"
-"لا شيء، أريد فقط وقتك معي، وليس مع غيري".
-"حسنًا، سأغلق الآن وسأتصل بك لاحقًا!"
*****

وبقي إبراهيم كل ليلة يبتعد عن مراد أكثر فأكثر، وحالة مراد تزداد سوءًا أكثر فأكثر، ويبقى في غرفته وحيدًا بين أغراضه ودميته، وكلما يعاتبه على تقصيره يغلق ولا يعد يتكلم معه، ومراد يعطيه فرصة أيام كي يتصل به بعد ذلك من ضعفه واحتياجه للاهتمام يذهب كل ليلة مع شخص، وبعدها يرجع إلى إبراهيم ذليلًا، مقهورًا، مخذولًا، وفتح دفتره، وأصبح يكتب فيه.
*****

الحياة أصبحت مملة، تعودت على معاملة أبي وأمي دون الباقي، والإساءة دائمًا، واستحقار الناس لي، والتفكير الخطأ للناس بي، يجعلني أتألم كل ليلة، يا ليتني أقابل شخص يعيش مثل حالتي تمامًا، هو الوحيد سيشعر بإحساسي ويبكي لوجعي، لأنه عاش تفاصيل مثلي، الجميع يهرب مني فجأة، لم يعد يريدني أحد، حاولت كثيرًا أن يبقى إبراهيم معي، فعلت أشياء لا أريدها، أنا أتوهم، أو أكذب على نفسي بأشياء غير موجودة، لا أعرف، أين سأجد الحب والاهتمام؟ بعد كل هذا! أم أنني لست موجود، صعب جدًا، إذا ماتت أحاسيسك، وأحلامك، أنفاسك الأخيرة أمام عينك، وأنا أعيش ذلك كل ليلة، دائمًا أفكر في شيء واحد، وهذا الشيء الوحيد الذي علمتني إياه الوحدة وعدم الاهتمام، أهتم بما تحب لأن هناك لحظة وداع، تأتي وتأخذ منك من تحب، وهذا ما حصل مع صديق عمري موسى، أشكره في شيء واحد، على الأيام الجميلة التي عشتها معه أنا وهو ومريم، وأظل أفكر أن دائمًا الذكريات التي أضحكتنا يومًا أصبحت تبكينا، وما أبكتنا أصبحت تضحكنا، أهذا شعور غريب يحصل معي؟!

أو هناك من يشعر به غيري! وصدقت الآن مقولة قرأتها منذ يومين تقول:"إن البعد وعدم الاهتمام غايتهما شيء واحد اسمه النهاية"، وهذا ما يفعله إبراهيم، شعرت أنني قدرته وأعطيته أكثر من حجمه، وسامحته على أشياء كثيرة لو فعلها مع غيري لما كان موجود معه حتى الآن، أهو الظالم أم أنا؟ في قلبي إحساس يقول لو كان ما يعرف ما في داخلي من شعور بالوحدة وأحتاجه كي يملأ هذا الفراغ، ماذا كان سيفعل؟ ولكن لن أنكر إنه الوحيد من شعرت معه بالحب والاهتمام والعطف والسعادة والراحة والأمان الحقيقي، ولن أنساه حتى مماتي، يا ليته يكون قد قرأ تلك الرسالة التي كتبتها له في عيد ميلاده مع إنه لا يحب أن يقرأ الكلام الكثير، سيوضح فيها الكثير من الكلام، أظن أن نهايتنا قد اقتربت ولكن سأبقى معه حتى آخر رمق في حياتي، ليس لي أنا، بل كي ترتاح روحي من الوجع والألم، ولكنه هو من يوجعني ومع ذلك أجد معه راحتي، وكأنه دائي ودوائي، صحتي وعافيتي، ألمي ووجعي، نفسي وروحي، وأن هو من تعلمت منه معنى الحب، ومعنى الألم في آنٍ واحد، وتذكرت كلام جدي:

-"يا مراد، هل تعلم أن القطط تحب الحيتان كثيراً؟!"

-"وما هو الجديد في ذلك يا جدي؟!"

-يحبه أليس كذلك؟ قل لي".

-"نعم يعشقه كثيراً".

-"ولكن لن يدخل من أجله البحر".

-"نعم يا جدي، هذا صحيح لم تخطر في بالي هذه الفكرة!"

-"هذا درس لتتعلمه في حياتك المستقبلية، القطط تحب الحيتان ولكن لن تدخل من أجلها البحر، هذا يدل إنك إذا أحببت لا تجازف وتدخل للجحيم من أجل أي شخص، وتكون أنت الخاسر الوحيد".

وقال مراد لنفسه، في الوقت الحالي، وهو يبكي:

-"يا ليتني أستطيع أن أفعل ما قلت لي جدي وأرتاح من هذا الهم".

وأغلق مراد دفتره، ودخل واستلقى على فراشه لينام، وقال لنفسه:

-"تصبح على ألف خير يا أخي، إبراهيم".

وابتسم، وأغلق عينيه، وأراد أن يفتحهما ليرى غدًا أجمل.

*****

أما رتاج فقد استيقظت في الصباح على اتصال أنس وأجابت:

-"ماذا تريد من الصباح يا حقير؟"

-"ماذا هذا؟ لما أنت عنيفة هكذا؟"

وقالت رتاج في عقلها:

-"لم تر شيء من العنف، ولكن سآخذه على قد عقله".

وقالت له:

-"حبيبي أنس".

-"نعم يا روح أنس، هكذا بدأنا نتفاهم، لقد انتهت المدة وانتهى الأسبوعين".

-"ولكن أنا مشتاقة للفراش معك، وأن ألمس..."

-"لا، لا قلنا عنيفة حسنًا، ولكن جريئة لا".

-"لكن أنا أحب هذا الشيء".

-"إذا كنت جريئة في الفراش سنلتقي غدًا، ولأخذ بقية الأموال".

-"حسنًا يا حبيبي، أوزع لك القبل".

-"وأين القبل؟"

-"في جميع أنحاء جسمك، صدرك، شفتيك، يديك، والأسد".

ورد أنس بقوة:

-"هكذا أريدك".

-"وأين سنلتقي؟"

-"في عمارات منطقة السرتي، التي كنا نتقابل فيها منذ القدم، سآتي عند الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، سيكون الجميع نائم، ولا يوجد أحد".

-"حسنًا، أين المفتاح؟"

-"سوف أعطيه لكِ غدًا صباحًا عندما تخرجين من الجامعة".

-"ولكن أنت لا تأتي عند الواحدة".

-"لماذا؟"

-"تعالا بعدها بقليل، كي أحضر لك الأكل، أو لا تريد أن نأكل ونتسلى".

-"نعم بكل تأكيد أريد".
-"هكذا أريدك".
وضحك أنس وقال:
-"تفهمينني من كلمة يا حقيرة، هذا ما أحبه فيك".
-"نعم، كما تريد وأريد، أنا سأدخل الآن للحمام وأرسل لي العنوان بالضبط وأي عمارة كي لا أنسى".
-"حسنًا، وتذكريني معك في الحمام".
أغلقت رتاج الهاتف وقالت:
-"يا حقير، سينتهي كل شيء الليلة، وأرتاح من هذا الهم، وأهرب مع حبيبي وزوجي المستقبلي سعد".

*****

بينما كانت سُهَا في ذلك الوقت، نائمة جنبها في الفراش ومستيقظة تسمع جميع الكلام، وبعد ما خرجت رتاج من الغرفة ذاهبة للحمام، نهضت سُهَا وأخذت هاتفها، وسجلت الرقم عندها، وأرسل أنس الرسالة موجود فيها العنوان، ووضعت الهاتف على الطاولة، وقالت سُهَا لنفسها:
-"يا الله، هذا ليس صحيح، لا يوجد في هذه الحياة أنس واحد يوجد الملايين، وحتى الرقم ليس مثل رقمه، إنه يحبني وقال لي ذلك وسنتزوج، سآخذ باقي المال من ذلك الرجل المتعجرف عبد الواحد وسنهرب سويًا أنا وحبيبي أنس، ولكن سأذهب وراءها حتى أعرف ماذا تفعل من ورائي هذه الحقيرة؟!"

*****

ودخلت رتاج للغرفة، وسُهَا مَثَلَت عليها أنها نائمة، وهي تناديها:
-"سُهَا، سُهَا، هيا يا خميرة كل هذا نوم، يا ليت أستطيع أن يعود الزمن بنا صغارًا، لكن أنتِ تربيتي بلا أب ولا أم، وأنا بلا أم، وعلى الأغلب إن الأب دوره محذوف جزئيًا من حياتي".

*****

بينما كان أنس موجود في بيته في منطقة الليثي ومعه سعد يتحدثان وقال له والشر

يملأه:
-"سعد، أخي، الانتقام قد حان وقته!"
-"نعم، وحق أمي وأبي اللذين قتلا بغير حق، سنأخذه غدًا".
-"وهذه الغبية سُهَا دائمًا فوق رأسي، سنتجوز وأحبك، ولكن كي لا أظلمها دائمًا تجلب لي المال، وسنفتح مشروعنا ونعيش منه".
-"ولكن الأهم حق أبي الذي قتله عبد الواحد وكان مخلصًا له، وأبي لم يكن يعرف أنها زوجتك، قتله، ولم يكتفي، قتل أمي أمام أعيننا، أتتذكر يا أخي".
ودمعت عيونهما، وأصبحا في حالة بكاء، وأكمل سعد حديثه:
-"أتتذكر، كيف تشردنا كثيرًا، في الشوارع لم نجد المال كنا صغار، ولا يوجد أقارب، ولا سند لنشتد على ظهره".
وضحك ضحكةً خفيفة سعد والحسرة في قلبه وقال:
-"ولكن لولا وسامتك يا أخي الصغير، لم نكن وصلنا إلى هنا، وفي كل مرة تخدع في فتاة، وأنا كذلك حتى نصل لمستواه وأتعارف على رتاج المسكينة، التي أحبتني بصدق، وتصدق أنني سوف أهرب معها غدًا".
-"وماذا ستفعل يا أخي؟"
-"سأدخل للبيت لأقتل عبد الواحد، هم في منطقة بوعطني ونائية لن يسمع أحد شيء، ولكن لن أقتله بالسلاح، بل بالسكين، سأذبحه من الأذن اليمنى حتى الأذن اليسرى، أمام عيني ابنته رتاج، أريدها أن تتألم، كما تألمنا نحن على أُمِنَا".
-"وكيف ذلك يا أخي؟ رتاج ستأتي إلي في ذلك الوقت".
-"يا متخلف شغل دماغك، ستخدعك من المتأكد، ستخرج من المنزل وتقول لك أي شيء، لأنها مقتنعة أننا سنهرب أنا وهي لتذهب لبيتها وتأخذ ملابسها والمفاجأة، بوووم إنها ستراني هناك".
-"وأنا ماذا أفعل في العمارة إذن لأذهب إليها؟!"
-"يا غبي افهم، هل اتصلت سُهَا على الرقم الذي تتكلم منه مع رتاج؟"
-"حسنًا وماذا؟"
-"أنس، جمال موجود، ذكاء ليس موجود".

-"لم أفهم يا أخي!"
-"ستلاحقها، لأنك أنت قلت لرتاج لا تخبر أحد، وسُهَا من المؤكد أنها تريد أن تعرف ما سيحصل، بعد ما سمعت اسم أنس، حتى وإن كان الرقم ليس مثل ذلك الرقم الذي تتكلم منه معها".
-"فهمت الآن! ولكن ماذا سأفعل مع سُهَا؟"
-"ستأخذ منها المال وتتركها وتأتي إلي، هذه الفتاة لا يأتي بيدها أن تفعل شيء، فاطمئن".
-"هكذا الأمور أصبحت واضحة".
نفخ سعد بفمه، قائلًا:
-"وأخيرًا".
-"وماذا سيحصل مع أخوها عبد الله؟"
-"لقد نسيته، جعلته يدمن أصبح مثل المجنون، وفي كل مرة يأتي لي ومعه ذاك الولد سليم أصبحا لا ينامان".
-"ولماذا لا نفعل له شيئًا؟"
-"صديقنا الودود سيتولى ذلك بنفسه".
-"هو قال لك ذلك!"
-"نعم".
-"و رتاج ألن تفعل بها شيئًا؟!"
-"رتاج! مجنون أنت، صورها كلها ستوزعها على الجميع، مع مشاهد الفيديو تلك، ولا يوجد خسارة بعد أن خسرت شرفها، وكرامتها، وصيتها!"
-"سنبدأ، وكما تدين تدان".
-"أي شيء تفعله يا أخي لأحد سوف يرجع لك مهما طال الزمان".
ماذا سيحدث؟ وكيف ستكون نهايتهم؟ ومن هو الصديق الودود الذي سيساعدهم؟! سنعرف والقادم سيكون غير متوقع!

*****

ونهض مراد من فراشه، ليفطر ويذهب لمدرسته، ونزل للأسفل ليتحدث مع أميرة، ووجدها مع جدته فاطمة في الغرفة، وقال لها:

-"عمتي، حبيبتي، كيف حالك؟"
-"الحمد الله، وأنت ما تزال يدك تؤلمك؟"
ابتسم مراد قائلًا:
-"لم أعد أشعر بالألم، الألم بدأ يشعر بحالتي، ولست أنا".
-"لا تتكلم هكذا! أنا متأكدة أن الأمور ستكون بخير في القادم، أتمنى ذلك".
-"أنتِ قلتِها الآن تَتَمَنِي ذلك، فهو تَمَنِي".
-"ويمكن سيحصل".
-"ويمكن لن يحصل!"
-"لا تكن متشائم لهذه الدرجة، مع كل الظروف التي نعيشها سيكون هناك لو أمل بسيط سنتمسك به بأيدينا وأسناننا".
ودخل للغرفة مصطفى وقاطعهما:
-"أنتِ قلتِها يا أختي، لو هناك أمل، فهذا يعني النفي عن فعل الشيء".
-"أنت لا تتدخل".
-"والآن قد نَفَيتِنِي من التدخل، تعجبني أجواء حصة اللغة العربية كثيرًا".
وأكمل مصطفى حديثه، وحدق إلى مراد وهو يبتسم:
-"ابني مراد".
فرح مراد بذلك، قائلًا:
-"نعم يا أبي".
-"عيد ميلادك بعد أسبوعين من الآن".
نظرت أميرة في مصطفى والنار تشتعل في عينيها، قائلة:
-"وإذا كان عيد ميلاده بعد أسبوعين؟"
-"أنتِ قلتِ إذا، أي لنفرض، في هذه الحالة سنقيم عيد ميلاد له".
وابتسم مراد قائلًا:
-"أهذا صحيح، يا أبي؟"
ردت أميرة:
-"مراد، أنت اخرج الآن، اذهب لمدرستك".

-"حسنًا يا عمتي، هل ستأتي لتأخذيني من المدرسة بعد الانصراف؟"
-"حسنًا، سآتي لأخذك".
وخرج مراد من الغرفة، وظل وراء الباب يسمع حديثهما، وقالت أميرة:
-"أتريد أن تستغل الطفل فقط؟!"
-"لا، لا، لا أسمح لك أن تسيئي الظن بي، إنه ابني".
-"ابنك؟ صدقتك، أتعرف شيئًا؟"
وأشارت أميرة إلى أمها:
-"أترى هذه؟ أتراها جيدًا، هي التي جعلتني أصبر إلى الآن، أريدها أن تستيقظ لينتهي كل شيء، ويسقط هذا الحمل عن أكتافي".
-"دائمًا حكم ومواعظ، لم تيأسي من ذلك!"
-"لن أيأس حتى ينكشف هذا السر، ولن أجعلك توهم الطفل وتجعله يفرح بكلامك، حرام عليك يا رجل!"
-"حرام على الذي يسرق ويكذب، أنا الحمد الله صلاتي في وقتها".
-"لا، واضح مثل عين الشمس، هناك بشر تصلي وتكذب، وهناك بشر تصلي وتسرق، وهناك بشر تصلي وتقتل، الصلاة أصبحت عادة وليست عبادة!"
-"يا أميرة، يا أميرة، مللت من هذا الكلام الفارغ، اذهبي إلى أمك!"
-"يا ليتني أعرف ماذا هناك بينك وبين عبد الواحد، أمور مهمة بهذه الدرجة ليأتي إليك ليلًا تلك الليلة؟"
-"وأنتِ لما تتدخلي فيما لا يعنيك، وستسمعين شيء لن يرضيك".
-"حسنًا، لكن إياك أن تستغل مراد لتخدعه بالعيد الميلاد وأنت تريده لك كبضاعة تستفيد منها لمصالحك، إياك".
-"أنا أريد أن أستغله، لقد تعبت كثيرًا حتى وصل هذا اليوم، الذي سيصل فيه لسن الثامنة عشر، وها قد جاء، وأبي حتى بعد موته لم يتركني أرتاح".
-"ولما ترتاح، ستجزى على أفعالك وتقول أميرة قالت".
-"حسنًا يا شيخة أميرة، هل من شيء آخر؟ أريد أن أذهب".
-"لا شيء اذهب، ولكن أجلب معك الدكتور شادي".

-"الدكتور شادي، لماذا؟"

-"ليعطي الدواء لأمي، وأشعر أنني سأتعامل مع دكتور آخر يمكن الدواء الذي يعطي لها شادي ليس له أي مفعول".

-"لا، لا، إياك أن تجلبي دكتور آخر، شادي أفضل خيار، حسنًا".

*****

وخرج مصطفى من الغرفة وذهب للمطبخ، ليتصل بالدكتور شادي، وأميرة قالت لنفسها:

-"لقد انتهت علبة التغذية، أين وضعت الباقي؟ نعم تذكرت في الثلاجة، سأذهب وآتي يا أمي".

في حين كان مصطفى يتكلم بالهاتف مع الدكتور شادي، وأميرة وصلت حتى الباب وعندما سمعت كلمة أمي وقفت لتسمع:

-"أمي لا تستيقظ أبدًا، أفهمت!"

-"حاضر سأفعل".

-"وتظل تعطي لها في تلك الأدوية هذه لها فاعلية ممتازة، كل يوم تأتي، وتعطيها إياها، لا أريد شيء ينزع علي شيء، أبي وانتهيت منه، لا أريد أي شيء آخر يقف ويسد لي طريقي".

-"حسنًا يا مصطفى".

وأغلق الهاتف، وفي تلك اللحظة، دخلت أميرة:

-"لماذا قلت هذا الكلام يا مصطفى؟ ماذا تقصد بأمي لا تستيقظ أبدًا، وأبي انتهيت منه؟!"

أصبحت ملامح الخوف والارتباك تسيطر على مصطفى، ورد قائلًا:

-"لا، لا، شيء يا أختي، كنت ألومه على أن أمي لا تستيقظ حتى الآن! وأبي من إهمالهم به فقط حتى انتهت حياته".

-"حسنًا، خائف على أمك لهذه الدرجة؟!"

-"نعم، والشخص لا يملك في هذه الدنيا سوى أمه".

-"إن شاء الله يكون كلامك كما تقول".

-"كوني متأكدة".
-"والله يا أخي، الناس أصبحت كلام لا أفعال".
وخرجت وذهبت للغرفة، وقال مصطفى:
-"كادت أن تكشفني، الله سترها".
واتصلت به سمر وهو خارج من المنزل، وفتح سماعة الهاتف وقال:
-"ماذا هناك يا سمر؟"
-"لقد فعلت التحاليل والنتيجة خرجت وهي بين يدي الآن".
-"ما هي انطقي؟"
-"إنه ابنك، ابننا سويًا، النتيجة بنسبة تسعة وتسعين في المائة".
ملأت الفرحة مصطفى وأصبح يردد:
-"سيكون لي ابن حقيقي، شريف، عفيف، يرفع اسمي ورأسي أمام الناس، يا رب، يا رب".

*****

وجاء وقت خروج مراد من المدرسة، وأميرة كانت في الخارج تنتظره، ويفصل بينهما الطريق، خرج مراد من باب المدرسة والبسمة على وجهه، بعد رؤية أميرة، ولاحظ نفس السيارة المظلمة التي كانت تلاحقه منذ فترة، جاء ليقطع الطريق ويذهب لعمته، وتأتي تلك السيارة وتفتح بابها الكبير، ويخرج منها ذلك الرجل وكان يضع غطاء أسود على رأسه، وضع إبرة المخدر في رقبة مراد، وصعد به إلى السيارة، وأميرة تصرخ: "مراد، مراد، مراد"، وتبكي وتصرخ بأعلى صوتها وقالت أيضًا:
-"يا ناس، يا قوم، ساعدوني الطفل خطف، سأتصل بمصطفى".
واتصلت بمصطفى قائلة:
-"مصطفى، مصطفى، مراد قد خُطف الآن من أمام المدرسة".
-"ماذا؟ ماذا؟"
-"الآن جاءت سيارة ضخمة سوداء وأخذوه فيها، تعال سريعًا".
-"من المؤكد أنهم يريدون المال، هذه قصة كبيرة".
-"هذا ابنك يا متخلف!"

-"أنا لم أحصل حتى على مالي الذي إلى الآن لم أخذه بسبب مراد هذا!"

-"أنت لست بشر، وليس لديك قلب!"

ورجعت أميرة مسرعة للمنزل، لتتكلم مع جميع المنزل:

-"مصطفى، هل لديك أعداء، ليفعلوا بك هذا؟"

رد عليها مصطفى قائلًا:

-"لا، أنتِ تعرفينني مسالم درجة أولى".

وقاطعتهما أسماء:

-"مصطفى، سيطلبون الكثير من المال، ونحن لم نحصل على شيء حتى الآن".

حدقت أميرة إليه بغضب شديد قائلة:

-"أنتِ يا أم، أتسمعينني! ابنك مخطوف الآن، وأنتِ تفكرين في هذا الموضوع".

وقال أمير:

-"ماذا ستفعل يا أخي؟"

-"لا أعرف، أظنهم سيتصلون بي".

-"الأفضل أن يموت لأن ما حصل معه منذ زمن ما زالت الناس تتكلم فيه، والفيديو الذي كان موجود في الحمام، والرجال اللذين كان يمشي معهم، وغيره الكثير، وهناك موضوع آخر مع شخص اسمه إبراهيم ولكن ما زلت وراءه".

قاطعتهم أميرة:

-"أنتم ماذا؟ من أنتم؟ من أنتم؟"

وقال مصطفى:

-"يذكرني هذا الكلام بالرئيس معمر القدافي، لقد كان كلام رائع، وإذا كنتِ ستقولين هكذا دائمًا فأنصحك به لائق عليكِ كثيرًا ويناسبك".

وقال أنور:

-"لقد فضحنا كثيرًا، هذا الولد، لو كان مخطوفًا، ويريدون المال فالأفضل أن يموت مقابل أفعاله وتشويه سمعتنا، وأنا لو مكانك يا مصطفى لن أدفع فيه دينار واحد".

ردت أميرة بعصبية شديدة، والبكاء في عينيها، وظلت تحدق في الجميع، قائلة:

-"أنتم هذا كلامكم، مصطفى، أنور، أمير، وأنتِ يا أسماء هذا ابنك، أو نسيت أنا ذلك

الموضوع لهذا لن تهتمي".
والتفت نحو مصطفى وأنور وأمير وأشارت إليهم بإصبعها، قائلة:
-"أنت وأنت وأنت، أنتم كلكم، جميعكم، لا يوجد لديكم إحساس الشهامة، ولكن أنا لن أستسلم، لن أستسلم".
رد مصطفى قائلًا:
-"أميرة نسيتِ باقي الجملة، ننتصر أو نموت، وتنتقلين من معمر القذافي، إلى عمر المختار".
وصفق بيديه وأكمل حديثه قائلًا:
-"أوووو، هنيئًا لكِ أنتِ الشهامة يا أختي اختياراتك دقيقة في العظماء، ولكن لا تنتقلين سريعًا هكذا ثانية، هذه مثل الانتقالات الشتوية لمدربي كرة القدم".
-"حقير".
ورن هاتف مصطفى فقال لأميرة:
-"هذا رقم غريب!"
-"أجيب عليهم، أظنهم من أخذوا مراد".
رد مصطفى عليهم:
-"ألو، ألو".
-"ابنك مراد موجود لدينا، إذا كنت تريده أن يبقى حيًا، اجلب لنا خمسمائة ألف دينار".
-"ماذا؟ ماذا قلت؟ أتركوه معكم إذن".
-"أنا أخبرتك، فقط معك أسبوع واحد من الآن، بدأ الوقت".
قالت أميرة:
-"من أين سنأتي بكل هذا المال؟!"
-"لا أعرف، سأتصل على رضوان".
-"من رضوان؟!"
-"صديقي منذ الطفولة، رجل، بني آدم مثلنا".
اتصل مصطفى على رضوان:

-"رضوان، سأرسل لك رقم ابحث لنا عنه، وأريدك أن تعرفه لي من يكون".
-"حسنًا".
وقالت أميرة لمصطفى:
-"تحدث معه عن المال".
-"حسنًا، اصمتي لأتكلم".
وأكمل مصطفى حديثه مع رضوان:
-"لقد خطفوا مراد، ويريدون خمسمائة ألف دينار، هل تساعدني من المسؤول؟ أتفهم، من الأعلى".
-"حسنًا، سأكلمك مساءً، لأقول لك ما حدث معي".
وقالت أميرة:
-"من هذا المسؤول، ومن الأعلى، كلامك مثل العصابات".
ضحك مصطفى قائلًا:
-"عصابات يا أميرة، أنا وجهي وجه عصابات".
-"حسنًا".

*****

بينما كان رضوان موجود معه عبد الواحد والمعتصم بالله، وقال عبد الواحد:
-"لا تجعله يشعر وكأننا نحن وراء هذا الموضوع، حتى وإن كان زوج أختي وابن أختي، ولكن مصلحة الشغل وإرضاء السيد الأعلى أهم من ذلك حتى نرتفع، وما رأيك يا أخي؟"
-"هذا عقاب لهم على ما فعله أبي مصطفى، الله يرحمه، من نصب واحتيال عليهم منذ زمن، نحن ليس لنا دخل في الموضوع، سوى أن نحمي مصالحنا".
وقاطعهما رضوان قائلًا:
-"سترتفعون للأعلى بإخلاصكم للسيد الأكبر، وتأخذون ما تستحقون".
رد عبد الواحد:
-"نحن بالخدمة لرئيسنا دومًا".
وقال المعتصم بالله:

-"أخي أنا ذاهب لهم في المنزل كي لا ينتبهوا أن لنا أي علاقة بالعملية".
قال عبد الواحد:
-"اجعلهم يتصلون ويخبرونا فقط، كيف نذهب وهم لم يخبرونا!"
-"هذا صحيح، لم أفكر في هذا!"
-"غبي، غبي! سننكشف هكذا".
قطاعهما رضوان قائلًا:
-"ولكن هم لن يخبروا أحد وإلا مراد قتل!"
قال عبد الواحد:
-"كلامك صحيح، لهذا سنتصل نحن وهم سيخبروننا ونذهب إليهم".
-"وهذا الصحيح، اذهبوا من الآن!"

*****

وخرج عبد الواحد والمعتصم بالله من ذلك المصنع المهجور، ليتصلا بهم، ويذهبا متجهين لهم، واتصل رضوان بالقائد الأعلى:
-"صَدَقُوا يا سيدي، وقد بلعا الطعم عبد الواحد وأخوه".
-"ممتاز، ممتاز، هذا خبر مفرح، اجعلهما يظنان أن مصطفى الوحيد الذي نريد منه كل شيء، وسيأتي دورهما هما كذلك".
-"هذا هو الكلام!"
-"والأهم إن الذي اتصل لا يكون مصطفى يعرفه حتى لا يُفَرِز صوته".
-"هذا الشيء مضمون، وماذا عن الدكتور شادي؟"
-"هذا المعتوه أعطي له أي شيء، ولكن لولاه لما عرفنا أن مصطفى يبيع الأعضاء من وراء ظهرنا، وكذلك عبد الواحد لو لم يتصل به ويتظاهر مصطفى أنه في البيت، سأنتقم منه، كما نصب أبوه على أبي سابقًا، سأجعله يدفع الثمن غاليًا".

*****

وجاء الجميع للمنزل، ليلى وأسامة وصلا أمام المنزل، والتقيا بعبد الواحد والمعتصم بالله عند الباب.
وقال عبد الواحد:

-"كيف حالكم، يا..."
رد أسامة وكاد أن يسقط من كثرة الشرب قائلًا:
-"يا ماذا؟ أكملها".
-"يا محترمين".
قالت ليلى لأسامة، بهمس شديد:
-"أرجوك، أرجوك، ليس هذا الوقت المناسب لهذا الكلام".
ورد أسامة بعصبية:
-"ألا ترين ماذا يقول؟ كيف أصمت؟!"
ورد عبد الواحد:
-"تبقى الأسود أسود، والكلاب كلاب".
وتقدم أسامة نحوه ليضربه، فمسكته ليلى، وقالت لعبد الواحد:
-"أرجوك، يا أستاذ عبد الواحد بلا مشاكل، نحن في محنة شديدة، ترقبوا الموت".
-"اسمع كلام زوجتك، ترقب الموت، ترقب الموت".
ودخلوا جميعًا للمنزل، وكانت الأوضاع متدهورة بين الجميع.

*****

وأميرة كادت تنفجر من البكاء، قائلة:
-"يا مراد يا حبيب عمتك، يا الله كن معه وساعده يا رب، أتوسل إليك".
قالت لها ليلى:
-"أميرة، مراد سيرجع حتى ولو لم نحصل على جميع المال سنفعل أي شيء".
-"ماذا سنفعل؟ وقالوا إن أخبرنا أحد أو أخبرنا الشرطة سيقتلونه".
وكانت سمر تقول لنفسها، والجميع أمامها:
-"يا مراد، يا طيب، لقد ضعت مجانًا، يا رب كن معه".
تحولت ملامح أميرة للغضب، قائلة لسمر:
-"أتعرفين يا سمر عندما أراك أتذكر سورة بالقرآن الكريم؟!"
-"أنا وعلاقتي بسورة بالقرآن، ما هي؟"
-"سورة المنافقون".

-"لماذا هذا الكلام؟"
-"وعلاقتك توسعت ليس مع القرآن فحسب بل مع الأحاديث الشريفة، الخاص بآية المنافق الثلاثة".
-"تظلمين في هكذا!"
-"اصمتي، ولا تُمَثِلِي، اجعلي نفسك على طبيعتك".
وقاطعتهما عائشة قائلة:
-"سَتَرُون يا جماعة كل شيء سيكون بخير".
وقالت أميرة إلى ليلى في همس وصوت خفيف:
-"أتَرِين أسماء، ولا كأن شيء حصل، أين إحساس الأمومة فيها؟!"
-"الله يكون مع مراد يا أختي!"
وقال مصطفى لعبد الواحد:
-"لا أعرف يا أخا زوجتي، من يكون وراء الموضوع؟ إذا عرفته سأفعل فيه الذي لم يفعله فيه شخص آخر".
-"إن شاء الله ينير بصيرتك وقلبك، وتعرفه قولوا آمين!"
-"أشعر وكأنني عرفته".
والخوف سيطر على عبد الواحد، وقال:
-"من يكون؟"
-"القائد الأعلى".
ضحك عبد الواحد وقال:
-"القائد الأعلى، مستحيل، أتعرف شيئًا إن حصل فذلك معجزة، من سابع المستحيلات؟"
-"لا أعرف شككت فيه، ألا تتذكر ما فعله مع مراد عندما كان صغيرًا، والآن سيكرر هذا ولكن بالخطف كي يستغلني ويأخذ مني المال".
-"لا، لا، لا، إياك وأن تفكر هكذا، غدًا سأتصل به، وأتأكد من هنا وهناك ومن رضوان".
-"حسنًا، ستفعل لي معروف".
-"أفديك بحياتي أنا، من لي غيركم السند والعزة، وسأكون معك عليهم، تأكد من ذلك".

-"حسنًا، إن شاء الله يا رب لا أفقدك طيلة حياتي".
-"أين أنور؟"
-"خرج للمتجر وسيأتي ويتأكد أن الخبر لم ينتشر في المنطقة هنا، وإن سألونا سنقول إنه ذهب للمزرعة".
قطاعهما أمير:
-"لا تقل لي يا أخي إنك تريد أن تدفع لهم المبلغ الذي يريدونه!"
-"لا أعرف أختك أميرة مُصَمِمَة، وقالت ستأخذ ذهبها وتبيعه وذهب أمك، وقليل من المال لديها، وستأخذ قرض، وتسحب القليل من المال الذي تأخذه من المستشفى الذي تخدم فيه".
-"وأنت؟"
-"لدي مئة ألف، سأفعل هذا من أجل أن يبقى حيًا، حين بقي على عيد ميلاده أسبوعين ويبلغ السن التي أوصى عليها أبي في وصيته وأخذ المال من الميراث خُطف، هذا حظي!"
وقاطعهم المعتصم بالله وفكر فيما فعله فيه عندما كان صغير، قائلًا:
-"إن شاء الله سيرجع سليمًا، لقد كان طيب وحنون في صغره، كثيرًا، كثيرًا".
وقال عبد الواحد:
-"وهل سيتصلون بك مرة أخرى يا مصطفى؟"
-"نعم، قالوا لي بعد قليل".

*****

وبعد مدة من الزمن.
اتصلوا بمصطفى، وصرخ لأميرة وللجميع، وقال بهدوء:
-"نعم".
-"ليس لديك وقت كافي بقي لديك ستة أيام فقط".
قالت أميرة لمصطفى:
-"قل لهم هل نستطيع أن نراه؟"
ورد مصطفى وقال لهم:

-"هل نستطيع أن نراه؟"

-"حسنًا، سنتصل بك بعد دقائق".

*****

وبعد مرور ربع ساعة اتصلوا من جديد.

ورد مصطفى عليهم:

-"نعم".

-"افتح كاميرا الفيديو لتراه".

-"حسنًا سأفعل".

وفتح مصطفى الكاميرا ليرون مراد وكان يصرخ، ويبكي بكاء شديد، ووجهه كله منتفخ من شدة الضرب، وموجود في مكان مظلم لا وجود إلا لنورٍ خفيفٍ جدًا، وعندما رأته أميرة بدأت تبكي، وتلمس بيديها شاشة الهاتف، قائلة:

-"يا حبيبي، ماذا فعلوا بك؟! لا تستحق هذا".

-"الآن نريد أن نغلق، سنبقى على اتصال وأنتم لا تتصلوا بأحد، إياكم!!"

*****

وفي اليوم التالي.

وكان الوضع يزداد سوءًا، في حين كان الوضع مع رتاج في مخيلتها إنه سيصبح بخير، وإنما كان سيزداد سوءًا، ويؤدي بها إلى طريق واحد اسمه النهاية.

*****

كانت تجمع في أغراضها وملابسها في الحقيبة لتذهب مع سعد، ودخلت عليها سُهَا قائلة:

-"ماذا تفعلين؟"

فزعت من الخوف رتاج في تلك اللحظة وقالت:

-"أرعبتني!"

-"أنتِ تفعلين شيء خاطئ كي أرعبك لهذه الدرجة؟"

تغيرت ملامح رتاج للخوف بعد كلام سُهَا وردت قائلة:

-"لا يا حبيبتي، لو أنني أفعل شيء لأخبرتك، أنتِ صديقتي الوحيدة والمقربة ومنذ

الطفولة".

-"أأنتِ متأكدة؟!"

وردت رتاج بعصبية، قائلة:

-"لما هذه الأسئلة كأنني بقسم تحقيق؟!"

-"حسنًا، لا تحزني، أنا أريد أن أنام بالصالة، رأسي به صداع شديد وكي لا أزعجك".

قالت رتاج في سرها:

-"هذا سيساعدني حتى لا تستيقظ وهي معي في الغرفة".

وقالت لها رتاج علنيًا:

-"إذا كان هذا سيريحك، حسنًا".

*****

وكانت كلتاهُمَا تفكر في شيء حتى لا تلفت انتبه الأخرى، مع أن كلتاهُمَا تعرفان كل شيء، والحقيقة المرة والتي لا تعرفانِهَا أن أنس يكون أخا سعد وكل شيء عبارة عن انتقام.

*****

الساعة الحادية عشر مساءً.

وعبد الواحد رجع للمنزل باكرًا، ومصاب بالبرد، ونام في فراشه، وعبد الله في الخارج مع سليم، والمعتصم بالله موجود مع أمير في بيت فتاة تشتغل في الدعارة وتبيع الفتيات اللواتي ليس لديهن عائلة، خرجت رتاج من غرفتها مطمئنة على جميع الأوضاع، وجاءت للصالة حيث سُهَا نائمة، ونادتها بصوت خفيف، وتأكدت أنها نائمة، أخذت مفاتيح سيارة أبيها، وخرجت من المنزل، ونهضت سُهَا مسرعة للطريق وأخذت سيارة أجرة لم تصعد إلا مع رجل مسن، وظلت ذاهبة وراء رتاج، وأوقفت السيارة لتدخل لمتجر المواد الغذائية وتأخذ منه سم الفئران، وتذهب بعد ذلك للصيدلية وأخذت منها منوم ومخدر شديد، وكانت سُهَا وراءها بالسيارة، ودخلت المطعم وأخذت منه السمك والدجاج وغيره، وذهبت مسرعة للشقة الموجودة في عمارات السرتي، وأوقفت السيارة ودخلت العمارة، وصعدت للمنزل، وسُهَا صعدت وراءها ورأتها أين دخلت؟ في حين كان خارج العمارة هناك شبان يشاهدان ما يحدث من بعيد، وبقيت سُهَا

موجودة على السلالم في الدور العلوي تراقب، و رتاج داخل الشقة تضع الأكل على الطاولة، وجاءت لتضع السم، وترددت كثيرًا، وقالت:

-"لن أفعل هذا الشيء، مهما يكن من المؤكد لديه أم تخاف عليه".

ورمت الكيس في القمامة بعد ذلك، ووضعت كمية كبيرة جدًا من المخدر والمنوم لينام طويلًا وقالت:

-"هذا كافي، سأزيد ثانيةً، هذا كافي، سأزيد ثانيةً".

وفي كل مرة تسكب زيادة على السمك والدجاج والمشروب، وتقول:

-"هذه الكمية ستجعله ينام مدة طويلة، كله من أجلك يا سعد من أجل حبنا فقط، سنهرب سويًا، يا الله أنا سعيدة للغاية".

*****

وعند منتصف الليل.

فتحت باب الشقة، وجميع من في العمارة نائم، وأغلقت الباب، واتصلت على أنس قائلة:

-"أنس حبيبي، أنا ذاهبة للمنزل الآن، لقد نسيت باقي المال هناك".

-"لماذا؟ أنتِ أهم من المال!"

-"لا يا حبيبي، ألست دائمًا تقول لي أن نكون على حق!"

-"حسنًا، اذهبي، ولكن الوقت متأخر".

-"معي سيارة أبي، سأذهب سريعًا، وسآتي سريعًا، وسأترك لك المفتاح تحت السجادة الصغيرة أمام باب الشقة، وكُل الطعام الذي على الطاولة كله، حتى آتي لأجدك أسد، أسد".

-"حسنًا يا روحي، لا تتأخري كثيرًا".

-"لن أتأخر، حسنًا".

*****

ووضعت رتاج المفتاح تحت السجادة، وذهبت بالسيارة مسرعة للمنزل لتأخذ حقيبتها وتهرب مع سعد ولم تعلم ما ينتظرها، ونزلت سُهَا من السلالم العلوية وأخذت المفتاح وفتحت الشقة، ودخلت للغرفة الداخلية كي لا يراها أحد، وكان الشابان بالخارج

وشاهدا رتاج تصعد في السيارة، وقال أحداهما:
-"هذه الأشكال جديدة هنا في المنطقة، أرأيتهما قبل ذلك؟"
-"لا لم أر أيًا منهما".
-"امرأة تدخل، والأخرى تخرج، إن أتى شخص آخر أنا فورًا سأصعد للأعلى".
*****

وبعد دقائق قليلة.
وصل أنس وصعد للأعلى، ودخل الشقة، ووجد الأكل على الطاولة في الصالة، وبدأ يأكل، وكان يقول:
-"هذا الأكل رائع ولذيذ، لقد تذوقت آخر طعام تطبخينه في حياتك يا رتاج".
وكانت سُهَا في الغرفة وتسمع الصوت، وتكذب أذنيها ولم تصدق أن أنس يخونها، ومع من؟ مع أقرب صديقاتها، فتحت الغرفة، وقالت وهي تبكي بحرقة، والدموع على خديها:
-"يا خائن، كيف أتى لك قلب تفعل بي هكذا! كنت أحبك جدًا، ولكن أنا الخطأ من البداية، كما خنتها مع أبيها، الله فعل هذا بي".
نهض أنس من الطاولة، وقال لها ببرود أعصاب:
-"يا سُهَا أنا لم أحبك أبدًا من الأساس".
-"ولكن أنا أحببتك، هذا ظلم، وأقمت علاقة مع عدة أشخاص كي أجلب لك المال لزواجنا".
وضحك أنس قائلًا:
-"لزواجنا! من يتجوز من امرأة تقيم في الفراش وتجلب له المال؟"
-"أنا فعلت ذلك، لأنني غبية، لأنني غبية".
-"لست غبية، بل مريضة، أكملت حياتك في الشوارع ومن بيت إلى بيت لم تحتمي بأحد، وتريدين ظهر تستندين عليه".ض
وصرخت سُهَا والبكاء يملأ عينيها قائلة:
-"أنت تعرف كل شيء بداخلي، وتفعل هذا بي؟!"
-"يا سُهَا، يا سها، بلا كلام فارغ، كل ما في القصة أننا نهدد في صديقتك بصورها، عقابًا

لأبيها على ما فعله بأبي وأمي، أنا وأخي سعد!"
-"وأنا ماذا كان موقعي؟"
-"أنتِ كنت وسيلة للوصول فقط".
-"ولكن فعلت كل شيء من أجلك، لأنني أحبك، أحبك، أتفهم؟!"
-"لا حب ولا بطيخ، اغربي عن وجهي!"
ودفعها على الأرض، وسقطت، وبدأ أنس يفقد وعيه وبدأ مفعول المخدر فارتطم بالطاولة، ونهضت سُهَا قائلة:
-"سأقتلك يا حقير كما قتلتني في كل مرة أذهب فيها إلى عبد الواحد وغيره، لأضيع ويضيع شرفي وكرامتي من أجلك".
-"آه، آه، آه، رأسي، رأسي، ماذا يحصل؟"
وأخذت سُهَا السكين وقالت:
-"ليس رأسك يا حبيبي، بل قلبك".
وغرست ذلك السكين في قلبه، مرارًا وتكرارًا وهي تقول:
-"مُت، مُت، مُت كما قتلتني".

*****

وكان الشابان موجودين عند الباب سمعا كل ما جرى، واتصلا بالشرطة سريعًا، وعندما فتحت الباب وأرادت سُهَا الهروب لم يتركاها تهرب، حتى أتت الشرطة خلال دقائق، وحققوا معها وقالت كل شيء على رتاج، وذهبت الشرطة سريعًا من السرتي إلى منطقة بوعطني.

*****

وفي ذلك الحين وصلت رتاج لبيتها مسرعة، ودخلت والصدمة فيما رأته عيناها وقال لها سعد:
-"أخيرًا وصلتِ يا محترمة".
-"سعد لم يكن موعدنا هنا، لما جئت إلى هنا".
وكان سعد مكممًا فم عبد الواحد ورابطه بالحبال على الكرسي، وحامل السكين على رقبته، أصبحت الدموع تسيل منها وتقول:

-"سعد حبيبي، اترك أبي".
ضحك سعد ضحكة خفيفة ودموعه تنهمر على خديه، وقال:
-"أبوك! وأنا أين أبي؟ أبي الذي قُتل وضاع وترك طفلين مع أمُهُمَا، هذا الذي يسمى أباك بدون شفقة ولا رحمة قتله، ولم يكتف بذلك بل قتل أمي أيضًا".
ووضعت يديها على صدرها تبكي قائلة:
-"ولكن ما ذنبي يا سعد، نحن نريد أن نتزوج ألا تتذكر؟ مثلما وعدتني!"
-"نتزوج، لم أحبك لكي أتزوجك، كلها لعبة كي أنتقم لأبي وأمي".
وجاءت رتاج أمام أبيها راكعة وقالت:
-"أبي، أبي لما فعلت ذلك؟ قل لي".
وكان عبد الواحد يصرخ وفمه مُكَمم بالغطاء، فقال سعد:
-"أنا سأجيب، لأن أبي قتل أمك عن طريق الخطأ بأمر من أبيك".
-"كيف ذلك؟"
-"أبوك يخدم في شبكة للدعارة وبيع الأطفال والأعضاء والسلاح والمخدرات وغيرها الكثير".
بعد ما كانت راكعة على الأرض سقطت، وعلامات الصدمة على وجهها، ونهضت وهي تدور في الصالة وتقول:
-"أنا أبي مجرم عصابة، أنا، وقتل أمي!!"
ونظرت إلى عبد الواحد بغرابة شديدة وبعدها ضحكت قائلة:
-"أبي، أنت قاتل أمي ووالدي سعد؟ أتعرف يا أبي سأتجوز من سعد قريبًا؟"
وقال سعد بصوتٍ عالٍ، وأخذها من يدها وأنزلها للأسفل وجعلها أمام أبيها، والصدمة على وجهها ولم تتحرك:
-"اصمتي، اصمتي، هذا عقاب لك لأجعلك تذوقين ما ذقته أنا وأخي أنس".
-"أنس أخوك؟"
-"نعم".
وأصبحت تضحك بشدة وتصفق بيديها وتَدَحرَجَت على الأرض، وفي هذا الحين، قال سعد لعبد الواحد:

-"لك يوم يا ظالم، مثلك مثل الجميع، سآخذ حق أبي وأمي وجميع الأبرياء، لن يدوم لأي شخص كل هذا الملك والجاه والمال والجبروت، وداعًا".
ووضع السكين على رقبته، وذبحه من أذنه اليمين حتى أذنه اليسار، و رتاج كانت على الأرض تضحك وأصيبت بهستيريا الصدمة وكلامها غير واضح، وتقول:
-"أخي، أبي قتل أمي، قتلوه، قتلوا أمك، خدعوني، سُهَا، أبي، أنس قتل أبي، سعد يحبني ويريد أن يتزوجني، لنذهب يا سعد، أبي لما فعلت هذا؟ أريد أمي، أمي! لما فعلت هذا بي يا أمي؟ أمي أين أنت؟ أمي! أمي!!"
*****

وأصوات الشرطة اقتربت وأحَاطَت المكان، وأراد سعد الهروب ومسكوه واعتقلوه، وتم الحكم عليه بالسجن مدى الحياة، وأما على جريمة قتل أنس فأخذوها على أنها جريمة مشتركة والمتهمتان سُهَا و رتاج بعد دلائل وأقوال الشهود وهم الشابان، عندما شاهداهما هما الاثنتين دخلا للشقة، فقالا أن رتاج أعطت له المخدر بجرعات كبيرة جدًا والتي كانت الكمية تؤدي إلى قتله ووجدوا السم موجود في كيس القمامة، وبعد ذلك جاءت سُهَا لتكمل الجريمة وتقتله، بعد أن كانت الصور الخاصة برتاج موجودة في جيب بنطلون أنس، وحكم على رتاج بالسجن لمدة خمسة وثلاثين عامًا، وعلى سُهَا بالسجن لمدة خمسة وأربعين عامًا مع الأشغال الشاقة، ووصل خبر وفاة عبد الواحد لأخته أسماء، ولباقي العائلة، تم دفنه في اليوم التالي بحضور الأقارب والجيران والأصدقاء، ومر على خطف مراد ثلاثة أيام وعندما يسألون عنه يقول مصطفى إنه في مزرعتنا ومريض جدًا، ولم يفكر فيه أحد، والجميع كان منشغل في العزاء، إلا أميرة كلما تسأل مصطفى ويقول لها ليس وقته الآن! وأما إبراهيم فقد سمع بخبر وفاة خاله، وكان معه فرج يتكلمان، فقال له:
-"ألم تسمع أي شيء عن مراد؟"
-"لا يا إبراهيم، أنت لم تتصل به؟!"
-"من آخر مرة كنا سويًا، أغلقت الهاتف، كنت أمزح معه، ولم أتصل إلا بالأمس ووجدته مقفل! يا رب، إن شاء الله يكون بخير".
-"يقولون إنه مريض وموجود في مزرعتهم".

-"أشعر وكأن شيئًا آخر يحدث معه، والمشكلة لا أريد أن أذهب إلى عائلته وأسألهم عليه، سيفعلون أي شيء مع مراد".

-"أنت خائف على نفسك وليس على مراد".

-"ليس هكذا، ولكن عائلته ستفضحني، وأنا معك صحيح أن مراد طيب جدًا ولا يوجد مثله، ولكن سمعته تلطخت أمام الناس وأنا لن أخسر سمعتي مقابل أن أسعده".

-"وأنتما لا تفعلان شيئًا خاطئ".

-"ولكن أمام عائلته والناس خاطئ، لن أخاطر بذلك على الإطلاق".

*****

سيكون هذا الكلام على مراد قاسيًا وجارحًا ومؤلمًا وموجعًا له، وستتألم روحه وقلبه ولن يتوقع ذلك، حتى الشخص الذي يعتبره كل شيء في حياته وأهم عنده من أي شيء آخر يقول هذا الكلام، وكان دائمًا يقوي نفسه بهذا الكلام لكي لا يحتاج لاهتمام أحد ويقول له:"إبراهيم أنا لم أجد شيء يفرح ويسعدني من عائلتي أبي وأمي، كيف لي أن أراه معك"، وهو في داخله عكس هذا الكلام كان يقول له:"تعال معي وكن أنيسي في وحدتي، وظهري وعوني وقت شدتي، وتمسح دموعي وقت بكائي، لا تزيد على جرحي جرح، وعلى وجعي وجع، وعلى ألمي ألم يا إبراهيم"، كان متعلقًا به أكثر من عائلته الذين يخيبون ظنه في كل مرة أمام أقاربهم وأخواته وأمام نفسه ويقللون من شأنه، وتكون لديه أصعب مقاومة عندما يريد البكاء ويبتسم كي يحمي كبريائه، كانت مأساة ومعاناة قاسية جدًا يعيشها مراد، وكان يؤمن بأن الذي أخرج يونس عليه السلام من بطن الحوت قادر على أن يفرج كربه وهمه ويفرج عليه في حياته، ومع ذلك ييأس أحيانًا، ويتألم جدًا ويفكر ويقول:"موجع حقًا أن لا تجد من تخبره أنك تتألم"، وكان يقصد بكلامه إبراهيم، قد تغير كثيرًا، وكأنه غير موجود على الإطلاق وقد أُسَمِى ذلك بالفراق والغياب والرحيل وأي شخص سيشعر بذلك إذا كان بنفس حالته تعددت المسميات والوجع واحد، وكان مراد في بعض الأحيان يفقد شهيته في القول والضحك وإظهار ردود الفعل، وبكاء قلبه وصمت عينيه، والأسوأ أن يموت حيًا، ولم يكن يعرف كيف ستكون نهاية حياته هذه، وكان يريد النهاية تكون مع إبراهيم، مع إبراهيم فقط.

*****

بعد مرور أسبوع.

وكان مراد في تلك الغرفة المظلمة لوحده يتكلم لنفسه، ويبكي بصمت والدمع ينهمر كالشلال منه:

-"يا الله، يا الله، ماذا فعلت ليحصل كل هذا؟ في حياتي كلها لم أقتل حتى نملة، لما يفعلون بي كل هذا؟"

وصمت قليلًا، وأكمل حديثه:

-"إبراهيم، إبراهيم، أين أنت يا روحي؟ لم تسأل علي؟ أتأكل جيدًا، أجسمك بارد؟ لما أخدع في نفسي من المؤكد أنه موجود مع أصدقائه لن يشعر بالوحدة من دوني، ولديه أمه، أمه".

وردد هذه الكلمة، ويصرخ ويبكي بحرقة:

-"أمه، لديه أم، وأنا أين أمي؟ ليست موجودة في حياتي، أمي، أمي، لا أحد يريدني في حياته".

وتذكر مراد كلام جده له:

-"أتعرف يا مراد ما أقسى شيء في الدنيا؟"

-"ما هو يا جدي؟"

-"شخص يأخذك من الجميع ويتركك وحيدًا".

وقال مراد لنفسه في الوقت الحالي:

-"يا جدي، يا جدي مكانته في قلبي كل شيء، كل شيء، رأيت معه ما لم أره مع عائلتي، ولا في حياتي، الكلام من قلبي، والضحكة من قلبي، وتعلمت حب الأخوة والصداقة لأول مرة، وكل شيء كان لي، ولا يزال، وسيبقى".

وأصبح يغني بعد ذلك:

-"ما كفاك، يلي ضاعت أجمل أيامي معك، ليس معك يوم ناداه والتفت ذا الكون كله وما لقاك، أنت وينك؟"

*****

بينما كانت أميرة كل يوم تقول لمصطفى أن يذهب ويكلمهم ليجلب مراد وكان يضع

عزاء عبد الواحد هو العائق، وحتى هذا اليوم الذي انقلبت الأحداث فيه رأسًا على عقب.

*****

وقالت أميرة لمصطفى:

-"يا مصطفى، اتصل بهم وقل لهم كيف حال مراد؟"

-"الآن الأوضاع ليست جيدة".

ردت أميرة بعصبية:

-"ليست جيدة ماذا؟ مراد له عشرة أيام، قبل مقتل عبد الواحد بأسبوع".

-"والآن ما المطلوب؟"

-"أن تتصل بهم".

-"حسنًا، عندما يرجع محمد ابني ونأكل وبعد ذلك سأتصل".

-"يا الله، يا الله، الصبر منك، الصبر!!"

ودخلت أسماء الغرفة، وملابسها سوداء ووجهها شاحب مصفر اللون، والهالات السوداء تحت عينيها، والدمع على خديها، وتقول:

-"أخي، يا ناس، لما هذه النهاية المأسوية غير الجيدة؟ قتل، قتل، أخي يقتل، وابنته رتاج الطيبة المحترمة تدخل السجن ويضيع عمرها هناك وفقدت عقلها فوق هذا!"

وقالت أميرة:

-"الله يصبرك على فراقهم، والله يرحم جميع موتنا".

-"كان دائمًا يتمنى حسن الخاتمة كان صالح طيب لا يؤذي أحد، دائمًا الحياة لا تأتي إلا على الضعيف لما يا الله، الله يرحمك يا أخي، الله يرحمك يا أخي!"

-"الآن فكري في مراد ابنك!"

حدقت أسماء بنظرة غضب، وقالت:

-"ابني، ابني، ماذا؟"

ونظرت لمصطفى وأشارت إلى أميرة:

-"هذه ما تزال تلعب دور أنني أم مراد، هل تعرفين يا حبيبتي أنا لا يشرفني ابن كمراد ما حدث له وأفعاله كلها؟ إنه ليس صحيح بالكامل".

-"حرام عليك، ستعاقبين على ما تفعلينه به يومًا ما!"
-"الله سيعاقبني لأنه كان ابني فقط!"
واتصل رقم مجهول على مصطفى قفزت أميرة وقالت له:
-"رد، رد، رد، يمكن أنهم من خطفوا مراد!"
فتح مصطفى سماعة الهاتف، وقال له الرجل:
-"لقد مرت عشرة أيام، ولم نسمع منك شيء".
-"لقد كان لدينا حالة وفاة فقط".
-"وستحصل الكثير من الحالات الوفاة في الفترة القادمة اطمئن!"
-"أعرف أنني تأخرت عن الدفع عن الموعد المقرر ولكن أعطني أسبوعًا آخر".
-"لا أعطي لك ولا تعطي لي، تقدمت أنا وفعلت من عندي!"
-"ماذا؟"
-"بما أنك لا تريدها في الرخيص، سوف تأتيك في الغالي".
-"ما هذا الكلام؟"
-"هل يوجد أحد مفقود في المنزل؟"
قفز مصطفى من مكانه، متجهًا لغرفة مروة ومرام وكانتا في الغرفة، وذهب لغرفة محمد ولم يجده فسأل أسماء:
-"أسماء، أسماء، ابني يا أسماء".
أجابته أسماء في فزع شديد وخوف:
-"ماذا حصل يا الله لمحمد؟"
-"لم يرجع من المدرسة حتى الآن؟"
-"لم يرجع، ماذا حصل له؟"
وقال مصطفى لذلك الرجل:
-"ماذا فعلت به؟ ماذا فعلت بمحمد؟"
وصرخ وقال:
-"قل لي!"
-"إنه في استضافتي في الفترة الحالية".

-"ماذا فعلت به يا حقير؟"
-"لم أفعل شيء، لكن سأفعل!"
-"ماذا تريد؟ قل ماذا تريد؟"
-"هكذا اللعبة بدأت تحلو كثيراً، جميل هذا اللعب بالأعصاب".
-"ماذا تريد؟ وبلا كلام فارغ".
-"مليون دينار، ومعك أربع وعشرون ساعة حتى منتصف الليل غدًا".
-"مليون دينار، حتى الغد، لن أستطيع أن أجلب كل هذا المبلغ".
-"هذا الغالي، عليك أن تجازف، وشيء آخر عليك أن تختار شخص واحد فقط يا مراد، يا محمد، مقابل المليون".
-"من المؤكد محمد".
-"من المؤكد إذن أن المدة تقلصت من أربع وعشرين ساعة إلى اثني عشرة ساعة".
-"لما هكذا؟"
-"هذه هي اللعبة، فلتبدأ".
وكسر مصطفى زجاج الطاولة، وبدأ يصرخ ويبكي ويقول:
-"محمد، محمد ابني، يجب أن أنقذه من هناك".
قالت أسماء والعبرة على وجهها:
-"محمد، لن أتحمل خسارة أخرى يا الله، يجب أن تفعل شيء اجلب محمد مقابل حياة مراد إن كلف الأمر!"
وردت أميرة:
-"ماذا قالوا لك؟"
-"يريدون مليون دينار خلال اثني عشرة ساعة القادمة فقط".
-"وتأخذ منهم مراد ومحمد!"
-"واحد فقط".
-"وأنت من اخترت منهما؟"
نظر مصطفى لها، ولم يجب، فقالت له بصوتٍ عالٍ وبعدها بكت:
-"من اخترت؟ ليس مراد، يهون عليك مراد، ابنك الأكبر؟"

-"الآن محمد، وبعد ذلك مراد، ليس الآن!"
واتصلت سمر بعد ذلك بمصطفى، وقالت له أميرة:
-"رد، رد سريعًا، ممكن أنهم يريدون أن يخبرونا شيء عن مراد".
ارتبك مصطفى وبدأت عليه ملامح الخوف تظهر، وقال:
-"لا، ليسوا هم على الإطلاق شخص صديقي، سأكلمه في الخارج وآتي".

*****

خرج مصطفى للحديقة، وفتح سماعة الهاتف قائلًا:
-"ماذا تريدين؟"
-"لا شيء أسأل على نفسيتك فقط".
-"لا تخافي أنا بخير، محمد خُطف فقط".
-"ماذا؟ لقد سمعت صراخك الآن، سأقول لأمير والباقي".
-"لا، لا تقولي لأحد الآن! أنتِ حافظي على ابني فقط".
-"ولكن ابنك لن يحافظ علينا!"
-"ماذا تقصدين؟"
-"الورقة!"
-"أي ورقة؟"
-"نتيجة التحليل الذي فعلناه واسمك واضح واسمي واضح!"
-"هذا شيء مؤكد ما الجديد يا عبقرية!"
-"يا عبقري الورقة لم أجدها منذ أكثر من أسبوع!"
-"ماذا؟ ماذا؟ وكيف هذا؟"
-"قبل أن يختطف مراد بعدة أيام، كنت أريد أن أخبرك، وبعدها خُطف ومات نسيبك لم أستطع أن أخبرك".
-"يا الله، أين كانت آخر مرة؟!"
-"كنت أضعها تحت السرير، وبعد عدة أيام لم أجدها".
-"هذه مصيبة، فيما أفكر أنا المصائب من كل جهة، اتركي هذا الموضوع الآن سنتكلم فيه لاحقًا!"

-"ومصيبة أمير أيضًا لم يعجبه ذلك أنني حامل!"
-"أنا المهم لديك وهذا ابننا فقط، سنتكلم لاحقًا!"
-"حسنًا، وقل لي ماذا يحدث معك؟"
-"حسنًا".

*****

وكان مراد تحت الموت وكان معه محمد جنبه، وقال رضوان:
-"لقد كان لك تأثير يا محمد عليهم، مثل المياه لا يعيشونا إلا بها".

*****

وكانت النار في داخل مراد تلتهب من شدة الألم والحسرة، وخرجت منه تنهيدة كانت ممزوجة بالوجع والألم والحسرة والذل والقهر والمأساة التي كان يعيشها، لما أنا؟ ولما محمد؟ لما كل هذا الحب؟ تمنيت لو أنني كنت أنا مكانه لأعيش ولو دقيقة شعور العائلة، ودمعت عيناه، وريقي أصابه الجفاف الشديد، لم أعرف ماذا أقول؟ لو تكلمت لخرجت الكلمات أقرب للصراخ، صراخ كله ألم ومرارة، ولكانت أقرب للبكاء منه للكلام، لخرجت هشة ضعيفة خاوية من كل المعاني إلا معاني الألم النفسي، سوى أنني تذكرت كلام جدي لي:
-"الحياة صعبة يا مراد، ستكبر وتعرف هذا الشيء، الناس بعضها على بعض تلعب، الإنسان الطيب يتعب، والمنافق للقلوب يكسب، ومن يكذب يقرب، ومن يقول الحق منه الناس تهرب".
-"ولما يا جدي؟"
-"هذه الحياة بالمختصر توقع كل شيء حتى من كل قريب منك، مثل الدرس الأكثر حزنًا في سورة يوسف إن أقرب الناس في حياتك ليسوا دائمًا هم الذين يحبونك أكثر".
وقال مراد في الوقت الحالي في سره:
-"صدقت يا جدي، أشعر بشيء ثقيل على قلبي، وحرارة دمعتي في قلبي تزيد آلامي، لكن سأكون قويًا".

*****

وفي اليوم التالي.

وكان مصطفى في ذلك الوقت يتحدث مع أميرة وقالت له:
-"إياك ثم إياك، أن تعود بلا مراد".
-"محمد أولًا".
قال له أنور:
-"هذا الشيء الصحيح يا أخي، محمد قبل كل شيء".
وقطاعهم أمير قائلًا:
-"وهل جمعت كل المال؟"
رد مصطفى قائلًا:
-"ليس كله، باقي أربعمائة ألف، لكن سأحاول أن أتفاهم معه ويجب أن أسرع قبل أن يفوت الوقت".
وأسماء ردت باكية:
-"مصطفى، اتصل قل لي ما يحدث معك، ويجب أن تأتي ومحمد بين يديك".

*****

وذهب مصطفى مسرعًا والطريق في زحام، والرجل قال له لديك ربع ساعة وإلا فعل شيء لن يرضيه، ومصطفى يسرع ويسرع، وحتى وصل للمنطقة المجاورة لمقبرة الهواري، واتصل به قائلًا، بعد أن تأخر عن الوقت المحدد ثلث ساعة:
-"أرجوك، أعرف أنني تأخرت والمال باقي القليل ولكن سأعوضه في مراد، وأنا الآن في المكان الذي قلت لي أن آتي إليه، أين أنتم؟ أريد أن أرى محمد".
-"حسنًا، سأفتح كاميرا الفيديو!"
وفتح كاميرا الفيديو، وكان محمد مربوط الأيدي والأعين، ومراد جنبه، وقال:
-"أتراه هذا ابنك محمد، قل مرحبًا لبابا للمرة الأخيرة!"
-"ماذا تقول؟ اتركه أرجوك!"
-"اخرج من السيارة واترك المال في ذلك المصنع المهجور الآن واخرج منه بعد ذلك!"
خرج مصطفى والخوف يملأه يريد أن يرجع ابنه، ووضع المال وخرج، واتصل من جديد، قائلًا:
-"المال ليس كافيًا، والوقت تأخرت فيه، ولقد تعبت لأن مراد له أيام عديدة لدي

يجب أن نضحي بشخص، وهذا الشخص هو محمد".
-"لا، لا، لا، لا إياك لا، إلا محمد، خذ مراد، لكن محمد لا".
-"هذا ليس عدل أنت ضمنت الآن حياة ابنك مراد لأنك أتيت بستمائة ألف، والمتفق عليه على مراد خمسمائة ألف، ومائة ألف باقي الأتعاب والتأخير، والضحية ستكون محمد".
وأخرج الرجل سلاحه، ووضعه على رأس محمد، ومراد يبكي ويقول:
-"أخي، أخي، أخي، اتركه، اتركه".
ومصطفى وجهه احمر، ويصرخ بأعلى صوته ويقول:
-"لا، لا، إياك، ابني، ابني، محمد".

*****

وخرجت الرصاصة من السلاح وخلال ثانية استقرت في رأس محمد ذاك الطفل الصغير، وأغلقت الكاميرا فجأة، وأرسل له رسالة مكتوب فيها:"بعد نصف ساعة ستجده في صندوق كرتوني، سأرسل لك الموقع أين تجده، وإياك أن تخبر أي أحد كيف قتل؟ وإلا سيتم قتل باقي عائلتك الواحد تلو الآخر".

*****

وذهب مصطفى وأخذه والطريق كانت فارغة من الناس في مكان بعد منطقة الهواري، بعد الساعة الواحدة ليلًا، وسمع الخبر جميع العائلة والأقارب والجيران والأصحاب، وأقيم العزاء وصرخن النساء وبكاء الرجال كان يملأ المكان، منهم من كان يجامل وينافق فقط، ومنهم من كان يحب محمد، ومن كان يبكي على نفسه، أو شيء حصل معه، والكثير، وكانت أسماء قريبة للموت بعد وفاة محمد، ومصطفى ملامح وجهه تعبر عن أن الحياة قد ماتت وليس محمد، وأميرة تبكي، والجميع، وذهبوا للجنازة ودفنوه، أما مراد ما يزال بين أيديهم، ذاك الطفل المسكين البريء لم يكن له ذنب بأي شيء، كانت تدور به الحياة إلى متاهات ومصائب لا أحد يعرف من أين تأتي؟ وما يزال في تلك الغرفة المظلمة يبكي بصمت كما في غرفته الصغيرة مع دميته، وأرسل ذاك الرجل لمصطفى رسالة مكتوب فيها:"عظم الله أجركم، مراد سوف يعود بعد يومين حقه مكتمل"، ورد عليه مصطفى:"لا يهم على الإطلاق، رحل الغالي"، وتكلم رضوان

مع القائد الأعلى، على الهاتف:
-"سيدي أكملنا المهمة بنجاح".
-"حسنًا، ممتاز، والأهم أن مصطفى لم يعرفك بتاتًا".
-"نعم لم يعرفني".
-"ويجب أن نأتي بأشخاص جدد بعد وفاة سلطان وفائز وعبد الواحد، والمعتصم بالله وأمير لم ينفعوا في شيء، ومصطفى حالته خاصة، أفهمتني؟!"
-"حسنًا، سأبحث عن أشخاص موثوق فيهم، وأخبرك".
-"حسنًا".

*****

وبعد ثلاثة أيام من العزاء، وكانت العائلة فقط موجودة، وقالت أميرة لمصطفى:
-"أخي، يجب أن تتصل وتطمئن على مراد، أظنه متعب جدًا".
-"وابني محمد متعب جدًا، عندما دخلت في رأسه الرصاصة، مسكت رأسه وكانت الدماء عليه يا أميرة، ابني مات، سَنَدِي مات".
-"كلنا سوف نموت يا أخي، الله يرحمه ويسامحه، ماذا قالوا لك عن مراد؟"
-"سوف يجلبونه اليوم، لا تخافي هذا لن يموت، ابني يموت".
-"وأخيرًا، مراد سيرجع".
-"أتمنى لو مات، وارتحت منه كليًا".
-"إنه ابنك كذلك لا تنس ذلك".

*****

وفجأة جاءت السيارة عند منتصف الليل ورموه عند باب المنزل، ودخل مسرعًا والابتسامة على وجهه كأنه طفل في السابعة من عمره قد رجع من ملاهي الألعاب إلى حضن أمه وأبيه، منتظرًا الخير منهم ودخل عليهم ووجدهم في الصالة أعمامه وزوجاتهم وأمه وأباه وأميرة وليلى والمعتصم بالله، وحضنته أميرة بقوة كبيرة وبلهفة وشوق وحنين، وقالت له:
-"حبيب عمته، مراد، مراد، لقد عذبوك كثيرًا هناك، يا الله أحمدك وأشكرك".
-"عمتي اشتقت لكِ كثيرًا".

وركض مسرعًا إلى أمه أسماء فقامت بدفعه على الأرض، وقالت:
-"متوقع مني أن أستقبلك بالأحضان، على ماذا؟ على موت ابني الغالي!"
قاطعتهم ليلى قائلة:
-"أسماء، ماذا بك؟ هو كذلك ابنك لا تكوني حقودة هكذا!"
-"اصمتي أنتِ!"
وجاء مصطفى إلى مراد وهو على الأرض، والدمع في طرف عينيه، وقال:
-"يا ليتك لم ترجع ومُت هناك، هذه كانت أمنية وتتحقق".
وقالت أسماء:
-"أنت تعتبر القاتل، وليسوا هم، محمد حبيبي مات، وأنت بقيت على قيد الحياة، لما لا تموت، لما؟"

*****

وكانت أميرة تسمعهما وتبكي صامتة، والباقي ما عدا ليلى كانوا يشاهدون ببرود تام، أما مراد ذهب يجري نحو غرفته، وأخذ دميته، واستلقى في فراشه، وكان يقول لنفسه وينظر في دميته:
-"لما لم أبك، لماذا صحيح؟ ولكن شيئًا ما قد مات داخلي، هذا أسوأ ما قد يحدث لكائن حي هو أن تبرد روحه، لن أشعر بشيء، ولن أبكي على شيء، والأسوأ عندما أبتسم كي أوقف دموعي من السقوط وهي على طرف عيني، كانت توقعاتي عكس الذي حصل، تخيلت أبي استقبلني بالفرحة والسعادة تغمره، وأمي تحضنني، حتى عمتي التي تحبني لم يسمحوا لها بالدفاع عني، أهذا قدر، أم ظلم؟ إبراهيم، أين أنت؟ يا عائلتي كلها، أريدك معي! لم يبق لي إلا القلادة وفيها قلبك، أتشجع وأطمئن بها كل وقت، وجاء في بال مراد أن عيد ميلاده غدًا، ونهض من فراشه وقال أظن أن إبراهيم قلق جدًا منذ أسبوعين أنني مختفي، أخذ هاتف عمته أميرة واتصل به ولم يتكلم بكلمة ليسمع صوته لأنه مشتاق له، وفتح إبراهيم وكان يضحك ويتكلم إلى فرج وكان بجانبه، ورد قائلًا:
-"ألو؟ ألو؟ فرج، فرج لنذهب للمزرعة اليوم الجو لدي رائع، ألو؟ ألو؟"
تحولت جميع ملامح مراد للحزن، ودمعت عيناه، وابتسم في نفس الوقت، وأغلق

السماعة، وقال في نفسها:
-"إبراهيم، هذا ليس إبراهيم! إنه يخاف علي دائمًا، أظنه حزين جدًا على غيابي ويتأثر بأي شيء في غيابي، سأتصل من جديد".
ورد إبراهيم:
-"يا فرج، هل رأيت ذلك الشاب جميل للغاية، تكلم لي معه، ألو؟ ألو؟ من أنت؟ تتصل ولا تتكلم بشيء".
وأغلق إبراهيم السماعة، وقال مراد لنفسه:
-"هو من طبعه لا يحب أن يظهر مشاعره ومشاكله لأحد، أنا أعرف، سأتصل به من هاتفي".
واتصل مراد ورد قائلًا:
-"أخي، حبيبي، اشتقت لك كثيرًا".
وقال أيضًا، بعبرة والكلام يخرج كالبكاء متقطع يحوي كل أحزان الدنيا:
-"اشتقت لحضن أمي، ودفاع أبي، وحنان جدتي، وحب جدي، بالمختصر اشتقت لك، لم تخف علي؟"
-"يا مراد، والله كنت في انشغال شديد، لأنني أريد أن أذهب بأمي لمصر، وأريد أن أرى أقاربي لم أرهم منذ خمسة عشر عامًا".
وكمم مراد فمه، والدمع ينهمر من عينيه، والكلام كله حسرة وألم:
-"تريد أن تتركني وتذهب، أنا وحيد ومحتاج لك في كل وقت!"
-"يا مراد لا تتكلم كثيرًا، أمي مريضة وأهم من أي شيء، وأريد أن أذهب لرؤية أخوالي".
-"وأنا من يبقى معي؟"
-"الله أعلم!"

*****

بعد هذه الكلمة، بقي الصمت هو الشيء الوحيد الصحيح، أن تصمت عن أشياء كثيرة، أن تصرف النظر عن أشياء وعن أشخاص، وفي حالة مراد كان هذا مستحيلًا، سوى أنه أغلق الهاتف، وكان الجميع نائم، إلا أسماء كان ضوء غرفتها مضاء وقد

وجدها تشتم في ملابسه، وتُقَبِل في صورته وتبكي، وقال مراد في نفسه عندما نظر إليها وابتسم والدمع في عينيه وفي حالة صدمة:

-"إنه أنا لا تبكي يا أمي، إياك أن تبكي، دموعك غالية، غالية، وأنا أعرف إنكم تحبوني ولكن لا تبكي، أحبكم بأضعاف قدر ما تحبوني".

*****

وخرج من المنزل، وأغلق الباب، ومشى في الطريق، ولم يتكلم، والدموع منهمرة من عينيه بشكل مستمر، جلس على الكرسي أمام البحر، وفكر في كلام إبراهيم له وردود أفعاله، حتى عندما كان مخطوفًا، لم يسأله لماذا كنت مختفي كل هذه الفترة، أمه وأصدقائه، ولم يعرف ما مكانته عنده، وكل يوم يبكي بسببه، ويتخيل أشياء معه لم تحدث على الإطلاق، وتذكر كلام جده تلك اللحظة عندما قال له:

-"يومًا ما ستعرف يا مراد إنك عندما تحب بصدق أي شخص في الحياة، سيجرحك بصدق، وكانوا يقولون إن دموعك غالية، وهم من يجعلونك تبكي، تهون عليهم، لأن الدموع هانت عليك أنت الذي جعلتها تنهمر من البداية، ولا تريدها أن تهون على الناس الذين يرونها، وأفضل شيءٍ الصمت مع إنه مؤلم لكن اختاره عندما يكون الحديث أشد ألمًا، لأنه صعب أن يتغير عليك شخص أحببته جدًا وظننته سيرافقك حتى النهاية، وأحيانًا يأتي موقف أو كلمة واحدة وتقول لك أنك لم تكن يومًا بقلبي، لأنك كلما تحاول أن تكون الأقرب تصبح الأقل قيمة لديهم، سأعطي لك مثلًا".

-"ما هو؟"

-"كالبالون عندما تنفخه أكبر من حجمه وينفجر، هكذا هم البشر، وأيضًا كالصلاة الجميع يظن أن صلاته صحيحة بالركوع والسجود وكل شيء، وفي النهاية الجميع لديه خطأ، وأحيانًا اختيارنا بالأشخاص هو من يكون الخطأ، لكن هذه هي الحياة!"

وقال مراد في الوقت الحالي، وهو يبكي بحرقة شديدة:

-"يا جدي، يا جدي، تركتني بنفسي أحارب كل هذا! تركتني ولم تسأل".

وقاطعته تلك الخالة المسنة، قائلة:

-"لم يتركك أحد، أنت تركت نفسك، تركت حريتك، شخصيتك، تعلقك التافه بأشياء ليست لك".

-"أنا بخير، ولا أبالي لأحد".

-"كاذب، كاذب!"

-"ماذا؟"

-"لست بخير، أعرف من المؤلم أن تخفي ألمك، حزنك، وجعك، دموعك، اشتياقك، خلف عبارة أنا بخير ولن أهتم، أو ما شابه، كلها تخيلات في دماغك، لكي تقوي نفسك وتشعر بالراحة، النفسية هي التي تظهر على جسدك وليس العكس!"

-"ولكنه لم يهتم بي أي أحد، لا عائلتي، ولا أي شخص".

-"المشكلة عندما تجعل هذا الشخص كل شيء، ستموت ألف موتة، لأنه عندما يرحل ستبقى من دون شيء".

-"ولكن لا أعرف، فترة أشعر وكأنني ملكت الدنيا، وفترة أضيع أصبح كوطن ليس كشخص، وأيضًا لأنني مريض ولا أعرف دائمًا أركض وراء اهتمام عائلتي، وأي شخص لا أعرفه حتى".

-"واهتم بك هذا الشخص؟ ورأيت ما لم تره مع عائلتك، وتعلقت به كالحياة، وبدأ يرحل؟!"

-"نعم".

-"لأنه لم يردك منذ البداية، لو كان يشعر بك، وبعمق ألمك، وحزنك، ووحدتك، ويعرف أنه يشعر بك ولكن يتعمد أن يتجاهلك ويمضي، ويعرف كل ما يحصل معك، فهذا لم يحبك، سوى أنك كنت فترة وتختفي من حياته!"

-"وأنا أعرف هذا الشيء، عندما يتكلم لي عن مستقبله، أصمت، لأنني لن أكون موجود فيه".

-"بما أنك تعرف كل هذا، لما لا تترك؟"

-"لأنني وحيد بلا عائلة، هو عائلتي!"

-"الحب الذي لا يسعدك لا يسمى حبًا، من يحبك سيكذب عليك بأنه ليس مشغولًا لأجل أن يبقى معك، من يريدك سيهتم بك للأبد كما تفعل مهما كانت ظروفه، أما إن كان يريد منك شيء وانتهت مصلحته سيرحل، ولكن لن أكذب عليك مؤلم جدًا، لن أحكي الآن ما قصتي ولكن سأكتبها لك في رسالة عندما أموت اقرأها".

-"لما تقولين هكذا؟ الله يطول في عمرك".
-"لقد تعبت، بقيت وحيدة طيلة حياتي، أمي وأبي لقد توفيا وأنا صغيرة جدًا، والأقارب لم يريدوا الاعتناء بي، بقيت في ملجأ الأيتام، حتى كبرت، وأحببت شخص وأخذ أختي كما قلت لك سابقًا وحدث شيء ستعرفه في الرسالة ليس الآن".
-"وهل كل هذا الكلام من قلبك الذي تحدثِينِي به؟"
-"نعم، لا تصدق أحد يقول إن الكلام الذي أقوله لم أشعر به، بل كان يشعر به، وعندما جرب هذا الشيء، بقي الكلام محفور في قلبه".
-"وهل تبكي دائمًا؟"
-"لأنني قوية، ولست ضعيفة، لا تصدق أن هناك قوي يضر، الضعيف فقط، الشيطان لأنه ضعيف يفعل أي شيء، وأحيانًا العكس".
-"فهمت!"
-"أحيانًا تتمنى لو أن كل الحياة عبارة عن بدايات فقط، ولكن دائمًا هناك نهاية لن يتوقعها أحد، لذلك لا تتألم على من يتغير عليك، فلم يتغير إلا لأنك أغرقته بالحب والمحبة والاهتمام حتى اكتفى منك، وكل من اكتفى اختفى!"
ونهضت تلك الخالة، لتذهب وقالت:
-"إن أخذني الموت ولم نلتق، ستجد الرسالة موجودة عند الصياد".
-"لا تقولي هكذا!"
وحضنها مراد وكان يتعلق بكل شخص يعطي له الاهتمام حتى لمرة واحدة، وقال:
-"ستبقين معي ولن تتركيني!"
-"لا تصدق أحد يقول هذه الكلمة، لأنه يقولها عندما يكون في قمة السعادة فقط، كله كذب، الحيوان يغدر بك عندما يجوع، أما الإنسان يغدر بك عندما يشبع، طالما إنك ولدت وحيدًا، فلا تؤمن بمقولة لا أستطيع العيش بدونك، ولا تتركني، أفهمت يا مراد؟!"
والتفت تلك الخالة، ومراد يصرخ لها ويبكي ويقول لها:
-"لا تتركيني أنتِ كذلك، أريدك معي في هذا الوقت، يا خالتي، يا خالتي، تعالي، يا خالتي!"

*****

ورجع مراد، والدموع على خديه، وابتسم فجأة لأنه تذكر عيد ميلاده وعند منتصف الليل فتح صفحة إبراهيم على موقع الفيس بوك ووضع صورته وكتب عليها كل عام وأنت بخير يا أخي، ربي ما يحرمني منك، واشترى الكيك والشمع والألعاب النارية والبالون، وعاد للبحر، وأشعل الشموع، ونفخ البالون، وأصبح يقول:

-"سنة حلوة يا جميل، سنة حلوة يا جميل، سنة حلوة يا مراد، سنة حلوة يا مراد".

وتوقف قليلًا، أصابته قشعريرة، وابتسم، ودمعت عيناه:

-"إنه عيد ميلادي اليوم، وأنا أحتفل به، بمفردي، لم يفعل لي أحد عيد ميلادي، لم يجلب لي أحد هدية، احتفلت بمفردي لا أحد معي".

وجلس على الكرسي، ووضع يده على رأسه، وأصبح يهز، ويقول:

-"أنا بمفردي، عائلتي دائمًا تفعل لي العيد ميلاد أنا فقط لا أحبه، هم يحبونني كثيرًا، وإبراهيم كل عمري يحبني لأنني كل شيء بالنسبة له، أنا أعرف هذا الشيء".

وجاء بجانبه شاب في الخامسة والعشرين من عمره، كان كثيف الشعر مجعد، وعيناه مرهقتان، ووجهه شاحب، وكان شارب الخمر وكلماته بطيئة تخرج منه، ومراد في حالة هستيريا، وقال له:

-"تعال... إذ...اذهب معي ل...للبيت يا حلاوة!"

-"أبي يحبني، أنا بمفردي".

-"أنا معك لن تكون بمفردك، سأجعلك تحبني وأحبك ونحب بعضنا".

-"إبراهيم أحبك".

-"وأنا كذلك أحبك يا حلو".

-"أنا لا أريد أن أفعل شيء".

-"ونحن كذلك لن نفعل شيء سوى الفريضة ونصلي ركعتين بعد ذلك، قم اذهب معي".

وأخذ ذلك الرجل مراد من يده، وكانت حالته وكأنه ليس بعقله، وذهب للشقة معه وخرج منها بعد ساعة، وكانت الدموع على خديه، وكان صامت تمامًا، ودخل منزله، وعلى فراشه، نام حتى الصباح، ليرى غد أجمل، كما يعتقد كل ليلة!

*****

وفي صباح اليوم التالي.

نهض من الفراش، ودخلت عليه أسماء تضربه بالعصا بدون سبب، وتقول:

-"مُت، كما مات ابني محمد، مُت".

وكانت العصا في اتجاه رأسه، لكانت قتلته، حتى جاءت أميرة في الوقت المناسب لتمسك بها، وقالت:

-"أأنتِ مريضة، أو مختلة عقليًا، كيف تفعلين ذلك؟!"

وقالت لها أسماء بصوتٍ عالٍ:

-"ليس لكِ شأن، ستسمعين شيء لن يرضيك".

-"الآن اخرجي واتركيني معه!"

وحدقت أسماء بنظرة قوية، وقالت:

-"سيأتي حسابك قريبًا، وما يزال أبوك سيكسر عظامك، سَنُكَرِهَكَ في حياتك، ستتمنى الموت وسترى!!"

وكان مراد لا يفعل شيء سوى النظر فقط، وجلست أميرة بجانبه، وقالت:

-"لا تبالي يا حبيبي، ولا تحزن، هذا القدر، استغفر الله كثيرًا، سيفرج همك، وينير صدرك، وقل المعوذتين وآية الكرسي، حسنًا؟!"

وكانت نظرات مراد صادمة ولم يتكلم، وقالت أميرة أيضًا:

-"مراد، مراد، أرجوك لا تُخفنِي عليك".

ونظرت على فراشه بصدمة غريبة، وكانت فيه قطرات دم على الوسادة، وقالت له:

-"ما هذا الدم يا مراد؟"

ارتبك مراد وخاف جدًا، وقال:

-"إنه دم يسيل من أنفي منذ يومين، أظنه من ضرب الخاطفين".

-"يا حبيبي لقد عذبوك، يا الله يعذبون كما عذبوك، آمين يا رب، ويرد الله حق محمد المسكين".

وصمتت قليلًا، وأكملت حديثها:

-"ما رأيك لنخرج بسيارتي ولترى الحياة؟"

-"لأرى الحياة، أي حياة؟"
-"أرجوك لا تتكلم هكذا، سأجلب حقيبتي وهاتفي من الأسفل وآتي إليك، جهز نفسك".

*****

وفتح مراد هاتفه، ودخل على صفحة إبراهيم ليرى كلام أصدقاء إبراهيم عليه، وكانت الصدمة فيما رآه، مثل: هذا ،٠٠٠٠ ولماذا يا إبراهيم هذا سيشوه سمعتك أمام الناس؟، والكثير، وفجأة تم حذفها، واتصل إبراهيم به، اتسعت عيناه، والابتسامة وصلت حتى أذنيه، وفتح السماعة، وقال إبراهيم:
-"لماذا، لماذا وضعتها؟"
وتحولت ملامحه للكآبة، وقال:
-"هل لأنني عارٌ عليك؟"
ارتبك إبراهيم، ومراد يبتسم لكلامه، وقال:
-"ليس هكذا، القلب يبقى في القلب".
-"وأصدقائك الذين دائمًا صورهم معك؟"
-"ومع ذلك أقول لهم لا أحد يضع أي صورة".
-"ومن حذفها الآن؟"
-"لست أنا بل فرج، جاء ودخل على صفحتي لأنني لم أفتح وحذفها".
وأغلق مراد السماعة، وابتسم، وقال في نفسه:
-"هل شعرت يومًا بأن شخص كل كلامه ليس صحيح وتحاول تصديقه ولو صدقت الحقيقة ستكون إهانة لك، ولو كذبت الكلام ورميت كرامتك وراء ظهرك هي التي ستريحك مثل حالتي، ماذا تفعل؟ وتشعر أنك مَلِلت علاقتك معه لم تعد مثل السابق، لن تناموا على أصوات بعض، أصبحت رؤيتك لهم ليست مهمة مثل السابق، تغير كل شيء، المشاعر، الأحاسيس، لا شيء يدوم، فالنفوس تتقلب كما قال لي جدي، متى النهاية؟ والأهم من هذا السؤال كيف ستكون؟"

*****

بينما كان الجميع على طاولة الإفطار يتناولون الطعام.

وكانت أسماء تبكي، وتقول:
-"يا الله أخي يقتل وابني كذلك، وابنة أخي تسجن، يا الله ساعدني على أن أتحمل هذا الثقل على قلبي، لن أستطيع، ماذا فعلت في حياتي كي يحصل لي كل هذا؟"
وقالت عائشة بهمس:
-"على قدر أعمالك السوداء والحرام، تذوقي السم".
حدقت أسماء بغضب، قائلة:
-"ماذا قلتِ الآن؟ لم أسمع! إن لم تصمتي يا كلبة الكلاب لجئت وضربتك على بطنك".
وقاطعتهما سمر وصوتها في ارتباك وخوف شديد، قائلة:
-"أنا الحامل وليست هي، عقلك أين؟"
وأجابتها أسماء قائلة:
-"أنا آسفة، يا سمر عقلي فيه صداع شديد".
شربت المياه وقالت لها والخوف يملأها:
-"لا عليك".
وحدقت سمر في مصطفى لأنهما يظنان أن ورقة التحليل معها، ولم تخبر أحد، وتخطط لشيء ما.
وقال مصطفى لزوجته أسماء:
-"يا حبيبتي، اذهبي وارتاحي في غرفتك".
-"حسنًا، سأذهب".
فنهضت أسماء وصعدت للأعلى، وقال أمير:
-"سمر، أليس لديك موعد الآن؟"
-"نعم".
-"ليس لدي وقت لأذهب معك!"
-"وكيف ذلك؟ أشعرني أنك تحب أن يكون لدينا طفل".
-"لأنني لا أحب فلن أشعرك بشيء، ما زلت أريد عيش حياتي".
نهض أمير وخرج من المنزل، وسمر قالت:
-"لا يشعر بالمسؤولية على الإطلاق! مصطفى هل توصلني على المستشفى بعد قليل؟"

ورد مصطفى:
-"حسنًا، سأفعل".
وقال أنور لمصطفى:
-"مصطفى، ماذا تريد أن تفعل مع هذا مراد؟"
-"لا أعرف، لكن لن أجعله يرتاح أبدًا".
-"ما رأيك بأن نسجنه في مزرعتنا؟"
-"فكرة جميلة، ليست باطلة!"
-"لأن أخي أمير قال إنه جهز مفاجأة بخصوص مراد، هناك قصة جديدة حوله".
-"لم يحكِ لي شيئًا عن هذا الموضوع!"
-"سنعرف مع الأيام".
وقال أنور لزوجته عائشة:
-"أنا ذاهب للمتجر لأجلب بعض الألعاب لسند وسندس، هل تأتِي معِي؟"
-"حسنًا حبيبي، انتظرني في السيارة وسألحقك".
-"حسنًا، ولكن أين أميرة؟"
-"هي في الدور العلوي، تغير في ملابسها لتخرج هي ومراد".
-"أريد منها أن تكتب لي دواء للمعدة، سأتحدث معها بعدما أعود، لا تتأخري حسنًا، أنتظرك بالخارج".
-"حسنًا".
وبعد خروج أنور، جاءت عائشة بجانب مصطفى، ووضعت يدها على وجهه، وقالت:
-"لماذا لم تعد مثل السابق؟"
-"لا يوجد شيء كالسابق بعد الآن، أنتِ زوجة أخي".
-"وإن يكن، يجب أن نتمتع بحياتنا".
وكانت أسماء تريد النزول للأسفل كي تشرب الماء.
وعائشة تقول:
-"أنا أحبك، لما لم تفهم؟"
-"أنتِ لما لم تفهمي؟ أنا لم أعد أريدك، عودي لحياتك".

وأخذ مصطفى يديها ودفعهما وقال:
-"استيقظي، استيقظي، نحن منذ فترة انقطعنا ولن نستمر أبدًا".
قاطعتهما أسماء وقالت:
-"من الذي انقطعت عنه ولن تستمر معها فيه؟"
بدأ الخوف، والارتباك، ودقات القلوب السريعة، وقال مصطفى بعد دقيقة من الزمن:
-"إنه صديق أختها كان معي منذ القدم، وسأل أختها علي، وجاءت عائشة وأخبرتني وقلت لها انقطعت عنه ولن نستمر لأنه شخص سيء!"
وقالت عائشة بخوف:
-"نعم، نعم، إنه هكذا، كل شيء صدفة حصل".
وردت قالت بهمس شديد:
-"كصدفتنا معًا الآن، يا الله ما هذا القدر!"
وقال مصطفى:
-"لما جئتِ؟"
رفعت أسماء حاجبيها قائلة:
-"هل لديك مانع؟ أو أمنعك عن شيء".
-"لا شيء يمنعني عنك بتاتًا، أتفهمين لا شيء!"
وكان ينظر في عائشة والنار تحرق قلبها، فقالت:
-"أريد أن أذهب مع حبيبي أنور، ألا تريدون شيئًا؟"
وردت أسماء:
-"اذهبي والقلب يدعو لكِ".
وبعد ما خرجت عائشة قالت أسماء:
-"خروج بلا عودة إن شاء الله، هذه العفنة المقززة، لم أحبها أبدًا هذه المرأة، تقف هنا عند حنجرتي، لم أبلعها".
-"لا تهتمي، اتركيها لحالها".
-"أريد أن أخرج، لاستنشاق الهواء، وإن أمكنك أريد أن أرى رتاج في السجن!"
-"حسنًا، سنذهب حالًا".

*****

وبعد ما خرج الجميع وانتهت أميرة من تغيير ملابسها صعدت لمراد، وتقول وتتردد:

-"لقد تأخرت عليك يا حبيبي، لنذهب الآن إن أكملت!"

وفتحت باب غرفة مراد، وسرعان ما بدأت تصرخ، وذهبت سريعًا للمستشفى، وكان مراد قد قطع شرايين يديه والنزيف بكمية كبيرة.

واتصلت بمصطفى، قائلة:

-"مصطفى، مراد يا مصطفى".

-"ماذا؟ هل مات؟"

وكانت أسماء بجانبه في السيارة، وقالت:

-"ماذا حصل؟"

-"أظن أن مراد قد مات!"

-"آمين يا رب!"

وقالت أميرة وهي على سماعة الهاتف وتبكي:

-"لقد قطع شريانه ولديه نزيف".

-"ما المطلوب مني الآن؟"

-"لما أنت هكذا، أن تأتي لابنك في المستشفى وتراه".

-"لأستلم جثته تقصدين!"

-"لن أرد عليك، تعال إلى هنا سريعًا، أنا في انتظارك".

وذهبت أميرة للدكتور شادي للتحدث معه وتسأل عن حالة مراد.

*****

بينما كانت ليلى تعاني من فقدان السند لها، أحيانًا بين زوجها أسامة الذي يضربها دومًا، والمعاملة كانت أشبه بحيوان بشري، والذي كان يجبرها على معاشرته أيضًا وممارسة الجنس معه، أما سارة فقد كانت تحبها كثيرًا ومحترمة جدًا وتبر أمها، وسليم وعبد الله بعدما أصبحا يشربان ويأخذان المخدرات والترامادول والهيروين، وكل ذلك كان من سعد وأصبحا فاقدين للوعي تمامًا، ويسرقان كي يأتيا بمال المخدرات، ويستغلان الرجال ويفعلان الفاحشة معهم مقابل المال، وهكذا كانا، وهل سيستمر الحال بهذا

الشكل؟ وكيف ستكون نهاياتهما؟

*****

أما المعتصم بالله كان يظن نفسه إنه أصبح القائد عليهم بعد مقتل أخيه عبد الواحد، ولا يعرف أن رضوان ورئيسهم يريدان التخلص منه بأي شكل!

*****

وجاء مصطفى وأسماء للمستشفى، وكانت أميرة مع الدكتور شادي، وقالت أسماء وهي مبتسمة:

-"لقد جئنا ماما أميرة!"

حدقت بها أميرة بغضب، وقالت:

-"بلا مزاح الآن! نحن لسنا بوضع جيد".

-"نحن، لما الجمع؟ تكلمي عن نفسك!"

وقالت لها أميرة وهي تحدق في عينيها:

-"أسألك سؤال، لما أنتِ حقيرة هكذا ومستفزة؟!"

-"هذه سمة من الله وهبها لي".

-"حقيرة!"

وقاطعهما مصطفى وقال:

-"هل تصمتا أنتما الاثنتان؟!"

وقالت أميرة:

-"تكلم معها، ليس معي!"

-"أين جثة مراد؟"

-"ماذا؟"

-"أقصد أين هو؟"

-"حرام عليكم، إنه في الداخل قد أوقفوا النزيف وهو بخير الآن!"

وردت أسماء قائلة:

-"لماذا؟ أريده أن ينزف كما نزف ابني محمد حتى الموت، ولكن العذاب سيأتيه".

وقالت لها أميرة بغضب وصوتٍ عالٍ:

-"أنتِ أيتها الحيوانة، إن لم تغلقي فمك سأبلع حنجرتك، أتفهمين؟!"

*****

دخلوا جميعًا إلى مراد ومراد كان يريد أن يحضن أباه، دفع يديه للأسفل، وقال له مصطفى:

-"هل تعرف شيئًا يا مراد؟ هذا أول شيء تفعله في حياتك صحيح وتسمع كلامنا هو أن تموت وفعلت ذلك، ولكن لما لم تَمُت إلى الآن؟"

قالت أميرة والحزن في صوتها:

-"لما لا تشعر به؟ كاد أن يموت وأنت تقول هذا، لقد كره حياته من كلامكم وأفعالكم فقرر الموت!"

وقطاعاتهم أسماء قائلة:

-"وهذا ما نريده، أن يكره حياته من كلامنا وأفعالنا فيقرر الموت ونرتاح جميعًا".

تقدمت أميرة نحوها ومسكت رقبتها، وقالت بعصبية:

-"اصمتي، يا حقيرة، اصمتي!!"

واحمر وجه أسماء وقالت:

-"مصطفى، مصطفى، هذه تريد أن تقتلني، أبعدها عني!"

وقال مصطفى وهو يبعدها عنها:

-"أميرة، أميرة، ابتعدي عنها، اتركيها".

ونزعها عنها، وقالت أميرة لها ورفعت إصبعها للأعلى:

-"إياك أن تقولي هكذا مرة أخرى".

تنهدت أسماء وقالت:

-"حقيرة، تافهة، أنا ذاهبة للمنزل لن أبقى هنا".

وأخذت أسماء حقيبتها وخرجت من المستشفى وصعدت في سيارة الأجرة لتذهب للمنزل.

*****

دق الباب،

أجابت أميرة بهدوء:

-"تفضل دكتور شادي ادخل".
وصمتت قليلًا، وقالت:
-"أهناك شيء يثير القلق يا دكتور؟!"
وكان القلق واضح على ملامحه، وأجاب قائلًا:
-"الصراحة هناك نعم".
نهضت أميرة وبنبرة حزينة، قالت:
-"ماذا هناك؟ لا تُخِفنِي!"
وقاطعهما مصطفى قائلًا:
-"دكتور، يا عسل، بلا مقدمات شيقة لنشعر بالتشويق ادخل في الموضوع سريعًا".
ردت أميرة وقالت:
-"اصمت أنت، لنسمع منه!"
وقال الدكتور شادي:
-"تعرفين يا أميرة أنتِ صديقتي منذ القدم، ومراد تهمنا صحته كثيرًا".
وكان مراد ينظر بنظرة ليست مفهومة بخيبة أمل واحتياج إبراهيم جنبه وبألم وكأنه لم يفهم شيء.
وأكمل الدكتور شادي حديثه، قائلًا:
-"الصراحة، من الممكن أن مراد تعرض لكدمة على رأسه، أو أصيب بالهلع والصدمة والفزع والخوف".
وقاطعه مصطفى قائلًا:
-"نعرف، نعرف، هو دائمًا يصيب بهذه الأشياء والمبالغة في كل شيء، أريد شيء جديد لم أسمعه ولم أره قبل ذلك!"
-"أرجوك أستاذ مصطفى اجعلني أكمل حديثي!"
رفع مصطفى حاجبيه وشعر الدكتور بالخوف وبلع ريقه، وقال له مصطفى:
-"حسنًا، لديك ساعة مع التشويق والإثارة أيضًا وإضافة البهارات ساعتين بالراحة، تفضل!"
وردت أميرة:

-"لا يكفي ما فعلته يا مصطفى! اصمت قليلًا لنفهم، أرجوك شادي قُل ولا تجعلني هكذا، قليلًا وسأسقط أرضًا".
-"حسنًا، كما موضح لدي من الصور إنه يوجد في رأس مراد بالتحديد في الدماغ كليًا كتلة، هذه الكتلة عبارة عن ورم كبير جدًا، يغطي مساحة بنسبة خمسة وسبعين في المائة من الدماغ!"
قاطعه مصطفى قائلًا:
-"دكتور، مللت من درس العلوم كتلة وعبارة عن ورم كبير، هذا شيء أكيد الكتلة عبارة عن ورم، ولكن أعجبت بالانتقال من العلوم إلى الجغرافيا عندما قلت يغطي مساحة من الدماغ تذكرت كلمة في نشرة الأخبار يغطي نصف البحر المتوسط، مقدمة رائعة لكن أُهَنِئَكَ على ذلك".
-"أستاذ مصطفى!"
-"قُل معه السرطان!"
ردت أميرة بفزع:
-"ماذا؟ هل هذا صحيح؟"
رد عليها الدكتور شادي قائلًا:
-"نعم، لقد وجدنا مع مراد ورم وهذا الورم عبارة عن سرطان الدماغ!"
وبدأت الكلمات تخرج من فمها بحزن شديد وقالت:
-"لا، لا، يا الله، لم تستحق هذا يا مراد!"
وقطاعها مصطفى ونهض بقوة من الكرسي، وقال:
-"لا إله إلا الله، لا إله إلا الله، لا إله إلا الله!"
بدأت علامات الفرح تظهر في وجه مراد وابتسم من قلبه، وكذلك أميرة، وقال مصطفى بصدمة كبرى:
-"أميرة، لا إله إلا الله".
وسعدت أميرة إنه خاف على ابنه، وقالت له:
-"لا تخف يا أخي على ابنك! سنفعل كل شيء ليكون بخير ونحارب المرض".
-"سنفعل! بل ستفعلين، أنا لن أدفع عليه شيء، هل تعتقدين لا إله إلا الله على سواد

عينيه؟ لن يحلم!"

وكادت الدموع تنهمر من مراد لكن ابتسم، وتغيرت ملامح أميرة للغضب، وقالت:

-"أنت ماذا؟"

-"أنا إنسان".

-"خاطئ، أنت حيوان، حيوان، أتفهم؟!"

وبدأت تدفعه للخارج، وتقول:

-"تعال، تعال، اخرج لنتكلم بالحديقة، وأنت يا شادي ابقَ مع مراد أرجوك قليلًا".

*****

ونزلوا للحديقة، وقالت له أميرة:

-"أتعرف لماذا جلبتك معي إلى هنا؟"

-"نعم، لأسمع كلامك الفارغ".

-"لتهتم بهذا الطفل البريء".

-"الآن الموت جاء له من الله، هل هناك شخص يكرهها أن يتخلص من مراد؟!"

-"لماذا؟ هل رأيت ما فَعَلتهُ أمه؟"

-"أنتِ تعرفين أن أسماء ليست أمه، فبدون تمثيل الآن نحن بمفردنا تكلمي بلا ألغاز".

-"يجب أن تهتم به وبعلاجه".

-"وأنا لن أستفيد منه شيء".

-"يا نذل، إن كانت أسماء ليست أمه، فأنت أبوه الحقيقي!"

-"هذا صحيح، ولكن غير صالح لرفع اسمي".

-"ونفسيته المسكين؟"

-"يبحث عنها في الخارج ليس عندي ما أعطيه".

-"تعرف شيئًا، إن مراد هو العائق الوحيد، لولاه لأخبرت الجميع بكل شيء".

-"أميرة، لنذهب به للمنزل الآن هو بخير، وستصبحين كل يوم تذهبين أنتِ وهو للعلاج وانتهى الموضوع، وأنا قبل أن أخذ المال لن أفعل له شيء، يكفي المال الذي دفعته بعدما كان مخطوف".

-"كنت تريده أن يدخل سن الثامنة عشر، ودخلها المسكين، اليوم عيد ميلاده الرائع،

سمع كلام رائع وانتحر وأصيب بمرض خطير في نفس اليوم، كان من المفترض أن يكون أسعد يوم له في حياته كلها!"

-"نعم، نعم، نعم، نفس الكلام كالعادة، الأهم لدي أنني بدأت بالإجراءات وستستمر حوالي شهرين أو ثلاثة فقط".

-"حرام عليك، هذا كله سيرجع لك بالأسوأ".

-"أميرة، لنذهب، بلا كلام فارغ!"

*****

ورجعوا للمنزل وكان الجميع على طاولة العشاء.

وقالت أسماء:

-"لم تمت حتى الآن يا مراد؟!"

ورد عليها مصطفى وقال:

-"لا سيموت بعدما وجدوا فيه سرطان الدماغ!"

علامات الدهشة على وجهها، وقالت أسماء:

-"هل هذا صحيح؟ معنى ذلك إنه سيموت؟!"

قاطعتهما أميرة قائلة:

-"إن شاء الله تموتين أنتِ، قولي آمين!"

وقالت سمر وعائشة لمراد:

-"لا بأس عليك، الله يشفيك".

ورد مراد وقال:

-"شكرًا لكما".

وقال مراد في نفسه:

-"الجميع يريد لي الموت، لا يوجد أحد أمي أبي والجميع، ولم أعرف ردة فعل إبراهيم حتى الآن!"

*****

ودخل مراد لغرفة أخته مروة، وقال لها:

-"مروة، سأموت يا مروة، مرض السرطان الوحيد سيبقى معي حتى أموت".

-"أنا متأكدة أنك ستعالج منه وستشفى".
-"وأنتِ متى ستشفين؟"
-"لقد تركته".
-"لا تكذبي، كل شيء واضح في عينيك، حتى الأمس ليلًا كنتِ معه".
-"أنت قُل لي أين إبراهيم؟ أين تركك وذهب ولم يسأل عنك؟!"
-"إبراهيم، أنا أحبه للممات وأكثر شيء في حياتي أعشقه، وهو يعرف هذا الشيء لهذا السبب لن يهتم لي".
-"لم يعرف بقصة خطفك، ولا حتى بموت أخونا محمد، ولا حتى بمحاولة انتحارك، ولا حتى بمرضك الآن!"
-"لا شيء حتى الآن!"
-"قل له كل شيء".
-"سأكلمه قبل أن أنام ليلًا".

*****

وجاء مراد ليلًا، ووجد باب غرفة والديه مفتوحة، ودخل عليهما، وقال لأمه:
-"أمي، أنتِ لا تحبينني، أليس كذلك؟"
-"لا، لا أحبك، كيف عرفت ذلك؟"
وقاطعهما مصطفى وقال:
-"اخرج، اخرج، من هنا سريعًا".
وتقدم نحوه ودفعه لخارج الغرفة وسقط على الأرض، وكانت ملامح مراد لا تشير لشيء، و مَرَ من جميع الغرف وسمع كلام أمير وأنور الذي لا يسر قلب شخص، ورجع لغرفته كالعادة، إلى دميته وغرفته ودفتر حياته، وتذكر كلام جده بعد السؤال الذي سأله لأمه، عندما قال له:
-"يا مراد، هل فكرت لماذا الناس تسأل بعضها أسئلة وتعرف أن الجواب سيؤلمها؟"
-"هل هذا موجود في جميع النفوس البشرية؟"
-"لما فعل ذلك؟ والكثير، والإجابة قاسية فاحترم قلبك ولا تسأل وانسَ السؤال!"
-"هل هذا الحل؟"

-"نعم، ولكن المعظم يفعل عكس هذا، مثل الذي يكون حزينًا بسبب شخص، وهذا الشخص يعيش حياته بكل سعادة، وتظل أنت وراءه دائمًا بعد كل هذا، وتبقى تتصل به وترسل له الرسائل النصية، والمؤلم أن تكتب وترجع تحذف ما كتبته ويبقى في قلبك شعور لا يُحكى ولا يُبكي، هذا لأنك أشبعتهم حبًا فأشبعوك ألمًا ورحلوا، ولكن لا يرحلون منك ويتركون فيك بصمة ستظل موجودة بداخلك مدى الحياة!"

-"وهكذا أنا سأتعذب كثيرًا يا جدي!"

-"نعم، أفضل من أن تعاتبهم افعل كما يفعلون فقط، لأن عندما يرحل الاهتمام، لن يصبح هناك فرق بين البقاء والغياب، لأن من يحبك فقط، سيحن، سيشتاق، سيتألم، سيصنع المستحيل ليحادثك، ومن يفعل عكس ذلك..."

-"ماذا أفعل يا جدي؟"

-"اصبر قليلًا على رزقك، يا ولد".

-"لقد تشوقت قليلًا".

-"ومن يفعل عكس ذلك يؤلمك أسلوبه وطريقة معاملته وبروده وانشغاله وقلة اهتمامه".

-"وأنا ماذا أفعل كي لا أتذكر كل هذا؟!"

-"تذكر أسوأ اللحظات معه، وتذكر ردوده الباردة، تذكرها دائمًا كي لا تحن له، ومع الوقت ستنسى".

-"مع كل هذا الحب سأنسى؟"

-"لن تنسى ولكن ستتظاهر بالنسيان، وهذا أصعب شعور أنك ما زلت تحب إنسان كسر بخاطرك ألف مرة، وهذه النهاية مؤلمة كالعادة".

*****

وفكر مراد كثيرًا واتصل بإبراهيم بعد أن تركه آخر مرة وحيدًا يحتاج للأمان والراحة والحب والعطف والاهتمام، ورد عليه وقال:

-"كيف حالك يا مراد؟"

-"الحمد الله بخير، وأنت؟"

-"الحمد لله".

وصمتا قليلًا، وقال مراد له:
-"أنا آسف عندما أغلقت السماعة على موضوع صورتي التي وضعتها".
-"لا، عادي".
-"عادي، حسنًا".
-"اتصلت لأخبرك أنني مريض".
-"ماذا؟ مريض ببرد؟"
ضحك مراد ضحكة بصوتٍ هادئ وقال:
-"نعم، ببرد شديد وهذا ما يسمى الهدوء ما قبل العاصفة!"
-"لم أفهم كلامك!"
تنهد مراد وقال بحرقة قلب وبدأت الدموع تنهمر منه بدون صوت:
-"يوجد بداخل دماغي ورم وهذا الورم هو عبارة عن سرطان".
صمت إبراهيم قليلًا، ودمعت عيناه وقال:
-"سرطان؟! سرطان ماذا؟ لا تمزح معي بعد الآن!"
وضحك مراد في الوقت الذي كان يبكي وقال:
-"أنا ميت؟! ميت في الأساس".
-"مراد إياك أن تتكلم هكذا مرة أخرى".
-"لن تسمع صوتي نهائيًا عن قريب، أعدك".
وبقي مراد صامتًا، وإبراهيم يبكي بصوتٍ خافت، وابتسم مراد والدموع على طرفي عينيه، وقال:
-"ماذا فعلت؟ لم أفعل شيء، سوى أنني أحببت الجميع، عطفت على الجميع ولكن ماذا فعلوا؟ قتلوني، كان اليوم عيد ميلادي بالمناسبة، كان أجمل عيد ميلاد يحدث في الحياة".
وكانت العبرة تخنق في إبراهيم وقال له وهو يبكي:
-"يا الله، أنا لن أسوى شيئًا بدونك لا تتركني وترحل، أرجوك".
وكان مراد يكمم فمه، وكان يبتسم بعد بكاء إبراهيم عليه، لأول مرة شخص يبكي عليه، لم يصدق، يفرح، أو يبكي.

وقال مراد:
-"إبراهيم، أخي، لا تبك سأبكي أنا كذلك، إياك، سأضربك يا حيوان أتفهم!!"
-"أريدك معي! أنت أخي وصديقي وحبيبي، لن أستطيع الاستغناء عنك".
اتسعت عينا مراد وكان سعيدًا جدًا بكلام إبراهيم ونسي المرض كله، وكلام بعد كلام، كاد يجعله يطير ويحلق في السماء، واتفقا على أن يلتقيا مساء الغد.
*****

وذهب مراد مسرعًا للبحر، ليرى تلك الخالة، وجلس على الكرسي، وظل لمدة ساعة، حتى سأل عليها الصياد:
-"يا عمي، هل رأيت الخالة التي كانت دائمًا تجلس هنا ونتحدث أنا وهي؟"
-"لا أعرف ماذا أقول؟ أوصتني عليك كثيرًا، ولم تكن تريد أن تحكي لك قصة مرضها!"
-"ماذا؟ ماذا كان بها؟"
-"كانت مريضة بسرطان في الكبد ولم تعالج عليه على الإطلاق".
-"يا الله، وأين هي؟ في المستشفى؟"
أنزل رأسه للأسفل، وقال له بحزن وخيبة أمل:
-"لقد توفيت اليوم صباحًا".
وكان مراد ينفجر من البكاء، ويقول:
-"خالتي، لما تركتِنِي أنتِ كذلك وذهبتِ!"
-"كانت جالسة هنا صباحًا، ولم أجدها حتى سقطت على الأرض، وأوصتني بأن أعطيك هذه الرسالة".
فتح مراد الرسالة وكان مكتوب فيها:
"مراد، ابني، أحببتك كثيرًا من أول مرة رأيتك فيها، أنت طيب وحنون، ولكن حظك وحياتك ليست معك، ولكن سيكون الله معك، افعل كل شيء قلته، أتفهم! وكنت أريد أن أحكي لك على ما فعلته بأختي وحبيبي اللذين خاناني حين دخلت لبيتها خارج البلاد وكانت نائمة، فأعطيتها إبرة مخدرة نامت بعدها، وشغلت الغاز، ووضعت القداحة خلف الباب أي عندما هو يفتح الباب ويضغط على المقبض ويفلت الحبل وتسقط الصخرة وتقع على القداحة لتنفجر ويشتعل كل المنزل ويحترقان كما حرقا

قلبي بالنار، ولم يعرف أحد بالقاتل حتى الآن، وأصيبت بالمرض، فقررت عدم العلاج، وأتمنى الموت كل ليلة وشعرت به أو تقول أنني حلمت به، وهذا الشيء الذي يتحقق أن مرض السرطان الذي ظل معي حتى النهاية ولم يتركنني حتى قتلني! وأتمنى لك الحياة السعيدة في المستقبل وأن تبقى مع من تحب يا مراد، لك مني تحياتي وحبي".

وبكى مراد قليلًا، وعاد للمنزل وانتهى يومه بأخبار كلها من سيء إلى الأسوأ، والقادم ليس مبشر بالخير.

*****

ما هذا الظلام؟ لم أعد أرى شيئًا! أشعلوا النور، هل من أحد هنا؟ هل من أحد هنا؟ يا الله، المكان أصبح كله أبيض، ابتسمت كأنني في الجنة وكان المكان في غاية الراحة، ما الذي سقط علي؟ إنها دماء، ما قصة الدماء معي؟ ما كل هذا الصراخ، نباح الكلاب، ومواء القطط، الكلاب لونها أسود، والقطط لونها أسود، يا الله، فمي، الدم يسيل من فمي، وأنفي كذلك! اختفى فجأة، من هؤلاء اللذين يلبسون اللباس الأبيض، إنهم كثيرون جدًا، لا أرى وجوههم، لما لم يلتفُوا لأراهم، ونور ساطع قوي حجب الرؤية، ووجدت الجميع في حبال مشنقة، والدماء تسيل منهم، خفت وأصابني الخوف والهلع، فركضت، وركضت، حتى وصلت لجدار مسدود، التفت وجدت شخص واحد في يده سكين تسيل منه الدماء، ولم أر وجهه، حتى بدأت السماء تمطر بالدماء، ولم أجد إلا هذا الشخص متمسك في رقبته ووجهه شديد السواد، وسقطت في مكان كالمكان اللي قبله كله أبيض وأناس كانوا يلبسون الأبيض ووجوههم ليست واضحة، ويرفعون التابوت فوقهم، من في التابوت؟ سقط التابوت، وهم اختفوا وأصبحوا كشلال دماء، وتقدمت لأرى من في التابوت، فكنا هذا هو أنا!

وفزعت من النوم وكانت عمتي أميرة بجانبي، وقالت لي:

-"صباح الخير يا حبيبي، لنذهب لأول يوم علاج".

-"يا الله، يا الله".

-"ماذا بك؟"

-"حلمت وأنا موجود في تابوت ودماء كابوس غريب لم أفهم منه شيئًا! منذ فترة وأنا أحلم بهذه الأشياء دماء وأماكن وأشكال غريبة!"

-"لا تفكر فيه، الآن تعوذ من الشيطان! ولا تخف من شيء، حسنًا، ودائمًا تذكر هذه الآية وستريح قلبك، قال تعالى:"ربنَا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولنا فانصرنا على القوم الكافرين"، وكذلك، قوله تعالى:"واصبر على ما أصابك"".

-"نعم، هذا صحيح، القرآن الكريم يريح البال".

-"الآن بلا كسل لنذهب سريعًا".

*****

وكان الباقي على طاولة الأكل يفطرون فطور الصباح.

وقال مصطفى لأسماء:

-"حبيبتي، أشعر وكأنك سعيدة جدًا، ولم تضعي الماكياج منذ وفاة أخيك عبد الواحد، ما الجديد؟"

وابتسمت أسماء قائلة:

-"سأبقى سعيدة أكثر إن مات مراد، ويرتاح ابني محمد في قبره، كان مراد المفروض أن يموت ليس محمد".

-"لا تفكري في الموضوع كثيرًا".

-"لم تهتم لموت محمد".

-"لا يا حبيبتي، إنه ابني!"

وكان مصطفى يقول في عقله:

-"أنا ابني الحقيقي، حبيب أبيه سيأتي في الطريق".

وقاطعهما أمير:

-"أين هي مروة؟"

وردت أسماء:

-"مروة، تعالي إلى هنا يريدك عمك أمير، أتعرف يا أمير؟ لم أر عم حنون ويحب ابنة أخيه لهذه الدرجة".

-"لدي مروة واحدة في الحياة".

وجاءت مروة وقالت:

-"نعم، يا أمي".
قالت أسماء:
-"يريدك عمك أمير".
وغمز أمير بعينيه لمروة ابتسمت بعد ذلك.
ودخلت أميرة بسرعة لهم، قائلة:
-"افتحوا التلفاز قليلًا، واسمعوا القرآن، كنت أتكلم عليه الآن".
وقالت لها أسماء:
-"ومن متى الهداية والصلاح؟"
-"منذ أن أنجبتكِ أمك".
وقاطعهما مصطفى وقال:
-"أطفئي ذلك التلفاز!"
حدقت إليه أميرة وقالت:
-"لماذا؟ الشيطان استيقظ من جديد، كل من لديه جان سيخرج الآن!"
-"بلا كلام فارغ".
-"هذا كلام الله، ومن أجمل السور، سورة مريم".
وفي تلك اللحظة كانت مروة تمر أمام التلفاز ودخلت في أذانها هذه الآيات التي ستغيرها،"قالت أنى يكون لي غلام لم يمسسني بشر ولم أكُ بغيا"، وذهبت مسرعة لغرفتها وبدأت الدموع تنهمر بغزارة من عينيها، وأصبح كأنه بركان داخلها، بركان ونار الضمير والتوبة على ما تفعله مع عمها أمير، فقررت أن تجعله يبتعد، وألا تستسلم له.

*****

بينما الجميع كانوا ما يزلون على طاولة الإفطار.
قالت عائشة:
-"الأسبوع القادم سنقيم في المزرعة عيد ميلاد توأمي سند وسندس الثاني عشر".
ورد مصطفى قائلًا:
-"أظنهما ولدتا قبل وفاة أبي بأسبوع".

-"نعم صحيح، بأسبوع واحد".

وجاء في بال سمر:

-"وفاة أبيه أنا سمعت أنه هو الذي قتلته من أجل المال! ولهذا أنا صامتة من أجلك ابني".

وقالت سمر أمام الجميع:

-"الله يرحمه عمي مراد، كان رجل طيب، ولكن ما رأيك يا مصطفى؟!"

ارتبك مصطفى وقال:

-"نعم، نعم، أبي كل المواصفات الحساسة والجميلة موجودة فيه، كان رجل طيب، ولكن الجميع لهم يوم".

وأرسل لها رسالة نصية في نفس الوقت:

"إن كنتِ خائفة على نفسك وتريدين العيش بلا تلميح بالكلام".

وسمر بلعت ريقها، والخوف سيطر عليها، ووضعت يدها على بطنها.

وقال أنور:

-"اتركونا من الموتى، وعيد الميلاد، لنسأل أمير ماذا سيفعل والمفاجأة التي يحضر فيها؟"

رد أمير قائلًا:

-"ستعرفون قريبًا، الصدمة ستأتي!"

وقاطعتهم أسماء قائلة:

-"هل هي بخصوص هذا مراد؟"

أجاب أمير وقال بابتسامة كلها شر:

-"نوعًا ما! وأنتِ لهذه الدرجة لا تحبين وتحقدين على ابنك؟!"

-"إنه ليس اب..."

ومسك مصطفى يدها، وجعلها لا تكمل كلامها، وقال هو:

-"تقصد إنه ليس بهذه السهولة أن تحب أو تكره ابنها مهما يكن، أليس كذلك يا عمري؟"

وعدم الرغبة في الإجابة، كانت هي ملامح أسماء وقالت:

-"نعم، يا عمري".

وقال مصطفى في همس شديد:
-"اصمتي وإلا قتلتك يا عمري، حسنًا؟!"
*****

وخرج الجميع من المنزل، وكذلك أميرة ومراد وذهبوا لمنزل ليلى ودخلوا عليها وكانت تبكي، وقالت لها أميرة:
-"أختي ليلى، ماذا بك؟"
-"سليم، سليم".
-"ماذا به؟"
-"وجدت معه الكثير من المال والهواتف، لم أعرف من أين يأتي بها؟"
-"أين هو؟"
-"مع عبد الله في غرفة النوم".
-"وكيف تتركينه مع عبد الله؟ وتعرفين أنه يفعل أي شيء من أجل المال!"
قاطعهما مراد وقال:
-"سأذهب لأراهما".
ردت عليه أميرة:
-"اذهب يا مراد قليلًا، حتى أكملت حَدِيثِي مع عمتك ليلى".
-"حسنًا".
وذهب مراد ودخل غرفتهما، وقالت أميرة لليلى:
-"أنا أعرفك، تكلمي! هناك شيء آخر قد حصل معك".
-"فعلت كل ما بوسعي أن أفعله معه، ولكن لم أستفد شيء".
-"في ماذا؟"
-"لقد تبين أنني حامل ولن أستطيع إجهاضه بعد الآن!"
-"يا الله، وأنتِ كيف تسمحين بهذا أن يحصل؟"
وببكاء شديد، أجابت ليلى قائلة:
-"كان يجبرني ويغصبني عليه، وكنت أبعده ويهددني بضرب الأولاد، جميع أنحاء جسمهم محروق بالنار سارة وسليم".

-"وما الحل الآن؟!"
-"لا أعرف، لا أعرف، أقول يا رب ساعدني!"
وخرج مراد من الغرفة، وقال:
-"وجدتهما نائمين، واستيقظا ودفعني سليم للخارج".
أجابت أميرة:
-"حسنًا، يا مراد لنذهب للجلسة، وأنتِ يا ليلى سنتكلم في الموضوع لاحقًا".
-"حسنًا".

*****

وذهب مصطفى إلى رضوان ليأخذ منه المال من آخر عملية قاموا بها، وطردوه للخارج، أما مراد فقد ذهب للجلسة، وقال لعمته:
-"لم أجد أحد يا عمتي معي، في وقت ضعفي، في وقت احتياجي، في جميع حالاتي ألمي وجعي وحزني، كنت بنفسي".
-"هذه الحياة، سيمر عليك موقف سيغير من حياتك كليًا، سيكون هو النقلة في حياتك، أما أنك لن تجد أحد، فكل شخص لن يجد أحد معه في هذه الأوقات".

*****

وكان يدور في بال مراد كلام عمته عن الموقف الذي كان نقلة في حياته، كان الموقف الذي رأى فيه إبراهيم لم ينس حتى اليوم الأول من شهر فبراير سنة ألفين وثمانية عشر، كان يوم مميزًا وغير من شخصية مراد كثيرًا، وكان يحسب دائمًا، عدد الساعات والدقائق والثواني التي لم يره فيها ويقولها لإبراهيم، حتى خرج مسرعًا بعد الجلسة، كان تؤلمه في كل مرة يمسك في تلك القلادة ويتخيل أن إبراهيم معه وبين يديه، ويصرخ في داخله وقلبه يذبح من شدة الحسرة والألم، كان يمشي في الطريق وقد اعتاد كلام الناس ولم يهتم لهم منذ صغره، كان يوجعه ويؤلمه، الآن كأنه لا شيء، كان يفكر في رؤية إبراهيم، حضنه، أنفاسه، بعد مرور شهر كامل، والكم الهائل من الآلام التي كان يعيش فيها الفترة السابقة، ودخل إلى الغرفة ضيوف الرجال، ورأى إبراهيم، وركض إليه حضنه بقوة، وكأنه طفل يتيم، علم أن عائلته ما تزال حية، ورآهم وجاء ليحضنهم، هذا كان شعوره، وظل يبكي في حضنه تعويضًا للأيام التي رحلت، ولن

تعود، وقال له إبراهيم وهو يضحك:
-"سوف تخنقني يا حيوان!"
زاد مراد بزيادة، وقال:
-"إياك، والنطق بكلمة، أنا لم أرك منذ شهر، أي سبعمائة وعشرين ساعة، ثلاثة وأربعين ألف ومائتي دقيقة، مليونين وخمسمائة واثنين وتسعين ألف ثانية".
وجلس مراد على الفراش، وقال:
-"لا تظنني كل هذا الوقت فرق معي! نهائيًا، كل ثانية تمر علي كأنها ثانية لن يهم".
-"نعم، واضح جدًا، من حسابك للثواني".
وضحك إبراهيم بصوتٍ عالٍ، وقال مراد:
-"يا حيوان، استفزازي!"
وأخرج إبراهيم هاتفه من جيبه، وأخذ يلعب بلعبة الحرب والقتل، ويبتسم ليثير نار مراد، وكل قليل يتنهد مراد تنهيدة، ونهض وأخذ يلعب بالوسادة ويرمي بها على وجه إبراهيم، كي يهتم له ولا يلعب بالهاتف، وقال:
-"آسف بالخطأ تأتي أمام وجهك، ناس حيوانات، أووووف!"
ومرة أخرى، يغني بعصبية:
-"يا الأيام عينك من غلانا، هو وجعنا ومررنا".
وبعدها يشغل التلفاز على المسلسلات وعلى الأغاني والصوت عالٍ جدًا:
-"يا جماعة هذا كله ولم أسمع شيء، أهناك من يسمع؟"
وأطفأه بعد ذلك، وقال بصوتٍ عالٍ:
-"آه، أووووف حيوان!"
وضع إبراهيم سماعات الهاتف، وبعدها أصبح نصف ساعة يدور ويلف بهاتفه وينظر إليه قائلًا:
-"أنا يا الله تعبت من هذا الهاتف، مللت منه أتسمع؟"
ويأتي ويضع رجليه على رجلي إبراهيم، وكل مرة يخرج بشيء، حتى جاء أمام وجهه وعضه على خده، قفز إبراهيم من شدة ألم العضة، وقال مراد:
-"يا حيوان، استغللت كلمة استفزازي وفعلت كل شيء".

ولم يتكلم بكلمة، وقال مراد:
-"أريد أن أرحل! أتسمع أنا ذاهب".
ونهض مراد والتفت له، وقال:
-"أنا ذاهب، أتسمعون، لن أرجع مرة أخرى".
وقال بعصبية:
-"يا حيوان!"
وفتح الباب وأغلقه وبقي خلف الباب لمدة عشرة دقائق، وقال إبراهيم:
-"الذي وراء الباب يدخل؟ الذي وراء الباب!"
وبعد دقيقة دخل مراد وجلس بجانب إبراهيم، وحضنه، وأبعده إبراهيم، وقال له:
-"ماذا تفعل يا شاب؟ لماذا تلتصق بي؟"
-"هذا هو الكلام، حسنًا، لا تجعل في رأسك أنني ميت عليك!"
-"هذا الواقع!"
-"حيوان واستفزازي، سوف ترى ما أفعل؟"
وفتح مراد هاتف وتظاهر أنه يتكلم ويقول:
-"لا تقل هذا الكلام مرة أخرى، أنا مشتاق كذلك لجلستنا سويًا، وضحكتنا، وحضنك الدافئ يا تافه".
ويضحك مراد بصوتٍ عالٍ، وإبراهيم النار تحرق فيه، وأكمل مراد:
-"ومشتاق لي، لا تقل ذلك عندما أراك، الآن؟ سنتفاهم! حسنًا".
وأغلق السماعة، ونهض ليذهب وفتح الباب، جاء إبراهيم وأغلقه، وقال:
-"إلى أين أنت ذاهب؟"
-"وأنت ما وظيفتك؟"
-"أن أحمي أخي وحبيبي".
-"ونسيت هذه الجملة أن تؤلمه وتحرق دمه".
-"لأنني أحبه".
-"ويعجبك أن تراني هكذا؟"
رفع حاجبيه للأعلى، وقال:

-"نعم، وهذه هوايتي في الحياة! تصبح أحلى عندما تنهار".
ورن هاتف إبراهيم بعد دقائق، أوضح الارتباك على وجهه، ومراد يحاول أن يقرأ اسم المتصل، وقال له:
-"أجب على الهاتف الآن!"
-"لا أريد، ليس لدي وقت، صديق ممل".
-"لكن أنا أريد أن أسمع صوته".
-"لماذا؟"
-"لنتعارف فقط لنصبح أصدقاء".
-"حسنًا، سأفكر، لا طبعًا".
-"في عينك، أجب على الهاتف وافتح المكبر".
وفتح إبراهيم سماعة الهاتف، وأجاب المتصل:
-"هيما حبيبي".
اتسعت عينا مراد، وفتح فمه، وقال:
-"هيما حبيبي! أكمل".
ورد إبراهيم على المتصل:
-"نعم يا حبيبي عيون هيما!"
رد مراد قائلًا:
-"إن شاء الله ينقلعن عيون هيما قول آمين".
وقال له إبراهيم:
-"اصمت قليلًا لأتفاهم مع حبيبي!"
رد مراد بعصبية، وحاول أخذ الهاتف:
-"أنا سأتفاهم معه، أعطني إياه ابن الحرام هذا!"
-"لا أريد أحد أن يسمع صوته، أنا أحبه كثيرًا".
ودخل عليهم فرج تلك اللحظة:
-"أنا يا مراد ابن الحرام؟"
-"ماذا؟"

وقال إبراهيم:
-"هذه لعبة، فرج يقلد هذه الأصوات وحرقتك كما فعلت معي، وهكذا أصبحنا متعادلين".
-"يا حيوان، استفزازي، كله كذب".
-"كما أنت كله كذب".
-"نعم صحيح، ولكن كيف عرفت؟"
-"دائمًا عندما تكذب يظهر على وجهك مثل الشمس، أم نسيت أن أمامي لا تستطيع أن تخفي شيئًا".
-"أحبك يا حيوان".
وحضنه كطفل يحضن أباه، ويريد حنان أمه.
*****

لا أعرف ما الذي كان بيني وبين إبراهيم، أهو حب، أو صداقة، أو أخوة، أو كعائلة، كان إبراهيم جميع هذه الأدوار لي، صحيح أنه ليس مثل السابق معي، اهتمامه الذي جعلني أتعلق به، وخوفه كذلك، وعطفه وحنانه كل شيء، تغير كليًا. ولكن ما يزال عندما يراني هي نفس النظرة فيها حب حقيقي، أحب مشاجرتنا دائمًا، وفي كل مرة أراه أعرف أن هناك نهاية لي معه، وأتألم، وأريد أن أمنع نفسي عن هذا، ولكنني ضعيف أمام الاهتمام الصادق مع إبراهيم، الذي لم أجده حتى مع عائلتي، ومع ذلك كنت أريد أن تكون صداقتي وعلاقتنا جميلة وشيء ليس سيء أمام الناس، فهذا كان مستحيل، لم أعش حياة طبيعية حتى معه، فكان السؤال الذي يطرح نفسه، إلى متى سنظل هكذا؟ وكيف النهاية؟
*****

أغلقت دفتري، وحضنت دميتي، ونمت سريعًا.
*****

بينما كان عبد الله بعد منتصف الليل، ذاهب لبيته، في منطقة بوعطني، المنزل الذي بعد وفاة عبد الواحد وسجن رتاج، لم يبق فيه إلا المعتصم بالله، ودق الباب وفُتح، وكانت حالته متعبة جدًا من المخدرات والكلام ببطء يخرج من فمه وقال:

-"أوووو، عمي الغالي المعتصم صاحب المخدرات وبيع الأعضاء، أنا أبحث عنها وهي موجودة عند أقرب الناس لي".
ارتبك المعتصم بالله من كلامه، وبدأ الخوف يسيطر عليه، وقال:
-"مخدرات وبيع الأعضاء ماذا؟"
-"لا تنكر، إياك والنكران، أبي قال لي كل شيء قبل موته".
-"هذا ليس صحيح!"
-"وقلت لك لا تنكر يا عمي الحبيب، أخرج بالمال".
رد المعتصم بالله بعصبية:
-"أي مال؟ أنا عمك تكلم معي جيدًا".
-"وأنت أعطيني المال لأكون معك جيدًا".
-"ليس هناك مال!"
-"إذن السلام عليكم، أنا ذاهب للشرطة".
-"تعال، تعال، كم تريد؟"
-"خمسة وعشرون ألفًا".
-"نعم يا روح أمك! أنا لم أجدهن لنفسي".
-"معنى ذلك أنني سأذهب للشرطة".
والتفت عبد الله فمسكه المعتصم بالله من يده، ودفعه، فارتطم بطاولة الأكل، وشعر بصداع والدم يسيل منه، ونهض من جديد، وقال له:
-"أعطني المال كي أجلب المخدرات، لن أستطيع التحمل".
-"ليس هناك مال!"
-"حسنًا سأتصل بهم ليأتوا إلى هنا".
وفتح عبد الله هاتفه، وأراد الاتصال بالشرطة، وقال له المعتصم بالله وهو يحاول أخذ هاتفه:
-"تعال إلى هنا يا عبد الله".
-"أتركني، أعطني المال قبل كل شيء".
ودفع عبد الله المعتصم على الأرض، وأجابت الشرطة، وقال عبد الله:

-"يا سيدي تعال إلى منطقة شبنة، لا ليس هذه، رأسي صداع، إلى بوعطني لتأخذوا هذا!"

ولم يفكر المعتصم بالله تلك اللحظة، سوى أنه أخذ قطعة أثاث على شكل حصان حديدي، وضربه على رأسه، وبدأ يضرب فيه على وجهه عدة مرات، قبل أن يقول للشرطة ماذا هناك، وينتهي فيها.

وظل المعتصم بالله يقول:

-"عبد الله، عبد الله، عبد الله".

ومسك يديه، وسقطت، ولم يجد فيه نفس، وقال:

-"يا الله، يا الله، ماذا فعلت؟ ماذا فعلت؟ عبد الله، لم أقصد أن أؤذيك أنت جعلتني أفعل هذا!"

رن هاتف المعتصم بالله فأجاب، وكان المتصل رضوان، فأجاب وقال:

-"نعم، نعم رضوان".

-"ماذا بك؟ لماذا صوتك هكذا؟"

-"لا، لا شيء صداع قليلًا".

-"حسنًا، كنت أريد أن أكلمك على موضوع الأعضاء إذا كنت قد حصلت على شخص آخر".

حدق المعتصم بالله في جثة عبد الله، وظل يفكر في أن يدفنها في حديقة البيت كي لا يراه أحد، أو يبيع الأعضاء ويستفيد بالمال فأجاب:

-"نعم، لدي".

-"من هو؟"

-"عبد الله".

-"من؟! عبد الله ابن أخيك، ابن عبد الواحد؟"

-"أصمت، أصمت، لقد وقع على الأرض ومات على الفور".

-"اصبر، وأنا قلت إنك قتلته؟!"

-"تعال إذن واجلب معك الدكتور".

-"إلى منزلكم".

-"نعم، هنا المنطقة فارغة، لن يراك أحد، ومظلمة فلا تخف".

-"حسنًا، سنأتي".

*****

وجاء رضوان والدكتور شادي، وقد أخذوا جميع الأعضاء الخاصة بعبد الله، وبعدها قال رضوان عند خروجه:

-"ماذا ستفعل بالجثة؟"

-"لا أعرف!"

-"ارمها".

-"سأدفنها".

-"حسنًا، لنخرج يا دكتور".

وبعدما رحل رضوان والدكتور شادي، وضع المعتصم بالله الجثة في سجادة كبيرة، ولفها، وخرج للحديقة الخلفية، وحفر حفرة كبيرة ورمى الجثة فيها، وغطاها بالتراب، وكأن شيئًا لم يحصل، ودخل للمنزل أزال جميع الدماء على الأرض، وجلس على الكرسي، عاش في حالة هستيريا خوف من قتل ابن أخيه الوحيد.

*****

لما أنا مكتف الأيدي، وأين أنا؟ في مكان يوجد فيه أصوات البحر والطيور، يا الله، ابتسمت، وشاع النور من عيني، شعرت بالراحة والأمان، وبعدها أغمضت عيني، وفتحتهما، ورأيت شيئًا لم تصدقه عيني، ولم يصدقه قلبي، ولم يصدقه عقلي، رأيت جدي، الذي لم أره منذ اثني عشر عامًا، جدي بلحمه وشحمه، تعال معي يا جدي، فتحت يدي له، قال لي ابتعد يا مراد، هذا خطر، لماذا؟ ابتعد البحر غدار لا تؤمن له، ولم أجد إلا موجة بحر عالية جدًا جدًا آتية في اتجاهي، واختفى جدي، صرخت له، ولم يجب أحد، والتفت لأذهب، كانت الرمال المتحركة تبتلعني، ولم أستطع التحرك، وكانت الموجة آتية وبقوة شديدة، فأغرقتني، وبقيت غارق في البحر، وهناك يد جاءت لتساعدني، فتحت عيني وأنا داخل البحر لأرى من هو، لم أجد إلا وجه شديد السواد، يدخل بي إلى أعماق البحر.

*****

فنهضت من فراشي والخوف يسيطر علي، وذهبت ودخلت للحمام وغسلت وجهي، وصليت ركعتين، ومررت من غرفة مروة فوجدتها تبكي، دخلت عليها وسألتها:

-"ماذا بك يا أختي؟"

-"قررت أن أبتعد".

ابتسم مراد وقال:

-"هذا رائع يا أختي! بدأت على الطريق الصحيح".

-"سمعت سورة مريم، فدخلت في أعماقي وفهمت معانيها، الحمد لله لم أفقد عذريتي حتى الآن!"

-"أسعدتني كثيرًا!"

-"ولكني خائفة من ردة فعله".

-"لا تخافي كوني واثقة من نفسك!"

-"حسنًا، وأنت ستفرحني عندما يزول مرض إبراهيم منك".

-"سنزيله سويًا".

وصوت عمته أميرة تنادي:

-"مراد، مراد، مراد".

-"أنا آتي يا عمتي".

وسألته مروة:

-"هل أنت ذاهب للمستشفى؟"

-"نعم يا أختي".

-"كيف تستطيع تحمل كل هذا؟!"

-"لأنني لم أجد أحد، تمنيت لو أن أبي معي وقت جلساتي، وقت مرضي، يخافون علي من الموت، وأمي تحضنني وتبكي خوفًا من فقداني، أو نهايتي ستكون مثل تلك الخالة وحيدًا".

-"من هذه؟"

ابتسم مراد وقال:

-"لا تشغلي بالك، إنها قصة طويلة، سأحكي لكِ في وقت آخر".

-"حسنًا".

*****

وكان الجميع على طاولة الإفطار.

وقالت أسماء لمصطفى:

-"ألا تريد أن تذهب مع ابنك؟"

-"عمته معه، ليس لي شأن!"

-"هكذا خير للجميع يموت ونرتاح منه!"

-"شيء مؤكد".

وقاطعتهما سمر:

-"هل لديه علاج؟"

ردت عليها عائشة:

-"مرض السرطان سيبقى معه للموت".

*****

ودخل مراد على عمته أميرة وكانت في غرفة جدته فاطمة، وتقول لها، والدمع على خديها:

-"أمي، استيقظي لا تنامي ألم تشبعي؟ ثمانية عشر عامًا نائمة، أرجوك".

-"عمتي هناك من هم مثلها، ولكن ليسوا نائمين، هذا الفرق!"

-"اشتقت لها يا مراد، صوتها، عطرها، كلامها، كل شيء فيها".

*****

في داخله مراد تمنى لو أن لديه أم حقيقية مثل كل الأمهات، ويحبها، يشعر بالألم عندما يتكلم أحد عن أمه بكل هذا الحب، تدخل فيه سكين وسط قلبه، عندما يرى في الشارع أناس مع أطفالهم، يحضنونهم، ويقبلونهم، ويعطفون ويخافون ويهتمون بهم، كان يشعر كشعور اليتامى مع أنه لديه عائلة وهذا الشعور هو الأصعب، وهو أحياناً يكره إبراهيم لحبه الشديد لأمه وأنه يبيع الجميع لأجلها، لم يفهم أهو يريد أن يحبه إبراهيم هو فقط ولا يحب غيره ليعوض فيه جميع النقص، أم كان يتألم لأنه لم يجد أم حنونة عليه؟ كانت جميع مشاعره مختلطة، وحبه لسلسبيل الذي لم

ينته، كان يتمنى لو أنه أحبه شخص لهذه الدرجة وبهذا الصدق، الجميع كان يبدأ معه بالشيء الخاطئ حتى إبراهيم، وكذلك صديقه أحمد الذي استشهد الذي يتمنى إبراهيم أن يموت وراءه، كان يريد جميع هذا الحب والمشاعر الصادقة، كان هذا الشيء من مهام عائلته، ولكن المسكين ما حدث معه في صغره دمر نفسيته، مستقبله، شخصيته، حياته، وحتى علاقاته، وطريقة تعامله، وعندما ذهب للمستشفى مع عمته أميرة قال لها:

-"أنا وحيد يا عمتي!"

-"أنا معك".

-"ولكن ليس دائمًا، ولدت وحيدًا، وعشت وحيدًا، وسأموت وحيدًا".

-"كلنا لله راجعون، قل يا الله و هو سيرحمك".

وكان يقول مراد في نفسه:

-"إبراهيم كان يبكي ذلك اليوم علي، وابتسم، ولكن أين هو الآن؟ ليس معي، يسيء الظن بي، ويسيء معاملتي، ويأتي بكلمة وأنسى كل شيء يفعله، لا أعرف أهذا لأنني قلبي أبيض؟ أو لأنني أريد الاهتمام على حساب كرامتي وكبريائي، وأشبعه حب، ويتركني ولا يتصل بي، أفكر دائمًا هو لم يفعل لي شيء يوضح حبه وخوفه وتضحيته، ولا شيء، وأنا دائمًا أتعب من أجله وأهتم، أو أنا اعتقادي خاطئ، أنا أتعب من أجل نفسي، وأبكي من أجل نفسي عندما يغيب، الإنسان يفكر إنه يحب الشخص، وهو يحب ذلك الشعور مع الشخص، الحياة مشاعر، كله عبارة عن أحاسيس فقط".

وتذكرت كلام جدي لي:

-"يا مراد سأحكي لك قصة قصيرة!"

-"وما هي يا جدي؟"

-"يحكى أن طائرًا أحب وردة، فقالت له الوردة عندما يصبح لوني أحمر سأحبك".

-"وماذا فعل الطائر؟"

-"فقطع الطائر جناحيه ونشر دمه على الوردة فاحمر لونها!"

-"لقد ضحى من أجلها بنفسه! هذا مؤلم حقًا".

-"وهكذا أدركت الوردة كم أحبها الطائر، ولكن الوقت قد فات، لأن الطائر قد مات".

-"وما الدرس المستفاد من هذه القصة؟"

-"أن تهتم لمن يهتم بك لأنه لو خسرته لن تجد حبًا كحبه، فكسر القلوب لا يُجبر".

-"هذا مؤلم وحزين جدًا يا جدي؟ فماذا أفعل كي لا أقع في هذا؟"

-"أن ترتاح، وتعلم أن تختصر في كل شيء، الكلام المشاعر، والناس، ومع ذلك تظل تحب بشدة، تحب بحجم الإهمال، والوحدة، والألم، ستطمئن عليه كل يوم وهو لا يعلم، ستشتاق لحديثك معه، في الليل تختنق صدورنا، وتتشابه ملامحنا، نبكي كثيرًا، ونخفي الدموع، خوفًا من أن يرها أحد".

-"ولكن هكذا ستكتم، وتكتم، حتى تنفجر".

-"فماذا تفعل؟ فغالبًا الذي يهتم بالجميع لن يجد أحد يهتم به، وأن تقول آسف وأنت المجروح وليس الجارح خوفًا من فقدهم، تخاف حتى من محادثاتكم التي أصبحت لا تراها، هذا الإهمال يقتل أي علاقة مهما كانت قوية، ملخص هذا الكلام!"

-"ما هو يا جدي؟"

-"لا تثق كثيرًا، ولا تحب كثيرًا، ولا تتأمل كثيرًا، لأن هذه الأشياء قد تؤلمك كثيرًا، ولكن الذي يكون لأول مرة، فهذا الألم واجب، ليتعلم، لينضج، ليكبر، لأن كل علاقة مع أي إنسان، هي تجربة فقط".

وقالت أميرة:

-"مراد، مراد، أين شردت؟"

-"أنا معك يا عمتي؟ هل انتهت الجلسة؟"

-"سنخرج الآن".

-"حسنًا".

-"أأنت بخير؟"

-"نعم أنا بخير، لا عليك".

*****

ورجع الجميع للمنزل، وجاء وقت العشاء.

واتصل أمير بمروة، وقال لها:

-"إن لم تأتي الآن أعلى المنزل سأقول كل الذي بيننا".

صعدت مروة مسرعة، وقالت له:
-"أنت لم تفهم بعد؟ أتكلم إنجليزي؟!"
-"لا أفهم إلا صيني".
وتتحدث له وهي باكية بحسرة، وتقول:
-"أتركني، أرجوك، تذكر أبي، الذي هو أخوك".
-"أنتِ لما لم تتذكريه؟"
-"كنت جاهلة غبية مريضة، شيء خاطئ وحصل!"
-"إن دخل الشخص في الخطأ وأراد الرجوع، فالخطأ بنفسه لن يتركه حتى النهاية".
-"ما معنى هذا الكلام؟"
-"أن نبقى سويًا مثل السابق، وإلا ستصبحين بخبر كان، ومن الممكن أن أدخل على أجزاء حساسة وجارحة يا حرام، صحيح؟!"
ورفعت مروة يدها وأرادت أن تصفعه على وجهه، فمسك يدها، وظل يحرك ملابسها التي عليها بيده، وقال:
-"إياك، وأن تقللي أدب معي، كوني محترمة ومؤدبة وشريفة عفيفة، كما أعرفك، هل اتفقنا يا عمي؟!"
-"عمي! جعلت فيها عمي بعد كل ذلك".
-"هذا قدرك، كل شيء يحصل لنا نتاج أفعالنا!"
-"والآن ماذا؟"
-"ادخلي معي غرفة التخزين".
وظل يمارس معها الجنس تحت التهديد.
*****
أما أسماء فكانت في قمة سعادتها بمرض مراد، ولم تعرف أن الذي تفعله فيه، الله يعاقبها عليه بمروة، وخيانات زوجها، وموت محمد، والصادم قادم!
*****
ودخلت أميرة على مراد في غرفته، وقالت له:
-"حبيبي مراد، ماذا بك؟"

-"مريض يا عمتي هذا كل الموضوع".
صمت قليلًا، ونهض من فراشه، وببكاء وحسرة، قال:
-"شخص، شاب، بسيط، متواضع، يريد العيش بسلام وراحة، بلا تعب، بلا ظلم، بلا قهر، بلا وجع، بلا ألم، بلا دمار نفسي، أنا شاب ينقصني كل هذا، ينقصني حنان، ينقصني أمان، ينقصني حب، ينقصني ثقة بنفسي، ينقصني شخصية، الشخصية أمام حتى الأطفال الصغار عائلتي دمروها لي، ينقصني الشعور بنفسي أنني رجل! هذا كل الموضوع، واليوم الذي خطفت، وبعدها انتحرت، والآن أنا مريض وسأموت".
-"لا، مراد، لن تموت".
والدمع ينهمر من عيني أميرة بعد سماع كلامه، وتقدمت نحوه، وأوقفها بيده، وقال:
-"لا، يا عمتي ليس مرض السرطان سيقتلني، بل هم، هم من كانوا يقتلون مني كل يوم شيء، حتى جاء هذا المرض، لينهي كل شيء بداخلي، ما زلت عندما قرأت مقولة تقول إن الإنسان لا يموت دفعة واحدة، إنما على أجزاء، فكلما رحل صديق، وكلما رحل حبيب، وكلما مات حلم من أحلامنا، فكيف الذين مثل حالتي ليس لديهم شيء، لم أجد صديق".
وصمت قليلًا، وقال:
-"موسى، ومريم، كانوا أصدقائي يا عمتي".
وضحك بصوتٍ عالٍ، وهي تبكي، وقال لها:
-"أو لم يكونوا في يوم أصدقاء حقيقيون، ولكن سأشكرهم على شيء واحد فقط، على مفتاح الحل".
-"أي مفتاح حل؟"
-"عمتي أرجوك، أنا مريض الآن، أتركني أريد أن أنام".
ودخل مراد في فراشه، وأخذ دميته، وفتح هاتفه، ووضع على صورة إبراهيم، وقال، والدمع في طرف عينيه:
-"إبراهيم، روحي، عائلتي، لما لم تأت معي للجلسة؟ أشعر بالمرض الشديد، ورأسي يؤلمني، والدم من أنفي وفمي، من يبقى معي بعد رحيلك، سأبقى وحدي، أبي سيضربني، لمن أشكو، وأمي تطردني، في حضن من سأرمي نفسي، والجيران في الشارع

يرمون لي الكلام، وأقول لك، وتتشاجر معهم، كل ذلك سيرحل، ولكن تأكد أنك ستبقى في قلبي ولن ترحل، تعلمت منك كل شيء، ولكن لا أعرف إن كنت تحبني كما أحبك، أو ما زلت مجرد رهان فقط".

وابتسم مراد وقال:

-"ولكن هو بكى كثيرًا عندما قلت له إنني مريض، هو يحبني يعتبرني كل شيء مثلي تمامًا".

وبعدها ضحك بصوت خفيف، وقال:

-"على الأغلب، وسأظل أقنع نفسي فقط بذلك! أظنه متضايق كثيرًا من أجلي حتى لو لم يتصل، مؤلم حضورك معي في قلبي، وغيابك عن عيني!"

واتصل مراد على إبراهيم وقال:

-"لما يا أخي، لما تتركني؟! اشتاق لي بالخطأ، وتذكرني ولو عن طريق الخطأ، وقل لي أي شيء بالخطأ، وتكلم معي بشكل حلو بالخطأ، افعل أي شيء جميل بالخطأ، وأنا سوف أصدقك مثل كل مرة، سأصدقك دائمًا، أحيانًا الخطأ يكون جيد، لقد اشتاقت لك كثيرًا فقط، وأنا مريض جدًا، كنت في المستشفى، لقد نزفت كثيرًا، وأنت لم تكن معي، وتعبت كثيرًا ولم تكن معي، اتصل أحيانًا دقيقة في اليوم لن تخسر شيء".

-"أنا لا أتصل حتى لا تبكي مثل الآن، وأنا أتضايق كثيرًا، وأكره أن أكلمك ثانيةً".

وفرح مراد من قلبه، هناك من يتضايق عندما يبكي، وبهذه الكلمة نسي كل الموضوع، وشعر أنه قد تم خداعه مثل كل مرة، ومع ذلك استمر كي يفرح فقط، وأنا كل شخص يخاف على نفسه، ووقت الشدة كله مع نفسه، مثل إبراهيم تضايق من بكائه، فكان يجب أن يحافظ على نفسيته فبقي بعيدًا عنه.

وقال إبراهيم:

-"أين شردت؟"

-"أنا هنا، هل قرأت الرسالة".

-"لا لم أقرأها".

-"لا تقرأها لأن بعد عدة أيام قليلة سنذهب لمكان".

-"حسنًا، وتذكرت أنا وأمي سنذهب للعلاج بمصر بعد أسبوعين".

وبدأت الدموع تنهمر من مراد ويبكي بتنهيدة فيها كل ألم ووجع الدنيا:
-"ستتركني وتذهب؟!"
-"يا مراد، يا مراد، أذهب لأعالج أمي، التي هي أهم من كل شيء".
-"حسنًا، اذهب ولا ترجع، أنا أين أمي؟ وأين أبي؟ ليس معي أحد".
-"تبقى بمفردك أجمل".
وضحك مراد وقال:
-"أجمل، أجمل، لم تجربها في حياتك، لم ترى عينك الذي رأيته، لم يتألم قلبك كما أتألم، لهذا السبب لن تشعر به".
وخاف مراد أن يزيد في الكلام، وإبراهيم يتضايق منه ولن يكلمه، وقال آخر شيء:
-"نسيت أنني لست أهم من أمك، الأم طبعًا، وأحمد صديقك، وحب عمرك والتي لن تنساها، لديك أحباب، أنا لم يحبني أحد سواك، أريدك معي".
-"مراد، مراد، فرج يتصل، هناك صديق يريد أن يسافر سأذهب لأراه، سأتصل بك".
وأغلق مراد السماعة، وقال لنفسه:
-"أعرف أنك لن ترجع وتتصل، غريب الإنسان أقول له إنني موجوع، ويعرف كل شيء عن حالتي، ووضعي مع عائلتي، هذا لأنني لست مهم له!"
وتذكر مراد كلام جده:
-"هل تعرف يا مراد أن الناس أنواع؟"
-"وكيف هذا؟"
-"بعضهم غلطة، وبعضهم درس، وبعضهم ندم، وبعضهم فرحة، وأغلبهم ذكرى جميلة وتنتهي، فكيف إذا كان شخص موجود فيه كل هذا! لأن مقدار حبك له الآن، سيكون مقدار وجعك غدًا، لأن القلب غالٍ".
-"صحيح يا جدي، إن أردت أن أشتري قلب ما هو سعره؟"
-"سؤال ذكي، من حبيب قلبي، تبلغ قيمته لتجارة الأعضاء مائة وتسعة عشر ألف دولار، لهذا السبب فكر وأعد النظر قبل أن تمنحه لأحدهم مجانًا".
-"وصحيح يا جدي قلت لي ستكمل العبر عن قصة سيدنا يوسف عليه السلام".
-"نعم، تكلمت عنه سابقًا، ولكن فيها الكثير من العبر، هل تعرف أنها سميت بأحسن

القصص؟"

-"لماذا يا جدي؟"

-"لأنها تعلمنا أن السجين سيخرج، والمريض سيشفى، والغائب سيعود، والحزين سيفرح، والكرب سيزول، وأن ابتلاء المؤمن كله خير، فمع الله لا يخيب رجاء، فلا تيأس وثق بالله".

وقال مراد لنفسه في الوقت الحالي:

-"الآن يا جدي أنا أمنح قلبي لأي شخص، ليس إبراهيم، لأنني فاقد لكل شيء، وأبحث عنها في الخارج، وأتمنى أن يتحقق كما تقول في قصة يوسف عليه السلام، ولكن هل سأجد أحد أشكو له؟ إبراهيم وتركني، فلما البوح؟ إذا كانوا لا يسمعون، وإذا سمعوا لا يشعرون! ولكن أنا أحتاجه معي هو سندي وعائلتي، هذا الألم إنني أريده ولا أجده بجانبي".

*****

وفي صباح اليوم التالي،

كان الجميع على طاولة الإفطار.

وأسماء تقول:

-"إن شاء الله يموت كل شخص كان يستحق الموت منذ القدم".

وأصبحت تردد فيها باستمرار قائلة:

-"الموت، الموت، الموت، الموت".

ودخلت أميرة وقالت:

-"بسم الله الرحمن الرحيم: واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير".

-"ماذا أهذا الكلام لي؟"

-"نعم، وهل لي؟"

-"احترمي نفسك معي، وإلا..."

-"وإلا ماذا؟ ماذا ستفعلين؟"

صمتت أسماء وبدأت تظهر عليها ملامح الغضب، فقالت أميرة:

-"أتعرفون أن جميعكم لو شبهتكم بسورة من القرآن ستمثلون سورة العنكبوت؟!

لأنها كلها فتن، والنهاية في النار".
قفزت مرام وقالت:
-"ولماذا يا عمتي سميت بالعنكبوت؟"
ابتسمت أميرة وقالت:
-"سؤال حلو من فتاة حلوة، لأن بيت العنكبوت عندما تلمسيه سيقع ويهدم على الفور، مثل بيتها، كلها فتنة ونفاق، والنهاية للنار".
وقاطعتها سمر قائلة:
-"لا يصح يا أخت زوجي أن تقولي هذا الكلام للفتاة، ما تزال صغيرة!"
حدقت إليها أميرة بشدة، وقالت لها:
-"أنتِ أساس الفتنة، فالأفضل أن تصمتي!"
عبست سمر وقالت لها:
-"ما هذه المعاملة؟"
-"هل لديك مانع؟ أنا هنا الأخت الكبيرة، فهمتي ذلك؟!"
-"الأخت الكبيرة، ولكن لستِ الله".
وأجابتها أميرة بصوتٍ عالٍ قائلة:
-"لما الله، إذا كنت تريد التعبد ما يزالوا الناس هنا في ليبيا و خصيصًا في الزاوية وغيرها هناك الصوفية، ويعبدون في ضريح ليتوسط بينهم وبين الله هكذا يعتقدون، ويسمى ولي صالح، اذهبي هناك".
-"لا شكرًا، لا أريد".
وقالت أميرة لأخيها مصطفى:
-"مصطفى، لم تسأل على مراد؟"
-"ولما؟"
وقالت له بغضب وحدقت في عينيه، ليتذكر كلامها بموضوع سوزان والميراث الذي يسعى له:
-"مصطفى".
أجاب بارتباك شديد، قائلًا:

-"كيف حال مراد؟"
-"لديه عملية بعد شهر يمكن..."
-"حسنًا، الله يشفيه".
-"قولوا آمين!"
ورددت مرة أخرى:
-"قولوا آمين!!"
لم يردد أحد، وقالت أميرة أيضًا:
-"أين عائشة وأنور وأمير؟!"
أجابت مرام:
-"إنهم في الخارج يا عمتي".
-"حسنًا، يا حبيبة عمتك أكملي فطورك".
وكانت سمر تحدق في مصطفى وتفعل أشياء بفمها وعينيها، ورأتها أميرة وقالت لها:
-"سمر، زوجة أخي العزيز".
نظرت سمر بارتباك شديد، وابتسمت قائلة:
-"نعم، أميرة حبيبتي".
-"هل تعرفين أنا أخلاقك تعجبني كثيرًا؟!"
-"شكرًا، شكرًا، يا عمري، نحن أهل الأخلاق".
-"لكن هناك نوعين من الأخلاق والفرق نقطة".
-"وما هما النوعين؟ ولم أفهم هذه النقطة!"
-"هناك بشر تحرجك بأخلاقها، وناس تجرحك بأخلاقها، وهنا الفرق نقطة، والمعنى بعيد كليًا!"
-"وأنا من الذين يحرجونك؟"
-"لا".
-"معنى ذلك أنني من الذين يجرحونك؟"
-"وليس هذا أيضًا".
-"إن لم يكن هذين النوعين، فما أنا تحديدًا؟"

-"ليس لديك أخلاق من الأساس".
وقاطعهما مصطفى:
-"يا أميرة، بلا مشاكل، أنتِ نفسيتك متضررة بعد مرض مراد، فلا تأتي وتفجري كل الطاقة السلبية بداخلك علينا".
نهضت أميرة من الطاولة، وقالت وهي تحدق في سمر بطريقة غريبة:
-"حسنًا، أنا ذاهبة مع مراد للمستشفى".
وأرسلت سمر رسالة نصية لمصطفى، وقالت فيها:"مصطفى، يجب أن أتكلم معك على ولادة الطفل، هناك مشاكل لنتقابل بعد أن يخرج الجميع".
*****

وبعد ذلك خرج الجميع من المنزل، وتقابل سمر ومصطفى عند البحر، وقالت له:
-"مصطفى، قالوا لي أن هناك ولادة مبكرة للطفل".
-"ما معنى ذلك؟ إنه سيولد بصحة ليست جيدة؟ يا الله، هذا أملي الوحيد، محمد مات، لا يوجد أحد، لأستطيع أخذ المال بعد ذلك".
-"هذا فكرك الوحيد، المال فقط".
-"وأنتِ الآن في أي شهر؟"
-"الشهر الخامس".
-"وإن أنجبتِ الطفل، في أي شهر؟"
-"ممكن الشهر السابع أو بداية الثامن".
-"حسنًا، حسنًا".
وكان يقول مصطفى ويفكر في عقله:
-"سأخطفها وأجلب شادي وينتهي الموضوع".
وسمر تفكر، وتقول:
-"هذا في ماذا يفكر؟ لن يأخذ ابني، أنا سأهرب قبل ولادة الولد، وأكون قد حصلت عليه كما أحلم ليبقى سندي".
وقالت سمر له:
-"هل نسيت قصة ورقة التحليل الضائعة؟!"

-"نعم، نسيت، هل وجدتيها؟"
-"لا، حتى الآن، أظن أنها موجودة مع أميرة، أترى كيف كانت تلمح بالأخلاق على الإفطار؟"
-"لكن لو كانت أميرة تعرف ذلك لقالت".
-"لا أعرف، أنا سأدخل لغرفتها وسنرى!"

*****

بينما كانت أسماء قد خرجت لتذهب وترى أخاها المعتصم بالله وعبد الله وقالت له عندما جلسا:
-"يا الله، يا الله، أخونا ضاع، وابنته ضاعت، وابنه ضاع".
نظرت الخوف والهلع في عيني المعتصم بالله، وقالت له:
-"صحيح أين عبد الله؟ لم أره منذ فترة".
-"إنه في الخارج مع أصدقائه".
-"هؤلاء الأصدقاء هم الذين نزعوا أخلاقه، ما علينا، هل ذهبت ورأيت رتاج؟"
-"حتى الآن لم أذهب إلا مرة!"
-"اذهب دائمًا، يا أخي، أنا ومصطفى عندما أردنا الذهاب مراد قد حاول الانتحار ويا ليته مات فقط فتأجلت!"
-"سأذهب لها!"
-"حسنًا، سَأُذِيقَك الشاي من يدي الآن، ولكن أريد أن أخذ النعناع من الحديقة الخلفية!"
وعندما نهضت أسماء أمسك المعتصم بالله يديها، وقال:
-"لا تتعبي نفسك يا أختي".
-"لا تعب ولا أي شيء".
-"أنا سأجلب النعناع من الحديقة".
-"لا أنا سأجلبه، أريد أن أخرج وأتذكر ذكرياتي هنا، اتركني".
والتفت أسماء وملامح البؤس على وجهها، وصرخت بصوتٍ عالٍ، قائلة:
-"معتصم، أين هي السجادة التي كانت هنا؟"

والخوف، وخفقان القلب، كان حاضرًا في تلك اللحظة، وقال لها:
-"ما بك يا أختي؟"
-"هذه اشتريتها أنا وأمي، هي أغلى سجادة على قلبي".
-"كان هناك شاب فقير ليس لديهم سجادة فأعطيته إياها".
-"حسنًا، دائمًا تحب الخير ولا تحب أن تفعل السوء لأحد، هذا هو نهج أخينا عبد الواحد!"
ورد عليها بارتباك وبلع ريقه:
-"نعم، صحيح، الخير ثم الخير".
وخرجت، وذهبت للحديقة الخلفية، ووجدت آثار دماء على التراب، وصرخت للمعتصم أن يأتي، وقالت له:
-"معتصم، دماء، دماء".
-"ليست دماء بل كان كاتشب الطماطم، أصدقائي كانوا يلعبون به".
-"حسنًا، ولكن هذا المكان من الأرض يختلف عن الباقي كأن كان هناك حفرة".
-"ليست حفرة، بل كنت أريد أن أزرع هنا، فهدمتها وأصبحت هكذا!"
-"حسنًا، أنا جلبت النعناع لندخل ونشرب الشاي".
وبعد أن حل المساء وأرادت أسماء الذهاب للمنزل، قالت له:
-"عندما يأتي عبد الله قل له إن عمتك تريدك، وانتبه له جيدًا، ابن أخينا يجب أن نحافظ عليه، لم يبق له أحد سوانا".
-"حسنًا، سأخبره يا أختي، أوصلي سلامي للجميع".
-"حسنًا، تصبح على خير".

*****

ورجع الجميع للمنزل، وبقي الحال كما هو، استمرار الحال من المحال، أسماء في نزاعات دائمًا هي وأميرة بسبب مراد، أما مصطفى فأصبح لا يؤذيه ولا يأتي أمامه ولا يتكلم معه كلمة، كي يحافظ على علاقته بأميرة ولا تخبر أخواها أنور وأمير بكل شيء، وهي لا تعرف ما فعله بأبويهم حتى الآن، وأمير بالتهديد الدائم تأتي مروة إليه، ويريد أن يفقدها عذريتها وهي لا تريد حتى الآن، أما سمر فتخطط كيف ستهرب قبل ولادة

ابنها؟ والمعتصم بالله خائف من أن تنكشف قصة مقتل عبد الله الذي يعتبر مفقود حتى الآن ويفكر بالهرب، وليلى تفكر ماذا ستفعل بالطفل الذي في أحشائها الذي لا تستطيع أن تجهضه؟ والقادم غير متوقع.

*****

وبينما مراد الذي عاش جميع أنواع الدمار النفسي، والصحي، والاجتماعي، والعاطفي، وكل شيء، لم يبق شيء، ولكن ماذا سيأتي بعد ذلك؟ لا أحد يعرف سوى الله.

*****

وكان يمشي في الطريق بداخل منطقته بعد عودته من المستشفى ليقوم بالجلسة الخاصة بمرضى السرطان، ولقد تقابل مع معلمات قد تعلم مراد على أيديهن، وقالت معلمة له:

-"مراد، كيف حالك؟ أتتذكرن يا نساء مراد؟"

قالت لها الأخرى:

-"نعم، ومن ينسى مراد ذلك الطفل الطيب والأول دائمًا على جميع طلاب المدرسة وجماله المبهر".

وأجابت الأخرى قائلة بابتسامة وحب صادق:

-"محظوظ جدًا الذي يمتلك قلبه!"

*****

ولم يشعر حينها مراد إلا بشعور غريب، تغلغل في أحشائه، وداخل قلبه، وعندما قالت له محظوظ من يملك قلبك، تذكر إبراهيم وما يفعله وأنه لا يستحقه، ولم يكتسب في الدنيا إلا محبة وصدق مشاعر المعلمين فقط، وكان يحب الدراسة ويعشق البقاء في المدرسة مع أنه لم يدرس في الابتدائي في المدارس، بل عندما كان في المستشفى، فكان فخورًا جدًا بحبهم له، ويشعر وكأنه حلق في الهواء، ولكن لم يكن يريد سوى أم وأب وحياة طبيعية لأي شاب طبيعي، ولكن يعجز اللسان عن الوصف.

*****

ويمشي قليلًا، ويتكلم معه أصدقاء كانوا معه في المدرسة، أصدقاء وقت الامتحانات ليس إلا، ومع ذلك كان يساعدهم ليذكروه بشيء جيد في المستقبل، وهم العكس

تمامًا، وهذا الواقع المخيف، كان لا يريد أحد صداقته إلا للجنس أو الدراسة! هل هناك أصعب من ذلك؟ لا.

*****

حتى قبل أن يصل لمنزل إبراهيم، اتصل به إبراهيم، وقال له:

-"أين أنت؟"

-"أنا في الشارع".

-"أي شارع؟"

-"شارعكم، وأصبحت الآن أمام منزلكم!"

-"ضع عينك في عيني".

-"وضعتها، ماذا رأيت؟"

-"رأيت أن هناك شخص مشتاق ويريد أن يرى عائلته كما يدعو!"

-"كما يدعو، إذن".

-"نعم، بعيدًا عن كلامك الذي تقوله لي دومًا ضع عينك في عيني، أأنت مريض!"

-"نعم، فهمت".

-"الآن وراءك".

التفت مراد وكان إبراهيم وراءه تمامًا، وأكمل حديثه:

-"ووضعت عيني في عينك".

-"وماذا ترى؟"

-"أرى الطيبة والحنان والإخلاص والوفاء".

-"الوفاء للكلاب وأنا لست هكذا!"

-"هذا الواقع!"

-"اصمت يا حيوان!"

-"لا تتضايق، ولا تقل لي سترحل وإلا..."

-"وإلا ماذا ستفعل؟"

-"سأحضنك".

ابتسم مراد وتقدم نحوه، ودفعه إبراهيم وقال:

-"ماذا تفعل؟ أأنت مريض؟"
هذه الكلمة تلف وتلف في ذهن مراد وقال لنفسه:
-"أنا مريض، هذا صحيح، مريض بنقص، أريد الحب والحنان، ومريض بالسرطان".
وتحولت جميع ملامحه للحزن، وألتفت ومشى، فمسكه إبراهيم، وقال له:
-"من أجلي أبقى قليلًا!"
-"حسنًا"
-"وسنذهب مع بعضنا الآن".
-"مع بعضنا من؟"
-"أنا وأنت وفرج".
وجاء فرج وركبوا في السيارة، ومراد في الوسط بينهما، وقال إبراهيم:
-"هل تعرف يا فرج اليوم رأيت سلسبيل؟"
-"صحيح، وكيف كانت؟"
-"جميلة للغاية، أصبحت أجمل، وخدودها دائمًا تُحمر من الشمس".
-"أنا لقد تركت وبقيت بمفردي أفضل شيء".
لم يفهم مراد شعوره، ويقول هناك فرق بين الشاب والفتاة، وهي فتاة، ولكن أشعر كأن إبراهيم سيذهب ويتركني وسأبقى وحدي من جديد بلا أحد، وفي نفسي أتمنى لو أن أحد يحبني لهذه الدرجة ويتكلم عني، شعور ممزوج بالألم والوجع والوحدة والقهر والذل والحقد، هكذا كان.
وأكمل إبراهيم حديثه:
-"يوم زفافي سأجعل صورة أحمد على المنزل من فوق إلى تحت، ومن بداية الشارع حتى النهاية".
-"يا مريض، هذا حفل زفاف وليس مقبرة".
-"أنا أريد هذا، أتخيل أنه موجود معي".
ومراد بعد كل هذا الكلام، يبتسم في كل كلمة، كي يخفي وجعه ودموعه، بل قلبه كان يذبح في كل لحظة، قال لما أنا؟ لا يوجد أحد فخور بمعرفتي، الجميع يتهرب من وجودي معه، كما يفعل أبي ينكر أنني ابنه على ما حصل معي وأنا صغير، وأقاربي

كذلك، وفي المدرسة، وأخيرًا إبراهيم يحذف صورتي ولا أحد يريد أن يراه معي، هذا الشيء الذي قهرني وأوجعني، لست أنا الذي أتألم، روحي التي تتألم، أخاف عليها أن تموت، لأنها تعذبت أكثر من اللازم، ولا أعرف ما سيحصل أيضًا!

*****

وبعد ذلك ذهبوا للمطعم، وأخذوا الساندويتشات والوجبات الجاهزة، وأكلوها في منطقة الكيش، وقال فرج لمراد:

-"لما لم تتكلم يا مراد منذ أن خرجنا؟!"

أجاب إبراهيم وقال:

-"إنه متضايق مني".

ونظر مراد وقال في نفسه:

-"صحيح الذي قال إنه لا يوجد أحد يشعر بك، سوى أنت، لا أحد يتألم بدلًا عني، ولا أحد يشعر بما أشعر به، لذلك نفسي أولًا ثم نفسي".

وقال فرج:

-"مراد، ماذا بك؟ حتى عندما تكلمنا عن زفاف إبراهيم لم تتكلم!"

وقال مراد في نفسه:

-"لأنني لن أكون معه بكل بساطة، هكذا شعرت، فلن أتكلم عن المستقبل وأشغل بالي، وعندما فكرت في هذا الكلام تذكرت كلام جدي".

قال لي:

-"يا مراد، أتحب المطر!"

-"نعم كثيرًا يا جدي".

-"وهل سيدوم؟"

-"لا ليس دائمًا، سينقطع".

-"هذا مثال يبين أن البقاء مع شخص تحبه وأنت تعلم أنك ستفارقه، كما أنت تحب المطر وتخاف أن تفارقه، كاللعب تحته وأنك ستمرض لاحقًا".

-"فهمت الآن يا جدي!"

-"وشيء آخر".

-"ما هو يا جدي؟"

-"عود نفسك على خسارة الآخرين، تمرن على الوحدة، صادق نفسك كأنك صديقك، فحكمة القدوم ومغادرة الحياة وحيدًا لم تأت من فراغ، مع التمرين على ذلك ستتعود، لأنك إذا لم تشعر بقيمتك في المكان الذي تحبه، أو عند الشخص الذي تحبه، لا تكمل وأنت تملك قرار الرحيل، كالزواج نصيب والطلاق قرار، والحزن نصيب والفرح قرار، وجود شخص في حياتك نصيب والاحتفاظ به أو تركه قرار، النصيب اجعله للقدر، أما القرار أنت وحدك تملكه، وانهِ علاقاتك بسلام، لتحترموا الأيام التي جمعتكم، كونوا لطفاء ومسالمين حتى النهاية، حتى لا تستنزف وقتك ومشاعرك ونفسك مجانًا، لأنها ستتحول في المدى البعيد إلى ذكريات مؤلمة، تحاصر أيامك وتسهم في تغير مجرى حياتك كليًا، فانتبه جيدًا واحذر".

وقال إبراهيم:

-"مراد، مراد، أين شردت؟"

أجاب مراد بصوت كله خيبة أمل:

-"أنا هنا!"

-"لا تفكر في قصة المرض".

وابتسم وقال:

-"حسنًا".

*****

ورجع مراد وعلى الأغلب كان مقتنعًا بكلام جده، إن إبراهيم لم يفهمه ولم يقدره ولا يوم، وسيعيش وحيدًا، هل هذه البداية؟ لا أظن ذلك، سنرى!

*****

بقيت الأيام كالعادة، والجميع على حاله، وإبراهيم لم يتصل أو يسأل إلا عندما يرسل له مراد إنه مريض، أو نقل للمستشفى، أو حدث معه نزيف، أو ضربه أبوه، أو عندما يكون متضايق، حتى مضى هذا الأسبوع، وجاء يوم عيد ميلاد سند وسندس، أرادوا أن يقيموه في مزرعة أنور أبيهما، والجميع كان موجود، عدا مراد الذي كان ذاهب لمكان آخر مع إبراهيم، ونهاية اليوم لن تنتهي على خير.

*****

وكان الجميع يجهزون للاحتفال، والبالونات، والحلويات، والألعاب، واتصلت أسماء بالمعتصم بالله، قائلة:

-"معتصم، يجب أن تأتي، قال لك أنور وعائشة، واجلب معك عبد الله، أنا اتصلت به مغلق هاتفه، إذا كان بجانبك أريد أن أتكلم معه".

أجاب المعتصم بالله بارتباك شديد، قائلًا:

-"لا لقد أغلق هاتفه، ودخل الحمام، ومن ثم على فراشه، وهو الآن نائم".

-"حسنًا، تعال أنت إذن، سأعطيك كعكته بعد أن تذهب للمنزل ليأكلها".

-"حسنًا، سآتي وسأكون على الموعد إن شاء الله".

*****

وكان مراد موجود في مقبرة الهواري، بعد صلاة العصر، اتصل بإبراهيم وطلب منه أن يأتي إلى هناك ويجلب معه الرسالة، وعندما وصل إبراهيم، قال له والصدمة على وجهه:

-"لما جلبتني إلى هنا؟!"

ابتسم مراد وأجاب قائلًا:

-"لأحضر جنازتي، وكي تصلي علي!"

بدت ملامح الغضب على وجه إبراهيم وأجاب قائلًا:

-"لنذهب للمنزل والآن!"

-"لا، لا، أي مريض سرطان سيعتقد أن كل يوم هو آخر يوم جيد له".

-"وأنت أجعله جيد، لا تجعله سيء".

-"كي أسمع الكلام الذي أتمنى أن أي شخص يقوله لي، لترتاح نفسيتي فقط، ويمكن أن تكون هذه النهاية".

تنهد إبراهيم والملل كان واضحًا على ملامحه، وقال له:

-"يا مراد، ما هذا الكلام؟"

-"تعال معي فحسب".

وذهب به أمام التابوت، الموجود أمام المصليين، والساحة فارغة من البشر، دخل مراد

دخل الصندوق، واستلقى، وأغمض عينيه، وقال له:
-"افتح الرسالة واقرأها".
-"يا مراد، اخرج الآن".
-"لا، من أجلي أفعل هذا، بعد أن أموت افعل نفس الشيء".
-"يا مرا..."
وقاطعه مراد وقال:
-"من أجلي، ولو كنت تحبني ولو قليلًا، ولو قليلًا!"
وفتح إبراهيم الرسالة، وملامحه كلها بؤس، ولا يريد هذا الشيء الذي يقوم به، ومراد مغمض عينيه ليسمعه داخل التابوت وهو مفتوح، وبدأ إبراهيم يقرأ ما في داخل الرسالة والتي يقول مراد فيها:"قصة العمر، بدأت الحكاية بصدفة، لم يكن أحد يعرف أحد، ولم يكن أحد يعرف شيء عن أحد، يأتي يوم ويصبح لك كل شيء، وتتولى الأحداث وتلتقي به عدة مرات، ويصبح من لا شيء، إلى شيء، إلى صديق، إلى حبيب، إلى أخ، إلى كل شيء بالحياة، ما نزال نمضي كل يوم ويأتي بعدها يوم آخر، نعيش كل لحظة لا نعرف كيف ستنتهي قصتنا، إما بموت أحدنا، أم بالفراق، أم بالبقاء لكن غريب، أو شيء غير متوقع، مهما كان خيرًا أم شر، حلو أو مر، سأظل أحبك للنهاية حتى أدفن وستكون أنت أول شخص أحببته وتعلقت به لأن حبي لك لا يعرف الحدود".
وقال له مراد والدموع تتساقط من عينيه:
-"افتح يا إبراهيم الرسالة الجديدة التي جلبتها معي واقرأها".
-"لا أريد، أرجوك!"
-"اقرأها من أجلي فقط".
وفتح إبراهيم الرسالة الأخرى والحسرة والألم يملأنه، وكان مكتوب فيها:"مراد أخي الغالي، كان لي كل شيء، الرعب الذي أهرب منه لأجد الطيبة والهدوء فيه، لقد ضايقته أحيانًا، ولكن مع ذلك أحبه كثيرًا، كان أخي الذي حرمني منه الله، كان صديقي الذي يسعدني، كان حبيب لي، كان مثل البطارية لأن السيارة لا تشتغل من دون بطارية، أو الوقود، كان مثل البحر وأنا السمك الذي بدونه لا طعم للحياة وسأموت من داخلي، أتمنى أن تسامحني على المرات التي أسأت إليك، وأنني كنت فخور بك جدًا، سأظل

أحبك ولن أنساك طيلة حياتي حتى مماتي، وتمنيت شيء واحد أنني حصلت على أيام عدة معك، لم أشبع منك حتى الآن، لم نعش سويًا، أتمنى لو يعود الزمن للوراء وأبقى معك كل دقيقة وثانية كما كنت أنت تحسب الثواني من دوني، أحبك، أحبك، أحبك، ومع أننا وعدنا بعضنا بالموت سويًا، ولكن هذا هو القدر، وأنا أعدك الآن أن مكانتك هي الأولى ولن يأخذها أحد سواك، أتتذكر عندما نتشاجر سويًا، ونضايق بعضنا بالكلام، أيام لن أنساها، كل لحظة كانت سيئة وجيدة، حلوة ومرة، بكاء وحزن، فرح وسعادة، ضحك ومزاح، ضرب وصراخ، لن أنساها، ولن أنساك يا مراد، أنت في قلبي كالطير، ومسجون داخله، لن تخرج حتى موتي، وهذا وعد، أحبك".

ومراد وإبراهيم في حالة من البكاء والحزن الشديد، وتقدم إبراهيم نحو التابوت وحضنه وقال له:

-"لن أتركك يا أخي، أرجوك لا تتركني، لا تتركني، سأظل معك دائمًا".

كان شعور مراد لا يصدق، خوف ممزوج بحب وحزن، وحقق ما يريده من أي شخص يريد منه هذا الكلام، وبقي إبراهيم يحضنه بقوة، وقال له مراد:

-"أنت تخنقني كثيرًا!"

-"أنا أريد هذا! منذ شهر لم أرك أي حوالي سبعمائة وعشرون ساعة، و..."

اتسعت عيني إبراهيم وأبعد مراد عنه، وقال:

-"أصبحت مراد الآن".

ضربه بيديه على كتفه، وضحك كلاهما وقال له مراد:

-"ولما لا تصبح مثلي، لأنني أحبك ووفي معك!"

-"الوفاء للكلاب كما قلت سابقًا".

-"يا حيوان اصمت، يكفيني أن حديثي لا يزال يدور في ذهنك".

-"لا لقد قرأت في نشرة الأخبار من شخص يثير ضجة عالية وكلامه بلا فائدة".

-"أنا كلامي بلا فائدة؟ أنت من تجعل الناس يرون أسدك، لا تخجل!"

ضحك إبراهيم وقال:

-"يا مريض، يا حيوان، ما زلت تتذكر هذا الموضوع!"

-"نعم لن أنساه، كما أنت لن تنساني".

-"أنا، لم أقل ذلك، أنت من كتبت".
-"وهو ليس كذلك؟!"
-"نعم".
-"ماذا؟"
وضربه على بطنه، وقال له إبراهيم:
-"لا تضرب، إياك، وثق وتأكد أنني أحبك دائمًا وأبدًا".
-"أعرف، ولكن أنا العكس".
-"ماذا؟"
-"نعم".
-"نحن نعيد في نفس السيناريو، لنذهب للمنزل الآن!"
*****

بينما كانت باقي العائلة في المزرعة يقيمون عيد الميلاد، وبعد الانتهاء منه، رجعوا للمنزل، وجمعهم أمير في الصالة، وقال لهم وهو يبتسم:
-"سأريكم الليلة حقيقة مراد الصادمة التي يعرفها الجميع".
وصمت قليلًا، وضحك بهدوء وقال:
-"ولكن هذه الصادمة أكثر".
قال له مصطفى ببرود:
-"وهل تعرف الحقيقة الصادمة الأخرى أنك لم تتكلم أي كلمة فيها معنى، كلامك مثل فتات الخبز".
قاطعتهما أسماء قائلة:
-"ما هي يا أمير؟! أعطني ملخص القصة محورها أي شيء".
-"ستعرفين بعد قليل يا زوجة أخي، بعد أن تصلنِي الصور".
-"ولكن أين أختك أميرة؟ لم نرها تصرخ مراد، مراد، أتركوه، من أنتم؟"
وضحكوا جميعًا، وأكملت أسماء حديثها قائلة:
-"سنراها هنا قريبًا على الأغلب، وتصرخ بصوتها وتقول لي أنا صوت الحمير، سنرى من الحمير".

أجاب أمير قائلًا:

-"هي موجودة في غرفة أمي".

-"ستأتي لتمثل دور البطولة".

*****

وكان مراد مع إبراهيم في البيت، وقال له إبراهيم:

-"ما هذه النهاية الحزينة؟"

-"إنه فيلم the fault in our stars فيلمي المفضل".

-"ولكن حزين، النهاية مؤلمة، المريضة لا تموت وحبيبها يموت".

-"موجع للغاية، وهل نحن نهايتنا هكذا!"

-"لا ليست هكذا، ستتعافى وتصبح أفضل مثل الحصان".

-"ولكن لا أريد أن أصبح أسد".

ضحك إبراهيم وقال:

-"لم تنس ذلك الموضوع حتى الآن!"

حرك مراد رأسه يمينًا ويسار، وقال:

-"لا".

-"لما شاهدنا هذا الفيلم؟"

-"لأريك كيف كانت مريضة، وهو معها في كل مصيبة، لم يتركا بعضهما، تمنيت أنني أنا، وأخي وصديقي وحبيبي معي دائمًا".

-"وأنا معك".

-"أين؟"

-"في قلبك، قلبي معك في هذه القلادة".

-"نعم ستظل هنا، ولكن أين أنت وأنا بحاجتك؟!"

-"أنت لم تقل لعائلتك".

-"أنت عائلتي".

-"مراد، كن جديًا قليلًا، عائلتك سيقولون فرق العمر بينكما ست سنوات لن يتركوك تبقى معي!"

-"نحن لم نفعل أي شيء خاطئ ولا مرة".
-"هم لن يصدقوا".
-"وأنت ستتركني؟"
-"أنا سأظل معك للنهاية".
-"مهما حدث؟!"
-"إذا نزلت السماء على الأرض".
-"لا تنزل هذا مستحيل".
-"تلك الساعة إذن سأتركك، لم تحكِ لي عن الفيلم، أكمل!"
-"الفيلم، هو في الحقيقة كتاب تأليف جون غرين، ومعناه ما تخبئه لنا النجوم، قد حقق نسبة نجاح عالية، وأصبح الكتاب الأكثر مبيعًا عالميًا".
-"ألم يكن حلمك أن يكون لك كتاب وتنشره؟"
-"نعم، ويكون عن قصة حياتي".
-"وهل أنا ضمنها؟"
-"نعم أنت ستكون المحتوى الرئيسي، وإن شاء الله يا رب يحقق أعلى مبيعات عربيًا ليس عالميًا، لا أريد إلا هنا فقط".
رفعا يديهما لفوق، وقالا:
-"إن شاء الله يا رب آمين".
وقال إبراهيم بعد ذلك، وهو يضحك:
-"إن شاء الله لن تنجح!"
ضربه بيديه على كتفه، وقال له:
-"اصمت يا حيوان بدلًا من أن تتمنى لي الخير، أنا في كل مباراة أدعو لك كي تفوز، وعندما تمرض، أو عندما دخلت المستشفى، والمرة الأخرى عندما دخلت وفعلت ذلك المقلب على إنك ميت!"
وضع مراد يديه على عينيه وابتسم، وقال:
-"يا حيوان لا تذكرني".
رفع إبراهيم حاجبيه، وقال له:

-"أنت الذي تذكرته لست أنا!"
أنزل مراد يديه واتسعت عيناه، وقال:
-"نعم، هذا صحيح!"
وقال إبراهيم وهو يضحك بصوتٍ عالٍ:
-"أتتذكر أول مرة رأيتك فيها كيف كنت تنظر من تحت إلى تحت، وبريء وخائف؟!"
-"أنا فقط، أنت كذلك أخذت ذلك الطفل وتنظر من بعيد".
-"كي أتذكر أين رأيتك، لقد رأيتك عدة مرات قبل ذلك اليوم الأسود".
-"أنا لم أتذكر تلك الأيام، ولكن من ذلك اليوم أصبحت أنت الأول وكان يوم ولادة مراد".
-"ما زلت صغيراً إذن".
-"نعم، اليوم أتممت السنة".
-"اليوم هو الأول من شهر فبراير، صحيح؟"
-"نعم، هو كذلك، لكن السنة هي الاختلاف".
-"وتذكر أيضًا عندما رأيتك مع الحلاق الذي يلقبونه السويسي، كدت أضربه".
-"هذه واحدة من الصدف".
-"نعم، أو عندما رأيتك مع صديقك كنت مستيقظ في الصباح وقال فرج لنذهب، لم نجدك أمام منزلهم فرحلنا، والصدفة أن نمر من ذلك الشارع ونجدك".
-"أو عندما رأيتكم أمام القهوة ودفعت معكم السيارة وكنت لا تريدني أن أفعل هذا!"
-"وتتذكر كيف نظرت إليك عندما رأيتنا وتظاهرت أنك أتي من هنا، وأنت شاهدتنا، هذا كان في المطعم".
-"ولكن الموضوع كله بالصدفة".
-"في البداية كان تخطيط مني، ولكن بعد ذلك أصبحت الدنيا تجمعنا، كانت إشارة لنبقى سويًا، كلما أذهب أجدك أمامي، ما هذا! كرهت حياتي!"
وأجاب مراد ومظهر وجهه على أنه لا يبالي:
-"يا حيوان، وأنا لست أكرهه، تمنيت الموت".
-"يا ليت أنني أعمى ولم أرك".

-"يا ليت أنني مشلول ما كنت خرجت ورأيتك".
-"يا ليت أنني جاء شخص وأطلق النار وسط جمجمتي".
-"يا ليت أنني لم أحبك وأعتبرك كل شيء".
-"في هذه لن أستطيع التكلم".
حدق إليه مراد وابتسم، وقال له:
-"لماذا؟"
-"لأنك أنتَ الحُب، الحُب خُلِقَ لك، وليس أنتَ من خَلَقتَ للحُب".
وأغمض مراد عينيه، وابتسم وقال:
-"أشعر بالدوار والصداع الشديد".
ابتسم إبراهيم واتسعت عيناه وقال:
-"سلامتك يا حيوان، دائمًا تمرض أنت بعد هذا الكلام!"
فتح مراد عينيه وابتسم، وقال له:
-"نعم أنت تعرفني أنافق".
-"اصمت، ولما كل هذه الملصقات على يدك؟"
-"هذه للدواء والإبر التي أخذها في كل هذه الأماكن".
-"الله لا يحرمني منك".
-"وأنت كذلك، سنبقى حتى ما لا نهاية".
-"لكن من دون حزن مني ونتخاصم بالأسابيع!"
أجابه مراد بغضب:
-"أنت من تفعل هذا؟"
قال له إبراهيم بصوتٍ عالٍ:
-"وأنت أيضًا تأتي للمتاجر القريبة للنادي وتشاهدني حتى أخرج وتراني".
رد عليه مراد بهدوء:
-"هكذا أرتاح، ولكن أنت كيف تعرف كل شيء أعرفه هناك".
رفع حاجبيه، وقال له:
-"لدي مصادري الخاصة، هذه الاستخبارات السرية".

-"مصادر واستخبارات إذن!"
-"نعم".
حدق مراد في الغرفة وفي عينيه الحزن، وقال:
-"سأشتاق لهذه الغرفة، لقد عشنا فيها أيام لا تُنسى، فرح وسعادة".
-"وعيد ميلادي!"
-"وبكينا وحزننا كثيرًا، ذكريات جميلة، والصعب أن تبقى، ويرحل أصحابها".
-"لما تقول هذا الكلام الحزين، لقد قلبت الأجواء نكد، إذا هناك شيء واحد ستشهده هذه الغرفة أنك أكثر من حزن فيها".
-"على واقع الحياة، لكن معك أنسى كل شيء، عائلتي ومعاملتهم، وما عشته، والآن مرضي، أنساهم جميعًا، وأعيش في دنيا أخرى!"
-"ما هذا الكلام؟"
-"يا حيوان، أنت تَتَقَلَب هكذا في ثانية".
ضحك إبراهيم وقال له:
-"تعرفني أحبك كثيرًا، عندما تتضايق وتبدأ تصرخ وتنظر بحدة، وشفتاك تصبحان للأسفل، وشكلك يكون مضحك".
انزعج مراد من هذا الكلام وأنزل رأسه للأسفل، وقال له:
-"أرى نفسك أولًا، وأنت ماذا؟"
-"أنا شخص لا يريد التخلي عن أخيه".
حدق إليه وابتسم، وتغيرت ملامحه للغضب، وقال له مراد:
-"كاذب".
-"لا".
-"كاذب".
-"لا".
-"كاذب".
-"نعم".
حدق إليه بحدة شديدة وقال له:

-"ماذا تقول يا حيوان؟ اصمت!"
وأخذ مراد الوسادة وحذائه ويجري وراء إبراهيم ويتشاجران.
*****

وبعد قليل، خرجا أمام المنزل، وقال له إبراهيم ووضع يديه على كَتِفي مراد:
-"يجب أن تأكل جيدًا، وتتغذى جيدًا، أفهمت؟!"
-"حاضر، سيدي الرئيس".
-"أنت أخي، ومن حقي الخوف عليك".
-"أعرف، وأنت، أعرف إنك تحب بنطلونات النوم القصيرة، والأجواء باردة إياك والنوم بها، ولا داع أن أنبهك على الأكل لأنك لا تقصر ما شاء الله".
-"أنا رياضي يا حيوان يجب أن آكل".
-"ومع ذلك لا يزيد في جسمك ولا كيلو واحد".
-"لأنني لا أسمن من الأكل".
-"من ماذا إذن؟"
-"من الحُب".
-"وإذا شبعت ستغدر".
-"لا إلا منك، وأنا لا أتكلم عنك".
-"عن ماذا؟"
وابتسم إبراهيم وقال:
-"عن مؤيد، أو هناك بودي أو سلطان".
-"اصمت، أعرف إنك كاذب".
-"نعم، كاذب، ماذا ستفعل؟!"
صفعه مراد على وجهه، وقال:
-"هذا هو؟"
-"لماذا؟"
-"هي لم تأت على هذه المرة، في كل مرة آتي إليك من المهام الرئيسية صفعك على وجهك".

-"لا أعرف لماذا أنت الوحيد الذي لا أستطيع أن أضربه؟"
-"لأنني أخيفك".
اتسعت عينا إبراهيم وقال له مراد:
-"لا تنظر هكذا، لا تقل لي الحُب مللت من هذا الكلام".
عبس وجه إبراهيم وقال له:
-"حسنًا".
صمتا قليلًا، وقال مراد:
-"أحزنت مني! أنا آسف".
التفت إبراهيم ووضع يديه على عينيه، وجاء مراد إليه من الناحية الأخرى، وقال:
-"لم أقصد شيء يا حيوان".
-"أريد أن أرحل!"
اتَسَعَت عُيُونُهُما، ونَزَعَ إبراهيم يديهِ، و ضحكَ كلاهُما وقال مراد:
-"أنت تريد الضرب بشكل جيد، تعال إلى هنا يا حيوان".
وظلا يجريان في الشارع، ويلعبان، حتى قال له إبراهيم:
-"اذهب الآن حتى لا يتصلوا بك".
-"أكره الوقت الذي أرحل فيه من عندك".
-"أنا عكسك".
حدق إليه مراد بحدة، وابتسم وقال له:
-"اصمت، حيوان".
-"اذهب، أنا خائف عليك منهم، ولا أريدك أن تتأذى، ولا تنسَ دائمًا إنك تقول أنا أريد الرحيل".
-"تعرف أنت إنه من الحُب!"
-"المشكلة إنني أعرف، اذهب، اذهب!"
ويشير إبراهيم بعينيه للأمام، ومراد يشير بمعنى لا، وبعدها نظر إليه إبراهيم بحدة، وملامح مراد تحولت للحزن، والتفت وذهب، وبعدها توقف، وشيء ما شعر به في قلبه، وخفق بشدة، والتفت، وركض إليه، وحضنه، وابتسما الاثنين، وقال مراد:

-"أحبك، وأريدك ألا تتركني، لا يوجد لدي غيرك، أنت ظهري وعيني وقلبي".
-"كُن متأكدًا، أعدك".
-"النقل وعدنا لبعضنا سويًا".
وتحدثا سويًا:
-"سنبقى مع بعضنا إلى ما لا نهاية، وأقدارنا و نهايتنا ستظل مرتبطة ببعض مهما طال الزمن".
والتفت مراد وشعر بشعور غريب، تكلما عن مغامرتهُما سويًا، عن أيامُهُما، عن الصدف التي جمعتهما، عن حبهما القوي الذي لا يمكنك أن تفهمه، أهو حب، أم مرض، أم استغلال، أم تسلية أحيانًا، كأنهما كانا يتكلمان مع بعضهما لآخر مرة. يعيشون حياتهما سويًا لآخر مرة، ومع ذلك، وعدا نفسيهُما، وهل سيحصل عكس ذلك؟

*****

رجع مراد للمنزل، والتقى بأمير موجود أمام الباب، وأخذه من شعره، ودخل به للمنزل ورماه على الأرض، وقال أمير للجميع:
-"هذا هو مراد! يخرج من بيت ذلك الرجل وأنا أراقبه منذ فترة وجمعت لكم جميع هذه الصور لهما، وحتى الآن عندما كنتما أمام المنزل!"
وكان الجميع ينظرون في جميع صورهما، وقالت أسماء:
-"لا يوجد شيء جديد، هو دائمًا هكذا، من منزل إلى منزل".
ورد مصطفى قائلًا:
-"ولكن ليس أمام المنزل يا مراد، لما لم تبقى داخل البيت، لما خرجت، ستأخذ راحتك أكثر في الداخل؟!"
وقطاعهم أنور:
-"أنت نوعيتك لا يعجبك إلا الرجال الكبار في السن لتشبع".
وقال أمير:
-"لولا مروة لم أعرف شيء، تقول لي في كل مرة أين يذهب معه، لأرسل شخص ويصورهما من مسافة قريبة منهما".

ونزلت أميرة مسرعة خائفة، وقالت:
-"ماذا هناك؟ ماذا هناك؟"
رد عليها مصطفى:
-"أمسكي يا ممرضة، هذا الذي تقفين معه ضدنا!"
ورأت أميرة الصور، وقالت:
-"مراد من يكون هذا؟"
ومراد تنهمر الدموع من عينيه بصمت شديد، ولا يتكلم.
وقال مصطفى:
-"أنا سأجيب، هذا الذي يذهب له كي يمارس الجنس معه".
ووضع مراد يديه على أذنيه، ويبكي، وقال له مصطفى أيضًا:
-"هل تكون أنت الفاعل أو المفعول به؟ أظنك المفعول به بما أنك جربت ذلك في صغرك".
وقطاعه أمير قائلًا:
-"لا يا أخي، العملية بالتبادل سويًا، مثل ما يوجد رجل وامرأة، يوجد رجل ورجل في زمننا هذا وأنت تعرف".
وغمز أمير بعينيه لمصطفى، وظنوا أنهما يفعلان في بعضهما أشياء جنسية، كما في شغلهم يوجد هذا.
وأكمل أمير حديثه:
-"وهناك امرأة وامرأة الآن يمارسان الفاحشة، وهناك الآن من يتجوزون من الرجال بعضهم البعض في الجزائر والمغرب وغيرها".
وقاطعتهم أميرة وقالت:
-"من أنتم؟ من أنتم؟"
رد عليها مصطفى قائلًا:
-"أميرة، ألم أقل لكِ سابقًا عن خطاب معمر القذافي".
-"أنت اصمت".
وقالت أسماء وهي مبتسمة:

-"كما قلت يا أمير عن من أنتم، دور البطولة بالطبع!"
وتقدمت أميرة نحو مراد وأخذت بيده، وبعدها أوقفها، وذهب متجهًا للسلام، فأمسكه مصطفى ودفعه أرضًا، وقال:
-"أين تريد الذهاب؟ يجب أن نجد لك حلًا الليلة!"
وأخذ مراد صورته هو وإبراهيم وأصبح يلف بها على الجميع ويتحدث ببطء شديد:
-"أتعرفون هذا من يكون؟ إنه حياتي، إنه أخي، إنه صديقي، لم أجد مثله، شعرت بشعور الاهتمام معه، شعرت بكلمة اسمها الحب للمرة الأولى، شعرت معه بالحنان الذي يجب أن أجده فيك يا أمي، كان لي السند والقوة الذي كنت يا أبي من المفترض أنك مكانه، كان لي كل شيء، عوض لي كل نقص شعرته بحياتي، يخاف علي، يعطف علي، صحيح هو لا يقول لأي شخص إنه يعرفني لأنه خائف من كلامهم علي، أما أنت يا أبي نكرتني، وضعتني في المستشفى لمدة خمس سنوات، لماذا؟ كي لا يتكلم عليك أحد، كلما أخرج نهاية كل سنة تضعني فيها من جديد! لم أرَى الحياة، لم أعش طفولتي، لم أرَى سوى الاغتصاب، وفعلت أشياء لأنني كنت أشعر بالنقص، تفرقون بيني وبين الجميع، تشترون ملابس العيد وأنا ألبس القديم، لماذا؟ أنا لست ابنكم؟! عندما أرى الأطفال، أبكي على أيامي اللواتي رحلن مجانًا، أتمنى اللعب معهم، وأرى أمهم تقبلهم وتحضنهم، عندما كنت أشتغل في المتجر مع صديقي حسين، كانت نار تحترق داخلي وابتسم وأضحك كي لا أبكي، ومن داخلي نزيف، نزيف كل ليلة، كنت أعطي لكم كل المال كي أشعر بحبكم فقط، كنت أنام كل ليلة على الفراش والدموع على خدي، لم يأت أحد ويواسيني ويقلق علي، ويخاف على مشاعري ونفسيتي، عندما أراكم سويًا، أشعر وكأنني الغريب بينكم، هكذا جعلتموني أشعر، أصبحت أغار حتى من الرجال الذين يحبون النساء وأتمنى حبهم، لبست تلك البنطلونات الضيقة كي ألفت الانتباه وأجعلهم يحبوني، لأنهم لن يحبوني إلا بهذه الطريقة، أتفهمونني؟! اشعروا بوجعي وقهري، والآن أنا مريض وسأموت، لم يأت معي أحد للجلسات، أرى باقي المرضى وأهلهم معهم ويدعمونهم، أنا أنظر لا أجد أحد، إلا الإبر فقط، وإبراهيم لم يأت لأنكم سوف تفكرون بنا هكذا وتسيئون الظن بنا ولن تجعله يأتي مرة أخرى، كان يتضايق عندما أكذب عليكم عندما أكون معه عن مكان وجودي، هذا لأنه أحبني

بصدق! وعوضني عن كل نقص في حياتي".

وصفق مصطفى بيديه، وقال:

-"الحقيقة مشهد رائع جدًا يا مراد يستحق الأوسكار".

ولكن كانت ملامح عائشة وسمر حزينة من كلامه على نفسه، أما أسماء فلم تتأثر، وأميرة تبكي بكاء البحار، وأنور وأمير كانوا يزيدون النار بنزين.

وقالت أميرة:

-"تعال يا مراد اذهب معي!"

رد عليها مصطفى:

-"لن يذهب لأي مكان بعد الآن، من الغد سيذهب للمزرعة هناك، سيظل فيها حتى يموت وتنسى إبراهيم هذا الذي هو أخوك، ابنك، عائلتك، لا يهم، تنساه من دماغك، والمرض في دماغك احذف الجميع، وستظل في المزرعة مع زوجة عمك عائشة وأنور".

-"لن يذهب لأي مكان سيظل هنا".

-"سيذهب غدًا، وإلا قتلت الذي اسمه إبراهيم، أتسمع!"

وكان مراد عينيه مرهقتين، وصداع أليم، وجسدته متعب، ويعيش في صدمة.

وقالت أميرة بغضب شديد:

-"أنتم لستم بشر! ليس لديكم دم".

-"أعرف أنني حيوان، والباقي ليس لي شأن بهم".

-"حقير".

-"من الغد يا مراد، ستذهب، ولن تراه مرة أخرى، انسَهُ".

وتحدق أميرة للباقي بغضب، وقالت:

-"وأنتم! صحيح الذي قال أن الأقارب عقارب".

*****

وصعد مراد للأعلى، ودخل لغرفة مروة وكانت الدموع تملأ عينيه وقال لها:

-"لماذا يا أختي، لماذا فعلت بي هذا؟"

عبست مروة وقالت له بخيبة:

-"أنا آسفة يا أخي، لقد هددني بأن يفضح كل شيء، وأن يفعل أشياء أخرى بي، لقد

فعلت هذا كله من خوفي!"
-"وأنا لم تفكري ماذا سيحصل لي؟ أنتِ الوحيدة التي تعرفين إبراهيم ما هو عندي؟"
-"يا أخي، من الأساس معرفتك به خطأ".
-"خطأ، هو الشيء الوحيد الصحيح!"
-"أنت مريض يا أخي ولا تحبه، فقط عوض المكان الفارغ بك، فترة وسينتهي بداخلك كأنه لم يكن!"
ضحك مراد وابتسم، وقال بصوتٍ عالٍ:
-"عوض مكان واحد، ملأ كل الأمكنة، كلها هُوَ".
وأجابته مروة بصوت أعلى:
-"والآن أين هو؟ ماذا؟ قل لي أين هو؟ ليس بجانبك، شعرت بالألم بداخلك وقلت إن كلامها صحيح! أليس هذا ما حدث؟!"
وكان مراد في حالة صدمة رهيبة ويقول:
-"إبراهيم، إبراهيم".
-"تذكر كم أهانك مرة؟ كم كسر قلبك؟ كم خذلك؟ كم مرة احتجت له ولم يأت؟ تذكر كل الأشياء السيئة التي فعلها، ستكون أكثر بكثير من الجيدة، ويأتي بكلمة واحدة ويضعفك، وتذهب إليه تركض كطفل يريد أمه، وأباه، لم تسأل نفسك لماذا؟"
حدق إليها مراد بحدة، وقال لها بغضب:
-"اصمتي، أنتِ من فرقتِ بيننا".
-"لأنه فقط في الوقت الذي أنت تحتاج فيه لاهتمام عائلتك يأتي إبراهيم، هذا السبب فقط، تريد اهتمام أي شخص، أتتذكر عندما تتشاجر معه ويتركك لأيام وتعوض نقصك بأشخاص آخرين؟ هذا لأنك مريض، ولست أنا من فرق بينكما ألا تتذكر ماذا يريد منك منذ البداية؟ لما تَعَرف عليك؟ كل شيء يبدأ بمصلحة سينتهي يومًا ما".
-"كان هكذا فقط في البداية".
-"لن تثق فيه، و من ممكن حتى الآن!"
-"الآن لنا عامًا كاملًا، هو الوحيد الذي لم يفعل لي شيء يؤذيني به في جسدي!"
-"وهذا سبب جعلك تبقى معه وتحبه".

-"ولكن لن أجده في غيره أتفهمين؟! لن أجد شخص أكبر مني يحترمني، شعرت بالرجولة معه لأنه لم يلمسني، شعرت بالطفولة لأننا نتشاجر كالأطفال ونلعب مثلهم، حتى لو تركني، ويريدني أن آتي إليه فقط سآتي ولا يهم كرامتي، لأنها ضاعت مني عن طريق أيدي عائلتي الكريمة هذه!"

-"ولكن ستنسى وسترتاح منه".

وكان في حالة ميئوس منها، ويردد ويبكي:

-"أرتاح، أرتاح، سأبقى وحيدًا كل هذه المشاعر والتفاصيل والشعور والأحاسيس قد رحلت".

-"مراد حبيبي، لو كان يحبك كل هذا الحب لأتى الآن وجاء أمام أبي".

-"لأنه خائف علي منهم".

-"لا أحد يخاف عليك، كل شخص يخاف على نفسه في هذا الوقت".

-"مثل ما فعلتِ أنتِ، قلت كل شيء، ويرقبونا منذ فترة وتعطيه جميع المعلومات كي تنقذي نفسك، لأنك شعرتي بالخوف على نفسك صحيح، لكن أشكرك يا أختي على هذا الألم والوجع الذي سَتُسَبِبِينَهُ لي، لن أحزن منك، قد يكون خيرًا، ولكن لن أثق بأحد لأن الصدمات تأتي من أقرب الناس لنا، وكل شيء أمام أعيننا ولا نراه!"

كانت مروة في حالة صمت رهيبة بعد كلامه، ومراد خرج من غرفتها ودخل لغرفته، واستلقى على فراشه، وكان في حالة هدوء غريبة.

*****

وكانت أميرة تتكلم مع مصطفى وتقول له:

-"اجعله هذه الفترة معي، لن يخرج إلا معي، هذا الأسبوع فقط، حتى تهدأ الأوضاع، مريض يا بشر بالسرطان".

-"لا إله إلا الله، إلى متى؟"

-"لمدة أسبوع واحد فقط".

-"وبعد ذلك سيبقي في تلك المزرعة حتى الموت".

-"أهتم به، أسمعت كلامه، هو مسكين ومكسور وذليل جدًا".

-"لن أهتم بأحد، لم أهتم به في صغره أهتم به الآن!"

*****

ودخلت أميرة على مراد وكان صامت والدموع تسيل على خديه، وقالت له:

-"لا تحزن يا حبيبي، كلها فترة وتنتهي، وأنا أصدقك أنك لم تفعل شيء، كل شيء سيتضح في النهاية كما في القرآن الكريم تجد الآية في سورة ومفتاح الحل في سورة أخرى مثل الحياة لأن جميعها تعبر عن قصص حقيقية، مثل ما في سورة الأنعام، قوله تعالى:"وعِندهُ مَفَاتِيحُ الغيبِ لا يعلمها إلَّا هو ويعلمُ ما في البرِ والبحرِ وما تسقَطُ من ورقةٍ إلا يعلمُهَا ولا حبةٍ في ظلماتِ الأرضِ ولا رطبٍ ولا يابسٍ إلَّا في كِتَابٍ مبينٍ"، والمفتاح لها في سورة لقمان:"إنَ الله عندهُ علمُ الساعَة وينزِلُ الغيثَ ويعلمُ ما في الأرحامِ وما تدرِي نفسٌ مَاَ ذا تكسِبُ غدًا وما تَدرِي بأي أرضٍ تَمُوتُ إنَ الله عليمٌ خبيرٌ"، أترى يا مراد ما أجمل هذه الآيات وما تحمله من معاني وعبر كالحياة؟ والإجابة أين وجدناها؟ بعد عدة سور، ونحن لا نعلم ما في الغيب ولا ما سيحصل لنا، ولا متى نموت ولا أين نموت؟ اقضِ حياتك واتركها على الله، اتركها على الله".

وكان مراد في حالة هدوء غريبة، وقال كلمة واحدة:

-"أريد الموت فقط".

*****

وفي اليوم التالي.

استيقظ صباحًا وكانت ملامحه عادية كأن شيء لم يحصل وكان سيخرج من المنزل، ورأته أميرة وقالت:

-"إلى أين ذاهب يا مراد؟"

-"إلى رشيد القطعاني".

-"من هذا؟"

-"مستقبلي!"

-"لم أفهم! سأذهب معك لأضعك عنده، هل معك رقم هاتفه أو عنوانه؟"

-"نعم، لدي كل شيء".

وذهبا إلى منطقة الحدائق، ودخلا للشارع، ووجد مراد الشارع مليء بالناس أمام منزل رشيد، فقال:

-"اذهبي يا عمتي، أنا سألحقك".
-"أنا ذاهبة للدكتور شادي، ستأتي هناك".
-"نعم، بسيارة أجرة".
-"حسنًا".

*****

ورأيت الناس يبكون بعد ذلك، وكانوا يحملون جثة، وصراخ النساء، والرجال يحضنون بعضهم ويبكون، ماذا هناك؟ رشيد مات، لا إله إلا الله، صدمني ذلك الخبر، ولكنني بقيت أراقب من بعيد، أحزنني المشهد الذي رأيته وأبكي سريعًا، من شدة وحدتي وضعفي تمنيت ذلك الحضن لي ويبكون معي على حياتي، كان شعوري غريب، لقد مات بسرطان الرئة بعد أن جاءه المرض بسبب الدخان، وتذكرت كلامه عندما قال لي إنه هو الوحيد سيظل وحتى النهاية، هو يحترق، وأنت تموت من أجله، لقد بكيت عليه جدًا، لا أعلم سبب بكائي الكثير أهو من فراق إبراهيم؟ أو من معاملة عائلتي؟ أو من حياتي ككل؟ سوى أنني ابتسمت عندما رأيتهم يحضنون بعضهم ويبكون تمنيت الحضن من كل قلبي، تخيلته من أبي، وأمي، ويقولون إنه عاش وحيدًا حتى وقت مرضه لم يجد أحد، أبنائه كل واحد منهم في دولة، وحتى زوجته، كان دائمًا يشبعهم بحبه وماله فتركوه، وجاءوا ليأخذوا الميراث فقط، فالكارثة الكبرى لهم، أن جميع المال تَبَرَعَ به للأيتام والفقراء ومراكز المعاقين والنفسية، وأما شركته فقال اتركوها حتى يأتي شخص يدعى مراد لتنتجوا كتابه، هذا الكتاب سيكون من أنجح الكتب في تاريخ شركتنا وفي عالم الأدب ككل، وبعد ذلك سيتم بيعها من قبل المحامي والمحكمة تشهد بذلك، ويتصدق كذلك بمالها، وكتب وصيته وقال لعائلته حين أموت لا تحزنوا إنه مجرد وقت وتنسوني كما نسيتموني وأنا حي، لا أحد يعرف أكان بكائهم مجاملة؟ لا أعتقد، يا ليت يحبني أحد مثل ما حبهم عمي رشيد، وتذكرت كلام جدي تلك اللحظة عندما قال لي:
-"يا مراد، أحيانًا لا يهتم لك أحد في حياتك".
-"كيف يا جدي؟"
-"ليس يكرهك، بل لا يهتم بك، فيجب أن تسعد من تحب قبل أن تبكي على وداعهم،

ولن تشعر بقيمة من تحب إلا حين يقرع الرحيل أبوابه ويرحل".
وذهب مراد والدمع على خديه للمستشفى، وعندما وصل لمكتب الدكتور شادي سمع كلام كسره أكثر من السابق، وجعله يشعر بالخوف والوحدة في آنٍ واحد، ابتعد عن الباب وجلس في الممر الآخر، حتى خرجت أميرة والدكتور شادي من الغرفة، وخافت أميرة أن يكون مراد قد سمعها، وقالت له:
-"مراد حبيبي، منذ متى وأنت هنا؟"
-"منذ دقيقة".
-"حسنًا".
وعندما أردوا الخروج التقوا بليلى على المصعد، كانت مع الدكتورة وقالت لها أنها لا تستطيع أن تجهض طفلها هذه المرة، فسبب لها هذا الموضوع الاكتئاب وتريد التخلص منه بأي طريقة كانت.

*****

ورجع مراد للمنزل، وقال له مصطفى عند دخوله الباب:
-"لم تذهب لحبيب القلب؟ لقد ذهبنا له وهددناه بألا يتكلم معك مرة أخرى، فقال من أجل سلامة وصحة مراد لن أراه ولن أتكلم معه، انتهى لا حياة بعد الآن".
ولم ينطق مراد بكلمة سوى أنه صعد لغرفته وبقي بمفردته، من المستشفى إلى الغرفة حتى اكتمل هذا الأسبوع، وتذكر أن إبراهيم يريد الذهاب مع أمه لمصر، فبدأ الألم والحسرة والوجع والقهر والدموع تنهمر من عينيه، ودخل عليه مصطفى وقال له:
-"انتهى يا شاطر هذا الأسبوع، غدًا صباحًا ستذهب للمزرعة لتكمل حياتك هناك".
ولم ينطق مراد بكلمة.

*****

وذهب مصطفى للصالة، وكانت أسماء موجودة، وكانت تتصل بعبد الله ورقمه مغلق، واتصلت بالمعتصم بالله وقالت له بعصبية:
-"لا تكذب علي هذه المرة بتاتًا، عبد الله لم يظهر منذ شهر تقريبًا".
-"إنه...إنه".
-"إنه ماذا؟"

-"نائم".

-"أريد أن أكلمه الآن".

-"قلت لكِ إنه نائم".

-"أيقظه الآن!"

-"سأدخل لأراه في غرفته".

وظل المعتصم بالله خائف تلك اللحظة وتصنع دخول غرفته، وقال:

-"لم أجده في الغرفة، أظنه لم يأت".

-"أنا ذاهبة لأبلغ الشرطة حالًا".

-"لا، لا، لا، إياك سيرجع غدًا".

-"له شهر وسيرجع، ألست خائف على ابن أخيك الوحيد أن يكون قد حصل معه مكروه؟ تعال للشرطة حالًا".

*****

ودخلا لمركز شرطة العروبة بمنطقة الوحيشي.

وقال مصطفى للشرطي:

-"أريد أن أبلغ عن حالة شخص مفقود للبحث عنه".

-"كم المدة؟"

-"منذ شهر تقريبًا".

-"والآن أتيت إلى هنا؟"

-"الطفل ابن أخ زوجتي ويتيم الأب والأم".

-"حسنًا، أعطوني صورة ومعلومات عنه في هذه الورقة وسنعمم كل شيء عنه في جميع المراكز والمستشفيات، والمطارات والأماكن العامة والشوارع".

-"حسنًا".

وقالت أسماء لمصطفى:

-"هل سنجده؟"

-"سيأخذ منهم وقت، على الأقل أسبوع واحد".

-"يا رب يجدونه، يا رب".

وقال لهما الشرطي:
-"أتركوا أرقام هواتفكم هنا، سنتصل بكم قريبًا جدًا".
وأعطوه كل المعلومات، ورجعوا إلى المنزل.
*****

وكان مراد مستيقظ جالس في فراشه، بين يديه دميته، والهاتف أمامه، ينتظر رسالة من إبراهيم، أو إنه سيذهب دون وداع، لا أعرفه أهو خائف علي منهم؟ أو لم يعد يريدني؟ أو خائف على نفسه؟ وأكبر تهلكة للنفس هي انتظار رسالة، ستتألم في كل ثانية تنتظر فيها تلك الرسالة، وتحاول أن لا تنتظرها لأنه لو كان يحبك لن يجعل الانتظار يأكل وقتك وقلبك، والأصعب أن تشتاق له ولا تستطيع محادثته ولا رؤيته، لأنه لو كان مشتاقًا لأتى، وإن كان يحبك لتكلم، لقد شعرت بشيء في آخر مرة تكلمنا عن بدايتنا حتى ذلك الوقت وحضنته قبل أن أرحل وكأنني لن أراه ثانيةً، أشعر وكأنه رحل، هل صعد على الطيارة الآن الساعة السابعة صباحًا؟ سيرحل إبراهيم، كلما أذكر هذه الجملة أشعر بمرارتها في قلبي وصدري، أدخل في حزن شديد وأبكي في نفس الوقت، سيرحل وتصمت الشفاه عن الكلام سوى البكاء، وبكاء القلب بدقات تقطر ألم، أليس هذا وجع؟ يقولون إن وجع الحبيب مؤلم، ووجع الصديق قاتل، ووجع الأخ يميت، ووجع أمك وأبيك ينهي حياتك فما بالك أنت كل هذا، إلى أي قدر أنا موجوع يا الله، لا أعرف إن كنت أبالغ في مشاعري في وقت الحزن فقط، أو كلها أوهام وتخيلات، أو إنه حب حقيقي، وجاء على بالي كلام جدي عندما قال:
-"في حياتك يا مراد إن حدث وأحببت أي شخص لا تثق به إن تركك أثناء انهيارك وآلامك، وتحاول أن تكون بخير وأنت تشعر بالضياع من دونه، وعندما يبتعد وهو يعلم إنه في بعده أوجعك، وأنت تثق بمكانتك في قلبه وجل من لا يخطئ، ويكون قد دخل لحياتك ليكسر فيك شيئًا ويرحل وربما يفقدك كل شيء، وهو بكل أفعاله يقول لك اخسرني لا أريدك، هذا غباء منك، لأنه سيؤلمك ويوجعك عندما كان يقول لك الله لا يحرمني منك، وتكره نفسك لأنك تحتاجه وتعلم أنه لا يحتاجك، والذي لا يقاسمك وحدتك حتى ألمك لا تفكر أن تأخذه على محمل الحب! أعرف أن الحياة ستكون قاتلة حين يغيب شخص تعودت على وجوده في كل لحظة".

-"وما الفرق يا جدي، عندما أعتاد على شخص وأشعر أنني أشتاق له، وبين الحب؟"
-"هناك من يقول إنك أحببته، وأنت لا، سوى أنك تعودت على حديثك معه، الأشياء التي تفعلونها معًا، وهكذا، أنا لا أصدق أن هناك شيء اسمه الحب، كلها أحاسيس ومشاعر ترتاح لها روحك من الداخل فقط، وتظن نفسك تحب هذا الشخص، وأنت تحب الشعور الذي تشعر به عندما يكون معك، مثل الذي يعيش نقصان في حياته ليعوضه بأي شيء، وهل تعرف أن هناك مصلحة بينهم أيضًا؟"
-"ما هي يا جدي؟"
-"إنك تريده بجانبك، كأن تشعر مثلًا بالأمان أو الراحة والحنان، تريد الشعور وليس الشخص، وهنا هي المصلحة".
-"نعم، كيف عرفت ذلك؟"
-"يقول لك اسأل مجرب ولا تسأل طبيب".
-"وأنت جربت هذا الشيء من قبل يا جدي؟"
-"نعم، كثيرًا، وهناك جملة لا تصدقها في حياتك مهما كنت سعيدًا تلك اللحظة لأنها أكبر كذبة بالتاريخ".
-"ما هي؟"
-"لا أستطيع العيش دونك، جملة في غاية الحب، ولكن كل حرف فيها يكذب على الحرف الآخر، فلو هم ماتوا، ولا أنت ستتوقف عندهم وستكمل حياتك، لهذا صدقت الجملة التي تقول".
-"هناك جملة كاذبة والأخرى صادقة!"
-"نعم، اصبر فقط، وهي أنك لا تفعل المستحيل لإنسان لم يفعل الممكن لأجلك، واجعل هذا الكلام بين عينيك وفي قلبك ولا تنسه، حاول الاكتفاء بنفسك، بنفسك فقط، حتى لا يؤلمك فقدان أحد".

*****

وبعد ساعة من الانتظار.
قد أرسل إبراهيم رسالة مكتوب فيها:"يا أخي سامحني على كل شيء، كنت أريد أن أبقى معك باقي حياتنا، ولكن عائلتك! وأنا خفت عليك منهم، أتمنى لك الخير، وإن

شاء الله تتعافى من مرضك وتعود كما كنت، أنا ذاهب مع أُمِنَا بعد ساعة، سنصعد إلى الطيارة ذاهبين لمصر سنرجع بعد أربعة شهور، وبعد ذلك لا أعرف إن استطعت رؤيتك، انتبه لنفسك جيدًا، وإن نقصك شيء فرج وأبوك سالم موجودين".

واتصل مراد به سريعًا، كانت روحه ستخرج من مكانها، والدموع كالدم تسيل منه، ويبكي بأوجاع حياته كلها، وقال له:

-"ذاهب يا أخي وتتركني!"

-"ذاهب بعد ساعة للمطار، لنصعد الطيارة ونسافر أنا وأمك شربات".

-"أمي، قل لها يا شربات لا تذهبي وتتركي ابنك وحيدًا".

-"هي كثيرًا ستشتاق لك".

-"وأنا من يبقى معي وأنا مريض هكذا؟!"

-"أبوك سالم وفرج".

-"ولكن أنا أريد إبراهيم!"

-"يا مراد، لا تبكِ كلها أربعة شهور فقط".

-"أنا سأموت! يا الله، يا الله، يا الله!"

وبين كل كلمة وكلمة وصلة بكاء غزيرة، وقال إبراهيم:

-"أبونا واحد، سالم ستجده، وفرج اعتمد عليه".

-"أمك أهم مني؟!"

-"هذه أمك أيضًا".

-"ولكن أنت تركتني أمام أهلي بحجة أنك تخاف علي منهم!"

-"لا تقل هذا، أنا من حبي لك فقط فعلت هذا!"

-"حبك؟!"

وضحك مراد، وقال له بعد ذلك:

-"لما لم تكلمني لأراك وأودعك حتى؟"

-"تعال الآن!"

-"أعرف أنه ليس هناك مسافة، ولكن أبي سيستيقظ، ويريد أن يأخذني للمزرعة لأبقى هناك!"

-"آتي أنا إذن؟!"
-"إن كنت تريد رؤيتي، تعال هنا أمام المنزل، الجميع نائم أراك وأحضنك واذهب بعد ذلك!"
-"حسنًا، سأتصل بك بعد قليل".
فرح مراد كثيرًا، والابتسامة عادت إلى وجهه، وغسل وجهه، وتعطر، وغير ملابسه، وسرح شعره، واتصل به:
-"أنا هنا في انتظارك أمام المنزل أين أنت؟"
-"أنا قلت لك سآتي؟!"
-"ولكن قلت سأتصل بك، توقعتك في كل مرة لا ترفض طلبي!"
-"لا لم أقل هذا؟"
-"تعال إذن قليلًا!"
-"لن أستطيع المجيء".
-"ولو قليلًا؟ أراك وبعدها اذهب".
-"أنا بعد قليل سأصعد إلى الطائرة! لن أستطيع المجيء أمام المنزل".
-"من أجلي ولو تحبني!"
-"لن أستطيع!"
كل ملامح مراد أصبحت ثابتة في حالة صدمة، من كلام إبراهيم، كان يصدقه عندما يقول له لا أسأل كيف حالك؟ كي لا أذكرك بمرضك، وكان مراد يريد السؤال والاهتمام الدائم، وكان يصدقه عندما يقول له إن دموعه غالية وتجعله يبكي لهذا السبب لا يتصل به، وهو كان يريد أن يبكي له ويشكو همومه ويَرتَمِي في حضنه، ولكن أن يقول له لو تحبني تعال لأراك، ويجيب ويقول لا، هنا الصدمة والقهر والألم، تشعر وكأنك لم تحبه يومًا، ولم يكن مدمن عليك هو كل ليلة، وليعلقك به ويرحل، أو بالأحرى ليعلقك بالكم الهائل من المشاعر والأحاسيس المفقودة لدى مراد ليرحل هو ويبقى كجسد فقط، تمنى لو أنه بقي معه حتى آخر نفس له على فراش الموت ووداعه، ولكنه سيموت وحده بلا وجود شيء اسمه إبراهيم، أي بلا حياة بالنسبة لمراد!
وبعد كلمة إبراهيم قال له مراد:

-"حسنًا، وشكرًا على كل شيء، شكرًا على الوجع، وعلى الغياب، وعلى الحنين، على الأمل، على الخيبة، على الانتظار، على النهايات الحامضة، والبدايات الرائعة اللذيذة، وشكرًا على لحظات الترقب، ودهشة اللقاء، شكرًا على المشاعر الكاذبة، والخطوات المنكسرة، شكرًا على اللحظات التي لن تُنسى، شكرًا على كل شيء، وقبل أن أغلق أريدك أن تعتني بنفسك جيدًا، أريدك ألا تقترب من أمر يؤذيك أو يكسرك، وتذكر دائمًا أنك تعني لي الكثير، أنت الأخ ركن الروح، الذي يكسر قلب أخيه، قلب شخص مريض، ولكن أريدك أن تتذكر وعدنا أن أقدارنا مرتبطة ببعضها البعض، ولا مفر من النهاية".

وأغلق السماعة، وصعد إبراهيم الطائرة وسافر إلى مصر هو وأمه شربات لأربعة شهور، هل هكذا انتهى إبراهيم من حياة مراد؟ أو كما قال مراد أقدراهما مرتبطة ببعض ولا مفر من النهاية بوجود عائلته؟! أو سيحصل شيء لم يكن من المتوقع أن يحصل؟ مع الوقت سنعرف!

*****

ودخلت عليه بعد هذه المكالمة أميرة، وكانت هادئة وتحاول أن تتكلم بعد رؤية مراد بهذا الشكل، وقالت:

-"مراد، مراد".

-"أريد أن أنام".

-"أخرج أنا إذن؟"

-"أريد أن أنام ولا أصحو من جديد، أحتاج للنوم ألف سنة، وبعدها أستيقظ، تركني يا عمتي، تركوني كلهم، تركني الجميع".

-"لا تحزن يا مراد الله معك، قال تعالى:"ما عندكم ينفذ وما عند الله باقٍ و لنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون"، وقال تعالى:"سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار"، وقال..."

رفع مراد يده بمعنى أن تتوقف، وقال:

-"عمتي أسألك سؤال؟!"

-"تكلم".

-"متى أرتاح؟ أو في أي يوم ارتحت في حياتي؟"
-"مراد".
-"أنا سأجيب عنك، ولا يوم، ولا يوم، مات جدي ومُت أنا معه في ذلك اليوم، لو كان موجود لما حصل شيء".
-"كله مكتوب من الله هذا القدر والنصيب".
-"القدر والنصيب جلب لي هؤلاء؟ وفقدت شرفي؟ كنت صغير، كنت برئ، كنت لا أعرف شيء، وأكملت باقي طفولتي السعيدة بين الأمراض النفسية، وهل تعرفين شيئًا؟ إنني لم أتحسن أبدًا، بل زادت سوءًا!"
-"هناك الكثير هنا في بنغازي يرمونهم أهلهم في المستشفى وهم ما يزالوا صغار جدًا".
-"وأنا تعذبت من معاملتهم، أريد حضن الأم، أريد أبي الذي أحتمي به وقت شدتي، أريد صديق وفي، أريد أن أجرب شعور الأخ، أن أشعر أنني رجل حقيقي، فعلت أشياء لا تغتفر من أجل أبي وأمي من أجل حضن حب واحد، لما، لما؟"
-"ستكبر وستنسى! الضربة التي لا تكسرك تقويك".
-"من رأيك سأنسى كل شيء؟!"
-"نعم".
-"وجدت كل هذا في إبراهيم، شعرت بالأمان والحب الحقيقي للعائلة لأول مرة، وجدت نفسي لدي أب وأم وأخ وصديق ووجدت نفسي رجلًا معه فقط، جربت لأول مرة الشيء العفيف، وماذا فعلوا؟ سلبوه مني! مروة أختي أحكي لها عن كل شيء، تفعل هذا؟"
-"مراد، أنت ما تزال مريض".
-"أعرف، ولا أحد يهتم بمرضي".
-"مراد، أنا كنت أريد التحدث معك، بهذا الموضوع".
-"ماذا؟"
-"أنا تعبت، يجب أن ننهي هذا ال..."
-"هششششش، أبدًا، أنا مريض ويجب أن يبقى أحد بجانبي، والآن اخرجي، لنذهب غدًا للجلسة".

وبقي مراد في فراشه يرتعش، والخوف يملؤه، ووضع أصابع يده في فمه وهو يهتز، وأصيب بهستيريا غريبة وأخذ يقول:
-"أنا مريض، أنا مريض بالسرطان، أريد أحد معي، أريد أي أحد معي، إبراهيم، أين أنت؟!"

*****

قرأت شيئًا منذ فترة، لا تصدق من يقول إن كل شيء سيعود مثلما كان، كم من قلوب انكسرت، وما عادت شظاياها، يهون كل وجع في الحياة إلا وجع القلب لا يشفى أبدًا، ورأيت سؤال يقول: تاريخ لن تنساه؟ فتذكرت التاريخ الذي ولدت فيه، الأول من شهر فبراير، ألفين وثمانية عشر، وآخر يقول: شخص وعدك أن يبقى معك ثم تركك، ماذا تقول له؟ في مثل حالتي سأقول لإبراهيم أن يعود، وآخر شيء ماذا أخذت منك الحياة؟ ماذا أخذت؟ لا أعرف هل البشر أو الحياة الذين أخذوا أو الله أخذ مني، ولكن أخذت مني كل شيء بالمختصر حب، حنان، عطف، اهتمام، أمان، راحة، قوة، استقرار، سعادة، ابتسامة، ضحكة، الشرف، الطفولة، الكبرياء، الكرامة، الرجولة، وأكثر، هذا ما أخذته فقط، هل يوجد شيء لم أذكره؟ أظن لا.

*****

وجاء وقت الصباح.
استيقظت، وكان أبي يريد أن يأخذني للمزرعة كي أبقى هناك مع عمي أنور وعائشة، فدخلت لي أختي مروة وقالت:
-"مراد، أريد التحدث معك".
-"تفضلي أختي".
-"أريدك أن تسامحني".
هز مراد رأسه يمين يسار، وقال:
-"على ماذا؟"
-"على قصة إبراهيم".
-"إبراهيم؟"
ملامح مروة أصبحت تعج بالغرابة لعدم تذكر مراد، أو ما يزال مصدوم، واتسعت

عيناها، وأكمل مراد حديثه:
-"إبراهيم، لا يوجد إبراهيم".
ابتسمت مروة وقالت:
-"كما قلت ستنسى وعش حياتك".
-"لما بقي لي من أيام".
-"ستتعافى".
-"أتمنى شخص واحد".
-"من؟ لا تقل لي إبراه..."
قطاعها مراد وقال:
-"لا،لا، لا، بل شخص كمرض السرطان".
-"هل يوجد منه؟ ولما السرطان تحديدًا؟"
-"لأنه لا يتركك حتى الموت".
-"فهمت، والأهم أنك لا تكون متضايق من تصرفي معك".
-"أبدًا، أنتِ أختي وبيت أسراري".
وبدأ مراد يلتفت يمينًا ويسارًا بجانبه، وقالت له مروة:
-"عن ماذا تبحث يا أخي؟"
-"عن ساعتي!"
-"ألا تتذكر أين وضعتها؟"
فرك مراد رأسه وقال:
-"أين؟ أين؟ تذكرت، إنها في المكتبة الموجودة بجانب المطبخ في أول صندوق".
قفزت مروة وقالت:
-"أنا سأجلبها بما أنك سامحتني".
-"حسنًا، اذهبي".
وخرجت مروة من الغرفة، وكان مصطفى يصرخ ويقول:
-"أسماء، أسماء، أين السلاح الذي كان في الصندوق بين ملابسي من أخذه؟"
وركضت مروة وفتحت الصندوق الموجود في المكتبة لتأخذ الساعة وجدت المسدس،

فمسكته، وغمرها الخوف ونشف ريقها وخفق قلبها، لم تشعر على نفسها وكانت تفكر وتقول:

-"لو كل الرصاصات هنا وأرمي بها أمير!"

وخرج مصطفى من غرفته، ورأى مروة تحمل السلاح، صرخ لها قائلًا:

-"مروة، مروة، تعالي إلى هنا".

وجاءت مروة تركض له، وتقول:

-"أبي، لقد وجدته هنا عندما كنت أجلب الساعة".

وعندما وصلت إليه، ولم تكمل حديثها حتى صفعها على وجهها، وقال:

-"كيف فعلتِ هذا؟ وأنا أبحث عنه منذ الصباح، اغربِي عن وجهي".

وركضت مروة لغرفة مراد وحضنته باكية، وتقول:

-"أول مرة يضربني أبي، لم أفعل شيء خاطئ".

-"لا عليك".

-"الآن شعرت بشعورك عندما يضربونك ويعذبونك وأنت لم تفعل شيء ولا تؤذي أحد".

هذا الكلام دخل في قلب مراد مزقه إربًا، إربًا، شعر بالإساءة والألم وكأنه انكسر بداخله شيء ما، ومع ذلك ابتسم لكلامها، ولم يبكِ كالعادة، يبتسم لما يوجعه ويؤلمه، هل هذا حال باقي البشر في مثل هذه المواقف؟ كما يقولون لا تشعر بما يؤلم صاحبك حتى تجرب مثل ما حصل معه! وعندما تكلمت لي عن إبراهيم كنت أريد البكاء، فقدت الحياة التي كنت أعيشها من أجل ألا تنكشف مع أمير، ولكن تظاهرت بالقوة والصلابة وأنني لست مهتم، وفي داخلي بركان نار، وفي نفس الوقت أصبحت بعد كل الذي حصل معي لا أهتم لما يحصل لي! فقط أشفق على الروح، أعطف عليها لأنها يؤلمني جدًا ما تُعَنِيهِ ولست ما أُعَانِي أنا، هل وصل أحد لهذه المرحلة؟

وأكملت مروة حديثها، قائلة:

-"أخي، أين أنت؟"

-"أنا معك".

-"لست معي، في عالم ديزني".

ضحك مراد وقال:

-"عالم ديزني يا ظالمة؟! من أين؟ هذا لم أحلم به قط".

-"أبي ضربني لأنني كان في يدي سلاحه".

وصدم ذلك مراد وقال:

-"وأنت أين وجدته؟ ولما كان في يدك؟"

-"عندما فتحت الصندوق لأجلب الساعة وجدته فمسكته في نفس اللحظة التي خرج فيها أبي".

-"إياك أن تلمسيه مرة أخرى إنه خطير".

-"حسنًا، يا أخي".

وصوت أميرة تنادي في مراد ليذهبا للجلسة.

وقال مراد:

-"حسنًا يا حبيبتي، أنا ذاهب، سأشتاق لك كثيرًا".

-"وأنا كذلك".

-"وشيء آخر لا تجعلي أمير يأتي إليك مرة أخرى وتجعلينه يلمسك ويضيع شرفك".

-"حسنًا، ولكن ماذا أفعل معه؟ أخاف منه كثيرًا، لأنه يهددني دائمًا، وأنا أخاف من اليوم الذي سيأتي ويفعل شيء يضرني فيه".

-"اصرخي، افعلي أي شيء، اتصلي بأي أحد، أو أنا، لتحافظي على نفسك".

وكان فكر مروة ذاهب للسلاح الذي رأته، وقال مراد:

-"أفهمتِ؟!"

-"نعم يا أخي، انتبه أنتَ لنفسك".

-"حسنًا، وأنتِ كذلك".

*****

وخرج مراد من المنزل، ونظر في المنزل من الأعلى حتى الأسفل، وعيناه ظلت تدمع بصمت شديد، وتذكر كلام جده له:

-"هل يا جدي حياتنا ستظل كما هي دومًا؟"

-"لا، الحياة مثل حياتك أنت، لم تفهم، أليس كذلك؟"

-"لم أفهم شيئًا".
-"أترى جهاز النبضات في المسلسلات والأفلام".
-"نعم".
-"مثل حياتنا، ليست مستقيمة وإلا ماتت الحياة، ولكن ستظل من وجع إلى فرح إلى هم إلى سعادة وفرحة كبيرة هذا معنى ذلك الخط الذي يسير، وعندما يتوقف تتوقف الحياة ويموت ويرحل كل شيء".
-"وهل يمكن أن يكونوا أشخاص؟"
-"نعم، على حسب الشخص، على حسب حجم الحب؟ أو على ذاتك أنت، أحيانًا هناك من يحب لكي يملأ الفراغ في حياته فقط".
-"هذا ماذا يسمى؟"
-"وهم، كله أوهام، وهذا سيكون التجربة المؤلمة له، وستؤلمه كثيرًا".
-"ولماذا؟"
-"لأنه سيكون على الطرف الآخر ملأ كل فراغ به نقص، وهذا لن يساعده فبعد فترة سيتركه".
-"هذا الشخص يعتبر به مرض نفسي الاهتمام والحب هو كل ما يريده فقط!"
-"نعم، هذا مرض نفسي من شيء عاشه في صغره، من موقف شاهده وهو صغير، من أبسط شيء يتأثر به الطفل الصغير وسيكون نقطة تحول مأساوية بحياته كلها".
-"ومن المسبب لهذا؟ وكيف يتم عالجه؟"
-"المسبب هو الأهل لهذا المرض، يجب الاهتمام به ومراعاته جيدًا والعطف والخوف عليه، لا إجباره على أشياء لا يريدها، أو إكراهه على شيء ما، والعلاج بنفس الطريقة الحب والاهتمام حتى لا يلجأ لإشباع نقصه من الخارج والنتائج ليست جيدة في النهاية".
-"وإن حصل معك هذا الشيء الذي تتكلم عنه، ماذا سيحصل لك؟!"
-"الحياة عبارة عن نفسية مريحة، إن لم يكن هناك نفسية فاعتبر نفسك أنك ستنتهي، والنفس والروح ضعيفة كما قلنا في السابق، وإن حصل معك شيء، أو عدة أشياء لأن ليس من مرة واحدة سَيُدَمَر الإنسان ستصبح لا تهتم لشيء، وتتحول فجأة لشخص لا

يعاتب أحد، يتجنب المناقشات التي لا فائدة منها، تستقبل الصدامات بشكل مُريع، تنظر للراحلين وكأن شيئًا لم يكن، تنضج فجأة وتسأل من هذا الذي لا يشبهك؟!"

وقالت أميرة بحرقة قلب:

-"مراد، لنذهب الآن".

لم يتكلم مراد سوى أنه هز رأسه وصعد السيارة.

ونظرت إليه أميرة خائفة من وضعه، وقالت له:

-"ما رأيك لنذهب إلى ليلى قليلًا؟ لتراها؟"

-"حسنًا، لنذهب".

-"حسنًا، ونذهب للصيدلية بعد ذلك لأجلب دواء لأمي، لجدتك فاطمة".

*****

بينما كانت أسماء ومصطفى في مركز الشرطة.

وقال مصطفى للشرطي:

-"هل هناك أي شيء يا رجل عن عبد الله؟"

-"لا للأسف، في جميع المراكز والمستشفيات والأماكن العامة والشوارع، وحتى في المطارات اعتقدنا أنه قد ذهب لأي مكان آخر ولا يوجد شيء".

قاطعتهما أسماء قائلة:

-"وما الحل؟"

-"هل لديه أي أصدقاء أو أشخاص مقربين؟"

-"نعم لديه سليم".

-"ومن سليم؟"

-"إنه ابن أخت زوجي مصطفى".

-"يجب أن نذهب ونحضره الآن هو المفتاح".

وفي حين كانت الشرطة وأسماء ومصطفى في الطريق ذاهبين لبيت ليلى، وأميرة ومراد كذلك، كانت ليلى في المطبخ والسكين في يدها وكان موجهًا نحو بطنها لتتخلص من الطفل، وعندما كانت تريد غرسه في أحشاء بطنها، دق الباب، ذهبت وفتحت الباب فكان الشرطي ومعه أسماء ومصطفى، ووصل أيضًا أميرة ومراد.

وقال الشرطي لها:
-"أنا أبحث عن شخص اسمه سليم".
أجابت والخوف سيطر عليها:
-"لما؟ ماذا فعل؟"
-"لم يفعل شيء، لنسأله عدة أسئلة فقط".
-"إنه نائم في غرفته، سأغلق الغاز في المطبخ وسأوقظه بعد ذلك".
ودخلت أميرة خائفة مسرعة، وقالت:
-"ماذا هناك؟ ماذا هناك؟ إن شاء الله خير؟"
رد عليها مصطفى قائلًا:
-"للتحقيق مع سليم في اختفاء عبد الله".
ونظر بعد ذلك في مراد بحقارة شديدة، وقال:
-"أنت لماذا هنا؟"
ردت عليه أميرة:
-"إنه معي جئنا لنرى ليلى ونذهب".
وقاطعتهما أسماء وقالت:
-"هل لكم والصمت قليلًا، أرجوكم؟"
وخرج أسامة من غرفته، فاقد للوعي من كثرة الشرب، وكان يصرخ ويقول:
-"ليلى، ليلى، أنتِ يا ساقطة، أين أنتِ يا عاهرة؟"
خرجت ليلى مسرعة من المطبخ، ونظرات الخجل والكره والحرقة والألم من هذا الموقف الذي حصل أمام الجميع، وقالت:
-"أنا آتية، ماذا هناك؟"
-"هناك أنني أريد أن أضربك حتى يتورم هذا الشيء المقزز أمام وجهي".
وقاطعهما مصطفى وقال:
-"لا تبالي به سيدي الشرطي، لنأخذ سليم ونذهب".
ومراد ينظر في عمته ليلى بتعمق ويقول كم هي تعيش حياة لا تعيشها أي امرأة أخرى مكانها، تذكرت ما فعله الجميع معي والضرب وكل شيء، وهي لم تتحصل إلا على

الكره والخوف والذل والألم والوجع!

*****

وذهبت أميرة ومعها مراد للصيدلية، ومصطفى وأسماء لمركز الشرطة ليحققوا مع سليم في اختفاء عبد الله.

ودخل سليم للمكتب مع الشرطي، وقال له الشرطي:

-"يا سليم، أريد أن أسألك عدة أسئلة".

-"على رأسنا الحكومة".

-"اجعل رأسك لك، أريد أن أسألك عن الذي في الصورة".

-"هذا عبد الله!"

-"أعرف إنه عبد الله، وهنا اللغز أين هو؟"

أصبح سليم يدور كلام كثير في رأسه، ويلتفت كثيرًا، ويفرك بأظافره على يديه في المكان الذي يأخذ منه إبر التعاطي المخدرات، وقال له:

-"كان معي آخر مرة وذهب لبيته وبعد ذلك اختفى".

-"أأنت متأكد؟!"

-"نعم، هل تعتقد أنني أكذب عليك؟"

-"ولكن استغرقت وقت لتجيب".

-"صداع أليم في رأسي فقط".

وخرج الشرطي وقال لهما:

-"الآن يوجد مكان واحد لنبحث فيه".

قالت أسماء:

-"أين؟"

-"في بيت عبد الله".

-"بيت أخي! ولكنني ذهبت وأخي المعتصم بالله لم يره".

-"وهنا شخص آخر يمكن أن يكون له صلة بقضية اختفاء عبد الله".

قاطعهما مصطفى وقال:

-"لنذهب إذن!"

*****

وذهبوا للمنزل، وفتح لهم المعتصم بالله وملامحه تحولت كليًا، شعر بالرعب والخوف كثيرًا، وقال لهم:

-"ماذا هناك؟"

أجاب الشرطي:

-"نريد أن نبحث عن عبد الله، مفقود منذ شهر".

وقالت أسماء:

-"معتصم، يجب أن نجد عبد الله، هذا الوحيد من رائحة أخينا".

-"نعم، نعم، هذا أكيد".

وفي كل مرة المعتصم بالله ريقه ينشف، ويرتجف خوفًا، وكل دقيقة يشرب في المياه، والشرطة تبحث عنه في جميع أرجاء المنزل، غرفته، المطبخ، الصالة، الحمام، حتى قال الشرطي:

-"يا معتصم، متى آخر مرة رأيت عبد الله؟!"

-"منذ فترة بعيدة".

-"وكيف لم تسأل عن ابن أخيك؟"

وتكلم بتردد، وقال:

-"لأنني دائمًا بالخارج، وهو كذلك مع أصدقائه ولا يأتي بعد وفاة أبيه إلى هنا".

-"حسنًا، هل لديكم ملابس له؟"

قاطعتهما أسماء وقالت:

-"لما يا حضرة الشرطي؟"

-"ليشتمها الكلب، ونعرف أين آخر مرة كان موجود عبد الله".

-"في جميع المنزل، لما تريد كلب لهذا الموضوع".

-"كي نعرف أين بالتحديد؟"

-"حسنًا سأجلب لك من غرفته".

وفي كل لحظة من الوقت يزداد خوف المعتصم بالله ويفكر في أن يهرب من هنا، وتمنى لو أنه لم يدفنه هنا ولكن لم يجد مكان أفضل من الحديقة لن تأتي في بال أحد، ولكن

حدث العكس كليًا.
وأتت أسماء بالملابس، وجلبوا الكلب، وبدأ يلتف في أرجاء المنزل وتحديدًا المكان الذي قتل فيه، حتى أصبح الكلب ينبح بصوتٍ عالٍ، وخرج يجري من أيديهم سريعًا حتى وصل الحديقة، والجميع خرجوا وراءه، وأصبح يلتف على المكان الموجود فيه عبد الله، وكان يتبع أثار الدم الدقيقة جدًا على التراب، وقالت أسماء:
-"لما يلتف هنا؟"
رد عليها الشرطي:
-"ربما هناك شيء ما بالداخل".
-"شيء مثل ماذا؟"
-"سنعرف، احفروا هنا الآن!"
وبعد أن أنهوا الحفر، أخرجوا تلك السجادة، وفتحوها وكان طيلة هذه المدة جثته متعفنة ومتحللة ولكن ليست بالكامل، وبعد أن رأوه، أسماء أصبحت تصرخ، والمعتصم بالله يتظاهر بالبكاء والصراخ، يقول:
-"لا إله إلا الله، لا إله إلا الله، لا إله إلا الله، ابن أخي هذا؟ لا إله إلا الله، ليس هو يا جماعة".
وقال الشرطي:
-"هذه جريمة قتل".
وصمت قليلًا، وقال:
-"هذه الجثة منذ واحد وثلاثين يومًا تقريبًا".
وقال المعتصم بالله بغضب وعصبية شديدة:
-"يجب أن أجد قاتل أخي، على الفور، وأنت يجب أن تساعدني يا حضرة الشرطي".
-"هذا غريب، القاتل إن أراد قتل شخص، ممكن أن يقتله في منزله ولكن أن يدفنه فيه، هذا غريب، هناك شيء خاطئ".
-"ما معنى هذا الكلام؟"
-"معناه إنه..."
وصمت قليلًا، وقال له المعتصم بالله:

-"معناه ماذا؟!"
-"إنه هناك شخص يريد أن يلصق التهمة فيك، لأنه ليس من المعقول أن تفعل هذا! وفوق هذا أنت لم تكن في المنزل".
شعر المعتصم بالله بالراحة، وقال:
-"كنت أحبه، كان ابني وصديقي، الله يرحمه ويسامحه".
وأسماء على الأرض تبكي وتقول:
-"أخي رحل، وابن أخي رحل، وابني رحل، وابنة أخي مسجونة وضاع عمرها فيه، كيف لي يا الله تحمل هذا!"
وقال الشرطي:
-"المشكلة أنه لا يوجد أحد في هذه المنطقة قريب، لكنت سألته عنه، ومع ذلك سأحقق معهم جميعًا وأنت أيضًا يا معتصم سنستفيد من كل شيء ومن الممكن سنخرج بالقاتل، والآن سنذهب بالجثة للطب الشرعي لنكتشف سبب الوفاة لأن الديدان قد أكلت نصف لحمه، والتقطوا بعض الصور لداخل المنزل وخارجه بكل قطعة فيه ولأي مكان على الفور!"

*****

بينما وصلت أميرة للصيدلية ودخلت، وقالت:
-"أهلًا يا دكتورة سلوى".
-"كيف حالك أميرة؟"
-"الحمد الله الحياة ستمشي".
-"الحمد لله هل استيقظت أمك من الغيبوبة؟"
تنهدت أميرة تنهيدة فيها كل الألم والوجع:
-"ما تزال على حالها، عمر إنسان وهي نائمة".
-"لا أعرف مع أنني أعطيت لكِ دواء مفعوله ممتاز توقعتها مستيقظة منذ زمن".
-"كنت أعطيه لها ولكن أخي مصطفى، جلب لها صديقنا شادي أتذكرينه؟ وهو أصبح دكتور العائلة ويعطي لها الدواء الآن".
-"يمكن أن يكون مفعوله يجعلها تنام مرة أخرى، هل تعرفين اسمه؟"

-"لا، لا، أعرف".
-"دائمًا أقول لك ادخلي الطب، هذا التمريض لا ينفعك".
-"ماذا أفعل الآن؟"
-"يجب أن تأتي لي بالاسم لأعرف مفعوله".
-"حسنًا، هو لا يعطيه لي بل يكون موجود معه فقط ويأتي كل أسبوع ويعطي لها الإبرة، ولكن سأجلب لكِ الاسم والآن أريد منك هذا الدواء لها".

*****

وخرجت أميرة وذهبت مسرعة للدكتور شادي في مركز بنغازي الطبي(١٢٠٠)، ودخلت مكتبه، ومراد بقي في السيارة، وقالت له:
-"شادي، أريد أن أخذ منك اسم الدواء الذي تعطيه لأمي".
ارتبك الدكتور شادي، وقال بصوتٍ عالٍ:
-"ماذا؟"
-"ماذا بك؟ لا يوجد شيء لتصرخ من أجله! لقد رأيت صديقاتنا سلوى وقالت تريد أن تعرف اسم الدواء كي تعرف مفعوله؟"
-"هل تشككي في خبرتي يا أميرة؟"
-"ليس هكذا!"
-"سوف أتضايق منك كثيرًا إن فعلت ذلك".
-"حسنًا لن أفعل، وأنا أعرف أنك دائمًا قلبك وخوفك على أمي، وتشعر كم أنني أريدها أن تعود من جديد، وصادق في مهنتك".
-"هذا واجبي! أنا خائف وحريص على عمتي فاطمة جدًا".
-"ولكن لما لا تستيقظ، يمكن من الدواء".
-"هل عدنا من جديد؟"
-"سنأخذ فاصل إذن".
-"اطمئني كثيرًا، ستستيقظ قريبًا".
-"إن شاء الله يا رب".
وصمتت قليلًا، وقالت:

-"أما عن موضوع مرض مراد، لقد مللت من معاملة مصطفى وأسماء والجميع وهو لم ييأس بعد".
-"ما المطلوب؟"
-"لا أعرف، هو في نفسه يشعر بالمرض لأنه مريض نفسيًا ومللت من الدفاع عنه دائمًا، يجب أن ننهي كل شيء".

*****

ونزلت بعد ذلك، وذهبت به إلى المزرعة، وقالت له:
-"ستبقى هنا، حسنًا؟"
-"حسنًا".
-"ماذا بك؟ أسمعت شيء ضايقك، أو فعل أحد لك شيء؟"
-"لا يا عمتي أريد النوم فقط".
-"لا تقل النوم ألف سنة".
-"لا للأبد هذه المرة".
ودخل يركض للداخل، وقالت أميرة لأنور:
-"أنور، أنا أعرفك العاقل فيهم، لا تصبح أنت مريض القلب والعقل مثل مصطفى وأمير، وأنتِ يا عائشة أحسني المعاملة معه".
أجابها أنور بكل ثقة:
-"لا تخافي يا أختي سيكون في الحفظ، إنه أمانة، في داخل عيني".
وقالت له أميرة:
-"ممتاز، وأنتما متى ستذهبان من هنا؟!"
قاطعتهما عائشة قائلة:
-"سنبقى شهر تقريبًا، ولكن سنأتي بعد عدة أيام للمنزل ونعود إلى هنا".
قاطعتها أميرة قائلة:
-"حسنًا، سآتي كل يوم لأطمئن على مراد".

*****

ورجعت أميرة للمنزل، وكان مصطفى وأسماء قد رجعا من منزل المعتصم بالله، وكانت

أسماء تبكي بشدة، وقالت أميرة بفزع:
-"ماذا حدث لكما؟"
ورد عليها مصطفى:
-"لقد وجدنا عبد الله مقتول ومدفون في المنزل".
-"لا إله إلا الله".
وقالت أسماء:
-"لقد لحقت أباك لم تتحمل غيابه، الصالحون دائمًا هكذا يُغدرون من الناس، ولكن ستكونون في الجنة بإذن الله".

*****

وبقي الحال كما هو، أمير يتصل بمروة كل ليلة، وكانت تفكر في ذلك السلاح الذي رأته، وليلى جربت جميع طرق الانتحار والقتل للطفل ولم ينجح شيء، وأسامة كل ساعة ينزل عليها بالضرب، والمعتصم بالله يفكر بالهروب بعد أيام العزاء، أما أنور وعائشة دخلا على مراد أعطياه دروس وقوانين المزرعة وبصقا على وجهه وخرجا، وهو لم يتكلم بكلمة، سوى النظر.

*****

وفي اليوم التالي صباحًا، دفن عبد الله، ورجع الجميع ولم يأت كثير من الناس، ودخل المعتصم بالله على أسماء وقال لها:
-"لا تحزني يا أختي الحزن في القلب".
-"محمد ابني الذي كان لي بالدنيا مات، وأخي وابنه الآن".
-"قال تعالى:"كل نفس ذائقة الموت"، هذه الحياة، والله سيأخذ حقه من الذي قتله".
-"إن شاء الله".
وكان مراد هناك ودخل مع عمته أميرة، ورأته أسماء وجاءت تركض وأمسكته من رقبته وقالت:
-"أنت هو القاتل؟"
قال مراد:
-"ماذا يا أمي؟"

-"اصمت أنا لست أمك!!!"
كانت الحروف تدخل في قلبه كالسكين الساخن ليكويه بالنار، وفرح بقدوم أمه نحوه ظنًا أنها ستحضنه، هل هناك ألم أكثر من ذلك!
وردت أميرة:
-"اذهبي، ماذا فعل مراد؟ لا يوجد مثله، وقَدِرِي وضعه هو مريض".
قالت لها أسماء بغضب وصوتٍ عالٍ:
-"إن شاء الله يموت كما مات ابني محمد".
وقاطعهما المعتصم بالله:
-"أظنه هو القاتل".
ردت عليه أميرة:
-"أنت إذا لم تصمت وتغلق فمك سآتي أصفعك على وجهك، لنذهب يا مراد".
وخرجا أميرة ومراد من المنزل، وقال المعتصم بالله لأخته أسماء:
-"أظنه هو الذي قتل عبد الله!"
-"مهما يكن، هذا الحيوان أو غيره سأقتله لأخذ حق كل طفل مات".
وجاءت ليلى لتعزي، وسمر وعائشة كذلك.

*****

وذهب مراد للمستشفى، وصعدت أميرة لرؤية الدكتور شادي وهو بقي في الحديقة جالس على الكرسي، والدموع تنهمر منه في صمت، ويتكلم مع نفسه:
-"اشتقت، اشتقت إلى مراد، إلى نفسي القديمة، إلى روحي القديمة، إلى ضحكتي، ضحكة كانت تخرج من وسط قلبي، إلى صوتي، إلى مُزاحِي، إلى روتيني اليومي، إلى حبي لنفسي، إلى مراد الذي يذهب للمدرسة ويكتب واجباته ويتعلم، لا يختلط بأحد، ولا أحد يأتي بجانبه، اشتقت لاكتفائي بنفسي، اشتقت لجدي وكلامه، وأريد نطق كلمة أمي من قلبي، كلمة أبي من قلبي، اشتقت لروح مراد، وهذا أصعب شيء، اشتقت لإبراهيم كثيرًا، أخي وأبي وأمي، رحلوا وتركوني، كُنتَ الجميع".
وفي داخله يقول:
-"لقد تركك ورحل، أنا وهم فقط، لم أحبه بل عوضني عن نقص عائلتي فقط فجعلته

كل شيء، لأنني لم أشعر بالاهتمام أو الحب من أي أحد أبدًا مثله هو!"
وأكمل كلامه لنفسه:
-"مراد، داخلك عكس كلامك، ولكن سأكذب على نفسي مثل كل مرة، لن يهتم، تمنيت أنك بجانبي وبين يدي، معي في أيامي التي تعتبر الأخيرة، اشتهيت كلمة يا حيوان منك، إلى صوتك ومزاحك وعندما تغضب وتفرح بذلك لم أخبرك بأنني أحب هذا الشيء، اشتقت لحضنك الذي..."
وتوقف عن الكلام قليلًا، وقال:
-"الذي كنت أتخيله بيني وبين نفسي حضن أمي، حضن أبي، حضن أقاربي، بقيت لأنني لا أريد أن أُضيع شرفي مع شخص آخر لا يقدرني، أما معك كان كل شيء غير، لا أحد بجانبي الآن تعال إلى هنا، وهذا المؤلم، أنتظر غائب لن يعود!"
ومسح دموعه وابتسم وضحك بعد ذلك، ونظر أمامه بصدمة، ووجد فتاة تنظر إليه وترسم على اللوح، أنزل رأسه، أحمر وجهه خجلًا، كان لا يصدق ذلك من أول ما نظر إليها تخيل أنه يحبها وهي تحبه، فنهض من الكرسي والتفت وتقدم ليذهب لعمته أميرة، وبعدها سمع مناداة وقالت له الفتاة:
-"أنتَ يا شاب! أنت؟"
التفت مراد، ونظر يمنيه ويساره، وأشار بإصبعه على نفسه، فقالت له:
-"نعم، أنت، هل هناك شخص وراءك؟"
تقدم مراد نحوها، وقال:
-"نعم".
فقالت الفتاة باستهزاء:
-"نعم، هل أتكلم مع طفل صغير؟"
أنزل مراد رأسه، ولم يتكلم، فقالت له:
-"يا الله ما هذا؟ كَلَمتُكَ كي أعطي لك هذه اللوحة، رسمتك منذ أن جلست على الكرسي وأنا هنا مقابلة لك".
اتسعت عينا مراد، وابتسم ابتسامة عريضة، فقالت له الفتاة:
-"عفوًا، لا شكر هذا واجبي".

خجل مراد ولم يتكلم بشيء، فقالت له:
-"هل رأيت أجمل من هذا الشكر الخيالي، وأجبت وقلت عفوًا بعد شكرك لي".
والتفتت تلك الفتاة وكانت تريد الذهاب، وقال مراد فجأة:
-"شكرًا لكِ على الرسم".
ابتسمت، والتفتت وقالت له:
-"وأخيرًا، نطقت بكلمة، نعم وأخرجتها بالعنف".
-"لا أعرف".
-"لا تعرف ماذا؟"
أنزل مراد رأسه، وهي ضحكت بعد ذلك، وقالت:
-"أأنت مريض! أو أول مرة تتحدث مع فتاة".
كان مراد هذه للمرة الأولى تجذبه فتاة وشعر بذلك من اتجاهها أيضًا، ولم يتكلم مع فتاة بطلاقة بغض النظر عن صديقته مريم في صغره.
وقالت له أيضًا:
-"قمر".
-"ماذا؟"
-"اسمي قمر!"
وقال مراد في داخله يقول:
-"قمر، الله يحفظها مثل القمر، الشعر الأسود الطويل، وعيناها السوداوات الواسعتان، أنفها الصغير، بيضاء اللون، شفتاها مثل حبة الكرز، قوامها الرشيق".
وقالت له مرة أخرى:
-"وأنت؟"
-"مراد، اسمي مراد".
-"عاشت الأسامي، معنى اسم مراد جميل".
-"ما معناه؟"
-"يعني الرغبة في الشيء والميل له، أو رغب وتمنى، وهو اسم يرمز إلى التفاؤل والأمل والرغبة في كل ما هو جميل وشيق وجذاب".

-"حسنًا".
-"حسنًا، ما هذا الرد؟"
-"لا أعرف".
-"لا تعرف ماذا؟"
صمتا كلاهما قليلًا، فقالت له قمر:
-حسنًا، سنغير الموضوع، اجلس هنا بجانبي لنتحدث قليلًا".
جلس مراد بجانبها، فقالت له:
-"تحدث لي عن نفسك! كم عمرك مثلًا؟"
-"عمري ثمانية عشر وقريبًا سأدخل التاسعة عشر".
-"مثل عمري تمامًا".
-"هل تدرسين؟"
-"توقفت عن الدراسة بسبب المرض".
-"هل أنتِ أيضًا مريضة".
-"أنت كذلك مريض".
-"نعم بسرطان الدماغ".
-"الله يشفيك، أحزنتني كثيرًا".
-"وأنتِ؟"
-"لدي سرطان الدم".
-"إن شاء الله تتعافي منه في أقرب وقت".
-"أجمعين يا رب".
وصمتا كلاهما بعد كلامهما عن المرض الحزن أصبح طاغيًا عليهما، فقالت قمر له:
-"لنخرج من أجواء الحزن والكآبة، وتكلم لي عن عائلتك؟"
-"عائلتي، عائلتي؟!"
-"هل هذا شيء غريب".
-"الغريب إن تكلمت عنهم".
لا أعرف كنت سأكذب مثل كل مرة عن الحب والاهتمام والعطف وكمية الحب

الخارج منهم لي، أو سأحكي الحقيقة لا أعرف، فصمت ولم يتكلم!
وقالت له قمر:
-"أين ذهبت؟"
-"أنا هنا"
-"أعرف أنك هنا، لكن تفكيرك أين؟"
تنهد مراد تنهيدة وجع وقال:
-"أفكر في مرضي هذا لم يأت معي أحد سوى عمتي أميرة الواقفة معي، وهذه نبذة عن حياتي".
-"لا تفكر في شيء، إذا فكرت فيه دائمًا سيتعبك التفكير، مثل عندما تفكر بمن تحب كثيرًا ستتعب كثيرًا مقابل ذلك".
-"صحيح! وأنت تكلمي عن حياتك".
-"حياتي، حياتي؟!"
-"هل هو سؤال غريب".
-"الغريب إن تكلمت عنها".
-"هل شعرت بشيء؟ إننا نعيد كلام بعضنا".
وضحك كلاهما بصوتٍ عالٍ.
وشعر مراد أنه بدأ التعارف بينهما بطريقة جميلة وصدفة رائعة، وبسرعة أصبح التناغم بينهما، وهذا الفرح الذي عم قلبه بعد رؤيتها والحديث معها، ستكون مصدر سعادة له بعد إبراهيم، لأنه كان يحتاج للاهتمام من أي شخص كان، مؤلم هذا الشعور!
فقالت له قمر:
-"أمي ميتة، وأبي ميت، بحادث سيارة منذ أن كنت في الثالثة من عمري، ولم يكن هناك أقارب من جهة أبي، ولم يكن سوى خالي القاسم فقط، لم يتزوج أبدًا فبقي يهتم بي كثيرًا حتى كبرت الآن من الثالثة إلى الثامنة عشر أي خمسة عشر عامًا".
-"حياتك مأساوية وفيها حزن، وكيف تستطيعين تحمل نفسك دون عائلتك؟"
-"لأنني منذ أن فتحت عيني هكذا، فتعودت كثيرًا".

-"وأين تقطنين؟"
-"في منطقة فينسيا، ولكن دائمًا نبقى في منطقة سيدي فرج، لا يوجد أحد هناك ولا أحد يضايقك نهائيًا".
-"وأين خالك الآن؟"
-"موجود في شغله".
-"وماذا يشتغل؟"
-"في إدارة أعمال ومحاسبة".
-"حسنًا، هذا شيء ممتاز".
-"وأنتَ عمتك ماذا تشتغل؟"
-"ممرضة، تشتغل كي توفر دواء جدتي فاطمة، لأنها في غيبوبة منذ ولادتي".
-"الله يُعَفِيهَا يا رب".
-"ها هي آتية الآن تنزل من أعلى!"
نزلت أميرة ورأتهما، فتقدمت نحوهما، وصافحت قمر، وقالت لمراد:
-"من هذه الجميلة يا مراد؟"
نظرات الخجل في عيني مراد وقالت قمر:
-"أنا قمر، صديقة مراد الجديدة".
وردت أميرة والابتسامة على وجهها:
-"أهلًا بك، وهل تعالجين هنا أيضًا؟"
-"نعم، مصابة بسرطان الدم".
وقال مراد لعمته:
-"هي أيضًا مريضة مثلي وليس لديها أحد سوى خالها كما أنا لدي أنتِ فقط، والِدَاهَا ميتان".
وقالت أميرة في داخلها، وبدت وكأنها متضايقة:
-"مراد، سوف يتعبني كثيرًا، أنا أدخلت نفسي في متاهات".
وقالت لها قمر:
-"هل هناك شيء يا خالة؟"

وأجابتها أميرة في تردد:

-"لا يا ابنتي، لا شيء، شكرًا لكِ".

صمتوا قليلًا، وقالت أميرة:

-"الله يعافيك، نريد أن نمشي الآن!"

-"لماذا؟ أبقيا قليلًا؟"

ونظرات مراد الحزينة لعدم رغبته بالرحيل، فنظرت لها أميرة وقالت لها وهي مبتسمة:

-"من أجل قمر الفتاة الجميلة هذه! أبقيا أنتما هنا حتى أذهب للكافتيريا سريعًا".

وقال مراد:

-"حسنًا يا عمتي".

وجلسا على الكرسي وقالت قمر:

-"أين والدك؟"

رد مراد وملامح كلها حسرة وألم:

-"ليس هنا ولا يأتي معي".

-"وأمك، أو أخوك، أو جدك".

-"أمي ليس لها وجود، وأخي وجدي قد توفيا".

-"الله يرحمهما".

وابتسم مراد بعد ذلك ليخفي دموعه، قائلًا:

-"وأنت أين خالك؟ أليس معك؟"

وقاطعهما قاسم وقال:

-"هل هناك شخص يسأل عني؟"

وقال مراد:

-"أنتَ عمي قاسم؟"

وردت قمر:

-"نعم، إنه هو يا مراد".

وصافحه مراد وقال له:

-"تشرفت بمعرفتك".

-"وأنا أيضًا".
وكانت أميرة آتية نحوهما وقالت وهي مبتسمة:
-"أنا قد أتيت".
وعندما رأت القاسم أصبحت الصدمة هي عنوانها، وتقول لنفسها أين رأيته، أين رأيته؟
وقال مراد:
-"ما بك يا عمتي؟ هذا عمي قاسم خال قمر".
ونظر مراد إلي قمر بعدما ذكر اسمها وابتسم.
وقالت أميرة لقاسم:
-"تشرفت بمعرفتك، هل التقينا قبل ذلك؟"
-"هل أنتِ ممرضة؟"
-"نعم".
-"لقد جئت وأخذت الدواء منك في المستشفى".
-"لا، لا في مكان آخر ومنذ زمن طويل".
ارتبك قاسم وقال لها:
-"لا أظن ذلك".
وما تزال أميرة تريد أن تعرف أين رأتهُ، وقاسم علامات الخوف كانت على وجهه، وقالت قمر:
-"هل نذهب يا خالي؟"
-"حسنًا لنذهب".
وقال مراد:
-"ابقي قليلًا".
وقالت له قمر:
-"سنذهب الآن، ورقم هاتفي لديك اتصل بي في أي وقت وسنلتقي كثيرًا ونعود لنجتمع من جديد".
هذا الكلام يفرح مراد لشعوره بالاهتمام، ولكن جعل أميرة تشكك في الأمر، رؤية خالها

وكلامها هي الآن.
وقالت أميرة موجهة الكلام للقاسم:
-"دعونا نلتقي من جديد، من أجل مراد وقمر ليدعما بعضهما في هذا الوقت".
رد عليها قاسم:
-"نعم، سنلتقي كثيرًا، وسنصبح أصدقاء".
وذهبا وكانت أميرة تشعر أن هناك شيء ما سيحدث!
*****

وصعدت أميرة لسيارتها، وقالت لمراد:
-"هل رأيت الشبه الكبير والواضح بينك وبينها؟ ولكن هناك اختلاف بسيط لأنها هي فتاة".
-"لا أعرف".
-"كيف ذلك، هل رأيتها أمامك؟"
-"نعم".
-"وكيف لا تعرف؟"
-"لا أعرف، إنها جميلة ورقيقة ولطيفة".
-"وحلوة وراقية ومحترمة ومضحكة، أكمل، أكمل".
ابتسم مراد ابتسامة عريضة وقال:
-"يا عمتي!"
-"لا تكن قد أحببتها يا ولد".
-"أظن أنه الحب من أول نظرة".
-"أوووو، وأخيرًا أحببت فتاة".
تحولت ملامح مراد كلها للحزن، وقالت له أميرة:
-"لا تحزن، أنا آسفة لم أكن أريد الإساءة، ولكن على معرفتي بك هذه أول مرة تغرم بفتاة".
-"نعم هذه أول مرة".
-"هل تريد الذهاب معي للعزاء؟!"

-"لا أريد".
-"معنى ذلك سأضعك في المزرعة وأذهب لهم، قد قهرني كثيرًا عبد الله ومات مقتولًا فوق هذا، ما يزال صغيرًا وهذه المخدرات التي بقت كل حياته، إن شاء الله يجدون القاتل في أقرب وقت".

*****

تركت أميرة مراد في المزرعة وذهبت لمنزل المعتصم بالله، ودخلت عليهم، ووجدت النساء في الصالة، فقالت لهن:
-"اليوم مراد تعرف على فتاة واسمها قمر اسم على مُسَمَى".
وقالت أسماء لها باستهزاء:
-"ماذا؟ أصبح رجل الآن؟"
وأجابتها أميرة بصوتٍ عالٍ:
-"مراد رجل منذ أن خُلِقَ".
ضحكت بهدوء وقالت لها:
-"لا هذا الشيء واضح".
وتقدمت أميرة لتضربها فمسكتها ليلى وقالت:
-"أختي، نحن في عزاء، ليس هذا وقت الفضائح، ولا تلمسيها".
-"هل سَيَلمُسُهَا جان؟! يدي حنونة!"
وقاطعتهم عائشة:
-"يدي تتعرق كثيرًا".
وقالت لها سمر:
-"لا تلمسيني، ابتعدي".
أجابتها عائشة قائلة:
-"ليست بنزين أو مواد مذيبة لتحرقك".
وقاطعتهما أميرة:
-"نحن في عزاء، الحرق ليس الآن إن شاء الله تحترقان في نار جهنم".
قالت لها سمر:

-"احترمي نفسك يا أخت زوجي".
حدقت إليها بشدة وقالت لها:
-"وإن لم أفعل؟"
وقاطعتهم عائشة:
-"يا نساء، نحن في عزاء، ماذا يا أميرة؟"
التفت أميرة إليها وقالت لها:
-"أنتِ فقط انتبهي على معاملتك مع مراد، إن سمعت شيئًا سأحرقك بدلًا منها".
وقالت أميرة بعد ذلك لأختها ليلى:
-"أختي، هؤلاء جميعهن يريدون الحرق لكل ظالم جبار على الضعيف لا يصح له إلا الحرق لترتاحي منه".
وأصبح موضوع الحرق يدور في رأس ليلى، الحرق، الحرق، لكل ظالم جبار على الضعيف، لا يستحق إلا الحرق.

*****

واتصلت أميرة بمصطفى، وقالت له تريد أن تراه لتتكلم معه، وأتى إليها، وقالت:
-"شاهدت رجل الليلة في المستشفى".
-"ما معنى ذلك؟ أصفق لكِ مثلًا مبروك العريس".
-"أريد أن أتذكر أين ولكن لا أَذكُر؟!"
-"يمكن أن يكون زوجك القديم عاد للحياة".
-"بلا كلام فارغ، شككت فيه، أشعر وكأنه ذلك الرجل الذي جاء لنا في تلك الليلة بقصة سوزان".
-"لا إله إلا الله، عدنا لقصة سوزان المرأة ماتت منذ زمن طويل".
-"قُلتُ لك منذُ أن ماتَ أبي إن المَاضي سيعُود ليَطرق أبواب حاضرنَا، أتتذكر هذه الجملة؟!"
-"قد نسيت، هل هناك شيء غيره؟"
-"هناك!"
-"ما هو آنسة أميرة؟"

-"هناك فتاة معه، وكانت نسخة طبق الأصل من مراد كأنهم توأمان".

اتسعت عينا مصطفى وارتبك وقال لها:

-"هل كانت مع هذا الرجل؟"

-"نعم".

-"هل تعرفها؟"

-"لا، لا، ولكن وما هو اسمه؟"

-"قاسم".

والتفت مصطفى وقال:

-"الحقير قاسم، لما جاء إلى هنا؟!"

-"ماذا هناك؟ وما علاقتهما بسوزان؟"

-"لا تقلقي أنتِ، متى رأيته؟"

-"في الصباح، سوف يأتون غدًا أيضًا".

-"حسنًا سآتي أيضًا ونتقابل هناك".

-"حسنًا".

*****

وكانت حالة مراد بدأت تتحسن وظن أن حياته ستتغير ككل مرة، وينسى أي شخص بعد أن يهتم به شخص آخر، ويعطف ويخاف عليه، بدلًا من أن يجد ذلك من أقرب الناس إليه أو عائلته، ونام مبتسمًا، وفكر فيها، واتصل بعد ذلك، وفتحت سماعة الهاتف وقالت قمر:

-"ألو؟ ألو؟ مراد؟"

ومراد كان مكمم فمه وخجل من أن يتكلم معها، وظل يسمع صوتها ويبتسم، وقال لها:

-"أنا معك".

-"أين أنت يا رجل؟ منذ دقيقة وأنا أقول ألو، ألو!"

-"ليس هناك تغطية هنا في المزرعة".

-"حسنًا، ماذا تحكي لي؟"

-"هل أحببتِ شخصًا من قبل؟"
-"لا، كنت في الميتم وبعد ذلك باقي عمري في المستشفيات".
-"وباقي حياتك معي".
-"هل تظن ذلك؟"
-"أريد أن أعترف لكِ بشيء".
-"وما هو؟"
-"ليس الآن ولا اليوم!"
-"متى؟"
-"يوم الخميس من الأسبوع المقبل".
ضحكت قمر بصوتٍ عالٍ، وقالت:
-"يا مريض هل أنت أحمق؟ ليس لديك رومانسية".
أصيب مراد بقشعريرة وشعر بالإساءة والوجع من كلامها، ومع ذلك ضحك معها بصوتٍ عالٍ بدون سبب لأنها تضحك فقط، وقالت له:
-"أنا آسفة، ولكن أمزح معك فقط".
-"لا يهم، الأهم امزحي معي، وابقي معي".
-"حسنًا، وإن هربت؟"
-"سأمسكك من شعرك وتأتي معي".
-"وأبقى معك بدون رضا الطرف الآخر، وشيء آخر يا أحمق أنت أخي!"
-"أخوك؟!"
حاول مراد ألا يصدق هذه الكلمة التي كأنها سكين داخل قلبه، وضحك ضحكةً خفيفة، وقال بعد ذلك:
-"نعم أنا أخوك وأنتِ أختي".
وصمتا قليلًا، وقالت قمر:
-"مراد، مراد، هل بك شيء؟"
-"لا، لا، لا يوجد شيء، أريد أن أغلق الهاتف الآن أريد النوم، سأراكِ غدًا".
-"حسنًا، أحلام سعيدة".

*****

وفتح مراد دفتره وبدأ يكتب.

لا أعرف شيء عن حياتي، أحيانًا لا تعرف نفسك، أو أين أنت ذاهب، هل هذا صحيح أو خاطئ؟ أصبحت العبرة لي دائمًا والجميع يجب أن يأخذها من قصتي، وهي نصيحة ألا تنخدع بجمال البدايات، كلها كذب، مثل مريم وموسى البداية الرائعة ودفاعهم من أجلي في الوقت الذي جاء فيه أولاد ليضربوني وكان كل شيء مخطط، وإبراهيم عندما اصطدمت به لحقني وأخبر صديقه فرج واتفقا علي وكان الموضوع كأنه صدفة، والآن قمر، لكن أظنها ستجعلني سعيدًا وتبقى معي في فترة مرضي، وأتمنى أن لا يكون هناك شيء، لكن أوجعتني كثيرًا كلمة أخي، أظنها تحبني أو لأنني أتخيل الناس يحبونني دون سبب، لا أعرف أحاول ألا أتعلق بأحد أو أذل نفسي لأحد لكن لأنني محتاج لاهتمام وحب فأمشي وراء هذا الشعور فقط، وأنسى أي شيء، وأحيانًا أقرأ كلام مثل لا تتعلق بشخص لا يكتب لك ولا يزاحم يومك ولا يقرأ ما بك، ولا يحفظ أهم تواريخك، ولا يحب عيوبك وسيئاتك، لا يملأ حياتك بالمفاجآت، فعليك بالرحيل، عقلي يقول نعم، ولكن قلبي لأنني لم أجد الحنان ولدي نقص وجود العائلة، الأصدقاء، امرأة تحبني، لا يوجد شيء، ولكن تعلمت من كل شيء في حياتي، أو أظن أنني تعلمت، إلا الوقت الذي يأتي مقابل العاطفة سأضعف وأمشي وراء نقصي لأملأه ويتركني، وأذهب لهذا وهذا وتستمر حياتي هكذا، ولا وجود للأب، والأم، والأولاد الذين من عمري أشعر أنني مختلف عنهم، تقول لي عمتي لأنك شيء جميل لست منهم، وأفرح وأبتسم وأصدقها، وأكذب نفسي مع أنني أعرف أنها تريد فقط أن تسعدني، وعندما أرى أطفال يبكون لأن أباهم اشترى لأخوته شيء وهو لا، أفكر هم هكذا يفعلون، ماذا لو عاشوا حياتي ماذا يقولون؟ أو الذي أمه حضنت أخاه وهو لا ويظل يبكي، أفهمه لأنني أتألم كثيرًا وأكثر منه، هو أمه تحبه تشعره بذلك، هناك أشخاص عائلتهم تحبهم ولكن إن تركوهم أيام ولم يهتموا بهم يلجئون لفعل أشياء خطأ، أم أنا الذي حالتي تصعب على الكافر، أحيانًا يقولون إن الحياة لا تقف على فقدان أحد، ولكنها قد تمضي بشكل مختلف، ولكن في حالتي عكس ذلك تقف عند أي أحد، وتذكرت كلام جدي حين قال لي:

-"إياك يا مراد عندما تكبر تصبح طيب!!"

-"لماذا يا جدي؟ هذا طبع وليس تحول".

-"بل تحول، أو لأن داخل كل منا الخير والشر ويخرج على حسب الموقف".

-"وإن لم يخرج".

-"فهكذا تصبح ضعيف ولست طيب، لأن الدنيا لا تحتاج شخص طيب يجب أن تحارب وتقاوم دائمًا، وإلا ستؤكل، إذا كنت تملك قلبًا طيبًا ستتق بالآخرين كثيرًا، وتساعدهم كثيرًا، تضحي من أجلهم كثيرًا، وكذلك ستعاني من ورائهم كثيرًا".

-"هذه معاناة كبيرة".

-"نعم لأنه سيصبح شيء بداخلك ليست لك القدرة على التخلص منه، لا يُحكي ولا يُكتب ولا يُفهم وليته يُمحى، ولكن ليس للزمن علاقة بالنضج، وحدها هذه التجارب ستجعلك تكبر وهم يرحلون، واجعل هذا الكلام نصيحة الراحل عمدًا يُنسى وكأنه لم يكن، وسأعطيك فكرة تفعلها قبل أن تتعرف على أي شخص".

-"ما هي يا جدي؟"

-"أن تسأله كم المدة التي سيظل فيها شخص جيد، قبل أن يتحول؟"

-"جدي هذه ليست منك".

-"لقد قرأتها منذ فترة، أُعَلِمَكَ فقط كيف تفهم عندما تكبر حين لا أكون موجود".

-"أنت وعدتني ستبقى معي".

-"لا تصدق الوعود يا مراد، لا تصدقها، هي تقال ولكن لا تنفذ، لأن ليس هناك ألم عظيم ولا ندم ولا ذكريات، كل شيء ينسى حتى الحب العظيم، كل شيء، كل شيء".

*****

وأكمل مراد كتابة.

يا ليت، يا ليتني، سمعت كل كلمة منك ولكن في مثل حالتي ليس عليّ حرج، ما حصل معي في صغري غَيَرنِي كثيرًا، شخصيتي، نفسيتي، تعامل الناس معي، ظلم ومعاملة أبي وأمي وأقاربي والأولاد والجيران، غير حياتي للأسوأ، ولكن ما أضحكني أن مريم وموسى يُنَادُونِي بالمريض، وإبراهيم يُنَادِنِي بالحيوان، وقمر تُنَادِينِي بالأحمق، هذا شيء يضحك حقًا، لا أعرف أهذا حب؟ لأنني أشعر كأن أبي وأمي وأتذكر ما يفعلانه وعمي أنور

وأمير وخالي عبد الواحد والمعتصم بالله والجميع، وكنت أعيد أقولها لهم وأتخيل وكأنني قلتها لأمي وأبي والباقي لأعيد حقي منهم وما فعلوه لي طول هذه السنين، أظن أن قمر كذلك سترحل من حياتي أو أنني سأموت أو هي ستموت، أو ستتركني أم أنني سأتركها؟ لن أفعل، لا معها ولا مع أي شخص آخر، الجميع كان عابر في حياتي، لم أكن يومًا الصديق الوحيد لأي شخص، لم أشعر بأنني الخيار الأول في حياة أحد ولو لمرة، كنت دائمًا عابرًا في حياة الجميع، عابر وراء عابر ولا أحد يدوم، ويقولون إن الله يمحو من حياتك أشخاص رحمة بك، وأنا كان العكس، يقولون وكأن الليل يأتي ليعيد لنا تلك الذكريات التي أضعنا النهار بأكمله ونحن نحاول نسيانها، ولكن لا أعرف لأن اليوم بأكمله ولم أنس شيئًا، لأنني أتمنى أن أقابل شخص مثلي لا يحب الخصام، يغفر الأخطاء سريعًا، لا يرحل بسهولة يقدم كل شيء في سبيل إسعاد من يحب، والآن سأغلق كتابي وسنلتقي غدًا.

*****

وفي صباح اليوم التالي.

ذهب مراد وأميرة للمستشفى، وكان مصطفى أتى ليرى قاسم، وتقابل مراد مع قمر، فقالت له:

-"ماذا كان بك بالأمس؟"

أجابها والابتسامة على وجهه:

-"لا، لا شيء، كنت أريد النوم كما قلت لكِ".

-"حسنًا، أين عمتك؟"

-"ستنزل من فوق، موجودة مع الدكتور شادي".

-"حسنًا، وأنتِ أين خالك؟"

-"وراءك".

وجاء قاسم وقال:

-"أهلًا بكما يا صِغَارِي".

قالت قمر:

-"لست صغيرة، لقد أكملت السن القانونية".

-"وإن كان، ستظلين بنظري صغيرة".
وقاطعهما مراد وقال:
-"خالك يحبك كثيرًا ويريد أن يُدَللك".
وردت قمر:
-"نعم، أعرف ذلك وأنا كذلك أحبه جدًا".
وقاطعهم مصطفى قائلًا:
-"أهلًا وسهلًا بالأحباب".
اتسعت عينا قاسم وكانت ملامحه تشير للغضب والصدمة في آن واحد، وقال مراد:
-"أبي، لما أتيت؟"
-"هل هذا المستشفى مكتوب لك؟"
-"ليس هك..."
وقاطعه قائلًا:
-"اصمت".
وصمت قليلًا، وقال مصطفى:
-"من هذه الجميلة يا مراد؟"
أجابه مراد والابتسامة تشع منه:
-"إنها قمر وخالها قاسم".
بدت الصدمة والحيرة على وجهه، وقال بداخله:
-"ما هذه القصة؟ إذا كان قاسم خالها فهي ذات الفتاة، إن شاء الله لا تكون تعرف شيء".
وأكمل مراد حديثه وقال:
-"ما رأيك يا قمر نذهب إلى البحيرة الموجودة هناك؟"
وقال مصطفى وهو يحدق بحدة شديدة إلى قاسم:
-"اذهبا، فأنا أريد أن أخطف منكما أستاذ قاسم قليلًا".
فمسكه من يده بالقوة وأتى به أمام باب المستشفى في ذلك الحين كانت أميرة على السلالم تنزل، وقال له بصوت هادئ:

-"لما أتيت؟"
-"ليس من شأنك!"
-"لا تجعل الماضي يعود".
-"لا أجعله يعود، أتتذكر عندما طردتني من العمليات التي تقومون بها وجعلت الجميع ضدي، والقائد الأعلى تخلى عني؟!"
-"هذا لأنك ليس لديك الخبرة".
-"أضحكتني، كنت أريد الشغل كي أصرف على أختي وأبي".
-"كنت أريد أن تصرف عليهما بالحلال".
-"المعنى أنك تعرف أن مَالَكَ حرام؟"
-"هذا ليس موضوعنا، المهم هذه ابنة سوزان؟"
-"هل يهم ذلك؟"
-"اصمت، وقل لي وحسب".
-"ألست أنت من رميتها في مركز الأيتام؟ وكنت أبحث عنها حتى وجدتها، وأدخلت أبي الرجل العجوز الطيب الفقير الذي ليس بيديه حيلة وضعته في مستشفى الأمراض النفسية، وهو سليم كليًا، كل شيء فعلته بالمال، حياة لا تفهم إلا بالمال".
-"هل قمر تعرف شيئًا عن القصة؟"
-"لا تعرف شيئًا عن الموضوع وهي مريضة الآن فقط".
-"ولما جئت من جديد؟"
-"كل شيء حصل بالصدفة مراد ابنك من رآها".
وقاطعتهما أميرة وكانت وراء الباب وكانت تحاول سماع ماذا كانوا يقولون من شدة خفض الصوت، والصدمة كانت على وجه مصطفى وقاسم، وقالت لهما:
-"أين قمر و مراد؟"
أجاب مصطفى بتردد:
-"إنهما هناك عند البحيرة".
وظلت أميرة تحدق فيهما وأصبح الشك يجول حولهما، وأجابته قائلة:
-"حسنًا".

*****

وعند البحيرة حيث قالت قمر لمراد:

-"يجب أن آتي وأتَعَرَف على باقي العائلة".

وكانت الفرحة والسعادة لا تسع مراد على الإطلاق، وفي كل حرف تقوله يظل مبتسم طوال الوقت، وأجابها قائلًا:

-"حسنًا، في أقرب وقت".

وقاطعتهما أميرة قائلة:

-"ما رأيك بالأسبوع المقبل؟"

وأجابت قمر بدهشة:

-"حسنًا يا خالتي أميرة موافقة".

ابتسم مراد ابتسامة عريضة، وقال:

-"أنا متحمس جدًا يا قمري".

ارتبك وصحح كلمته، قائلًا:

-"أقصد يا قمر".

ابتسمت له وأجابته:

-"وأنا كذلك!"

*****

ورجعا أميرة ومراد للمنزل كي يرى أخواته، ودخلوا للمنزل وقالت له أسماء باستهزاء:

-"لما جئت إن شاء الله؟"

ردت عليها أميرة وهي تحدق إليها بشدة:

-"أتى إلى بيته، إلى بيت جده، أنتِ من تخرجين!"

أجابتها بصوتٍ عالٍ:

-"تطردينني منه!"

قالت لها أميرة وبصوت أعلى:

-"أفهميها كما تفهميها".

ورن هاتف أسماء وكان الشرطي، فأجابت بسرعة:

-"أهلًا، هل هناك أي أخبار أخرى؟"
-"نعم، وشيء مهم، أحتاجك لأنك أنتِ تعرفين المنزل جيدًا لأسألك يمكن أن نصل إلى قاتل عبد الله".
-"حسنًا، آتية أنا ومصطفى حالًا!"

*****

وخرجا مسرعين من المنزل، ووصلا لمركز الشرطة ودخلا للمكتب، وقال لهما الشرطي:
-"لقد خرجت نتيجة الطب الشرعي لأن عبد الله مات قبل شهر على الأقل، فكانت جثته أغلبها متحلل، فوجدنا أنه قد مات بسبب ضربة قوية على رأسه، وهناك ضربات قوية على وجهه مؤدية إلى كسور عميقة".
قالت أسماء بحزن شديد والدموع على خديها:
-"يا حبيبي، يا عبد الله، يا حبيبي".
وقاطعها مصطفى قائلًا:
-"وماذا الآن يا حضرة الشرطي؟"
-"طبعًا بعد أن صورنا المنزل وكل قطعة فيه، وجدنا أن هناك كسر في الأرضية، وأن هناك قطعة حديدية على شكل حصان قد تم ضربه بها، وبعد ذلك أخذه ووضعه في السجادة ودفنه، وهذه هي الصور".
وقالت أسماء وهي تبكي وتحدق في الصور:
-"ومن هو القاتل الحيوان؟"
-"القاتل بين يديك".
نظرت أسماء بغرابة وقالت:
-"لم أفهم!"
-"حتى الجيران عندما سألتهم قالوا إن المعتصم بالله أخاك لم يخرج من المنزل أو أنه كل يوم موجود فيه، وهناك شاب لم يأخذ منه المال وقال له اخرج فعندما سألته قال لنا كل شيء، لأنه قد أعطى المال لجميع جيرانه كي يقولوا إنه منذ فترة وهو في الخارج".
قالت له بصدمة:
-"معتصم، معتصم، لا يفعل هذا!"

-"وأنا لم أقل لكِ إنه القاتل، ولكن الشكوك حوله، هل لأنه خائف أعطى لهم المال أو هو القاتل؟ لهذا السبب تذكري أي شيء دار بينكما".
وهي تفكر في أي كلمة أو شيء قاله لها، وقال الشرطي:
-"فكري في أي شيء حصل".
-"لا أعرف كنت دائمًا أذهب، تكلمنا كثيرًا".
-"لم تسأليه عن عبد الله طوال هذه المدة؟"
-"كنت أسأله".
-"وماذا كان يرد عليك؟"
-"إنه نائم، أو بالخارج، أو في الحمام، وأوقفني كثيرًا كي لا آتي لأبلغ عن فُقدَانِهِ".
-"لم تسألِيهِ عن أي شيء آخر، تذكري أبسط شيء هو أكبر دليل دائمًا".
-"السجادة!"
-"ماذا؟ ماذا؟"
-"عندما سألته عن السجادة وصرخت عليه قلت له إنني اشتريتها أنا وأمي، أين هي؟"
-"ماذا قال لكِ؟"
-"قال...قال..."
-"ماذا؟"
-"أحاول التذكر!"
-"إجابتك هذه ستحدد كل شيء بعد إعطائه المال للجيران، والغريب أنه لم يسأل عليه طول غيابه، وأنه يقول لكِ إنه نائم وغيره، والسجادة هذه لغز بنفسها!"
-"لا أتذكر".
-"يجب أن تتذكري".
دق الباب، قال الشرطي:
-"من؟"
دخل المساعد وقال:
-"سيدي، الرجل الذي يأتي دائمًا وتعطيه المال جاء".
-"نعم أعطيه هذا المال".

وأخرج المال من جيبه وأعطاه للمساعد، وقال:
-"هذا مسعود، رجل فقير مسكين لديه أربعة أطفال وليس لديه شغل، أعطيه هذا المال لأكسب الأجر فيه".
قفزت أسماء وقالت:
-"تذكرت، تذكرت".
-"ماذا؟"
-"عندما أعطيت أنت المال للفقير تذكرت، عندما سألته عنها قال لي إنه أعطاها لرجل فقير ليس لديه سجادة!"
-"هكذا أصبحت كل الأمور واضحة، إلى جميع الدوريات لنذهب الآن".
*****

وذهبوا مسرعين لبيته، وكان المعتصم بالله بعد انتهاء أيام العزاء يجهز نفسه للسفر وجهز حقيبة السفر، وعندما كان في الصالة ينظر إلى جميع المنزل وصلت الشرطة وبدأت تطرق على الباب ورآهم من النافذة ففتح النافذة التي تؤدي به إلى وراء المنزل ليهرب من الخلف، وقال الشرطي:
-"يا رجال اذهبوا للخلف، الضوء ما زال يعمل".
وعندما كان يريد القفز مسكته الشرطة، وقالت له أسماء:
-"حقير، حقير، تقتل ابن أخيك، تقتل ابن أخيك!"
وتقدمت نحوه ومسكته من رقبته، وأبعدوها عنه الشرطة، وقالت له:
-"يا حيوان، تقتل القتيل وتمشي في جنازته، وتتظاهر بالحزن عليه".
-"يا أختي".
-"لست أختك من اليوم، لست أختك، أخوك عبد الواحد يراك من فوق سيكرهك، سيكرهك، وأنا سأكرهك ليوم الدين".
والحسرة على وجهه، وقال لها:
-"لم أكن أقصد ذلك!"
-"كأنك الذئب الذي يأكل الغنم، ويبكي مع الراعي، الخيانة تأتي من أقرب ناس لنا، لماذا فعلت هذا يا أخي؟ لماذا؟"

وسقطت على الأرض باكية.
وذهبوا بالمعتصم بالله على المركز، وسأله الشرطي:
-"ما السبب الذي جعلك تفعل هذا؟"
-"غير متعمد".
-"كل هذه الرشوة للناس، بعد ذلك اليوم عندما وجدنا جثته وقلنا إننا سنسأل الجيران، والهرب، وإخفائه كل هذه المدة، ماذا فعل كي تقتله؟"
وكان المعتصم بالله يقول بينه وبين نفسه:
-"يا الله، لن أستطيع أن أقول له إن عبد الله عرف كل شيء عن المنظمة فقتلته، والحمد الله إنه لم يوضح شيء من جسمه بعد تحلل جثته".
وقال له الشرطي:
-"ماذا يا معتصم؟"
-"أريد أن أتصل بالمحامي".
-"حسنًا ستتصل به".
وجاء المساعد وأخذه لكي يتصل، واتصل برضوان، وقال:
-"رضوان، لقد قبضوا علي".
-"ماذا؟ كيف حصل هذا يا غبي؟"
-"كله من غبائي لم أوقف أختي".
-"قلت لك أن ندفنه بعيدًا عن المنزل، قلت هذا مكان آمن".
-"فكرت أنهم لن يأتي في رؤوسهم المنزل".
-"والآن ماذا؟"
-"أخرجوني".
-"ماذا؟"
-"تكلم مع القائد الأعلى ليخرجني".
-"لن يخرجك أحد".
-"ماذا؟! سأقول إذن لما قتلت عبد الله وماذا أخذنا منه أيضًا وندخل جميعنا للسجن ونقيم زفاف للقائد في الداخل، ما رأيك؟"

-"إن قلت شيء القائد سيقتلك يا غبي! ستضيع نفسك فقط، حتى وإن دخلنا السجن جميعًا يوم الذي سندخل فيه أنت ستموت في نفس اليوم والقاتل مجهول وينتهي الموضوع".

بلع المعتصم ريقه، وشعر بخوف شديد، وأكمل حديثه قائلًا:

-"سيتم الحكم علي بسنوات عديدة".

-"بعد شهور قليلة سنخرجك".

-"شهور، لن أستطـ..."

قطاعه رضوان قائلًا:

-"أو تموت، ماذا قلت؟"

صمتا قليلًا، وقال رضوان:

-"حياتك مقابل شهور قليلة، وأنت ما تزال صغيرًا تريد العيش".

-"حسنًا، سأتحمل أول شهرين أو ثلاثة وبعد ذلك ستخرجونني من هنا".

-"حسنًا، والآن ادخل بسلام".

*****

وفي المحكمة حكم على المعتصم بالله بخمسة وعشرين عامًا، إضافة إلى سبع سنوات بدفنه حتى تحلل وإخفاء جثته، بالإضافة إلى خمس سنوات لإخفائه معلومات ومحاولته الهرب وإعطاء المال للجيران كي يشهدوا على أنه لم يكن في المنزل، وفي عقله يظن أنهم سيساعدونه، ولكنه سيبقى بقية حياته هناك.

*****

بينما كانت قمر وخالها القاسم في منزلهما.

قالت قمر:

-"لم يعرف هذا الحقير شيء منك حتى الآن!"

-"لا شيء".

-"يجب ألا نأخذ وقت طويل، في خلال أسبوعين سننهي كل شيء، ونذهب سويًا أنا وأنت ومراد أو أقصد آدم".

وكان قاسم يقول لنفسه:

-"هذه تريد أن أحلق معها للسجن، ولكن سأهرب بمفردي وهي ستلبس كل شيء وأحلق أنا في مكان آخر للجنة".

وقالت قمر:

-"ما رأيك يا خالي؟"

-"ممتاز".

-"كما علمتني عندما كنت صغيرة وتضع صورهم أمامي وتقول لي هذه العائلة التي دمرتنا التي قتلت سوزان قتلت أمي، وأنا لا طفولة لدي لولاك، وجدي آدم وضعوه في المستشفى!"

-"سنفعل كل شيء من أجلهم".

وأجابته قمر والابتسامة على وجهها:

-"نعم، الجميع للنار".

-"وهل ما زالتِ مريضة؟"

ضحك كلاهما بصوتٍ عالٍ، وقالت:

-"أرأيتهم؟ الجميع صدق ذلك؟!"

-"نعم رأيت، ولكن هذه الطريقة كي نقترب منهم ومن مراد".

-"نعم، ولكن هو مريض، يؤلمني كثيرًا وضعه هكذا، قطعة مني تتألم".

-"سيتعافى قريبًا".

-"إن شاء الله، ولكن سنلعب كما يلعبون وبحجم الألم سيكون الانتقام".

*****

وكان مراد في الغرفة جالس في فراشه يحدق في الحائط، دخل عليه عائشة وأنور، قال له أنور:

-"أنت يا كلب، انهض، انهض".

-"ماذا هناك؟"

قاطعته عائشة قائلة:

-"قال لك انهض، اذهب ونظف المكان بالخارج".

-"ولكن الآن الوقت متأخر".

-"قلت اذهب".
مسكته من شعره ورمته على الأرض وأنور بدأ يضرب فيه ويصفعه على وجهه، وهو لم يتكلم، فقط ينظر بروح باردة لا تتألم ولا تتوجع، كان شكله يعطف عليه أي شخص إلا هم، وجدوه طيب ولا يتكلم وهو دائمًا مخطئ، وعلى ما فعله مع الرجال وهم لا يشعرون به لما فعل هذا؟ وما حصل معه في صغره، دمر نفسيته، وهم دمروها أكثر فأكثر!

*****

بينما مروة أخته كانت تتألم من استغلال أمير لها، وخائفة من أن يأتي يوم وتفقد عذريتها بسببه، ولا تعرف ماذا ستفعل؟ وظلت تفكر في السلاح الذي رأته، الخاص بمصطفى، وقالت سأقتله إن حاول فعل شيء، سأقتله.

*****

بينما سمر تتمنى هذا المولود طيلة حياتها ومن المتوقع أنها ستلد خلال هذا الشهر، وعلاقتها بأمير كأنهما ليسا زوجين، ومحاولاتها الفرار قبل ذلك، ولكن ماذا سيحدث؟ والقادم غير متوقع!

*****

وليلى فكرها يأتي بأفكار شنيعة، وهَمَهَا في سارة وسليم.

*****

واتصلت الدكتورة سلوى بأميرة، وقالت لها:
-"أميرة، كيف حال أمك؟"
أجابتها بخيبة أمل قائلة:
-"ما تزال على وضعها".
-"قلت لكِ أن تجلبي لي الدواء، أليس كذلك؟"
-"لم يُعطِهِ لي".
-"أنت تعرفين، الأخطاء الطبية تحصل، ومن الممكن أن الدواء هذا يجعلها في الغيبوبة أكثر، مثل صوديوم البينتوثال".
-"سأجلبه منه حتى بالقوة".

-"وبعد ذلك اجلبيه لي على الفور".

-"حسنًا".

*****

ومراد بعد كل هذا الضرب تركوه مرمي وسط الغرفة، حتى رن هاتفه وكان المتصل فرج رد عليه وقال:

-"نعم".

-"مراد، أين أنت يا حيوان؟"

تذكرت إبراهيم بعد هذه الكلمة، وعاد الوجع وقلت لنفسي أتعبت روحي و قلبي في إسعاد شخص لم أنل منه إلا الوجع.

وقال مراد والعبرة في قلبه:

-"قلت أين مراد؟ مراد ليس له وجود، لقد مات منذ زمن، منذ زمن طويل جدًا".

وضحك فرج وقال:

-"ومن الذي يتكلم الآن؟"

صمت مراد، ولم يتكلم وبداخله يقول لا أحد يشعر بي فلما أتكلم؟

وقال مراد:

-"ماذا تريد يا فرج؟"

-"أريد أن أسأل عليك؟"

-"تسأل علي، أنا لو أغلقت هاتفي ألف سنة لا يتصل أحد".

-"لأن إبراهيم قد أوصاني عليك، وقال لي أن أتصل بك".

-"إبراهيم؟"

-"نعم".

-"لا يزال يتذكرني!"

-"ماذا تقول يا رجل؟ أنت قلبه".

هل عمرك شعرت بأحاسيس عديدة في وقت واحد، شعرت بالاهتمام من فرج وفرحت، وشعرت بعد ذلك أن الاهتمام الذي يأتي بطلب لا يعد اهتمام سوى أنه سيزيدك فوق همك هم فقط، وفرحت بعد ذكر اسم إبراهيم ولكن تضايقت بعد ما قال لي فرج إنه

يتذكرني، وأنا قلبه، قلبه وتركه بمفرده يحارب عائلته ومرضه، وقلت له:
-"اشكره لي كثيرًا يا فرج، وقل له ألعن الصدفة، بل ألعن اليوم الذي اجتمعت فيه معك".
وأغلق السماعة، وغرق مراد في حالة بكاء، وتذكر كلام جده:
-"أحيانًا يا مراد الحب حلو، أحيانًا فقط!"
-"أحيانًا؟!"
-"نعم".
-"لأن أغلبه أو معظمه يؤلم ويوجع، عندما تحب ويرحل من تحب، وتشتاق إليه ولا يشعر، وحين تنساهم يرجعون وتتذكرهم، وقد تنسى أنت لحظات لقائك بمن تحب ولكن لن تستطيع نسيان الفراق ولو مضت قرون!"

*****

وفي اليوم التالي.
نهض مراد من النوم والحزن طاغٍ على وجهه، وأميرة في سيارتها يريدان أن يذهبا إلى المستشفى، وعند وصولهما التقيا بقمر هناك، وقالت لهما:
-"أين أنتما؟ لقد تأخرتما".
ردت عليها أميرة قائلة:
-"لو كان مصطفى هنا لما كان يتركك بكلمة أين أنتم؟ أو من أنتم؟"
-"لماذا؟"
-"يحب المزاح".
-"ولما تأخرتما؟"
-"من أجل أستاذ مراد، تأخر في الاستيقاظ".
وقال مراد:
-"متعب قليلًا".
قالت له قمر:
-"هل هناك شيء حصل معك؟"
-"لا، لا شيء".

وقاطعتهما أميرة:
-"أنا ذاهبة للدكتور شادي، أبقيا هنا، وسآتي".
*****

وصعدت أميرة وعند وصولها لباب المكتب سمعت شادي يقول:
-"يا مصطفى ستظل هكذا دائمًا لا تخف".
-"أنت لا تفهم، هناك أشياء تغيرت كثيرة".
-"هذا الدواء أعطيه لها دائمًا".
-"وهذا الدواء سيجعلها تنا..."
دخلت عليهما أميرة في هذه اللحظة، والخوف في وجهيهما، أكمل مصطفى حديثه قائلًا:
-"سيجعلها تستيقظ من جديد؟"
-"نعم تأكد".
وقالت أميرة لمصطفى وهي تحدق إليه بحدة:
-"لم أتوقعك مهتم بأمر أمك لهذه الدرجة!"
-"الجنة تحت أقدام الأمهات يا أميرة، دائمًا تقولين هكذا، لست كافر، هذه أمي!"
-"الجنة! أنت لن تمر عليها حتى المرور".
-"وماذا بعد؟"
-"لا، لا شيء أسعدني كلامك فقط!"
-"هل قمر ومراد في الأسفل؟"
-"نعم".
-"سأنزل لهما".
وخرج مصطفى وقالت أميرة للدكتور شادي:
-"هل مصطفى كان يأخذ منك دواء لأمي؟"
-"نعم، إنه خائف عليها ومهتم بها جدًا، دائمًا يسأل عنها متى ستعود لنا؟"
رفعت حاجبيها واتسعت عيناها، وقالت:
-"مصطفى؟!"

-"نعم مصطفى".
-"ما شاء الله".
وظلت أميرة تنظر في جميع الأدوية الموجودة بالمكتب كي تأخذ اسمه وقالت:
-"هل مصطفى يأتي كل يوم هنا؟"
-"نعم كل يوم لأجل أمك".
-"حسنًا".

*****

وكان مراد وقمر يتكلمان، فقال لها:
-"غدًا يوم الخميس، سأعترف لكِ بالشيء الذي أريد أن أقوله".
-"حسنًا سأعرف غدًا ما هو السر الخطير، واللغز الكبير، والنهاية التي كلها تشويق".
ضحك مراد بخجل شديد وقال:
-"ليس لهذه الدرجة".
ابتسمت قمر وضربته بيدها على كتفه، وقالت له:
-"أرفع من معنوياتك فقط".
هل يحصل معك موقف أو كلمة تذكرك بشيء قديم لديك؟ عندما ضربتني بيدها على كتفي تذكرت تلك اللحظة أنني كنت أفعلها لإبراهيم وهو كذلك، وابتسمت لها والدمع أصبح على طرفي عيني وقلت لها بحزن شديد:
-"لأنني مريض ترفعي لي معنوياتي؟"
-"لا، لأنك تستحق ذلك، لطيبتك وحنانك وهدوئك، لكل شيء فيك، لا تستحق ما يحدث لك".
-"شكرًا لكِ".
ابتسمت قمر وقالت له بنظرة حب وحنان:
-"لا وجود للشكر أو الاعتذار بين الأخوة".
لا أعرف أول مرة أشعر اتجاهها بشعور غريب شعور الأخوة الحقيقي، ولا أريد أن أكذب على نفسي شعرت بذلك مع حسين أول شخص تعرفت عليه عندما اشتغلت في المتجر، ومع مريم وموسى كذلك وأوهمت نفسي، وبعد ذلك مع إبراهيم ومع قمر

الآن، ولا أعرف من التالي؟ وما هي النهاية؟
قاطعهما مصطفى قائلًا:
-"أين أنتما؟ أبحث عنكما".
ابتسمت قمر بعد سماعها نفس الكلمة التي قالتها هي، بعد كل هذا وما حدث معها!
وقال مراد بابتسامة:
-"موجودان هنا".
وقالت قمر بينها وبين نفسها:
-"لن أضعف أبدًا، سأنتقم لنفسي، ولأمي، ولجدي".
وقالت قمر:
-"سأتشرف بحضورك عمي مصطفى وجميع عائلتك إلى بيت خالي في منطقة سيدي فرج الأسبوع المقبل".
رد مصطفى قائلًا:
-"حسنًا، سنأتي ولكن ما المناسبة؟"
رفعت يديها للأعلى وابتسمت قائلة:
-"لأنني تقريبًا تعافيت من المرض".
-"الحمد لله على سلامتك".
-"الله يسلمك".

*****

نزلت أميرة وأخذت مراد إلى المزرعة، وجاء المساء وظل يتكلم بالهاتف مع قمر حتى الصباح، وقال لها:
-"ما اللون الذي تحبينه؟"
-"الأسود".
-"وأنا كذلك".
-"وأُغنيتَكَ المفضلة؟"
-"موجوع قلبي لسيف عامر".
-"وأنا كذلك".

-"وفيلمك المفضل؟"

"-The fault in our stars"

-"وأنا كذلك أعشقه".

-"الليل أم النهار؟"

-"الليل".

-"أحب هدوءه وسكونه، أحب الظلام الموجود به".

-"الشمس أم القمر؟"

-"الشمس".

-"لأنكِ القمر، أليس كذلك؟"

ضحكت قمر وقالت:

-"لأن الشمس تحرق وأنا احترقت".

-"ماء أم نار؟"

-"ماء".

-"تتبعين القرآن الكريم، قوله تعالى:"وجعلنا من الماء كل شيء حي"".

-"وعندما تغرق أنت في هذا الماء هل ستعيش؟"

-"الأكيد سأموت".

-"هذا ما حدث لي".

-"ماذا بك؟"

-"لا شيء، لأن الماء هو أسهل وأخطر وأغلى وأرخص شيء، وكل حالة على حسب استخدامك له".

-"لماذا لا تحكين لي قصة حياتك؟"

-"تحدثت لك عنها".

-"ولكن التفاصيل، مثل الحياة أو الحب الأهم فيهما التفاصيل وليس العنوان".

-"لأن الوجع في التفاصيل، إذا عشنا حياتنا هكذا لن يصح، المهم هو وجود التفاصيل الحكاية كلها في التفاصيل، الوجع، والألم، والحب، والصداقة، والأخوة، والخيانة، والغدر، والكره، والطيبة، والكثير".

-"وماذا يجب علينا أن نفعل؟"
-"أن نمشي في حياتنا ونعيش كل يوم بيومه وانتهت".
-"أشعر وكأن الأجواء كلها حزن، لنغير المواضيع".
-"تكلم لي عن الموضوع الذي تريد أن تقوله لي غدًا".
-"أنتِ قلتِ الآن غدًا، فمعنى ذلك غدًا، اذهبي للنوم فورًا".
-"حسنًا، سيدي الرئيس".
وضحك كلاهما، وأغلقا السماعة وقال مراد لنفسه بعد ذلك:
-"أحبك، هذا فقط ما أريد أن أقوله".
نام مراد ذلك اليوم وكان يظن أن الخير قادم، ويقول عسى أن يكون فرج الله قريبًا، ولا يدري ماذا تقول له قمر؟ إلا أنه يعطي أمل لنفسه على كل شخص يعرفه وأنه سيظل معه ولن يتركه ويخاف ويهتم به حتى الموت، وهذا اعتقاد خاطئ لأي شخص يفكر هكذا، كان مثل حالة مراد أو غيرها.

*****

وجاء الصباح ونهض مراد من فراشه سعيدًا لأنه يريد مصارحة قمر وجاءت أميرة لتأخذه، وذهبا إلى ليلى، ووصلا لمنزلها وكانت سارة خارجة من الباب، وقالت لهما:
-"كيف حالك يا خالتي؟ كيف حالك يا مراد؟"
قالت أميرة:
-"كيف حالك؟ ما هي أخبار الدراسة؟ السنة هذه شهادة ثانوية انتبهي جيدًا".
-"الحمد لله يا خالتي، وإلى الآن ما تزال ممتازة".
قاطعهما مراد وقال:
-"كيف حالك يا سارة؟"
-"الحمد لله يا مراد، وأنت كيف حالك؟ وكيف هو حال الجلسات معك؟"
أجاب مراد بخيبة أمل وحسرة:
-"الحمد لله يا ابنة عمتي، أنا متعب جدًا".
نظرت أميرة المنزعجة من كلام مراد وأكمل حديثه قائلًا:
-"وأين هي عمتي ليلى؟"

-"في المطبخ ادخل لها".

-"حسنًا".

دخل مراد للمنزل، وقالت أميرة:

-"كيف هي أحوالها؟"

-"انزلي لها".

-"بعد ما أُوصل مراد إلى قمر".

-"هل هذه صديقته الجديدة؟"

-"نعم، جميلة للغاية وفيها شبه كبير منه".

-"حسنًا".

نظرت أميرة في الظرف الموجود بين يدي سارة وقالت لها:

-"ما هذه الرسالة التي في يدك؟"

-"أمي كتبتها وأعطتها لي وقالت لا تفتحيها حتى ترجعي، سأضعها في الحقيبة، هذا شيء غريب حقًّا!"

-"وأنتِ إلى أين ذاهبة؟"

-"إلى صديقتي هنا".

-"وكيف حال سليم؟"

-"في الخارج ليس هنا، بعد وفاة عبد الله زاد شربه للكحول وتعاطيه للمخدرات أيضًا".

-"هذه كارثة، أنا سأهتم به، يجب أن يُعَالَج".

-"سأكلمه غدًا ليذهب معك".

-"حسنًا، لما مراد تأخر هكذا!"

وخرج مراد من الباب منزعج جدًا، وقال:

-"لا أعرف ما بها، حالاتها غريبة وطوال الوقت لا تتكلم حتى خرجت".

وقالت أميرة:

-"سأراها بعد ما أوصلك، وأنتِ يا سارة لا تتأخري، تعالي سريعًا لتري أمك، لا تتركيها وحدها".

-"حسنًا يا خالتي".

*****

بينما ليلى كانت تلف وتدور في المنزل ولا يوجد غيرها هي وأسامة ودخلت عليه وكان نائم لأنها وضعت له في الكحول الذي يشربه مخدر وكانت تبكي بصمت وفي حالة من الصمت الرهيب وأخذت البنزين وموقدة النار، وبدأت توزع في البنزين في جميع أنحاء المنزل، حتى دخلت الغرفة بدأت بأسامة من بداية جسمه على نهايته، وفي باقي الغرفة، والدمع يسيل على خديها، وأخيرًا أكملت الباقي على نفسها، وفتحت صندوق صغير موجود فيه الكبريت، وقالت:

-"سأحرقك وأحرق نفسي، لأنني لا أريد للطفل أن يأتي ويرى أباه هكذا، ألا يكفي سارة وسليم، عذبتني كثيرًا، أذقتني الذل والقهر، الضرب والاعتداء علي دون رضا مني، سأنهي عذابك في الدنيا لتنتقل لعذاب الآخرة، ويرتاح الطفل في الجنة بدل من أن يصبح كسليم وبين يديك يضيع، لأنني تألمت كثيرًا، وألمي سيرحل، سيرحل كل شيء، وسأرحل أنا".

وأشعلت الكبريت بعد ذلك، وبدأت النار تحرق جميع المنزل وتحرقها هي وأسامة، النار كالفساد في الأرض الفساد ينتشر، وهناك عامل مساعد كإشعال النار يتطلب عامل يساعدها على الطريق، كالحروب في بلادنا التي انتشرت وفي النهاية الجميع تحت التراب.

"يا ناس، يا ناس، المنزل يحترق، المنزل يحترق، اتصلوا بالإسعاف الآن، هناك أشخاص في الداخل"، وكانت النار قد أكلت كل شيء، هي الشيء الوحيد في الحياة لا يشبع مهما أعطوا لها ستظل تهضم حتى نهاية الكون وما بعده.

*****

وكان مراد موجود مع قمر في حديقة منزلها، فقالت له:

-"لما لم تتكلم؟"

-"سأتكلم".

رفعت قمر حاجبيها، وقالت له:

-"حسنًا، تكلم إذن".

-"حسنًا سأتكلم الآن".
وصمت قليلًا، وقال:
-"أُف، لا أعرف ماذا أقول؟"
-"تكلم بطريقة عادية جدًا".
اتسعت عينا مراد وقال لها:
-"لقد جاءتني فكرة، سَأُفَهِمك عن طريق لغز".
-"كيف هذا؟"
-"عن طريق ذكر أربعة حيوانات".
ضحكت قمر وقالت:
-"حسنًا قل".
رفع مراد إصبعه للأعلى، وقال:
-"أولًا، حيوان ضعيف وسريع ولديه أذنان ولونه أبيض".
أغمضت قمر عينيها وفتحتهما، وقالت له:
-"كل شيء فهمته ما عدا لديه أذنان كل شيء لديه أذنان يا متخلف!"
أجابها مراد بصوتٍ عالٍ وهو متوتر:
-"حسنًا قولي ما هو؟"
-"أرنب".
ابتسم مراد وكانت الفرحة تملؤه، ورفع إصبعه للأعلى مرة أخرى، وقال:
-"ممتاز، ثانيًا، يركبوه الناس ويقيموا له مسابقات أيضًا".
فركت قمر رأسها، وقالت:
-"سهلة، حصان".
ابتسم مراد ابتسامة عريضة وصفق بيديه، ورفع إصبعه للأعلى وقال:
-"أحسنتِ، ثالثًا، يستفيدون منها في الحليب، هكذا ستعرفينها سريعًا".
ضحكت قمر وقالت له بصوتٍ عالٍ:
-"بقرة يا بقرة!"
ابتسم مراد ابتسامة أكبر ورفع يديه للأعلى وقال لها:

-"رابعًا وأخيرًا، يدافع عن الغنم ويلقبونه بالوفي".
-"مراد".
عبس وجهه وقال لها بغضب وحزن:
-"ماذا؟"
ضحكت قمر وقالت له:
-"أمزح، الكلب".
ابتسم مراد ابتسامة عريضة وعض شفتيه، وقال لها:
-"حسنًا، الآن خذي من كل اسم حيوان بالترتيب كما قلت أنا الآن أول حرف فقط، ستكون كلمة من أربعة أحرف".
وضع مراد يديه على وجهه وكان سعيدًا جدًا، وقمر كانت تفعل كما قال لها وتقول:
-"حسنًا، أرنب أ، حصان ح، بقرة ب،..."
نزع يديه من وجهه، وقال لها بدهشة والفرحة كانت لا تسعه:
-"ما هي الجملة؟"
لم تتكلم قمر بأي كلمة، ومراد يبتسم لها ويقول والحسرة في عينيه:
-"أفهمتِ ما هي يا قمري؟!"
تدمع عينا قمر وتقول:
-"مراد، مراد".
وتتقدم نحوه لتمسكه فيبتعد عنها والدمع على طرفي عينيه، وقال:
-"لما؟ لما لم يحبني أحد؟ كنت أريد أن أشعر أنني رجل معك وأنك تحبينني كما..."
صمت قليلًا، وأكمل حديثه:
-"كما أحبك، أريد من أي أحد الحب والاهتمام فقط ليس إلا، أكذبي علي، اخدعيني إذًا ليس لدي مانع، أرجوك، أرجوك، لا أريد من أحد أن يتركني وحيدًا بمفردي، عائلتي كانوا يذهبون دائمًا منذ صغري وأبقى بمفردي في المنزل كنت...كنت..."
وخنقته العبرة والدموع تسيل بغزارة على خديه، وقال:
-"كنت أدور في جميع المنزل وأصبح أضحك بنفسي، وأحيانًا أقفز وأرقص بمفردي، وفي النهاية أخذ زاوية من الزوايا وأحدق في جميع المنزل والدموع تنهمر من عيني،

لم يسألني أحد ما بك؟ لم يحتضنني أحد ويواسيني ويبكي معي، تمنيت ذلك الحضن في العزاء عندما كانوا يبكون سويًا، لا أريد سوى الحب، لأنه مرض مستعصي، اسألي الذي عاش مرارته ووجعه وألمه وقهره من عدم اهتمام أحد به حتى من أقرب الناس إليه، يحاسبونك وينفرونك من حياتهم عندما تفقد شرفك وعرضك مثلي، أتفهمينني؟ بنيت أحلام في مخيلتي معك، أننا سنتزوج ويصبح لدينا أولاد، أريد أن أعيش حياتي ولو قليلًا، لم أكن حيًا إلا مع إبراهيم، فترة واختفى من حياتي وتركني في النهاية، تركني ورحل كما سوف تفعلين أنتِ، لما؟ لما قولي شيئًا؟ قولي لي أحبك مرة واحدة".

دفعها بيده وهو يبكي بغزارة، وقال لها بحسرة وألم:

-"قوليها، قوليها!"

-"أحبك والله أحبك".

ابتسم مراد والابتسامة من أذنه اليمين حتى اليسار، وقال:

-"فرحت كثيرًا، حتى وإن شعرت وكأنها ليست حقيقية ولكن شكرًا".

ويريد البكاء ثانيةً فأصبح بين المكابرة والألم، وقال:

-"أتعرفين أنك ستكسبين الأجر إن عطفتي علي، أتكلم من قلبي، والله ستكسبين الأجر في عبد من عباد الله عاش حياته مكسورًا ضعيفًا ذليلًا، فترة قليلة ويموت، أبوه وأمه لا يريدان أن يُعَالِجَانَهُ بِمَالُهما، استكثروا في المال وكأنني يتيم بلا أحد، أنا وظلي فقط".

ردت عليه قمر والدموع على خديها من كلام مراد وقالت:

-"مراد، أنا وأنت لا يصلح أن نتزوج بعضنا".

أجابها بصوتٍ عالٍ، قائلًا:

-"لما؟ لما؟ قولي شيئًا واجعلي قلبي يرتاح أعطيني سببًا واحدًا!"

تنهدت قمر وقالت له والدموع تنهمر منها:

-"مراد، لا أستطيع ولكن أنا أحبك والله، أحبك كثيرًا، كثيرًا، ولكن ليس كما تريد أنت ولا نستطيع أن نبقى سويًا بالطريقة التي تتمنها".

وضحك مراد بصوتٍ عالٍ وقال:

-"حسنًا، لا عليك، شكرًا، شكرًا".

والتفت مراد وفتح الباب الخارجي، ورن هاتفه وكانت عمته أميرة على الهاتف فأخبرته

بما حصل مع عمته ليلى وأنها قد ماتت هي وزوجها أسامة، وأنها لا تستطيع أن تأتي إليه في هذا الوقت، فذهب مع قمر وقاسم، وأقيم العزاء!

*****

كان الجميع في حالة بكاء شديدة وخاصةً سارة، وحتى سليم الذي كان فاقدًا للوعي من كثرة شرب الخمر وتعاطي المخدرات، وجاء مراد ومعه قمر وخالها قاسم، ورأى مراد النساء يبكين وأباه وأعمامه، أصبحت دموعه تتقاطر الواحدة تلو الأخرى وظل يفكر هل سيبكون علي أنا كذلك؟ لا أعرف، أظنهم سيبكون، أو هذا ما أقنع به نفسي، تمنيت لو أنا أمي تبكي على مرضي وتأتي تحضنني بشدة وأبي يدعمني بكل ما فيه، لا يؤلموني لا يوجعوني، أو حتى أشعر أنني لست مهم لهم، أو أنهم فخورون ومعتمدون علي، كنت أرى أخي محمد مع أبي يحضنه أمام عيني وأنا أبتسم لأتخيل نفسي مكانه، ويكلمه ليخرج معه دائمًا ويجعله يقود سيارته ويقول لي أن أصبح مثله، كنت أريد هذا الشعور، كانت أمي تدافع عليه مهما فعل عكسي تمامًا، كانوا يخرجون يَتَفَسَحُونَ ولا يخبروني بذلك ويأتون إخوتي مروة ومرام تتحدثان لي وتضحكن على المواقف التي صادفتهما، وابتسم وأقول لهم إن شاء الله دائمًا تفرحون، كانت تلك الكلمة كأنها رصاصة تدخلني لتفجر قلبي، هل حصل معك هذا الموقف أن تبتسم لحديث أحد وبعد ذلك تبكي ولا أحد يراك أو يسمعك؟ أشعر بشعور غريب عندما يأتون بجانبي بخوف مروع وأخجل وأستغرب وأبتسم وأتمنى أن يبقوا دائمًا، أتمنى أنهم معي في وقت مرضي لا يسألون حتى ماذا حصل معي؟ لا أعرف ما السبب؟ لم أفعل لهم شيء، لم أؤذيهم في شيء طوال حياتي، لم أصرخ عليهم، لم أشتمهم، لم أتطاول عليهم وأرفع يدي، فماذا إذن؟ هل هناك شيء أعظم من هذا الألم في حياة أي شخص؟ أظن أنه لا يوجد، شعور بُعد الناس عنك لأنك لست شخص سليم على ما حصل معي في صغري جعلني منعزل عنهم ووحيدًا دائمًا، لم يكن لي أحد دائم كل شخص دخل حياتي أراد قضاء شهوته معي أو قضاء الامتحانات والغش مني فقط، وكنت أقنع نفسي دائمًا بالعكس، يقولون إن الناس كلما احتاجوك لمصالحهم يعني أنك شخص عظيم! أنا أقول لا، فهذا شعور فظيع جدًا، ويؤلم ويوجع جدًا، لا تفرح به كلما تكرر معك، فما بالك أنا كنت هكذا طيلة حياتي، ولا أعرف أين سينتهي المطاف؟ وقطار الحياة متى سيتوقف؟

وحيدًا؟ مثل ما ولدت وحيدًا، وعشت وحيدًا، وسأموت وحيدًا.

*****

دخلت سارة لغرفتها وكانت الرسالة التي أعطتها لها أمها ليلى هي رسالة وداع وكانت المكتوب فيها هو: "ابنتي سارة، ابني سليم، ليس لدي في الحياة غيركما ومع ذلك ستقولان لما تركتنا ورحلت وبهذه الطريقة؟ ولماذا؟ أنتما تعرفان أنني تزوجت أباك بالقوة من أبي، وكنت صغيرة، لم أرى الراحة معه، كل يوم ضرب وكل يوم دماء، لم أعرف معنى الراحة، حاولت قتل نفسي مرات عديدة، ستقولان هذه أنانية، لم تفكر إلا في نفسها، أي شخص في لحظات كهذه سيفكر في نفسه فقط لا غيره، وكل مرة أحاول فيها ذلك يفشل كان أبوكما يعتدي علي تحت التهديد وبالضرب، وأحيانًا يهددني بكما لم يساعدني أحد، لا أخوتي، ولا أختي أميرة التي حاولت الكثير منذ زمن ولم يتغير شيء، كنت في كل مرة أصبح فيها حامل أقوم بإجهاضه، وهذه المرة لا يمكن إجهاضه قد فات الأوان، ففكرت أن أغرس السكين في بطني ولم أنجح، لأن المستشفى أو حتى النساء في البيوت لم يردن فعل شيء لأنهن خائفات أنني سأموت بعد الولادة، وكان أبوكما معرضًا لهذا الشيء ولا أريد أن أتعذب كثيرًا وأعذب الطفل القادم بهذه الحياة ورؤية أبيه، ولا أريد أن يشعر بالخجل من سمعة أبيه أمام أصدقائه، مثل ما حصل معك ومع سليم، جعله يضيع ولم يهتم له، وأنا لم يكن بين يدي حيلة ولا مقدرة، الآن أودعك حبيبتي، ابنتي الغالية سارة انتبهي لنفسك جيدًا، ستبقين مع خالتك أميرة وجدتك فاطمة، وستكملين الثانوية وتصبحين معلمة التربية الإسلامية كما تحلمين وتساعدين في انتشار الإيمان بدلًا من الفساد الذي يحصل في زمننا هذا! وقولي لخالتك أن تدخل أخاك في مستشفى للعلاج، هي تعرف كيف تتفاهم معه، وأريد منك شيء أخير أن تسامحيني، لا أعرف إن كنتِ ستفعلين ذلك، وأذقتك هذا الألم وأنتِ صغيرة، قولي عني إنني أم فاشلة، أنانية، ضعيفة، لا تنفع لشيء، ولكن سامحيني على كل شيء، وانتبهي لأخيك جيدًا، أتمنى لكِ حياة رائعة، وأن تختاري ابن الحلال كما يُنَاسِبك، وادعي لي بالرحمة، مع السلامة، أحبكما كثيرًا، أمكما ليلى".

وغرقت سارة في بكاء شديد، الدموع تسيل على وجنتيها، واحمر وجهِها، ودخلت عليها خالتها أميرة حضنتها وأصبحتا تبكيان سويًا بحرارة، حتى فقدت سارة وعيها من

كثرة البكاء.

*****

وكانتا عائشة وسمر في الصالة، وقالت عائشة لسمر:
-"جميع هؤلاء الناس لا أعرف لما جاؤوا سيلحقون الميت مثلًا؟!"
-"مجاملات وكذب ونفاق ونميمة وغيبة فقط".
-"والله وأنتِ الصادقة".
حدقت سمر في أميرة حين خروجها من غرفة سارة وقالت:
-"ها هي أميرة خرجت من غرفة سارة تظاهري بالبكاء".
وقالت أميرة لمروة:
-"مروة حبيبتي ادخلي وابقي مع ابنة عمتك سارة، يجب أن ندعمها في هذا الوقت!"
-"حسنًا يا عمتي سأدخل الآن".
وحدقت أميرة فِيهُما بعصبية وبحدة، وقالت:
-"هل تعرفان شيء؟!"
أجابت عائشة قائلة:
-"ماذا يا أميرة؟"
أشارت لهما بإصبعها وقالت لهما:
-"لو لم تكونا زوجتا أخوي لفعلت معكما شيء لم يفعله أحد".
قاطعتها سمر قائلة:
-"ولما يا أخت زوجي؟"
رفعت أميرة حاجبيها ويديها للأعلى قائلة:
-"ببساطة جدًا، ألم أقل أنكما منافقتان درجة أولى!"
وضعت عائشة يدها على خدها ومسحت بها، وقالت:
-"أترين هذه كلها دموع؟!"
حدقت إليها أميرة بحدة وقالت لها:
-"تجاملين بهذه الدموع، دموع التماسيح يا محترمة، أتفهمين؟"
وقاطعتهما سمر ونظرات البراءة على وجهها:

-"والله، تظلمين فينا يا أخت زوجي!"
نظرت إليها أميرة ببرود، وقالت:
-"حرام مسكينة، هل لكِ أن تلتزمي الصمت حتى يذهب الناس، وأنتِ يا عائشة اذهبي وضعي القهوة والحليب للنساء".
وقالت سمر لعائشة بهمس شديد:
-"خذي ما أتاك، أنا حامل سأذهب لأستلقي في غرفتي قليلًا".
*****

ودخلت سمر لغرفتها وتمددت على السرير ووضعت رأسها على الوسادة ويدها تحت الوسادة، فتحت عيناها فجأة ونهضت فرفعت الوسادة ووجدت ورقة ففتحتها وكانت ورقة التحاليل التي أجرتها وضاعت منها منذ فترة، ولكن كانت النسخة المقلدة، أي مطبوعة والأصلية ما تزال موجودة عند الذي أخذها، فاتصلت بمصطفى سريعًا وكان موجود في غرفته يغير ملابسه، فقالت له بخوف:
-"مصطفى، مصطفى، وجدت نتيجة التحاليل!"
-"الحمد لله ولكن لما صوتك هكذا؟"
-"المشكلة أنها نسخة".
أجاب مصطفى بفزع وخوف:
-"ماذا؟ يا الله من يحاول التلاعب بنا هكذا؟"
-"أظن أننا سننكشف".
-"لا تخافي سأعرف من هو؟"
-"متى؟ بعد ولادتي مثلًا؟ فكر قليلًا، أنا هذا الشهر سألد".
-"لا أعرف من يكون؟"
-"هذا شخص من المنزل كما سرقها الآن، بعد كل هذه الشهور قام بإرجاعها من جديد، ولكنه ذكي جدًا أعطى لنا النسخة المقلدة".
-"هذه أفكار شيطان!"
-"فيمن تفكر؟"
كان مصطفى يفكر في أن عائشة هي التي فعلتها بعد أن تركها، وقبل ذلك كانت

أميرة، ولو أنها هي لتكلمت معه، ولو أنها أسماء لقامت القيامة العظمى، من؟ من؟
وقالت سمر بعصبية:
-"أين ذهبت؟"
-"أنا معك، سأبحث في الموضوع!"
-"حسنًا، وكلمني بعد أن تعرف شيئًا".
-"حسنًا سأخبرك، وأنتِ كذلك".
وأغلق مصطفى السماعة، ودخلت أسماء تقول بعصبية:
-"يا الله مللت من هذه الحياة، ويجب أن تشتري لي سيارة كما وعدتني".
-"حسنًا".
تقدمت أسماء إليه وكان مصطفى منزعج جدًا، وقالت له:
-"حبيبي مصطفى، ما بك؟"
-"لا، لا شيء، متضايق على موت أختي ليلى".
حضنته أسماء والدمع على خديها، وقالت:
-"أنا أشعر بك، جربت فقد الأخ كثيرًا، وخانني أخي الآخر، أكره الخيانة، لو كان بيدي لقتلته كما قتل ابن أخيه وخان أخاه وهو في قبره، وخانني أنا، ولن أسامحه، لن أغفر الخيانة أبدًا".
علامات الخوف ظهرت على وجه مصطفى وأكملت أسماء حديثها قائلة:
-"أنت تعرف لما غفرت لك على قصة سوزان عندما خنتني معها من أجل المال فقط، وأنت وعدتني ألا تفعل شيء مثل ذلك خارج المنزل".
-"نعم أنا وعدتك لم أفعل شيء خارج المنزل".
-"أحبك، صحيح أن ابننا محمد مات ولكن سنستفيد من مراد قبل موته، وسأنجب طفل آخر ليحمل اسمك".
-"حسنًا".
-"ومتى قال لك المحامي سنبدأ بإجراءات أخذ المال لنصبح أغنياء أصحاب المليارات؟"
-"نهاية هذا الشهر، حتى تنتهي قصة موت أختي ليلى وبعض القصص ونبدأ فورًا".
-"أفضل كلام سمعته، ولكن أريد منك السيارة نهاية هذا الأسبوع".

دفعها عنه وأجابها بصوتٍ عالٍ قائلًا:
-"وماذا عن الناس؟"
وقالت له بصوت أعلى:
-"ماذا؟ ليس لهم شأن".
-"سيقولون ماتت أخت زوجها واشترت سيارة نهاية الأسبوع".
شبكت يديها مع بعضهما، وقالت له بحدة:
-"سبحان الله، الآن خائف علي أكثر من نفسي، أصابتني القشعريرة".
وضعت يدها اليمنى على كتفه، وقالت له بهدوء:
-"والله تريدني أن أصدقك، أنا أعرفك تموت على المال وطماع وبخيل وتبيع أي شخص مقابل المال، لهذا السبب بلا أعذار نهاية الأسبوع معنى ذلك نهاية الأسبوع، مات الكلام نقطة وانتهى!"
-"حسنًا، أريد أن أخرج للرجال الآن".

*****

بينما كانت مروة موجودة مع سارة لتواسيها، وقالت لها والحزن في صوتها:
-"الله سيصبرك على فراقها يا سارة".
وضعت يدها على صدرها والدموع تنهمر بغزارة على خديها وقالت:
-"كيف أتحمل ذلك يا مروة؟ ماتت منتحرة يا ليت أنها ماتت طبيعي، لما يا أمي تركتني ورحلت؟ أمي كانت من أفضل الأمهات في الدنيا".
-"وأبوك؟ لما لا تذكرينه على الإطلاق؟"
-"بسببه أمي فعلت هذا؟ كان يستحق الموت وهي ليتها بقيت معي".

*****

أما مراد كان من شدة مرضه النفسي يتخيل نفسه دائمًا مريض وأهله يبكون عليه ويتخيل نفسه بالكفن وأنهم سيودعونه بالبكاء الشديد، كل ليلة عندما يضع رأسه على الوسادة تبدأ هذه الأشياء تأتي على باله، موته ومرضه، وتحقق كما يريد، ولكن لا يوجد أحد منهم، لهذا يقولون لا تحلم بالشيء كثيرًا كي لا تصدمك النهاية، فكان السؤال الذي يدور في ذهنه كيف ستكون نهايتي؟! لا يريد الموت وحيدًا، من شدة

خوفه ووجعه لا يريد أن يموت وحيدًا كما عاش وحيدًا، وإبراهيم خان وخلف وعده له، أن يموتا سويًا، كان كل الكلام كذب، ولا تصدق شخص يقول لك هذا الكلام، فلا يوجد أحد وفي ومخلص في هذه الحياة، الجميع في وقت الشدة تصبح لديهم عبارة لا مفر من النهاية هي المقيمة، سيرفع يديه ويرفع علم السلام ويرحل، ويقول: نفسي ثم نفسي!

*****

نسمع أحيانًا جملة تتردد كثيرًا في المسلسلات والأفلام وحياتنا العادية ويحبها الجميع وأصبحت تريند عالمي ويقلدها الجميع عنوانها الحب ولكن تفاصيلها الكذب أو المبالغة أو بالأحرى لا يوجد لها أساس من الصحة وهي ما لا نهاية، لأن النهاية الحقيقة والفعلية أنه يوجد نهاية لكل شخص، ولن تكونوا سويًا، فلا تقتنع بها أبدًا، ولا تصدق النهايات السعيدة أيضًا التي تراها مثلًا بالزواج أو العودة بعد الانتظار أو.. .أو...، ولا تنخدع بها كما يعرض لكم على التلفاز لأن النهاية الحقيقية دائمًا هي نهاية حياتك وهذه ما تسمى فعلًا بالنهاية والتي يجهلها الكثيرون وهي بالموت فلا تنتظر غير ذلك.

*****

بينما كانت قمر تقيم واجب العزاء، وجاءت لتخرج، وقالت لها أميرة:

-"شكرًا لكي على مجيئك ووقفتك معانا في هذه الظروف لم تُقصري في شيء".

قاطعتهما سمر قائلة:

-"نعم، أنا عن نفسي أحببتها جدًا".

ردت عليها أميرة بعصبية:

-"وهي لم تحبك".

ابتسمت أميرة في وجه قمر، وقالت لها:

-"نحن نمزح كثيرًا مع بعضنا، أليس كذلك يا زوجة أخي؟!"

هزت سمر رأسها، وقالت قمر:

-"لا شكر على واجب، أنا أحببت كل من في العائلة والله يصبر سارة على فراق أمها وأبيها، أشعر بشعورها في هذا الوقت، فما بالك أنا لم أرهم أبدًا، لم أعرف معنى حب

العائلة".
قالت أميرة في ذهنها:
-"لو تعرفين مراد المسكين لم يعرف شيء في حياته وعائلته موجودة وما تزال حية وبجانبه، تعذب كثيرًا هذا الولد".
وقالت لها قمر:
-"الآن يا خالتي أريد أن أذهب، خالي قاسم بالخارج، بعد أسبوع من الآن أريد أن أعزمك أنتِ وعائشة وسمر في المنزل".
-"ما المناسبة؟"
-"إنني قد شفيت من المرض بنسبة كبيرة".
-"الحمد لله يا رب".
قالت لها عائشة:
-"إن شاء الله بسلامتك".
أجابتها قمر بابتسامة:
-"الله يسلمك".
قاطعتهم أسماء آتية من داخل غرفتها ورفعت يديها:
-"أنا لن آتي!"
قالت لها قمر وبدأ الإزعاج يغطي ملامح وجهها:
-"لماذا يا خالتي أسماء؟"
حدقت إليها بحدة وقالت:
-"لست خالتك".
ردت عليها أميرة:
-"أسماء هل يمكنك إغلاق فمك قليلًا؟"
وأكملت حديثها إلى قمر:
-"لا تأخذي على كلامها يا قمر حبيبتي".
قالت أسماء:
-"لا خذي بكلامي، لن يشرفني أن آتي إلى أحد صديق مراد هذا!"

وعبست قمر والدمع أصبح على طرفي عينيها وقالت:
-"أرجوكِ أن تسمحي لي يا خالتي أميرة، والمكان تعرفونه يا نساء في منطقة سيدي فرج".
قاطعتهم عائشة قائلة:
-"أظن أن المكان بعيد قليلًا وخالي من الناس".
أجابتها قمر:
-"نعم، سنظل نحن فقط، وخالي سيقول للرجال".
قالت لها أميرة وهي مبتسمة:
-"حسنًا يا ابنتي سنأتي".
أكملت حديثها بهمس:
-"لا تأخذي على كلام تلك المجنونة، عقلها مريض".
قاطعتهما أسماء قائلة بصوتٍ عالٍ:
-"الجدران لها آذان يا أميرة".
ابتسمت أميرة في وجه قمر وقالت:
-"هل رأيتِ صديقك مراد الحلو؟"
-"نعم، قبل أن نأتي إلى هنا كنا سويًا".
-"هل هو حزين من شيء ما؟"
-"لا، لا، الأمور كلها جيدة وبخير أو ستصبح بخير".
-"الحمد لله، سنلتقي إذن قمر حبيبتي".
-"مع السلامة يا خالتي".
خرجت قمر وقالت أميرة لأسماء:
-"هل تعرفين أنني لم أرى في حياتي كلها، حياتي كلها من مرضى قابلتهم، من مختلين عقليًا، من نساء ورجال عديمي الإحساس، ولكن مثل حقارتك ونذالتك مع الفتاة لم ترى عيني قبل ذلك!"
نهضت أسماء وتلفتت حولها، وقالت:
-"هل هناك كلب ينبح هنا يا نساء؟"

والتفتت وذهبت متقدمة نحو غرفتها، وقالت أميرة:
-"حقيرة، حيوانة".

*****

وصعدت قمر في سيارة خالها قاسم، وقالت:
-"لو بمفردنا لبلعت تلك العاهرة الفاجرة".
-"من هي؟"
-"أسماء".
-"اقترب الموعد، لا تخافي الجميع سينتهون".
-"ولنأخذ حق أمي وجدي وحقي الذي ضيعه مصطفى مني، وحق أخي".
-"وماذا عن أسماء؟"
-"لا تريد المجيء، قالت لي".
-"هذه مشكلة".
-"يجب أن نجد حلًا، لا نريد أحد على قيد الحياة".
-"هذا شيء مؤكد، من الآن ارفعي يديكِ وادعي لهم واقرئي الفاتحة".
ابتسمت قمر وقالت:
-"نعم، سيأتي يوم تصفية الحسابات ويأخذ كل ذي حق حقه".
وضحكا هما الاثنان وقالا:
-"نعم، نعم، نعم".

*****

الغرفة مظلمة، والجو بارد، مستلقي على الفراش أحدق في الحائط، هناك ضوء خافت خارج من نافذة غرفتي، ونمت أتألم على نهايتي التي لم تكتمل مع قمر، كنت أتخيل أن أنجب أطفال وبالي كان في أنني لن أعَيشَهُم شيء مما رأيته، سأقدر مشاعرهم وأعطف عليهم وأحترمهم، تركوني كلهم بمفردي جدي رحل، مريم وموسى رحلا، إبراهيم رحل، والآن قمر، وأنا سأموت من هذا المرض، أشعروني عائلتي بأنني لا أُسَاوِي شيء كل مرة يحدث معي شيء، بدايةً من الاعتداء علي، ووضعي في المستشفى وعدم حضورهم لي أو حتى خروجي منها بعد محاولات طالت خمسة سنوات من عمتي أميرة، بعدما

ما اشتغلت في ذلك المتجر وبعت نفسي لصاحب المتجر كنت في الثانية عشرة لم أفهم شيء سوى إعطاء المال لأهلي فقط وحبهم، واعتراضهم عن كل شخص أعرفه مثل مريم وموسى وإبراهيم الذي هو الشخص الوحيد رأيت منه المحبة وتركني، وخطفي وبعد ذلك محاولة انتحاري والآن مرضي، وإلى أين النهاية؟ لا أحد يعرف ولا أنا أعرف! سمعت صوت أولاد في الشارع يهتفون لي بألفاظ قبيحة وبأسماء ليست جيدة من نافذة غرفتي التي تطل على الشارع وأخذوا الحجارة ورموها على النافذة كسر زجاج تلك النافذة، وكنت مستلقي على الفراش ولم أهتم لكلام أحد منهم، عائلتي هي التي دمرت شخصيتي أمام الجميع، لهذا في الحياة ما زلت لا أعرف فيها الكثير وكأنني طفل صغير جدًا بالنسبة لشخص من عمري في الثامنة عشرة، وبكيت بكيت حتى نمت.

*****

لا أرى شيئًا سوى أنني أسمع صوت البحر رائحته جميلة، فتحت عيني وجدت نفسي وسط البحر، التفت رأيت جدي، ابتسمت وفرحت من كل قلبي رأيت جدي الذي لم أره في أحلامي منذ فترة، لم أتذكر كلامه منذ فترة، اختفى فجأة، سمعت صوت شخص يناديني، التفت رأيت إبراهيم، قال لي مراد أنا مشتاق لك كثيرًا لصوتك وضحكتك وتشاجرنا، كانت الفرحة لا تسعني أريد التوجه له لأحضنه لم أستطع، رأيتهما هما الاثنين قالا لي مراد ابتعد، مراد ابتعد اهرب، اهرب، اهرب، وفتحت عيني ببطء شديد وضوء وشعاع قليل يخرج من انكسار النافذة، رأيتها جيدًا، وفكرت هل قلوب الناس المتألمة والموجعة ككسر هذه النافذة؟ أم أنه موجع أكثر، فقلت يا ليت الأحاسيس والمشاعر تتصور لكنت صورتها، وجعلت جميع من كسرني يرى مدى كبر حزني، نهضت وفتحت دفتري وكتبت:"ليست كل الكسور مؤلمة، قد تكسر نافذة لترى النور وتستنشق ذلك الهواء العليل الذي لطالما حرمت منه، لترى الشمس وهي تشرق، لتسمع العصافير والطيور وهي تغرد، لتبصر الأشياء واضحة نقية صافية، فَتَحِيَة لكل من كسر فينا روعة الحياة، لنرى حياة أروع" , صعب هذا الشعور أن تحارب الحياة بنفسك، أو الحياة تحاربك أو أن من عليها هم الذين نحاربهم، ولكن في نهاية كل حوار بينك وبين شخص يمكنه أن يكون الأخير، لن يبقى أحد، البحار والأنهار والأشجار والقصور والأموال كل شيء، الإنس سيموتون، والجن سيموتون، الملائكة سيموتون، إذا

كان الموت نفسه يموت فما بالك نحن، لا يبقى لا رئيس ولا مَلِك ولا جبابرة، لا يبقى المُلك إلا لله الواحد القهار، عندما الشخص يفكر في الحياة بهذه الزاوية سيهون عليه كل شيء في حياته، مثلي أنا الآن، ولكن عندما يختلط فكري بالحب والاهتمام من عائلتي والناس تتغير نظرتي"، وتذكرت كلام جدي لي تلك اللحظة:

-"لا تجعل همك في الدنيا حب الناس، إن أهملوك أهملهم وإن أحبوك أحبهم، كما يعاملوك عاملهم، هذا باختصار شديد!"

-"ولكن يا جدي أشعر وكأنها جمل تقال للدعم لا يُطَبِّقُهَا أحد ولا يُؤمِن بها أحد".

-"من فكر بعقله سيفعلها، ولكن من فكر بِقَلبِه لن يفعلها".

وقال مراد في ذهنه، في الوقت الحالي:

-"يا ليت يا جدي أستطيع فعل ذلك، ولكن حالتي مختلفة عن أي شخص في الحياة، وإن كنت تراني ستعرف كل شيء عني، وهذا سؤال يحيرني دائمًا، هل الميت يرى الناس الذين يعرفهم حين يبكون ويحزنون عليه؟! أنا أريد أن أرى من يبكي ويحزن علي، عمتي وأبي وأمي وإبراهيم وقمر، هل سيحزنون من أجلي؟ لا أعرف!"

*****

فنهضت وكانت الساعة الثامنة صباحًا، سمعت صوت بكاء سارة على أمها، ابتسمت وضحكت ضحكة خفيفة، كانت ضحكة تحمل الألم والوجع بتنهيدة حسرة، تمنيت ذلك البكاء على نفسي، وتخيلت بأن أهلي يبكون عليّ، لا أعرف لما؟ سوى أنني أريد هذا الحب والاهتمام فقط، ودخلت غرفة جدتي، ما تزال نائمة على حالها منذ ولادتي ولم تستيقظ، جلست على الكرسي الموجود بجانبها، وتكلمت، وقلت ببكاء غزير:

-"جدتي، أشتهي أنا كذلك النوم، أن أنام مثلك تمامًا بغيبوبة، وأن أرحل عن كل شيء، لا أريد أن أشكو، ولا أريد أن أضحك أو أبكي، أريد فقط أن أرحل عن هذا العالم أجمع، تعبت كثيرًا يا جدتي، والله تعبت كل شيء داخلي انتهك وسرقوا مني كل شيء، كل شيء تمنيت أن أعيش مثلي مثل أي شاب رجل في عمري بلا خوف بلا عقد بلا مرض بلا ضرب وإساءات، تمنيت الحب، تمنيت العائلة السعيدة، لا أريد أكثر من ذلك، يا ليت يرجع الزمن للخلف لتغيرت حياتي قليلًا، منذ أن توفي جدي وأنا وراءه بدأت بالموت حتى مرضت الآن، أريدك أنتِ معي يا جدتي أرجوك استيقظي، لا تريدين

الاستيقاظ، أليس كذلك؟"

وتحدث مراد بعصبية:

-"ها تكلمي، لا تردِي علي، لا تَرُدِي، أنتِ ظَلِي هكذا، لكي ترتاحي ابقِي هكذا، أو ستعودين لحياتك بعد أن أموت أو سنموت في نفس الليلة، لا أريد الموت بمفردي، أرجوك جدتي لا تتركيني مثل ما تركني الجميع وأبقى وحيدًا وكأنني في المستشفى لا أريد العودة لتلك الأيام".

وبعد ذلك حركت الجدة فاطمة يدها، ابتسم مراد وقال:

-"شعرتِ بألمي، شعرتِ بي يا حبيبتي لا تتركيني، لا تتركيني!"

وبعد ذلك سقط دم من أنف مراد، وشعر بالدوار، فذهب للحمام غسل وجهه وعند خروجه، تقابل مع عمته أميرة فقالت له:

-"صباح الخيرات حبيبي".

-"صباح النور عمتي".

-"ما بك؟"

-"لا شيء، صداع خفيف فقط".

-"حسنًا لنفطر ونذهب بعد قليل للمستشفى".

خرج مصطفى من غرفته يتسلل ليتحدث بالهاتف، فقالت له أميرة:

-"أين يا طير؟"

-"ليس من شأنك!"

*****

وخرج مصطفى للحديقة، وكان المتصل قاسم، فقال له:

-"أين أنت يا قابض الأرواح؟"

رد عليه مصطفى بعصبية:

-"اصمت، سآتي إليك الآن وأقبض روحك".

-"بلا صراخ ليس له فائدة".

-"ماذا تريد؟"

-"قمر تريد أن تؤكد على مجيئكم نهاية الأسبوع".

-"لا تفكر في شيء، أليس كذلك؟"
-"لا، لو أريد فعل شيء سأجلب كل العائلة، وأسبب حالة نفسية لقمر أبدًا، وقمر تعرف أن أباها وأمه ميتان في حادث سيارة، وهي لا تعرف أن أباها أمامها وقاتل أمها، غريب أليس كذلك؟ تصبح القاتل والأب في نفس الوقت!"
-"الآن اصمت وبلا كلام فارغ".
-"ستأتون يوم الخميس".
-"نعم سنأتي".
ودخل مصطفى بعد أن أنهى المكالمة وقال لمراد:
-"لا تقل لي أنك تنوِي أن تبقى هنا دائمًا".
وردت عليه أميرة:
-"لا، ولكن أنت ما موقعك؟"
أشار بيده إلى نفسه، وقال لها:
-"أنا أبُوهُ!"
ابتسم مراد ابتسامة وجع، وضحكت أميرة وقالت:
-"أبُوهُ، لا والله صدقتك، والدليل أنك ستشتري سيارة للمختلة الموجودة بالداخل".
وقاطعتهم أسماء ودخلت عليهم وهي تضحك:
-"من الناس الذين يَغَارُون مني والحسد في عيونهم؟!"
نهضت أميرة وتقدمت نحوها ونظرت فيها من الأعلى إلى الأسفل، وأشارت بإصبعها عليها قائلة:
-"أنا أغار منك، هذا في أي حلم رأيته وقت النوم؟"
حدقت إليها بحدة وقالت:
-"في حلم رأيتك فيه تموتين!"
رفعت أميرة يدها لتضربها على وجهها، فمسك مصطفى يدها، وقال بصوتٍ عالٍ:
-"أميرة، لا".
-"تدافع عنها أمام أختك، أسَمِعتَ ماذا قالت؟"
-"أميرة أنتِ لا تزالين مُتعبَة من وفاة ليلى".

-"سأحترم ليلى فقط وهي في قبرها".
قاطعتهما أسماء قائلة ببرود أعصاب:
-"حبيبتي أميرة، كنت أقصد أنك تموتين من شدة الغيرة، ليس الموت الذي في بالك".
وقالت في ذهنها:
-"يا ليتك تموتين وتلحقين أختك".
استلقت أميرة على الفراش، وقالت:
-"أشعر وكأنني مُتعبَة للغاية وقصص كثيرة في رأسي ومضى أسبوع على وفاة ليلى ولا أستطيع استيعاب ذلك ولا الطريقة التي ماتت فيها".
قال لها مصطفى:
-"هذا حال الدنيا!"
حدقت إليه وابتسمت وقالت له:
-"ممتاز أنك تعرف أنك ستموت يومًا ما".
-"ولكن إلى متى مراد موجود هنا؟!"
-"أسبوع آخر، بعد اليوم الذي سنذهب فيه لقمر".
-"من الأفضل أن يذهب سريعًا".
وقال مصطفى إلى أسماء:
-"وأنتِ حبيبتي أسماء بعد الإفطار سنذهب لنأتي بسيارتك الجديدة".
وأجابته أسماء قائلة:
-"وأخيرًا سيكون لدي سيارة".
نهضت أميرة والصدمة على وجهها:
-"لديك أموال لشراء سيارة لهذِهِ! ولكن لابنك لا يوجد".
وردت عليها أسماء بصوتٍ عالٍ وحاد:
-"هذه لديها اسم!"
وأجابتها أميرة قائلة:
-"أطلب منك السماح مثلًا؟!"
وقاطعهما مصطفى وقال:

-"هذه بالديون فقط يا أختي، وأنتِ تعرفين أنها تتمنى أن تشتريها منذ زمن".
وقالت لها أميرة بغضب وحقد:
-"إن شاء الله لا تَرتَاحِ فيها".
وقالت أسماء وهي تشير بيديها لمراد:
-"أنا لو لدي جنيه واحد لن أعطيه لِهَذَا مراد، أتمنى أن أموت في سيارتي ولا أدفع له شيء".
وقالت أميرة:
-"إن شاء الله تموتين فيها، لأنك ستعذبين هذا الطفل من أجل راحتك".
وضعت أسماء يدها على كتف مصطفى وقالت له وهي تحدق في أميرة بحدة:
-"حبيبي أريد الذهاب الآن لِنَجلِب سيارتي!"
فخرجت أسماء ومصطفى، وكان مراد كل كلمة يسمعها تدخل لقلبه كسكين ولا أحد يشعر به، ويبتسم لأنه لا يريد أن يكون ضعيف أمامهم ويحاول المقاومة، كان هذا أصعب انكسار ووجع يعيشه أي شخص أن تبتسم لكلام أحد وهو في الداخل نيران تحترق لتنهي قلبك وروحك.

*****

وذهبت للمستشفى مع عمتي، وقمر لم تكن موجودة وأحاول الابتعاد عنها بعد آخر لقاء بيننا، ولم أتصل بها وهي لم تتصل بي، وعندما رجعنا اشترت لي عمتي الفراولة لأنني أحبها هي والخوخ، وحين رجوعنا ووصلنا أمام المنزل كانت أمي آتية بالسيارة، فرحت لها لأنني وجدتها مبتسمة، وخَرَجَت لها مروة ومرام وحضنتهما وضحكا لها، أحيانًا هذا المشهد يحزن أي شخص كان حتى ولو أمه تحبه وفعلت ذلك بدون قصد، هنا الفرق بيني وبين الباقي، أهذا حظ؟ أم نصيب؟ أم قدر؟ أم مكتوب؟ أم صدفة؟ أو هناك سبب؟ أنا لا أعرف!

*****

وجاء الجميع في الصالة ويشاهدون التلفاز، وأميرة على هاتفها تشاهد آخر الأخبار، وقالت:
-"هناك أطفال كثر يغتصبون كل يوم، ويحدث ذلك بين الأولاد أيضًا، لدينا هنا في ليبيا

ومصر والمغرب والجزائر وتونس، والفساد عم الدنيا!"
وقالت لها عائشة:
-"هذه كوارث كبرى، يا رب يستر على أطفالنا!"
-"وهناك من يتحرش بابنة أخيه، ومن يغتصبها وهناك من يقتلها، ومشاكل مثل ما حدث مع رتاج وأسوأ بطرق بشعة، منها في مصر من قَتَلَتهُ بالسَاطُور وقطعته هي وصديقتها!"
وقاطعتهما سمر قائلة:
-"يا الله، ولكن هذا من يدخل في الشيء الخاطئ من البداية".
وقالت لها أميرة:
-"ولكن هذا يرجع لنفسية الفتاة أو الفتى والأهل".
-"معك حق في هذا!"
-"وهناك دكتور يقتل مرضاه بإبر".
-"هل أنتِ تفعلين هذا؟"
حدقت فيها أميرة بحدة، فقالت لها سمر:
-"أنا آسفة، أمزح فقط".
-"مثل فَجر ليبيا أو الردع كانت تستخدم إبر سامة لقتل الشباب وعلى أساس أنهم ماتوا إثر الجروح".
وأسماء لم تترك هاتفها من صديقاتها اللواتِي يُبَاركن لها على السيارة الجديدة.
ودخلت مروة وسارة وقالت لهما أميرة:
-"أين كُنتُن يا حلوات؟"
ردت عليها سارة:
-"كُنَا هنا يا خالتي".
-"حسنًا، هل رأيت أخاكِ سليم؟"
-"ذهب لمنزل صديقه بالأمس للمبيت لديه".
-"حسنًا، سأتصل به غدًا لأننا سنذهب للمستشفى ويعالج، وأنتِ كيف حالك؟"
-"أذهب للمسجد دائمًا، سأختم القرآن قريبًا".

-"الله يوفقك يا رب، وأنتِ ما بك يا مروة؟"
ردت عليها مروة قائلة:
-"لا شيء، أريد العصير الذي يُحَضر فيه مراد، كان سعيدًا جدًا".
ابتسمت أميرة وقالت:
-"الحمد لله، اجعليه يفعل ما يحلو له".
-"نعم، وأنا كذلك أريد أن أعوضه عن كل شيء فعلته معه".
دخل مراد بالعصير وأعطى الجميع، وقال:
-"صحة وهَنَا".
ردت عليه أميرة:
-"الله يسلمك يا روحي".
وقالت له مروة:
-"شكرًا أخي، لذيذ جدًا".
وأكملت أسماء العصير وقالت:
-"مثل وجهه مقزز، تعال وخذ الكوب".
فرح مراد بتحدث أمه معه، وتقدم ليأخذ الكوب منها فأسقطت أسماء الكوب عمدًا، وقالت:
-"لما أسقطتها يا حيوان؟ لما؟"
نهضت أميرة قائلة:
-"أنتِ الحيوانة والحقيرة، أتعرفين شيئًا أنتِ لا تستحقين إلا الضرب".
فبدأت تضربها وتمسك شعرها، وعائشة وسمر والفتيات يحاولن إبعاد أميرة عنها، حتى انتهي الموضوع ودخل الكل لغرفته.
*****
بينما القاسم وقمر كانا يتحدثان على ما يريدون فعله، فقال قاسم:
-"لقد اقترب اليوم الموعود".
-"سيذوقون الحساب العسير".
-"ونار جهنم وهذا جزاء الكافرين".

حدقت إلى خالها بغرابة، وقالت له:
-"خالي أتشعر وكأننا نُبَالِغ قليلًا، هم سيعاقبون عند الله لاحقًا، الآن دور عقابنا!"
-"حسنًا الدفاتر الخاصة بالطيارة جاهزة، هم سيأتون على الغداء ونحن على المغرب سنكون في السماء نحلق".
-"وهل نتركهم هنا بعد قَتلَهُم؟"
-"نعم هنا المنطقة خالية والمنزل ليس مكتوبٌ باسمي فلا داعِ للخوف، ستأتي الشرطة بعد فترة طويلة وستكون جُثَثَهُم متحللة!"
رن هاتف قاسم، قالت له قمر:
-"من هذا يا خالي؟"
ارتبك وقال لها بتردد:
-"إنه صديق لي، سأذهب للخارج لأكلمه وأرجع".
-"حسنًا".
وخرج في الحديقة، وكان المتصل رضوان، فقال له قاسم:
-"أين أنت يا رضوان؟ اتصلت بك آخر مرة وقلت لك أريد العودة معكم كي أجلب لكم العديد من الأطفال والنساء من الخارج".
-"وماذا عن ابنة أختك؟"
-"أنا أريد أن أتركها هنا لِتَلبَس هي بالتهمة وأنا لن يعرفوا شيء عني ولن أعود إلى هنا".
-"حسنًا، ستعود لقد تواصلت مع القائد الأعلى وقال سَيعُود لنا، منذُ القدم كان السبب هو مصطفى بإبعادك".
-"وأنا أريده أن يموت كما فعل لي ذلك سابقًا".
-"وستصبح أنت مساعد القائد الأول والرئيس الأعلى!"
-"هذه هي الأخبار المفرحة!"
-"وماذا عن ابنة أختك؟"
-"أتذكر أنك سألت نفس السؤال؟ ليس لي شأن بها، هي تريد الانتقام لأمها وجَدِهَا والكلام الفارغ، أنا فقط أريد حقي من مصطفى وأصبح معكم والمال يصبح لدي كُلَمَا

التَفَت".

-"حسنًا، معنى ذلك أنك ستصبح من الأوائل لدينا".

*****

وتوالت الأيام وأصبحت أميرة تبحث عن سليم في كل مكان وعند أصدقائه والجميع ولم تجده، فقالت:

-"مصطفى، مصطفى، ابن أختك مفقود؟"

-"معنى ذلك أنني القاتل!"

-"ماذا تقول يا مريض؟"

-"مثل ما حصل مع عبد الله".

-"ليس هكذا، بل سليم ليس بعقله من الشرب والمخدرات والحقن".

قطاعها قائلًا:

-"بعد ليلة الغد".

-"لماذا؟"

-"ذاهبون إلى قمر غدًا".

-"وابن أختك؟!"

رفع حاجبيه، وردد وقال لها:

-"بعد الغد".

حدقت إليه بحقارة واستفزاز وقالت:

-"حقير!"

-"أنا لست كلب لأجري وراء كل شخص يغيب عنك".

-"من الأفضل أن أذهب لابنتك مروة فهي مريضة".

*****

دخلت أميرة على مروة، فقالت لها:

-"كيف حالك يا مروة؟"

وكانت تعطس كثيرًا وصوتها ليس واضح، وقالت:

-"أشعر بالدوار والإسهال الدائم وحرارتي مرتفعة".

-"ماذا أكلتِ؟"
-"أظن أنني تعبت من بعد ما أكلت الفراولة الواضح، إنها ليست جيدة أو أنني لدى حساسية منها".
-"هل أخذت الحبوب والدواء؟"
-"نعم أخذتها".
-"معنى ذلك أنك لن تذهبي معهم لقمر؟"
-"لا لن أذهب سأظل هنا، سأتحدث معها على الهاتف".
-"وأمك المُتَخَلِفَة صاحبة السيارة؟"
-"هي أيضًا من يوم وفاة عمتي ليلى قالت لها لن تذهب وستظل معي لن تتركني مريضة".
-"لا تقولي هذا الكلام لمراد نفسيته ستدمر، هو مريض ولا يوجد أحد معه، وأنتِ أمك ستظل معك".
-"حسنًا لن أقول له شيء".
ودخل عليهم مراد وقال:
-"كيف حال القمر اليوم؟"
ردت عليه أميرة:
-"مراد، أين أنت؟"
-"لقد أوصَلت سارة للمسجد، وسألت عدة أشخاص على سليم".
-"وهل عرفت شيئًا؟"
أجاب مراد والخيبة على وجهه:
-"لا، لم أعرف شيئًا".
-"يا رب تُسَاعدنِي، يا رب".
وقالت له مروة:
-"أين الحليب يا مراد؟ لقد نَسيتَنِي من عقلك".
فرك مراد رأسه وقال بأسف:
-"لقد تذكرت الآن سأجلبه وآتي".

وقالت أميرة لمروة:
-"هل قالت لكِ سارة تريد الذهاب لقمر؟"
-"لا تريد، تعرفينها كل ليلة في المسجد ولا تختلط بالرجل قاسم في مكان واحد!"
-"وهكذا أحسن وأفضل شيء لها".
-"وأنتِ يا عمتي، أتريدين الذهاب؟"
-"لدي موضوع مهم مع الدكتورة سلوى، وأخيرًا تحصلت اليوم على ما أريده لأكشف كل شيء وبعد ذلك سآتي".
-"أي موضوع! وما هو ما تريدين أن تعرفيه؟"
-"سيعرف الجميع غدًا".
ودخل مراد والابتسامة على وجهه، وقال:
-"هذا أفضل حليب لأجمل فتاة على وجه الكرة الأرضية!"
ردت عليه مروة:
-"اصمت يا كاذب".
-"أظن يا عمتي أنها تشبه وعلى ما أعتقد هيفاء وهبي".
ردت عليه أميرة:
-"لا، لا أظن، إن فيها القليل من نانسي عجرم".
عبست مروة وقالت:
-"تمزحان معي، ولكنه شيء ثقيل جدًا لا يوجد شيء يضحك".
رد مراد قائلًا بحزن:
-"كنت أريدك أن تضحكي فقط".
والتفت مراد وخرج من الغرفة وذهب لغرفته، وقالت لها أميرة:
-"لماذا هكذا؟ الآن سيحزن!"
-"أترين كيف يمزح؟ وأعرف أنني بشعة ولا ينظر إلي أحد".
-"لا تقولي هذا الكلام، أنتِ جميلة، أنتِ يجب أن تحبي نفسك كي تحبي شكلك ويحبك الناس".
-"إذا كان قلبي نظيف ولكن مظهري ليس جميل، أحيانًا أتمنى جمال مراد وذكائه".

-"وهذا الشيء خاطئ، لا تقارني نفسك بأحد، كوني أنتِ لا أحد غيرك، قلبك صافٍ لا يهم الشكل الخارجي، أفهمتني؟"
-"فهمت!"
-"وابتسمي قليلًا، ليعود جمال مايا دياب".
اتسعت عيناها، وقالت لها:
-"عمتي!"
وضعت أميرة يدها على فمها، وقالت:
-"ماذا قلت لكِ؟ حسنًا سأصمت".
*****

وفي اليوم التالي.
أشعر بصداع أليم في رأسي، وجسدي متعب، وعيناي مرهقتان ذابلتان، والخوف والألم يملأن قلبي، جاءت في بالي هذه الآية،"ولسوف يعطيك ربك فترضى"، لن أنكر الأشياء التي أعطاها لي الله من محبة المعلمين ونجاحي في دراستي ومظهري حتى لو كان يسبب المشاكل دائمًا، ولكن طفل كان في سني يتعرض للاغتصاب والاعتداء عليه ويرمونه أهله خمس سنوات خوفًا من كلام الناس، لن يتحمل شخص الإساءة وكل ما حصل لي معهم، ومع ذلك أفرح وأصبح كأنني ملكت الدنيا بعد أن يُنَادُونِي حتى وإن كانت ستنقلب الأوضاع عكسيًا لي، ولكن الحمد لله بدايةً ونهاية.
*****

دخلت أميرة على مراد وقالت له:
-"صباح الخير، اليوم لدينا أشغال كثيرة".
-"أشعر أنني مريض قليلًا".
-"مراد اسمعني، لقد سئمت من هذه القصة، تعبت، لا أبوك ولا أمك فعلا شيء، الليلة بعد أن يرجعوا سنقول إنك تعافيت وانتهى كل شيء".
أجابها مراد بصوتٍ عالٍ:
-"لا، لا".
وصمت قليلًا، وبدأت الدموع تنهمر من عينيه وقال:

-"لا، لن ينتهي شيء يا عمتي، أنا متأكد أنهم سيهتمون بي".
ابتسمت أميرة وقالت له وكلها حسرة وألم:
-"سيهتمون!"
بقي مراد ينظر للجدار في صمت والدموع تسيل دون صوت البكاء، ويقول:
-"سيحبونني ويهتمون، ويخافون علي، سيهتمون وسيحبونني".
وضعت أميرة يدها على وجهه، وقالت له والدموع على خديها:
-"مراد، مراد، مراد، حبيبي لا تفعل هذا في نفسك".
حدق فيها مراد بثبات وغرابة وصدمة، وقال:
-"هم يحبونني يا عمتي، جاء أبي بالأمس وخرجنا سويًا، وأمي جاءت ونامت بجانبي، كل ذلك ولا يحبونني!"
وضعت أميرة يدها على فمها وبكت، وأكمل مراد حديثه:
-"أبي عندما خرجت من المستشفى لقد أقام لي عيد ميلاد كبير جدًا، وهم لم يضربوني يومًا هم يحبونني يا عمتي أتسمعينني؟"
رفع أصبعه للأعلى وحركه يمينًا ويسارًا وضحك وقال لها:
-"لا، لا، يا عمتي تذكرت أنا لهم كل شيء في الدنيا"، وابتسم وقال:"أخوتي كلهم يغارون مني لأنني الأول لهم".
وضحك مراد بوجع وألم وحسرة، وأصبح يردد:
-"إنهم يحبونني، وسأذهب أعالج في المستشفى مع أبي، سأذهب مع أبي، أمي تحبني، أبي يحبني!"
واستلقى على فراشه، وظل يردد هذا الكلام.
*****

وكان الجميع على طاولة الإفطار.
قال أمير:
-"أنا ذاهب الآن".
ردت عليه سمر قائلة:
-"إلى أين؟"

-"هنا قريبًا".
-"ألا تريد المجيء إلى الغداء عند قمر؟"
-"إن وجدت وقت فارغ سآتي لكم".
-"وأنا مع من سأذهب؟"
-"أخي أنور، خُذ سمر معكم".
قاطعه أنور:
-"حسنًا يا أخي!"
وقالت عائشة في صمت شديد:
-"يا ربي، تريد أن تُزَاحِمَنَا في السيارة فقط".
وقالت سمر لأمير:
-"انتبه لنفسك يا قلبي! أحبك يا عمري".
وقاطعتهم أسماء قائلة:
-"أنا لن أذهب معكم، سأظل مع ابنتي مروة".
وصمتت قليلًا، وبدأت تصرخ:
-"أين مفاتيح سيارتي؟ أين مفاتيح سيارتي؟"
رد عليها مصطفى بهدوء شديد:
-"روحي، ها هي مفاتيح سيارتك بِجَانبك على الطاولة".
نزلت أميرة مسرعة وتقول:
-"ماذا هناك؟ ماذا هناك؟"
رد عليها مصطفى:
-"تبحث عن مفاتيح سيارتها".
اتسعت عينا أميرة وابتسمت وحدقت بحدة وقالت:
-"تبحث عن الغالية، أو..."
صمتت قليلًا، وأكملت حديثها:
-"التي ستموتين فيها".
قاطعتها أسماء:

-"هذا شيء لي وحدي".
ردت عليها أميرة باستهزاء:
-"هذا شيء لي وحدي؟! متى آخر مرة قمت بقيادتها، أظن أنها منذ أن اشتريتها مرة واحدة، لأنك طماعة".
-"هذا ليس من شأنك، أنا ذاهبة لابنتي في الأعلى".
*****

صعدت أسماء للأعلى، وقالت أميرة لأنور:
-"أخي أنور، تُريدُونَ الذهاب الآن؟"
-"نعم يا أختي، الطريق مزدحمة وتعرفين البيت في منطقة سيدي فرج بالداخل خالية ولكن الأجواء رائعة هناك".
-"حسنًا الله يوصلكم سالمين".
-"وهل أنتِ كذلك آتية؟"
-"بعد أن أذهب أنا ومراد سنأتي إليكم".
*****

وذهب الجميع عائشة وسمر وأنور سويًا، ومصطفى ذهب للدكتور شادي كي يتكلم معه بخصوص العمليات والمهام القادمة، وأسماء ظلت في المنزل مع مروة، وسارة ذهبت للمسجد، ماذا سيحدث مع كل شخص؟ القادم سيكون صادم للجميع!
*****

بينما كانت قمر تنتظر هذا اليوم بفارغ الصبر، فقالت لخالها القاسم:
-"خالي سينتهي كل شيء اليوم".
-"سينتهي، وهل أحضرتِ الطعام لهم؟"
-"نعم، واتصلت بالمرأة التي تطبخ وطبخت".
ابتسم قاسم ابتسامة عريضة وقال:
-"ممتاز".
دق الباب.
قال القاسم:

-"صوت الباب يُطرق".
حدقت قمر نحو الباب بحدة وشراسة والشر ينبع من داخلها وهي مبتسمة قالت:
-"سأفتح باب جهنم عليهم".
وفتحت قمر الباب وقالت:
-"أهلًا وسهلًا بكم جميعًا".
أجاب أنور وعائشة وسمر:
-"أهلًا بك".
-"تفضلوا، تفضلوا خالي على الطاولة اجلسوا هناك".
دخلوا وجلسوا وقدمت لهم القهوة، فقالت عائشة:
-"تعرفون أن مروة مريضة لهذا السبب لم تأتِ، وأسماء معها، أما أمير سيأتي قريبًا، ومصطفى أيضًا".
ورد القاسم:
-"ونحن في انتظارهما".
وقالت قمر:
-"وأين أطفالك؟ ما أسمائهم؟"
أجابت عائشة:
-"سند وسندس، ذهبنا بهما للملاهي، وتركناهما مع ابنة عمهما مروة في المنزل نائمين، لا يُحبَان الاجتماعات العائلية كثيرًا".
-"حسنًا، كنت أريد أن أراهم فقط".
-"حسنًا، ونحن راجعون سأقول لهما ذلك!"
فقالت قمر بصمت شديد:
-"إلى الله راجعون، هذا شيء لا يختلف فيه اثنان".
قاطعتها سمر:
-"ماذا قلت قمر حبيبتي؟"
-"لا شيء يا سمر يا روحي".
-"يعجبني أن أسماءنا مكونة من ثلاثة حروف، وتختلف في أول حرف".

-"نعم هذا شيء جميل!"

وظل أنور وقاسم يتحدثان، والنساء سويًا.

*****

وذهبت أميرة ومراد إلى الدكتورة سلوى بعد أن حصلت على الدواء والإبر التي يَعطُوها لأمها، ودخلت للصيدلية وقالت:

-"أهلًا حبيبتي سلوى".

-"أهلًا بك، ألم أقل لكِ أن تأتي سريعًا، عندما تحصلين عليها؟!"

-"عندما حصلت عليها توفيت أختي ليلى في نفس الساعة، وبعد ذلك ضاع مني حتى وجده مراد تحت كرسي السيارة".

-"أعطيها لي".

وبدأت علامات الصدمة تظهر على الدكتورة سلوى، وبصوتٍ عالٍ، قالت:

-"منذ متى وتأخذ في هذا الدواء والإبر؟!"

-"منذ أن دخلت في الغيبوبة! ماذا؟ ماذا هناك؟ لا تخفينني!"

وضعت الدكتورة سلوى يدها على جبينها، وقالت لها:

-"ماذا؟! ماذا تقولين؟"

-"لما، ماذا هناك في الدواء؟"

-"هذا الدواء يجعلها تغرق في النوم أكثر بكثير".

فتذكرت أميرة كلام مصطفى عندما قال لها إنه لا يريد تغير الدكتور شادي، وعندما دخلت عليه في المطبخ وهو يتصل به وارتبك، والدكتور الشادي الذي لم يعطها اسم الدواء وظل رافضًا، وعندما دخلت عليهما في المكتب وشعرت أنهما خافا كثيرًا، دخلت أميرة في حالة هستيريا، وقالت:

-"يا الله، يا الله، أنا كنت غبية، كان كل شيء أمامي ولم أنتبه، كانا يخدعَانَنِي طوال الوقت، أمي لها أعوام كثيرة ولم تستيقظ بسببهما هما الاثنين، يا الله، لقد عميت وثقت فيه، الدكتور شادي صديقي وأنا وهو مثل الأخوة، أنا ذاهبة يا سلوى يجب أن يأخذا جزائهما".

وظلت الدكتورة سلوى تناديها ولكن أميرة كانت تلك اللحظة لا ترى شيئًا أمامها.

وخرجت أميرة مسرعة وصعدت السيارة، وقال لها مراد:
-"ماذا هناك يا عمتي؟"
-"مراد، مراد، هم من فعلوا ذلك! هم!"
-"من؟"
-"أبوك وشادي، يعطيان الدواء لأمي كي تنام، كيف هانت عليه أمه هذا النذل!"
واتصلت أميرة بشادي ولم يرد عليها، واتصلت بمصطفى أخرج هاتفه من جيبه ورأي اسمها وأعاده إلى جيبه، ففتحت سماعة الهاتف، فأجابت أميرة:
-"يا نذل، يا حقير تفعل هذا في أمك، ماذا فعلت لك؟"
ولم يجيب وكان قد فتح سماعة الهاتف عن طريق الخطأ، وقالت:
-"ألو؟ ألو؟"
وظلت تسمع كلامهم، ومصطفى يقول:
-"يجب أن تأتي غدًا، لدينا بضاعة جديدة وكبد جديدة".
ويرد الدكتور شادي:
-"حسنًا، متى؟"
-"الساعة الثانية عشرة منتصف الليل".
-"وأريد أن أقول لك شيء".
-"ما المشكلة؟"
-"أميرة؟"
-"ماذا بها؟"
-"كل يوم تسأل وتريد الدواء، تظن أنه السبب في حالة أمها".
-"ومن قال لها هذا الكلام؟"
-"دكتورة اسمها سلوى صديقاتنا سابقًا".
-"يجب أن نتخلص منها على الفور".
-"أفعل ما يحلو لك، أو تخلص من أمك نهائيًا، إن كنت خائف من أن تستيقظ وتخبر الجميع بكل شيء عن مراد وأنت لا تخرج بشيء".
-"لا، لا أريد".

-"لماذا؟، فعلتها سابقًا مع أبيك".
-"هذا أبي وكان بسبعة أرواح لا يموت، فكان يجب أن نتخلص منه، لكن أمي تظل هكذا حتى تموت أفضل".
والدموع تتقاطر من أميرة بعد سماع هذا الكلام الصادم، والذي لم تتوقعه، وسقط الهاتف من يدها، وقال لها مراد بخوف وفزع:
-"ماذا حصل يا عمتي؟"
-"ذاهبة للقتل!"
-"ماذا، ماذا تقولين؟"
وأسرعت بالسيارة ذاهبة للمستشفى لترى مصطفى والدكتور شادي.
حيث مصطفى يقول لشادي:
-"موعدنا غدًا، حسنًا؟"
-"حسنًا".
-"وإياك أن تعطي اسم الدواء لها، أو أعطي لها دواء آخر مفيد واجعلها تسأل عنه في المريخ حتى، لن تعرف شيء".
-"وهذا ما سأفعله عندما تأتي إلى هنا".
-"هل هي آتية الآن؟"
-"نعم، جاءت هي ومراد بالأمس، واتفقنا على اليوم".
-"حسنًا أخبرني بما يجري، أنا ذاهب الآن لحضور غداء".
-"حسنًا، سأتصل بك وأخبرك".

*****

وخرج مصطفى من المستشفى وصعد سيارته وذهب، وفي ذلك الحين وصلت أميرة وخرجت من سيارتها، وقالت لمراد:
-"اذهب أنت الآن، لا يصح ستتأخر على قمر، خُذ هذا المال واذهب بسيارة أجرة، تعرف الطريق، أليس كذلك؟"
وأجابها مراد وكان خائف:
-"نعم أعرفها، انتبهي أنتِ فقط على نفسك".

-"عندما أصعد سأكون بأفضل حالاتي".
وذهب مراد في سيارة أجرة إلى قمر، وصعدت أميرة للأعلى فقالت للسكرتيرة رهف بصوتٍ عالٍ:
-"أين شادي؟"
-"ليس موجود بالمكتب".
قالت لها أميرة بغضب:
-"أنا اتصلت به وقال إنه في المكتب".
ارتعبت السكرتيرة رهف وأجابتها بتردد:
-"هو...هو..."
وقالت لها بصوتٍ عالٍ وعصبية حادة:
-"أين هو؟"
-"هو في المكتب الموجود أعلى المستشفى، وليس هذا!"
صعدت أميرة مسرعة، ودخلت مكتبه وأقفلته بالمفاتيح، ونهض شادي من الكرسي، وقال:
-"ماذا هناك؟"
-"أنا التي أقول ماذا هناك؟"
وصمتت قليلًا، وأصبحت تبكي وأشارت بإصبعها عليه، وقالت:
-"وعندما قلت لي بلسانك حين موت أبي لقد ذهب من أيدينا يا أميرة وأنت من قتلته بيدك!"
-"ماذا تقولين؟"
-"أنا سمعت كل شيء والدواء سرقته من هنا وكان هو الذي يجعلها تنام، واتصلت بمصطفى وسمعت كل شيء على الهاتف ولدي تسجيل لكما وسأعطيه الآن للشرطة وستتعفن في السجن، ستظل طوال عمرك هناك، ولكن سأقتلك كما قتلت أبي".
تقدمت نحوه ووضعت يديها على رقبته وبدأت تضغط عليها فصفعها على وجهه ومسكها من شعره ووضع يده على رقبتها وبدأت تصرخ وتقول:
-"يا ناس، يا ناس، اتركني يا نذل، يا حقير!"

رمها على الأرض وجاء وجلس فوقها ووضع يديها تحت رجليه وأغلق بيده على فمها واليد الأخرى أخرج من جيب القميص إبرة مخدر كي تفقد الوعي، وغرسها لها في رقبتها، وبعد ثوانٍ قليلة فقدت وعيها، ففتح الباب وينادي:

-"رهف، رهف تعالي، أميرة فقدت الوعي".

وضعا أميرة على السرير، وقال الدكتور شادي للمساعدة:

-"كل عشر دقائق أعطي لها هذه الإبرة، لن يشكك أحد في الأمر موجود فيها بعض الفيتامينات وصوديوم البينتوثال الذي يسبب فقد الوعي ويدخلها في غيبوبة، وكلوريد البوتاسيوم الذي يؤدي إلى توقف القلب، وبروميد البانكورونيوم لإيقاف التنفس ونتخلص منها".

-"وسنكتب في تقرير الوفاة أنها ماتت بسكتة قلبية".

-"يعجبني أنكِ تفهمينني من نظرة!"

ابتسمت وقالت له:

-"تربيتك".

-"معنى ذلك تحركي الآن".

وبدأت المساعدة رهف تعطي لها هذه الإبر وتخرج من الغرفة، وبعد دقائق قليلة توقف قلبها ولم تعد تتنفس، وماتت أميرة.

*****

وكانت أسماء في منزلها تصرخ وتنادي:

-"أين مفتاح سيارتي؟ مروة أين مفتاح سيارتي؟"

ومروة مريضة جدًا، وتعطس وقالت لها ببطء شديد:

-"أمي، لقد دخلتِ به إلى غرفتك آخر مرة".

-"لا إله إلا الله، دائمًا يضيع مني، الجميع يحسدونني عليها".

ودخلت أسماء تبحث عنها في غرفتها على الطاولة والمكتب وفتحت الدولاب ورأته في الأعلى وكان موجود تحت المفتاح ورقة، قالت:

-"ما هذه الورقة؟ لنرى ما فيها".

وفتحت أسماء الورقة وكانت هي ورقة تحليل dna الذي يبحث عنه مصطفى وسمر،

بدأت الدموع تتساقط من عينيها في صمت، وقالت:
-"الخَائِن، الخَوَنَة!"
وبدأت تبكي، وتقول:
-"قال لي لن أفعل شيء مرة أخرى، المرة السابقة من أجل المال والآن من أجل ماذا؟ ومع من؟ مع زوجة أخيه، أنا كنت غبية وهو الذكي، قلت له لن تفعل شيء خارج المنزل ولم يفعل، ولكنه فعل ذلك داخل المنزل!"
وصرخت بعصبيةَ:
-الخَائِن ,الخَائِن!"
ونظرت في الورقة مرة أخرى وبكت، قائلة:
-"نتيجة التحليل لتحديد الأبوة بين سمر عز الدين ومصطفى مراد هي تسعة وتسعين في المائة، يا الله، يا الله، كيف فعل بي هذا!"
وصمتت قليلًا، وأخذت هاتفها لتتصل به، وقالت:
-"سَيَدفع الثَمن، سَيَدفعُون الثمن جميعًا، الرقم خارج التغطية".
وصرخت بغضب:
-"حقير! حقيرة! أنا الغبية، كل شيء أمام عيني ولم أرى شيء".
ودخلت لغرفة مروة وقالت لها:
-"مروة أنا ذاهبة قليلًا وسأرجع".
-"إلى أين يا أمي؟ ولما تصرخين؟"
-"لا شيء يا حبيبتي".
-"أمي جسمي نار والجو ساخن".
-"لديكِ حرارة عالية فقط، خذي الدواء فقط ولا تفتحي الباب لأحد".
-"حسنًا يا أمي، ولكن هل أنتِ بخير؟"
-"سَيَتَألمُون كما تَألمت!"
والتفت أسماء وخرجت مسرعة من المنزل وشغلت سيارتها وانطلقت لهم، تتصل بهم والجميع خارج التغطية، وظلت تصرخ طوال الطريق وتبكي وتحدق في الورقة كل دقيقة، وتقول:

-"الخَوَنَة، الخَائِن الحقير، كيف فعلا ذلك؟ وخَدَعُونَا جميعًا!!"
أصيبت بحالة هستيريا، ووصلت إلى منطقة الهواري وكان هناك مفترق وتريد أن تبطئ من السرعة الجنونية، والسيارة لم تتوقف وتضغط على الفرامل ولم تتغير السرعة، حتى انحرفت سيارتها عن الطريق وانقلبت بها رأسًا على عقب، وجاءوا الناس على الطريق وجلبوا الشرطة والإسعاف، وقال الشرطي لأحد الأشخاص الموجودين هناك:
-"هل تعرفها؟"
-"لا، يا حضرة الشرطي لقد رأيت الحادث أمام عيني، هي كانت تجري بسرعة كبيرة وانقلبت عدة مرات والحادث مروع جدًا حقًا، أتمنى أن تكون ما تزال حية".
وجاء مساعد الشرطي وقال:
-"سيدي، هاتفها لم يعد يشتغل حتى نتصل بأحد من عائلتها، ولكن وجدنا هذه الورقة".
أخذ منه الورقة وقال:
-"مصطفى مراد وسمر عز الدين، يجب أن نبحث عن هذين، هما سيوصلاننا لأهلها أو هما من أهلها، وافحصوا السيارة قد يكون الحادث بفعل فاعل أو قضاء وقدر!"
وجاء الدكتور، وقال للشرطي:
-"للأسف هي ميتة، سنأخذها الآن للمستشفى".
-"لا إله إلا الله، إنا لله وإنا إليه راجعون".
-"ماتت في لحظتها، هناك كسر في رقبتها ونزيف داخلي إثر ضربة في الرأس والزجاج المقابل لها بعد أن كُسر دخلت قطعة منه في بطنها فقطع الأمعاء، فماتت على الفور!"
-"شكرًا لك يا دكتور".
وقال الشرطي للمساعد بعد ذلك:
-"اذهب وافعل ما قلته لك، ابحث عنهما وقل لي النتائج فورًا، وعمم وفاتها على باقي المراكز إن جاء أحد يعرفها وأراد البلاغ عن غيابها".
-"حسنًا، يا سيدي".

*****

ومروة كانت حالتها سيئة للغاية، ظلت كل دقيقة تدخل وتخرج من الحمام، وتقول:

-"يا الله، أكره الإسهال والمرض، والجو حار جدًا، سأنزع ملابسي".
وخلعت ملابسها وبقيت بالملابس الداخلية، ووضعت الغطاء على جسمها، وذهبت للصالة وشغلت التلفاز وأغلقته بعد دقائق، وقالت:
-"مللت، لا أحب البقاء في المنزل أبدًا، سأخرج للحديقة".
وأمسكت بالمقبض ولم يفتح الباب، وضغطت عليه من الجديد وكان مغلق، وقالت:
-"أمي، أُف لما؟ قلتِ لي لا تفتحي الباب لا إن تخرجي من المنزل، وأول مرة تغلق الباب في حياتها، سأذهب للاستحمام أفضل شيء، بعد ذلك ستذهب هذه الحرارة".
ودخلت للحمام، وبعد ذلك فتح الباب ودخل شخص وذهب لغرفة مروة وبقي خلف الباب، ومروة في الحمام وهي تستحم وتبكي بحرقة وتقول في ذهنها:
-"يا الله، لما جعلته يلمسني حتى اللمس، كرهت نفسي وحياتي كرهت النقص الموجود لدي، ولكن لن أجعله يفقدني شرفي وكرامتي، هذا كل ما أملكه ولن أخاف منه بعد الآن، سَأُدَافِع عن نفسي حتى وإن وصلت للقتل".
وخرجت من الحمام وتضع المنشف على جسدها ودخلت لغرفتها وتنزع المنشف وأصبحت عارية كليًا لتلتفت خلفها، وعلامات الصدمة والخوف على وجهها وترى أمير وقال:
-"أتى إليك مَلَك الموت يا حلوة!"
وصرخت بصوتٍ عالٍ، تقدم نحوها وأغلق فمه ووضعها على السرير وصفعها على وجهها عدة مرات، وضربها حتى فقدت وعيها، وقام بالاعتداء عليها.
بعد أن انتهى من فعلته البشعة، نهض وذهب للحمام للاستحمام، واستيقظت مروة والدموع هي المسيطرة، والدماء كانت على جسدها بعد الهتك والاغتصاب الجنسي، وقالت ببطء شديد:
-"لقد انته... انتهكت، ضاعت كرام... كرامتي وشرفي!"
ونهضت من الفراش وحدقت في وجهها من المرآة المقابلة لها وتبكي بشدة، وقالت:
-"مروة، مروة، ارتاحي الآن، ارتاحي يا سافلة، هذه نهايتك كما كنت السبب في إيذاء أشخاص جاءك الأذى..."
وصمتت قليلًا، وقالت بصوتٍ عالٍ:

-"الحقير، الحيوان، أنا التي فعلت بنفسي ذلك! أنا!"
وجاء في ذهنها ذاك المسدس الذي رأته في المكتبة وأخذه مصطفى وخبئه في غرفته، ونظرت بحدة وقالت:
-"سأقتلك كما قتلتني، سأقتلك كما قتلتني!!"
ولبِسَت ملابسها، ودخلت لغرفة أبيها لتبحث عن المسدس، ظلت تبحث لدقائق حتى وجدته، وبقيت تنتظره أمام باب الحمام حتى يخرج وفي يدها المسدس، وعندما خرج أمير ضحك بصوتٍ عالٍ وأشار بيديه للأسفل وقال:
-"يا ماما، أنزليه واخلدي للنوم".
-"اصمت يا حقير، كيف تفعل بابنة أخيك هكذا؟"
-"وابنة أخي كيف تدخل معي في علاقة؟"
أصبحت تبكي والحسرة والألم على وجهها، وقال لها:
-"ما رأيك؟ أنا لم أجبرك من البداية، أنتِ أعجبك الوضع، ولكن أنا مللت من القبل واللمس والأشياء السطحية".
-"لقد ضيعت كل شيء أملكه!!"
-"لا تقولين لي مظهرك، لأنك بشعة للغاية".
وبعد ذلك عض شفتيه وقال لها:
-"ولكن جسدك رائع!"
وغمز لها، وقال:
-"ما رأيك بأن نعيد المباراة من جديد؟ شوط آخر".
ووضعت مروة يديها على أذنيها، وصرخت وقالت:
-"اصمت، اصمت يا حقير".
-"مروة حبيبتي الآن ادخلي للحمام للاستحمام أو ادخلي لغرفتك وبلا أكشن وتشويق على الفارغ!"
-"على الفارغ؟! أنت كسرتني، كسرت كبريائي، كسرت حتى حبي لنفسي، كيف أنظر للناس؟ كيف أنظر لعائلتي؟ كيف أنظر إليك الآن من الأساس؟ ألا تخجل من نفسك؟!"
-"أرجوك لا أحب كلام الأفلام التافه، ألا تتذكري أنني قلت لكِ في السابق كل شيء

يحصل لنا نتاج أفعالنا، وأنا أحب النساء مهما كان مظهرهن أهم شيء لدي الجسد، والآن في هذا الوقت حتى الأخوة يفعلون الفاحشة سويًا".

-"حتى الأخوة؟ جسدي كان طاهر شريف عفيف وأنت لوثته بيديك، أنت لوثته بيديك!!"

-"مروة، لقد مللت من الكلام هذا! أعيدي هذا السلاح لمكانه واذهبي عن وجهي".

نظرت مروة بثقة، ووجهت المسدس أمامه، وأمير ضحك وقال:

-"أووووو، مروة تريد أن تقتل! ومن؟ عمها".

وأكمل حديثه باستهزاء على كلامها، وقال:

-"هل أهون عليك؟ كيف تفعلين هذا بي؟"

وضحك بعد ذلك، وقالت مروة في ذهنها:

-"هناك لحظة تأتي للإنسان لا يفكر قبلها، ويندم بعدها، لما هذا الشعور؟ لا أعرف لما كل هذه الثقة بنفسي الآن وكأنني هذا الشيء الوحيد الذي سأفعله وأكون مقتنعة به، لا أعرف أهذا عقاب الله بي لما فعلته مع مراد أو على ذنوبي السابقة أو على علاقتي المحرمة هذه!"

أخذت مروة شهيق وزفير، وابتسمت، وقال أمير:

-"تجهزين نفسك للملعب، أم هذه الحرية؟"

-"هذه الراحة!"

وضغطت على الزناد بصعوبة وخرجت تلك الرصاصة فاخترقت صدر أمير وأصيب قلبه، وضع يده يسار صدره واتسعت عيناه وفتح فمه وسقط على الأرض، وتحدث والكلام يخرج ببطء شديد:

-"مر...مروة، ماذ...ماذا فعلتِ؟"

وتنظر إليه مروة بغرابة وبصدمة وأوقعت السلاح وسقطت على الأرض وبقت في الزاوية ترتعش، ودخلت في حالة هستيريا وتقول:

-"لم أفعل شيء، أنا لم أفعل شيء، هو الذي قتلني! أنا لم أفعل شيء، أنا لم أفعل شيء".

دق الباب.

نظرت مروة بخوف، وما تزال مصدومة نهضت وفتحت الباب، وكانت جارتهم، فقالت

لها:
-"حبيبتي مروة، أين أمك؟ هل كنتِ في الحمام لندخل قبل أن يرانا أحد! مروة ما بك؟ لما تنظرين بغرابة؟"
وقالت بعد ذلك جارتهم بدهشة كبيرة:
-"لا تقولي لا، مظهري جميل جدًا، أليس كذلك؟ فتحي زوجي قال لي إنني في غاية الجمال!"
وصمتت قليلًا، ورأت جارتهم الدم يسيل من مروة، فصرخت وقالت:
-"مروة، هناك دم على رجليك ألا تضعين الحفاظات وقت الدورة الشهرية!"
-"أنا لم أفعل له شيء، هو من قتلني!"
-"ما هذا الكلام؟ قتلك ماذا؟ وأنا عندما كنت في حديقة منزلي سمعت صوت رصاص ولكن بعد أن رأيتك قلت أنني سمعت خطأ والصوت أظنه من مكان آخر، لأن الآن الجميع يرمي في الرصاص طوال الوقت لا تعرفين الحرب مقيمة أين؟ وأين باقي العائلة؟"
نظرت إليها جارتهم بحدة، وقالت:
-"مروة، ما بك؟ اذهبي حبيبتي لغرفتك والبسي ملابس أخرى، وأنا سأدخل المطبخ لأحضر القهوة سنشربها سويًا".
التفت، وصرخت بصوتٍ عالٍ، وقالت:
-"يا الله، ما هذا؟ هذه جريمة، مروة من فعل هذا؟"
-"هو الذي قتلني".
فهمت الجارة كل شيء وقالت:
-"اعتدى عليك، وأنتِ قتلته؟!"
-"هو من فعل هذا!"
اتصلت بزوجها، قائلة:
-"فتحي، تعال إلى بيت الحاج مراد واجلب معك الشرطة".
ونظرت في مروة والدم الذي يسيل منها، وأكملت حديثها:
-"والإسعاف أيضًا".

جاءت الشرطة والإسعاف وتبين لهم أن مروة قد تم الاعتداء عليها، وهي لم تعترف بقتله سوى أنها تقول:

-"أنا لم أفعل شيء، هو من قتلني!!"

قالت الجارة للشرطي:

-"مسكينة منذ أن أتيت وهي بهذه الحالة، نفسيتها دمرت".

قال الشرطي لها:

-"هل لديكم رقم هاتف أي شخص في العائلة والدها أو أمها؟"

-"أتصل بهم جميعهم خارج التغطية".

-"أعطني أسماء العائلة!"

-"أبوها مصطفى مراد".

-"مصطفى مراد؟!

قال الشرطي للمساعد:

-"أهذا الاسم الذي وجدناه في الورقة؟"

أجابه المساعد:

-"نعم يا سيدي، وكان هناك اسم سمر عز الدين".

قاطعتهم الجارة:

-"هذا أبو الفتاة، وسمر زوجة المقتول، ولكن وجدتها عند من؟"

-"لقد وجدنها مع امرأة في الأربعين من العمر قد ماتت بحادث سيارة".

وضعت يدها على فمها، وصرخت، وقالت:

-"أسماء ماتت، لا، لا، يا الله، يا الله".

-"ما هي علاقة أسماء بالفتاة ومصطفى والمقتول؟"

-"زوجها وابنتها وأخو زوجها".

-"حسنًا، عظم الله أجرك، وبعد أن يرجع أبوها يجب أن يأتي للمركز لأنه سيتم التحقيق مع ابنته، لأنه كل شيء واضح وضاع عمرها في السجن، أما زوجته وأخوه سيسلم جثتيهما في المستشفى".

وهي تبكي والدموع في عينيها قالت:

-"ومتى حصل ذلك مع أسماء؟"
-"منذ خمسة عشرة دقيقة فقط".
-"لا إله إلا الله، لا إله إلا الله".
-"الله يصبرك، ويصبر أهلهم، وقولي لوالدها أن يأتي".
-"حسنًا، حسنًا".

*****

وفي ذلك الوقت كان مصطفى قد وصل لمنزل قاسم ودخل وجلس على الطاولة وبجانبه قمر ومقابل له أنور وبجانبه عائشة وتليها سمر وقاسم في صدر الطاولة، وبدأ الجميع يأكل، وقال قاسم:
-"لماذا عمتي فاطمة ما تزال نائمة حتى الآن؟"
نظر فيه مصطفى بحدة، ورد عليه أنور:
-"لقد جاءتها جلطة في رأسها أدت إلى دخولها الغيبوبة، وهناك أناس كثيرون يبقون عمر كامل في الغيبوبة".
قاطعتهم قمر:
-"وأحيانًا أفضل من أناس بكامل عقلهم ولا يشعرون!"
وحدقت في مصطفى بحدة ورفعت حاجبيها وقالت:
-"أو ماذا يا أبي؟"
بدأت علامات الصدمة والغرابة على وجوه الجميع، والتفت مصطفى ونظر إلى قاسم، فنهضت قمر وقالت:
-"فلتبدأ اللعبة".
وذهبت للأعلى، وقالت عائشة:
-"ماذا هناك؟ لم أفهم شيء".
وقال أنور:
-"لم أفهم ماذا تقصد بأبي؟!"
قال قاسم:
-"لم تقل لهم يا مصطفى؟!"

رد عليه مصطفى بهمس وصوت خافت:
-"اصمت، وماذا قلت للفتاة؟"
ابتسم قاسم، ونزلت قمر وفي يديها كمبيوتر وشاشة عرض، ابتسمت سمر ابتسامة عريضة وقالت:
-"هل سنشاهد فيلم لجيمس بوند؟!"
قالت لها قمر في ثقة:
-"لما سنشاهد؟! جيمس بوند على أرض الواقع سيصبح الآن!"
شغلت قمر الكمبيوتر وأطفأت النور وبدأت الشاشة بالعرض، فقال أنور:
-"ماذا هناك؟ فهموني قليلًا".
رد عليه قاسم:
-"لا تستعجل على رزقك، الصبر جميل".
واشتغل الفيديو، فقالت قمر:
-"كما ترون الآن هنا في الصورة، لا أظن أن الجميع يعرفها ولكن هذه سوزان، تكون أمي".
علامات الخوف والهلع في وجه مصطفى، وأكملت قمر حديثها مشيرة بإصبعها على مصطفى:
-"وما لا تعرفونه أنها كانت تحب هذا، مصطفى! مصطفى الذي كان يلعب بها كي يحصل على الطفل فقط، والكارثة له أن أمي كانت حامل بتوأمين!"
قاطعهم أنور وقال:
-"أهذا صحيح يا أخي؟"
وقال قاسم:
-"أنت لا تعرف شيء إن أباك وأخويك يشتغلون في منظمة للسلاح والمخدرات وبيع الأعضاء والدعارة".
وقال أنور والصدمة على وجهه:
-"ماذا؟"
قاطعه مصطفى:

-"هذا ليس صحيح يا أخي! لا تصدقه".
وقالت قمر:
-"اصمتوا جميعًا، أوهم أمي بالحب وقال لها سنتزوج وأرادت أن تهرب من الفقر، فكانت النتيجة موتها ودمارنا أنا أروى، وأخي آدم الذي ستصدمون بشخصيته ولن تتوقعوا ذلك، مراد".
قالت عائشة بدهشة:
-"ماذا؟"
وأكملت قمر حديثها:
-"فقتلها خنقًا، وقالوا إنها نزفت أثناء الولادة كثيرًا، وجدي آدم لأنه فقير ورجل ذليل طيب لم يساعده أو يصدقه أحد، فرماه في المستشفى للأمراض النفسية وأغلق أفواه جميع الممرضين".
نهض أنور وقال بعصبية:
-"كيف تفعل هذا؟ ها قل لي كيف تفعل هذا؟"
وأكملت قمر حديثها:
-"ولم يرتح ولم يشفق على فتاة ما تزال مولودة وضعها في ملجأ الأيتام، حتى بحث عني خالي ووجدني، وتربيت منذ صغري حتى الآن على الانتقام منكم جميعًا، وكنتم تحت المراقبة دائمًا من أشخاص يشتغلون معنا، فعندما علمنا بمرض مراد خططنا أنني كذلك سأتظاهر بالمرض، واليوم سأشفى من مرضي الذي أتعبني طوال السنين السابقة".
وسمر بدأت تصرخ، فقالت عائشة:
-"من الواضح أنها ستلد الآن، يجب أن تذهب للمستشفى".
قالت قمر وبصوتٍ عالٍ:
-"لن يذهب أحد، ستلد هنا".
-"ولكن..."
حدقت قمر إليها بحدة وأخرج قاسم سلاحه، وقال:
-"لن يذهب أحد وإلا سيموت الجميع! هذا ليس مسرح ليؤدي كل شخص دوره بدقة ويرحل".

وقاطعتهم قمر قائلة:
-"حمدت الله أنني لم أكن مكان أخي الذي قتلتموه آلاف المرات ولم تشفقوا عليه، أسماء لم تكن أمه لهذا السبب لم ترحمه، وهذا الذي يكون أبي كان يعتبره مكسب فقط للمال، لهذا السبب مات جدي مراد".
نظر أنور في مصطفى والصدمة على وجهه قائلًا:
-"ماذا؟ كيف تفعل هذا؟ قل تكلم!"
وتتكلم قمر بكل ثقة وتقول:
-"قتلوه بالإبر، وقالوا إنه إثر السكتة القلبية التي حدثت له، وشيء آخر، أمك يا عمي أنور لولا الإبر التي تجعلها تدخل في غيبوبة لكانت مستيقظة منذ زمن طويل، التي كان يعطيها لها أخوك".
اتجه أنور إليه ومسكه من رقبته ويصرخ ويقول:
-"كيف تفعل هذا يا حقير بأمك وأبيك؟ كيف؟"
أنزل مصطفى يدي أنور وقال:
-"أخي كيف تصدق أناس لا نعرفهم حتى!"
وأكملت قمر حديثها بصوتٍ عالٍ:
-"لا، كان يعطيها الإبر لأن بعدما جاء لهم خالي أمام المنزل وفتحت أميرة له الباب وخرج أخوك ليتكلم معه عرفت أميرة بكل شيء، ودخلت لتتكلم هي وأخوك سمعت جدتي كل شيء، وسقطت على الأرض وأصيبت بجلطة ودخلت الغيبوبة، وكانت فترة قليلة وتعود فخاف أن تخبر الجميع، فيعرف أبوك كل شيء، فأصبح يعطي لها الإبر!"
فضرب أنور مصطفى وأسقطه على الأرض، وصفعه على وجهه، فأطلق قاسم رصاصة وقال:
-"انهضوا بلا مشاكل وإلا رصاصة في دماغك ودماغه".
وسمر تصرخ بأعلى صوتها، وقالت عائشة:
-"إنها ستنجب الآن، يجب أن نفعل شيء".
قالت لها قمر:
-"خذيها وضعيها في تلك الغرفة على السرير حتى تنجب لوحدها".

-"ماذا؟"
حدقت قمر فيها بحدة:
-"قلت خذيها!"
ارتعبت عائشة منها، وأدخلتها في الغرفة، وقالت قمر لمصطفى:
-"ماذا يا أبي؟ هل أنت خائف على ولادة ابنك؟"
ضحك مصطفى وقال:
-"ابن ماذا؟ عن ماذا تتكلمين؟"
-"ابنك؟"
صمتت قليلًا وأكملت حديثها:
-"من سمر، لقد خنت أخاك معها، يا عيب، لا تخجل من نفسك، زوجتا أخويك، حتى عائشة لم تفلت من يدك".
وقال أنور والشر في عينيه:
-"ما معنى هذا الكلام؟"
ابتسمت قمر وقالت:
-"أخوك المحترم، وزوجتك المصونة كانا يقيمان علاقة، بعد ذلك تركها، كل همه أن يأتي له ولد".
حدق أنور فيه، ومسكه من رقبته، و أفلته بعد ذلك، وأصبح أنور يقول:
-"آه، آه، آه, ماذا يحصل؟ ماذا يحصل؟ بطني! بطني!"
احمر وجهه وسقط على الأرض وأصبح يلتف حول نفسه، وصرخت عائشة قائلة:
-"سمر، سمر، يا الله، سمر".
وقال قاسم وهو يضحك:
-"أظن أن هذا المشهد من أفضل المشاهد، منه للعالمية فورًا".
وقالت له قمر وهي مبتسمة وتحدق بحدة:
-"تظن، هذا مؤكد يا خالي!"
ركض مصطفى للغرفة، وكانت عائشة تقول لها:
-"اضغطي، اضغطي على نفسك، أرى مقدمة رأسه يا سمر، هيا".

وسمر تصرخ فقط، وتقول:
-"لن أستطيع التحمل، وتصرخ، هذا ظلم أريد الذهاب للمستشفى، يا الله ساعدني"، وتصرخ بأعلى صوتها.
ومصطفى الحسرة على وجهه، ويتمنى أن يخرج ابنه للحياة، ويدعو ربه، فدخلت قمر وقاسم، وقالت سمر بعد الصراخ المتواصل:
-"هل هذا ابن العائلة الجديد؟ آه، آه, آه, هذا الذي تريده فقط".
وتقدمت قمر أمام وجه مصطفى، وقالت:
-"أتعرف يا أستاذ إنك كما خنت أخاك مع أمير، أمير كذلك يخونك؟!"
نظر إليه مصطفى بغرابة، وأكملت حديثها:
-"نعم، والكارثة أن هذا الشيء أصبح متداول و تريند عالمي، مع أختي من أبي".
صمتت لثانية، وقالت وابتسمت ابتسامة عريضة:
-"مروة".
وصرخ مصطفى بصوتٍ عالٍ:
-"ماذا تقولين؟ انتبهي لنفسك، أمير ومروة لا يفعلان هذا الشيء".
-"والصدمة تأتي من أشخاص لم نتوقعهم للأسف، صدق أو لا تصدق!"
وقالت عائشة:
-"ادفعي قليلًا، سيخرج الآن".
وصرخت سمر بأعلى صوتها، وخرج الطفل، وقالت سمر:
-"ابني، ابني، وأخيرًا جاء، وأخيرًا يا الله، يا الله!"
ومصطفى أصيب بحالة هستيريا:
-"ابني، ابني، أهلًا بك يا ولي عهدي، ستظل معي دائمًا، أعطيه لي، أعطيه لي".
عبست عائشة وتغيرت ملامحها، وقالت:
-"ابنك ماذا؟ لم أفهم!"
وقالت لها قمر:
-"حبيبتي عائشة، كما قام بعلاقة معك قبل ذلك، فشيء طبيعي أن يفعل نفس الشيء مع أي امرأة أخرى، الحقيقة تؤلم دائمًا".

وأنزلت عائشة رأسها، وقالت لها قمر:
-"الأفضل أن تري زوجك ما به بالخارج؟"
خرجت عائشة لأنور، وسمر تصرخ فقالت لها قمر بعصبية:
-"أنتِ اصمتي، أغلقي فمك قليلًا".
وكان أنور على الأرض ولا يتحرك وجسمه أحمر وتساقطت دموعها وتُحَرِك فيه بيديها وتقول:
-"أنور، أنور سامحني، حبيبي، أبو أبنائي، أرجوك استيقظ، استيقظ!!"
نهضت واتجهت نحو قمر ومسكتها من ملابسها وقالت لها بغضب:
-"ماذا فعلتِ؟ ماذا فعلتِ في زوجي؟"
أنزلت يديها وقالت بعصبية:
-"لم أفعل شيء، أنتم من فعلتم كل هذا ببعضكم، أتسمعين؟"
ارتعبت عائشة وملامح الخوف والفزع على وجهها، وقالت:
-"لن تفعلي بي شيئًا، أليس كذلك؟"
التفت قمر لخالها وابتسمت، وقالت:
-"لن أفعل شيئًا".
بلعت عائشة ريقها، وقالت بخوف شديد:
-"ما سر هذه الابتسامة؟"
-"معجون كريست".
وصرخت عائشة بأعلى صوتها:
-"ماذا فعلتِ يا حقيرة؟"
-"لا تصبحين قليلة أدب، خائنة وقليلة أدب، كثير هكذا!"
-"ماذا أصاب زوجي أنور؟"
-"الآن أصبح زوجك، لم أعرف بذلك، يجب أن تفكري قبل أن تفعلي أي شيء!"
-"ماذا فعلتم بنا؟"
-"لم نفعل شيء، أنتِ أأكلتِ جيدًا؟!"
-"ماذا؟"

-"فمعنى ذلك أنكِ أكلتِ الموت".
واحمر وجه عائشة وقالت:
-"ماذا؟، آه بطني، بطني، آه، ماذا فعلتم؟"
وقالت قمر وبكامل ثقتها وهي مبتسمة:
-"ستتألمون كما تألمت، وبحجم الألم سيكون الانتقام!"
وسقطت على الأرض ويداها على بطنها، والكلمات تخرج ببطء:
-"أبن...أبنائي...سن...سند...سند...وسند...وسندس".
رد عليها قاسم وحرك يديه بمعنى الوداع:
-"وداعًا حبيبتي، كان يجب أن تفكري فيهم قبل فعل أي شيء!"
فدخلت قمر في الغرفة، وصعد قاسم للأعلى ليتصل برضوان.
وسمر تقول والكلام يخرج بهدوء:
-"هذا عقاب الله لنا! أتسمع؟! يا مصطفى هذا عقاب الله لنا!"
ومصطفى جالس على الأرض والطفل بين يديه، ويقول:
-"ابني، ابني حبيب أبيه، ستصبح لي، أنت قوتي وسندي وأصبح فخورًا بك، لما لا تتنفس، لا تحبس أنفاسك يا رجل، أنت رجل قوي لا يليق بك الضعف".
-"هذا عقاب الله لنا يا مصطفى، هذا عقاب الله، الله لن يرضى بشيء حرام، فمات الطفل، مات ابني!"
وقاطعتهما قمر قائلة وهي تنظر إلى كلاهما:
-"هذا ما تستحقانه!"
وقال مصطفى والدموع في طرفي عينيه:
-"إنه يقول شيء، ماذا يا بطلي؟ ماذا؟ تكلم من أجلي، أريدك معي لأشعر بأن لدي أحد أعتمد عليه، أرجوك استيقظ!"
نهض مصطفى وقال:
-"إنه كان يصرخ ويقول تعال يا أبي وبعد ذلك لم يصرخ، أظنه نائم، نائم، نائم صحيح؟!"
حدقت إليه قمر وقالت:

-"يا حرام!"
وبعصبية وغضب قال:
-اصمتي، اصمتي، ابني حبيبي الذي...الذي..."
وبدأ يبكي بحرقة:
-"الذي أتمناه من الدنيا، سيبقى معي، سيبقى مع أبيه، سيحبني وأحبه كثيراً".
تقدمت قمر إليه، والدموع في عينيه:
-"ماذا عن مراد؟ لما لم تحبه؟ كان طيب معكم، لم يؤذيكم، كان يشكو لي عندما عرفته ويمسك دموعه كي لا تسقط منه ويبتسم ببراءة، ها قل لي لماذا؟ أو لأن حركته كانت كالفتيات كما تقولون، أو بعد ما حصل معه وهو صغير ورميته في المستشفى، أهنته وأسأت إليه، جميعكم، لماذا؟ دون سبب يذكر!"
-"ابني قال لي شيء، سمر استيقظي الآن، ابني قال لي شيء، سمر لما لا تتحركين، سمر!!"
ونظرت قمر في سمر وابتسمت بألم ووجع وتذكرت مراد، وهي متقدمة للخروج من الغرفة، قالت:
-"انسها، سمر قد ماتت، والجميع سيموت، الجميع!"
وكان قاسم في الأعلى يتكلم مع رضوان:
-"رضوان أنا الآن سأخرج وأترك قمر هنا".
-"ماذا؟"
-"هل نسيت اتفاقنا؟"
-"أي اتفاق!!"
-"تمزح كثيراً اليوم، أنا سأذهب الطيارة بعد ساعة".
-"إن لحقت الطيارة تكون قد نجوت".
-"نجوت من ماذا؟"
-"الشرطة".
-"الشرطة؟ ماذا فعلت؟"
-"هذه أوامر، لأرى مصلحتي فقط، وليس مصلحتك، كل شخص يجري وراء رزقه".

-"يا خائن!! سترى".
أغلق قاسم سماعة الهاتف، والتفت وكانت قمر قد سمعت كل كلامه والدموع في عينيها وقال بفزع:
-"قمر!!"
-"نعم قمر، لما يا خالي؟ أنت الذي ربيتني طوال حياتي، علمتني الانتقام والقتل منذ صغري، والآن من أجل أن تصبح أكبر تاجر في الحرام تتركني، تترك ابنة أختك!"
-"ابنة أختي، أختي ماذا فعلت غير أنها جلبت العار لنا وأطفالها بالحرام؟!"
-"ولكن أنا، أنا أحببتك وقلنا أننا سنسافر تفعل هذا بي!"
-"الآن ابتعدي لأذهب!"
ونزل للأسفل وأخذ حقيبته وتقدم أمام الباب ليفتحه ويذهب، نادته قمر بقوة:
-"خالي".
صدم ذلك قاسم وقال:
-"ماذا تفعلين؟"
وأخذت قمر السلاح ووضعته على كتفها، وقالت:
-"كان يجب ألا تنسى سلاحك، الشرطة في الطريق كما قال الرجل وأنا لن أجعل كل هؤلاء الأموات في رقبتي، ستخرج الرصاصة وتصبح أنت المتهم الوحيد".
-"لن يصدقك أحد، أنتِ ابنة أختي".
-"سنرى!"
وجاءت قمر أمام طاولة الزجاج وقفزت عليها، وأخذت كوب زجاج وكسرته على رأسها وظلت تجرح في يديها، وموجهة السلاح مقابل قاسم وقالت:
-"أترى الآن مظهري كله دم، وجهي ويداي وملابسي، ستصبح أنت المتهم الوحيد".
-"يا مجنونة، حقيرة!"
التفت ليفتح الباب، وأطلقت قمر الرصاصة في كتفها ووقعت على الأرض!
دق الباب.
علامات الخوف في وجه قاسم لم يفتح الباب، وجاء ليسمع من هناك، وكان صوت مراد يقول:

-"قمر، يا جماعة، لما لا تفتحون الباب؟ الرجل الذي صعدت معه لقد ضيع الطريق لهذا السبب تأخرت؟ أين أنتم؟"

فتح قاسم الباب وظل خلف الباب، وقال مراد:

-"ما هذا؟ أهناك مفاجأة؟"

وعندما فتح الباب رأى مراد قمر واقعة على الأرض، ركض وقال:

-"يا الله، يا الله، ماذا حصل ماذا بك؟ يا أختي استيقظي، أرجوك استيقظي الآن، من فعل بك هذا؟"

وتحرك قاسم ببطء تجاه مراد، وشعر مراد بأن هناك شخص وراءه والتفت فمسكه قاسم من رقبته ورفعه وأسقطه على الأرض وأصبح يخنق فيه وظل مراد يحمر وجهه وكاد أن يموت، وعيناه ستخرجان من مكانهما، واللعاب يخرج من فمه، وبعد ثوانٍ قليلة سقط دم على وجه مراد وكان الدم من فم قاسم ووقع عليه، وقالت قمر:

-"اترك أخي يا حقير!"

وكانت قمر قد مسكت السلاح وأطلقت رصاصتين في قاسم واحدة في رقبته من الخلف والأخرى في رأسه، وفي نفس الوقت كانت الشرطة آتية في الطريق ووصلت المنزل.

وتصدرت موت هذه العائلة مواقع التواصل الاجتماعي:"المجزرة: موت جميع أفراد العائلة في ليلة واحدة، وكل شخص بطريقة مختلفة، هل هذا صدفة؟ أم قدر؟ أم هناك سبب آخر؟"

*****

وكانت سارة راجعة من المسجد بعد صلاة المغرب ورأت مجموعة من الناس يحاولون فتح باب منزلهم، وجاءت مسرعة لهم:

-"يا أخوتي، ماذا هناك؟ لا يوجد أحد في المنزل".

أجاب أحد الجيران:

-"يا ابنتي، منذ أيام سابقة وأشتم رائحة عفنة".

-"هذا منزلي سابقًا يا عمي وأنت تعرف أنه احترق منذ فترة، فشيء طبيعي يكون هناك رائحة ليست جيدة".

-"هذه رائحة شيء ميت وتعفن!"

-"ماذا؟"

صمتت قليلًا، ونظرت بغرابة قائلة:

-"عمي هل رأيت أخي سليم؟"

-"لم أره منذ أسبوعين أو أكثر، ولكن كان يتجول كثيرًا هنا ويدخل للمنزل ويخرج".

-"هل تستطيع فتح الباب؟"

-"إنه من حديد، ولكن سأحاول، ذهب جارنا ليأتي بالمفاتيح والمطرقة كي نحاول فتحه".

-"يا الله، يا الله، أستغفرك وأتوب إليك، أستغفرك وأتوب إليك".

-"هل سمعتِ ما حدث يا ابنتي في هذا العصر؟"

-"أي عصر يا عمي؟"

-"أقصد صلاة العصر!"

-"ماذا؟"

-"لقد وجودوا خالك أمير مقتول لأنه قد اعتدى على مروة ابنة خالك مصطفى".

دقات قلبها تدق أسرع وبكت، وقالت:

-"أستغفر الله العلي العظيم، يا الله ألطف بنا واهدينا، كم مرة كنت أقول لها يا مروة اتركي كلام رتاج سيضرك ولا تتبعي خطوات الشيطان".

-"ولقد ماتت أمها أسماء في حادث سير قبل قليل لقد جاءت الشرطة وأخبرتنا!"

-"جدتي! عمي أخبرني ماذا يحدث معك سأذهب لجدتي؟!"

*****

ذهبت تركض للمنزل ودخلت وكان الأطفال سند وسندس يبكيان، ومرام نائمة، دخلت لجدتها وقالت:

-"جدتي، الحمد لله أنكِ بخير الحمد لله، الحمد لله".

طرق الباب، وكانت الدماء أمام الحمام بعد مقتل أمير فتحت الباب فكان الشرطي، فقالت له:

-"السلام عليكم أخي، تفضل ماذا تريد؟"

-"هل هذا هو بيت الحاج مراد؟"

-"نعم، تفضل".

-"الآن لقد كنا موجودين في موقع جريمة كان الموت جماعي!"
-"لم أفهم!"
-"مصطفى مراد وأنور مراد وسمر عز الدين وعائشة حمد جميعهم ماتوا!!!"
سقطت سارة على رجليها، والدموع تنهمر من عينيها قائلة:
-"يا الله، يا الله، إنا الله وإنا إليه راجعون، إنا الله وإنا إليه راجعون، إنا الله وإنا إليه راجعون".
-"الله يصبركم".
وقفت على رجليها ومسحت دموعها، وقالت له:
-"من الذي فعل ذلك؟"
-"الجريمة ما تزال متشابكة، بعد أيام سنعرف كل شيء، وإن أردتِ الحصول على معلومات اذهبِ للمركز".
-"وماذا عن خالتي أميرة ومراد؟"
-"أميرة هذه ليست موجودة، أما عن مراد ما يزال على قيد الحياة في المستشفى مع أخته".
-"أخته؟"
-"نعم".
-"مروة موجودة في مركز الشرطة وليست في المستشفى!!"
-"ليس هذا اسمها بل قمر".
-"حسنًا، بارك الله فيك يا أخي و جزاك الله خيرًا".
وأغلقت الباب، وقالت:
-"أخته قمر ماذا؟ هذا الأخ أظنه مخطئ في الاسم، يا الله، مات خالي مصطفى وخالي أنور، يا رب الصبر، ثم الصبر، منك أنت قوتي وقت ضعفي، أنت سندي وقت شدتي، لا يوجد غيرك يا الله، لا يوجد غيرك".
طرق الباب من جديد، فتحت سارة قائلة:
-"ماذا حصل معك يا عمي؟ هل كان قط أم فأر كان بالداخل؟"
كان وجهه عابس، ونظرات عينيه موجعة، فقالت له سارة في خوف:

-"ماذا يا عمي؟ ماذا كان هناك؟"
وكان العم لا يخرج الكلمات إلا ببطء شديد، تقدم نحوها ووضع يده على كتفها، وبدأت الدموع تنهمر منها قبل أن يقول شيء، وتكلم بنبرة صوت خافتة مؤلمة:
-"يا ابنتي أنتِ فتاة مؤمنة وتصلين وتعرفين الله، لست مثل أغلب الفتيات هذا الزمن، فاطلبي من الله الصبر".
-"ماذا هناك يا عمي؟ لا تقل لي شيء يؤلمني".
-"يا ابنتي فقدتِ أمك وأباك في نفس الوقت، وتحملي فراق أخيك الآن".
سقطت على الأرض تصرخ، قائلة:
-"لا، لا، لا يا أخي، أخي، يا حبيبي، أخي، أخي".
-"الله يصبرك، الرائحة كانت خارجة من جثته ونقلناه للمستشفى الآن وستكون مراسم الدفن علي".
-"مراسم دفن ماذا يا عمي؟ الجميع مات، الجميع مات، في يوم واحد، حسبي الله ونعم الوكيل في الذي كان السبب في كل هذا! حسبي الله ونعم الوكيل".

*****

وكان مراد في المستشفى، وأراد الدخول لأخته قمر والشرطة أمام غرفتها، وقالوا له:
-"لا تستطيع الدخول ستبقى اليوم وستحول بعد يومين للمحكمة ليحكم عليها".
-"ولكن أريد أن..."
قطاعه قائلًا:
-"قلت لا".
ورأى مراد الدكتور شادي في الممر، وقال له بحدة صوت:
-"ماذا فعلت؟"
-"أميرة قد ماتت بسكتة قلبية، هذا ما كتب في شهادة الوفاة بمساعدة رهوف".
-"حسنًا، وهل أنت ذاهب؟"
-"نعم، ذاهب للمنزل ولن تخبر أحد بشيء أليس كذلك؟"
-"حسنًا".

*****

وبعدما ذهب الدكتور، ذهب مراد للمكتب وكانت السكرتيرة رهف موجودة عند مكتبها فقالت له:

-"عظم الله أجرك في كل من ماتوا".

-"أجرنا وأجرك على الله".

-"الله يصبرك وأميرة كانت من الممرضات الجيدات".

-"الله يرحمها، أتعرفين يا رهف؟"

-"نعم".

-"هناك شاب في الانتظار رأيته الآن، وقال لي إنه رأى فتاة في غاية الجمال والروعة".

-"أتتكلم بحق؟"

-"نعم، قلت له أتتكلم عن رهف؟ قال لي حتى اسمها خيالي، اذهبي يريد أن يراكِ الآن".

-"حسنًا أنا ذاهبة".

ودخل مراد للمكتب وأخذ كاميرا صغيرة موجودة فوق المكتبة بين أوراق أشجار الباقة، وخرج بعد ذلك، وجاءت وقالت له:

-"يا مراد، أين هو؟ لم أره".

-"سأكلمه لكِ من الخارج وآتي، أو إنه قد يكون رحل".

-"يا للحظ!"

*****

حكمت المحكمة بالسجن مدى الحياة لقمر، وعلى مروة بالسجن لمدة خمسة وثلاثين عامًا مع التخفيف لأنه قد اعتبر دفاعًا عن النفس، إنما كان بعد الاعتداء عليها فأصبح القتل عمدًا، وقاسم مات، وأقيمت جنازة جماعية لسليم ومصطفى وأنور وأمير وسمر وعائشة وأسماء وأميرة وذاك الطفل الذي لم يرى شيء من الحياة، ذاك الملاك، تمنى مراد أنه عندما ولد مات فورًا مثل هذا الطفل، لأنه عاش حياته كل يوم يموت!

وبقيت سارة مع جدتها فاطمة تعتني بها وباقي وقتها في المسجد، وسند وسندس أخذوهما أهل عائشة ليربوهما بعد وفاة ابنتهم، أما مرام بقيت مع مراد ومعظم وقتها مع سارة.

*****

وفي ذات صباح.

مراد ومرام موجودان في حديقة الجلاء.

-"مرام حبيبتي اذهبي للعب هناك!"

-"أحبك يا أخي!"

-"وأنا كذلك، أتتذكرين كل شيء أقوله لكِ سيظل سر بيننا حتى أموت!"

-"لا تمت يا أخي".

-"أنا لا أريد أن أموت بمفردي، لا أريد أن أموت وحيدًا".

-"أنا معك!"

*****

لا أعرف أسعدني هذا الكلام وأبكاني، شعور ممزوج بوجع وألم إن أختي مرام هي من بقيت معي، وعندما تعرف ستكرهني كثيرًا، لا أريد الكره من أحد، سأموت ولم أجد اهتمام، ولا أمان، ولا راحة، ولا عطف، ولا حب، رحلوا مع إبراهيم الذي أعرف إنه لم يحبني وأنا لم أحبه، سوى أنه كان وهم وتعويضًا لنقصي الذي كنت أنكره قبل ذلك، ولكن شعور أنك تعودت على التعب لا يمكنني وصفهُ، في عيني أرق، وفي فمي كلام احترق كتبته كثيرًا ثم قطعت كل الورق، فماذا يسمى ما عشته، وما أعيشه، وما سأعيشه؟

رن هاتف مراد، وقال لأخته:

-"اذهبي حبيبتي الآن العبي".

-"حسنًا".

فتح مراد سماعة الهاتف، وقال:

-"نعم، دكتور علي".

-"مراد هناك خبر سيء".

ابتسم مراد وقال:

-"خبر سيء، قل يا دكتور لم يأت لي يومًا خبر مفرح".

-"الله سيصبرك، قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا".

-"أأنا مريض؟"
-"للأسف، والنتيجة مخيفة، الخلايا موجودة بداخلك منذ عشرة شهور".
ابتسم مراد بحسرة وألم، وقال:
-"المعنى؟"
-"إنه سيصعب إزالته، لأنه خلال شهر على الأقل سينتشر في باقي جسدك، ولن تستطيع علاجه".
فرك في أظافره وعض فيها ونظرات الحزن في عينيه، وقال ببرود تام:
-"حسنًا".
-"ماذا؟ لم أفهم!, ألا تريد أن تبدأ بالعلاج"
ضحك ضحكة خفيفة، وقال له:
-"علاج؟!"
صمت لثوانٍ، وأكمل حديثه:
-"متى سأموت؟"
-"لا تقل ذلك، لن تخسر إن جربت العلاج".
-"شكرًا يا دكتور".
-"ولكن من أجل صحتك يجب أن تأتي".
ضحك مراد فيها كل الألم والحسرة، وقال بنبرة صوت هادئة:
-"صحتي؟ أي صحة، لا يوجد صحة، لقد ضاعت ورحلت، وأنا لقد مت منذ زمن طويل، طويل. والذي في مثل حالتي لن يعالجه أحد ولن يفهمه أحد ولن يشعر به أحد، لا مفر من النهاية".
وأغلق السماعة، ورن هاتفه مرة أخرى وفتح الهاتف وقال:
-"ماذا تريد يا رضوان؟"
-"المستندات التي فيها توقيع مصطفى لأخذ المال".
-"حسنًا".
-"ليس حسنًا، لهم أسبوعين والجميع تحت التراب، المال وإلا..."
وقال له مراد والدموع على طرفي عينيه:

-"وإلا ماذا؟ سَتَعتَدِي علي مثل زمان؟"

-"اصمت واجلب لي المستند غدًا".

-"حسنًا، سنتقابل غدًا ولكن ستعاقب على أفعالك كلها".

أجابه رضوان باستهزاء:

-"لقد خفت كثيرًا منك، اصمت وإلا جئت وخطفتك الآن، لا يوجد أحد معك".

ابتسم مراد ونزلت الدموع من عينيه، وقال:

-"حتى في السابق لم يوجد أحد معي فاطمئن!"

وقال له رضوان بعصبية شديدة:

-"لا تكثر في الكلام، هذا آخر تعاون بيننا، وبعد ذلك انسَ وجهي".

-"حسنًا، ولكن أخاف إنك أنت لن تنسى وجهي بعد موتي".

-"ولماذا لن أنساه؟ ممكن لن أنسى مؤخرتك وشفتيك وعينيك، يا الله على هذا الجمال؟"

قال له مراد بهدوء شديد:

-"لن تنساه، لن تنساه طوال حياتك! أينما تكون".

*****

بعد مرور شهرين.

السماء صافية، والبحر هادئ، وأنا ابتسم، رأيت جدي وقال يا ليتك لم تفعل، أنا لم أفعل شيء يا جدي، أنت تعرف أنني طيب ومسكين ولا أؤذي، لست أنت، من يا جدي؟ من؟ أين ذهبت؟ قل لي يا جدي، سمعت صوت كان صوت مريم وموسى قالا مراد لا تنس مفتاح الحل، إياك أن تنسى أفهمت؟! لا تذهبوا، أين أنتم؟ إبراهيم أهذا أنت؟ تعال يا أخي ودُنيَتِي مشتاق لنفسي، مشتاق للحياة، لا تذهب، يختفون الواحد تلو الآخر، بقيت بمفردي، أختي قمر ابقي معي لا تتركيني، أنا معك لن أتركك، أغمضت عيني وابتسمت ولم أرها، لقد رحلت، التفت ورأيت حسين أول صديق لي أو ليس أول صديق بل كان أول شخص أدخلي للمواقع ويعجبني في صداقته، كانت أننا نعيش نفس الوضع، ولكن هو على أخف قليلًا، مراد لما لم تأتي وتزورني في السجن، سآتي ولكن لا تتركني أفهمت؟ اختفي حسين، وهناك رداء أبيض يحلق في الهواء أتبعه

حتى رأيت شخص موجود في كفنه وكان ذلك أنا، واختفيت بعد ذلك، ونظرت إلى يدي السواد يغطيهما، وبدأ يرتفع ويغطي هذا السواد كل أجزاء جسدي ووجهي، والمكان كله تحول للون الأسود.

*****

استيقظت وهذه المرة لم أبالغ وأتظاهر بالخوف الشديد كي يخاف علي أهلي، وهم كانوا لا يهتمون، أما الآن بقيت بمفردي، أظل قليلًا أمام جدتي وقالت الدكتورة سلوى أنها سوف تعود بعد فترة قليلة جدًا، وتأتي لي سارة وتقرأ القرآن دائمًا وتقويني، جعلتني أقتنع أنني أتعبت نفسي كثيرًا، لو أنني بقيت على صلاتي ودائمًا أستغفر الله وأطلب منه الصبر لما كانت الأمور وصلت إلى هُنَا، وأحيانًا أقول إنها لا تعرف كبر وجعي ومعاناتي وألمي فلما تتكلم؟ وإنني منذ صغري وأنا في مأساة شديدة، فلما كل هذا الكلام؟ وأعود لنفس حالتي!

*****

ذهبت لدار النشر وأعطيت له قصتي"آدم"، كتبت قصة حياتي التي تمنيت أن أعيش حياة آدم مع أخته، قمر بل أروى على أسم جدتي والدة أمي، مع أب وأم، حياة سعيدة يحبونني ويعطفون ويخافون علي أكثر من أنفسهم، وما زلت أقول لكل من يقرأها لن يفهم أحد ما عشته وما هي المشاعر التي عشتها إلا من مَرَ أو عاش بتفاصيل مشابهة، وقلت لذلك الرجل مدير أعمال رشيد القطعاني:

-"هذه هي قصتي".

-"ولكنها طويلة جدًا!"

-"وحزينة ومؤلمة جدًا".

-"أنا سأقرأها من الآن، مع أنها مكتوبة في برنامج المايكرو سوفت وورد والخط صغير".

-"أتمنى أن تعجبكم لأنها مكتوبة بصدق وإخلاص، وبمشاعر وأحاسيس جياشة، وأحيانًا ستبكي مع بعض المواقف، وستقتنع بذلك عندما تقرأها وتتعمق فيها".

-"أنا سأقرأها كلها اليوم، وغدًا سأتصل بك".

-"شكرًا لك".

*****

وذهبت بعد ذلك للسجن لأرى حسين عندما رأيته حضنني، وقال:
-"لماذا لم تأتِ يا مراد طيلة السنوات السابقة؟!"
-"لقد مرت سبعة سنوات من عمر الثانية عشرة".
-"مشتاق لك كثيرًا".
-"أسألك سؤال، أندمت على قتل والديك وبهذا الذكاء؟!"
-"لا أندم، لأنهم لم يندموا على تعذيبي".
-"لم يعذبوك بل لم يهتموا فقط".
-"وهذا العذاب!!"
كنت أفكر تلك اللحظة لأنهم لم يهتموا به فقط، ومع ذلك كانوا يحبونه، سمى ذلك بالعذاب، فما عشته أنا ماذا يسمى؟ أو أننا أصبحنا مرضى نفسيين أو أننا مرضى فعلًا، لأن داخل كل شخص مرض نفسي أو طابع نفسي ولا يعرفه حتى هو على نفسه.
وقال حسين:
-"وأنت ماذا عنك؟ سمعت أن أهلك قد ماتوا؟"
-"نعم، مات الجميع".
-"وكيف؟"
-"لقد بحثت في Google عن رونالد أوبوس الذي انتحر وخرجت الرصاصة من أبوه وعندما بحثوا وجدوا أنه هو من وضع الرصاصة كي يموت والداه وهو من مات وأصبح هو القاتل والقتيل نفسه".
-"وأنت ماذا فعلت؟"
-"ستقرأ كتابي وتعرف".
-"لا تقل لي أنك أصبحت القاتل والقتيل!"
-"هذه يمكن أن تحدث في نهاية قصتي".
-"الغريب أنك كتبت حتى ما سيحدث معك بعد ذلك".
-"نعم".
-"وكيف ذلك؟"
-"لا أعرف، هل لأنني مريض بالسرطان أترى شكلي الآن كيف أصبح".

-"ما تزال جميلًا".
-"مشتاق لأيامنا، مشتاق للبراءة، للطفولة، لأيامي مع جدي".
-"وأنا مشتاق لك، ولكن هل سأحصل على نسخة من كتابك؟"
-"نعم قلت لمدير أعمال الدار وصديق الرجل الذي ساعدني أن يأتي إلى هنا ويعطي لك نسخة".
-"وهل يعرفني؟"
-"أعطيته اسمك، وهم هنا سيعطونها لك، وأنا أريد الذهاب الآن لأختي!"
-"هل لديك أخت في السجن؟"
-"اثنان وليست واحدة".

*****

وذهبت إلى أختي قمر وهي في السجن، وحضنتها وقالت لي:
-"أخي، أخي اشتقت لك كثيرًا، تمنيت أن أعش معك كأي أخوين مع أب وأم".
-"هذا ظلم الدنيا، ولكن ظلم عادل، كما أعده لي الله بالمرض".
-"وكيف ذلك؟ أنت لم تكن مريضًا".
-"ستعرفين كل شيء في كتابي!"
-"وكيف حالك الآن؟"
-"بخير، بخير، ماذا أقول؟"
-"سأبقى طوال حياتي هنا، بعد موت خالي قاسم أصبحت جميع الأرواح في رقبتي".
-"أنتِ قد فعلت ما يلزم وحق أمي وجدي".
-"كيف حال جدي؟"
-"ذاهب إليه بعد أن أخرج".
-"وصل سلامي له وقل له أنني مشتاقة له".
-"إن شاء الله، أنتِ سامحيني لأنك بسببي زادت مدة سجنك".
-"لا يا عمري، كان يريد الهروب ورمي كل شيء على كتفي، وأنا لا أريدك أن تتعذب أكثر، فكنت أراه يقتلك ويريد الذهاب وأصمت، أنت أخي!"
ابتسمت قمر وقالت:

-"أتتذكر اللغز الذي اختبرتني فيه؟"
ضحك مراد ضحكة خفيفة، وقال:
-"أتذكر، أتذكر".
-"أنا سأعيده عليك وإياك أن تقول لي لا يصح أن نبقى سويًا، لأنني أحبك".
-"وإن مت قريبًا!"
-"سأبكي قليلًا وأنسى".
ضحك كلاهما وقالت قمر:
-"هذا الواقع، ماذا سنستفيد من البكاء سوى الهم والحزن؟ ألا يكفي أنني كنت بلا أم ولا أب، ولم أرى الحنان والعطف، تربيت على الكره، وأحيانًا تمنيت حياتك على قسوتها لأنك قلبك أبيض من الداخل كالثلج وصافٍ كالسماء ومزهر كأوراق الربيع ويشع بالخير والحب لجميع الناس كالشمس والألوان، أحبك يا أخي".
لا أعرف أفرح على دفاع أختي عني لكي لا تجعل قاسم يقتلني، وأحيانًا أفكر في أنها تريد أن تسترد حقها منه لأنها ستعرف أنها ستسجن في كلتا الحالتين، أو أحزن لأنني عندما قلت لها إذ مت ماذا ستفعلين؟ قالت سأبكي وأنسى لأن كل شخص في الحياة لا يفكر إلا في نفسه فقط كي يحافظ على مشاعره ولا يدمرها عندما قالت لي ماذا ستستفيد من البكاء والهم والحزن؟ وهذه وجهة نظر تحترم، أنا مثلًا لم أستفد شيء من كل شيء فعلته سوى أن عاقبني عليه الله.
وقالت قمر:
-"آدم، آدم".
وكان مراد شارد وقال لها:
-"أعجبني اسم آدم".
-"هذا اسمك، ولا تقل قمر، قل لي أروى على اسم جدتي".
-"أنا ذاهب الآن لآدم الكبير".
-"حسنًا ارجع بعد أيام وأخبرني عنه".
-"وممكن ألا أرجع!"
-"بلا هذا الكلام آدم!"

ضحك مراد ضحكة خفيفة وقال لها:
-"آدم وأروى".
ابتسمت وقالت:
-"آدم وأروى".

*****

وذهب مراد إلى مستشف الأمراض النفسية في الهواري، وتكلم مع المدير ليرى جده وجلسا في الحديقة، وقال جده وهو يلمس يديه ووجهه:
-"آدم، حبيب جده، كم تمنيت هذه اللحظة كثيراً".
-"جدي، وأنا تمنيت لو أنني أتذكر كلامك كما أتذكر كلام جدي مراد".
-"لا تتكلم عنه، كان هو رئيس العصابة!"
-"ولكن على الأقل كان يحبني".
-"هو الذي جعل مصطفى معه لو لم يختلط بهم لم يكن حصل كل هذا!"
-"صحيح كلامك، ولكن من جهة أخرى ساعدوني! ولا يعرفون أن هذه المساعدة سَتُودِي بحياتهم".
-"ماذا تقصد؟"
-"لا، لا شيء يا جدي، لا تشغل بالك".
-"كنت أريد أن أخبرك عندما رأيتك هنا قبل سبع سنوات، كنا في نفس المكان، تخيل معي ذلك لما كان سيحصل كل هذا! ومصطفى كان مشدد عليهم ألا نتقابل ويعطي لهم المال بعد ذلك، حبسوني وعندما جاءت عمتك أميرة إلى هنا طردوها، سمعت السكرتيرة تتكلم مع الدكتور واتصل بعد ذلك هو على مصطفى كي يقتلوني بجرعات زائدة من الدواء ويقولون هذا عمره!"
-"الله يحفظك ويطول في عمرك".
-"ويحفظك الله ويشفيك من هذا المرض".
ووضع جده رأسه على فخذي مراد، وقال له مراد بنبرة صوت حادة:
-"لا مفر من النهاية، لا مفر من النهاية".
-"تمنيت لو أن جدتك أروى موجودة، لقد ماتت أثناء ولادة أمك سوزان وأصبحت

أعاني في قاسم وسوزان، لم أهتم بها، وقاسم أراد الدخول معهم في هذا الفساد، وعندما رأى مصطفى سوزان كانت جميلة ظنت أنها ستتحرر من الفقر، استغلها وقال لها سنتجوز وأبعد قاسم عنهم وتخلو عنه، وهربت بعد أن كبر بطنها في شقة ووضعني هنا، كي لا يصدقني أحد، وصادفت ولادة سوزان، بولادة أسماء، لأن أسماء كانت دائمًا تجهض ويموت الطفل، فأخذك على أساس أنك ابن أسماء، وكان يريد الفتى لهذا وضع أختك في الملجأ".

-"كنت بضاعة له فقط، عندما كنت صغير حلمت بحلم وكان هو نفسه ما حصل معهم جميعًا، الدماء والجثث والطفل وسيارات الشرطة والإسعاف، وكان شيء ثقيل فوقي كان خالي عندما مات مثل ما حلمت بالضبط، وهذا ما يفسر كلام جدي له عندما سمعه يتكلم بالهاتف عني وعن موضوع أمي، وعرف جدي بكل شيء عن هذا الموضوع، وخرجت أنا عليهم وأصيب بالسكتة القلبية بعد ذلك".

-"نعم، لم يعرف أحد غير مصطفى وأسماء وعندما عرف جدك..."

-"قتله".

-"وعندما عرفت أميرة وقال لها قاسم ذلك وتكلمت مع مصطفى وسمعتهم جدتك فاطمة ووقعت ودخلت في غيبوبة حتى الآن!"

-"بفعل فاعل، ظلت في غيبوبة حتى الآن!"

-"مات الجميع، سوزان ابنتي، وقاسم وأروى أختك مسجونة".

-"كل شيء يحصل يا جدي نتاج أفعالنا، كل شيء يحصل لنا نتاج أفعالنا! لا يوجد شيء اسمه صدفة، كل شيء يحصل لسبب".

-"خذ صورة أمك سوزان في غرفتي ستجدها، وأوصل سلامي لها".

-"ماذا؟ جدي".

نظرت الغرابة في عيني مراد، وظل يحرك فيه، وكانت عيناه مفتوحتين وهو ثابت لا يتحرك، وقال:

-"جدي، جدي، ماذا بك؟ جدي".

وأصبحت أصرخ وأصرخ وأصرخ، وجاء الجميع وأخذوه وسقطت وبدأت أبكي بحرقة لا أعرف هل بكيت عليه؟ أو أنني سأموت وحدي، أو أنني سأبقى وحيدًا، أو أنني

تمنيت أن أموت مع شخص يحبني؟ أو على ما حصل معي، أو ما يحصل معي، أو ما سيحصل معي!

*****

ومات جدي آدم الذي لا أشعر أنه جدي أبدًا، ورحل وكان يحبني، لا أعرف أن عندما رحل جدي مراد كان يحبني بعد ما عرف أنني لست من أسماء، لا أعرف! هل أحد لاحظ أنني لم أقل أمي، مع أنني كنت أقول أمي دائمًا حتى بعد كل شيء فعلته، لا أعرف كيف كتبتها ولكن تحليت بالقوة، لأن المؤمن القوي أحسن من المؤمن الضعيف وأنا طوال حياتي ضعيف، ولا أريد أن أبقى ضعيف.

*****

رجعت للمنزل تلك الليلة ومعي صورة أمي، وسألتها أهي السبب، أو أنها كانت ضعيفة؟ أم أبي الذي كان مريض بالسند والعزوة والمال ومكانته؟ أم جدي مراد لأنه قد ضغط عليه لترجع وتدور الدائرة إلى أمي؟ ودخلت إلى أختي مرام ووجدتها نائمة، جلست أمامها وقبلتها على جبينها وقلت:

-"سامحيني حبيبتي كثيرًا، تعرفين أنني أحبك جدًا، عندما أموت ستعرفين كل شيء وستكرهينني كثيرًا، لهذا أريد أن أراك تحبينني، لا أريد الكره وعدم الرغبة برؤيتي ووجودي، حفظك الله".

*****

وخرجت وأنا أفكر في كل الذين ماتوا، أتصدقون؟! شعرت بالوحدة دونهم، عمتي ودفاعها، وأبي وسمر، وإساءات أسماء، وعائشة وكلامها، وأمير ونظرته، ومروة وصوتها، وأنور وحقده، اشتقت لكل هذه الأشياء، ضحكت وتذكرت جملة لا تشعرون بالشيء إلا حين فقدانه، أهذا صحيح؟ ليس دائمًا، لم يبق أحد سوى مرام، وقد نسيت! هناك جدتي وسارة، أما سند وسندس ستظلان مع أهل عائشة، دخلت لغرفة جدتي وكانت سارة تجلس أمام جدتي فاطمة تقرأ القرآن بعد صلاة الفجر وتقول:

-"لا يُكلف الله نفسًا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا لا تحمل علينا إصرًا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعفُ عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم

الكافرين".
-"بارك الله فيك! تقرئين لجدتي؟"
-"نعم القرآن هو الراحة والفرج من الهم".
-"أرتاح لكلامك هذا عن الإيمان والدين والتقوى".
-"هو مصدرنا في الدنيا، أعمالك الآن ستنفعك يوم غد، قال تعالى:"يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفسٌ ما قدمت لغدٍ"، وإن لم تفعل شيء صالح يوم الحشر ستحترق في نار جهنم".
-"وإن كنت أنا لم أفعل شيء صالح في حياتي".
-"لا يا مراد أنت طيب ومسكين وحياتك من قَسَت عليكَ قليلًا، أنت تتكلم هكذا بسبب المرض لأن مرضى السرطان يظنون أن أي يوم هو آخر يوم لهم، المرض والموت لا يعرفان صغيرًا أو كبيرًا سنموت في لحظة واحدة ونولد في لحظة واحدة".
-"يا ليتني أخذ الحياة بهذه البساطة".
-"لم تكن حياتي مختلفة عنك".
-"لا، بل كانت مختلفة، أمك ليلى تحبك، وأسامة كان يحبك ولكن من الشرب".
-"لا تتكلم هكذا، أنتَ لست مكروهًا".
-"أنا وسيلة، يستخدمها الجميع".
-"كانت خالتي أميرة تحبك، الله يرحمها ويغفر لها".
-"ولكن أنا سمعتها، إنها كرهت حياتها لاعتبارها أنني مثل ابنها الذي مات، الذي قتله زوجها المريض، وتتخيل أن أبي عندما يضربني يريد أن يقتلني، ومللت من الدفاع عني ومن كل شيء".
-"أنت تفكر كثيرًا في أشياء لا ترضي الله".
شعرت أن شعوري لن يهتم به أحد حتى بعد مرضي واقتراب موتي.

*****

وبدأت سارة تقرأ لي آيات قرآنية عن الصبر والظلم والموت:
"يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون".
"والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية

ويدرؤون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار".
"وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خيرٌ للصابرين".
وقلت لها:
-"وإن أنا عَقَبت مثل ما عُقِبت ماذا سيحصل لي؟"
-"على حسب فعلتك!"
-"حسنًا، أكملي!"
"واصبر وما صبرك إلا بالله، ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون".
"قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب".
"إن الله لا يظلم الناس شيئًا ولكن الناس أنفسهم يظلمون".
أصبحت أفكر بعد هذه الآية أأنا الذي ظلمت نفسي؟ المعنى أنني لم يظلمني أحد كل شخص في الحياة ظلم نفسه دون أن يعترف بذلك هذه طبيعة جنس آدم.
"وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدًا".
"ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون".
"ولقد أرسلنا نوحًا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا فأخذهم الطوفان وهم ظالمون".
وقلت لها:
-"أقاطعك قليلًا، ما معنى هذه الآية؟"
-"سيدنا نوح عليه السلام ظل مع قومه تسعمائة وخمسة وتسعين سنة ولم يؤمن إلا القليل جدًا، جدًا".
-"حسنًا، أكملي".
"من عمل صالحًا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد".
"وجزاء سيئة سيئةً مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين".
"الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملًا وهو العزيز الغفور".
"قل يتوفاكم ملك الموت الذي هو وكِل بكم ثم إلى ربكم ترجعون".
وقالت سارة لي:

-"وهذه عن الموت عندما يأتي ملك الموت ويقبض أرواحنا في ثانية واحدة كما وضعت في ثانية واحدة وترجع لربك كما جئت منه".

-"سبحان الله، أكملي".

-"أحببت ذلك من الواضح!"

-"نعم ومن يقرأ القرآن ولا يحبه، يا ليتَ منذُ زمن وأنا أقرأ معك".

"كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور".

قلت لها:

-"أتعرفين أن هذه الآية جعلتني أؤمن أن كل ما فعلته لم يكن إلا من مغريات الحياة الحب والاهتمام وكل ذلك!"

-"الخطأ ليس منك بل من بدايتك كيف كانت هذه البداية لا يريدها أي شخص مكانك، وأهلك ومعاملتهم فقط، وتريد النصيحة وكلام الله كي تتقوى ولا تفكر في كل هذا سوى حب الله، لا الناس!"

ومع ذلك في داخلي شعور يقول لي إنني لا أريد الموت وحيدًا.

"أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلَّاق العليم * إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون * فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيءٍ وإليه ترجعون".

وقلت لها:

-"ونعم بالله".

-"الحمد الله على كل حال!"

-"أريد آيات عن الشيطان؟"

-"أعوذ بالله! لما؟"

-"هكذا أظن أن الشيطان لا يجتمع في مكان الخير".

-"الشيطان يأتي مع ضعف بني آدم، مثلًا عندما يدخل شخص للمتجر وليس لديه مال كافٍ ويريد شراء شوكولاتة غالية الثمن فيصبح في حالة ضعف فيوسوس له الشيطان فيسرقها، وكذلك في مواقف مشابهة كثيرة أو كسرقة المال أو لقتل شخص ما أو للاعتداء

أو للضرب أو للشتم أو لشرب الخمر أو لفعل الفاحشة أو حتى قهر المظلوم، كلها أفعال يدخل الشيطان يوسوس لك وقت ضعفك فتفعلها، وأحيانًا من يفكر بأخته أو أمه أو خالته أو عمته بأفكار جنسية مثل ما فعل أمير بمروة وقت ضعف الإنسان، لأن في هذا الوقت ظل وأصبح وما زال أغلب البشر يضعفون أمام شهواتهم، ليس من اللازم أن تكون جنسية ممكن أن تكون عاطفية أو اجتماعية أو نفسية أو جميعها في آن واحد، الله وحده يعلم بكل شيء يخفيه كل شخص بداخله، وقال تعالى:"والله عليمٌ بذاتِ الصدور"، يعلم كل ما تخفيه، أي شعور تشعر به حتى للحظة، لا تصدق أحد يقول لك أعرف هذا الشخص جيدًا، لا أحد يعرف أحد، لأن لكل شخص شخصية لا يعرفها الناس، وشخصية لا يعرفها عن نفسه حتى".

-"هذا انفصام في الشخصية!"

-"لا، بل شعور داخلي يجعل الإنسان يتصرف هكذا أو يتظاهر بذلك! لأن النفسية أهم شيء وسنريحها بالقرآن والإيمان فقط".

-"وهل هناك آيات عنه في القرآن؟"

-"نعم، هناك سأتذكر".

-"هل حفظتِ القرآن كاملًا؟ قبل أن تتوفى عمتي ليلى قلت إنك سوف تكملينه؟"

-"نعم، منذ شهور قليلة حتى أكملته".

-"تذكرت، مثلًا هذه تدعو للسُبل ومنها الشيطان، قوله تعالى:"وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله".

-"هل هناك آيات أخرى؟"

-"نعم سأقرأها عليك كلها".

وبدأت تتلو لي كل الآيات الكريمة:

"يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافةً ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين".

"يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجسٌ من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون".

وقالت لي:

-"يا مراد، هاتان الآيتان حذر الله تعالى من طرق الشيطان وخطواته، ومن أعماله، وفي الآية القادمة يحذر الله من الشيطان نفسه فقال عز وجل:"إن الشيطان لكم عدوٌ فاتخذوه عدوًا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير".

-"القرآن مليء بالقصص والعبر".

-"ونعم وفي كل آية فيها قصة وعبرة يجب التعمق فيه لتستفيد".

-"وهل الشيطان والشر متساويان؟"

-"ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه، أي أن الشيطان هو السبب، مثل ما شخص يفعل شيء مثل عملية نصب يقولون هذا ذكاء لا ليس ذكاء".

-"ما هو؟"

-"هو إستلاء الشيطان عليك، أي يعطي لك أفكاره ولست أنت ويصبحون يتباهون بهذا الذكاء الجبار".

-"هل يوجد آيات أخرى؟"

-"نعم ولكن سأقول لك شيء عن الذنوب بما أن الشيطان المسبب لها، وقد ذكره ابن القيم رحمه الله، كلامًا وجيزًا إلا أنه وافٍ بالمقصود فقال:"قلة التوفيق، وفساد الرأي، وخفاء الحق، وفساد القلب، وخمول الذكر، وإضاعة الوقت، ونفرة الخلق، والوحشة بين العبد وبين ربه، ومنع إجابة الدعاء، وقسوة القلب، ومحق البركة في الرزق والعمر، وحرمان العلم، ولباس الذل، وإهانة العدو، وضيق الصدر، والابتلاء بقرناء السوء الذين يفسدون القلب ويضيعون الوقت، وطوال الهم والغم، وضنك المعيشة، وكسف البال...تتولد عن المعصية والغفلة عن ذكر الله، كما يتولد الزرع عن الماء، والإحراق عن النار، وأضداد هذه، تتولد عن الطاعة"، أرأيت كل هذه المعاني والقيم؟"

-"شيء رائع فعلًا، ويريح القلب".

-"بما أنك قلت القلب، القلب مضغة".

-"كيف؟!"

-"حديث النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله يقول:"ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب"، وهذا

يعني أن القلب أساس كل شيء فإن كان قلبك سليمًا ليس فيه إلا محبة الله ومحبة ما يحبه الله، وخشية الله وخشية الوقوع فيما يكرهه، أما من كان قلبه فاسدًا قد استولى عليه حب الهوى، وإتباع الشهوات وتقديم حظوظ النفس، فقد قال تعالى:

"يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون * إلا من أتى الله بقلب سليم".

-"ومن كان قلبه سليم، ولكن الدنيا والظروف التي عاش فيها من صغره مؤلمة ولن يتحملها أحد تجعل قلبه أسود ويفعل أشياء خاطئة".

-"هذا لأنه ضعف فقط، ضعف واستولى عليه الشيطان بأفعاله ليصبح هكذا، لهذا السبب لا تجعل الظروف تهزمك كن قوي، هي النفس البشرية ضعيفة ولكن ضعيفة أمام الله ليس أمام البشر، ولكن من ظل ضعيفًا أمام الشيطان لأنه هو من ترك له المجال مفتوحًا وضعف يكون بهذه الطريقة خسر نفسه وخسر الله بأفعاله، وقال عز وجل:"استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون".

-"يا الله، يجب أن تكون نظيف القلب ولا تجعل الشيطان يناصرك".

وكان في قلب مراد مقتنع بكلام الله وكل شيء، ولكن يريد الحنان قبل موته.

وقالت سارة:

-"وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين"،"ألا بذكر الله تطمئن القلوب"، وتذكر فقط إن الدنيا دار ممر وليست دار مستقر، بل هي دار عمل وتزود من الأعمال الصالحات، واعلم بأنك في هذه الدنيا كعابر سبيل، كمعرفة شخص فترة ويرحل يستظل بظل شجرة ثم يرحل ويتركها خلفه، فهذه الدنيا كمثل هذه الشجرة، لنعود للشيطان".

-"نعم، أكملي".

-"قبل أن أذكر لك آيات عن الشيطان، يجب أن أقول لك إن النفس أمارة بالسوء، وقد قال تعالى حاكيًا عن امرأة العزيز:"وما أبريء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي..."، وقال ابن القيم رحمه الله:"فالنفس داعية للمهالك، معينة للأعداء، طامحة إلى كل قبيح، متبعة لكل سوء، فهي تجري بطبعها في ميدان المخالفة"، أما الشيطان فإنه يعد سببًا قويًا في نقص الإيمان، فهو عدو لدود فلا هم له إلا زعزعة

الإيمان في قلوب المؤمنين وإضعافه وإفساده، فالشيطان عدو الإنسان فمن لم يحصن نفسه بذكر الله والاستعاذة به صار مرتعًا الشيطان، يسوِل له فعل المعاصي، وينقل له أفكاره وخباثته، ويرغبه في ارتكاب المعاصي، ويؤزه لارتكاب الفواحش، فيه ضياع لدينه وفسادًا لإيمانه إن استسلم له! وقال ابن القيم رحمة الله:"وإياك أن تمكن الشيطان من بيت أفكارك وإرادتك فإنه يفسدها عليك فسادًا يصعب تداركه، ويلقي إليك أنواع الوساوس والأفكار المضرة، ويحول بينك وبين الفكر فيما ينفعك، وأنت الذي أعنته على نفسك بتمكينه من قلبك وخواطرك فملكها عليك"، وأخيرًا، قال عز وجل:"وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون"، وقوله عز وجل:"يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة"، سيدنا آدم الذي خرج من الجنة من أجل شجرة، هل تعرف لماذا؟"

-"لا، أخبريني ما السبب؟!"

-"لإغواء الشيطان له، وهذا السبب جعله يخرج من الجنة، وأنا الصراحة لست أتذكر جميع تفاصيل القصة، ومع ذلك آدم نفسه قد عصى فماذا تتوقع من بني آدم؟ ولكن مع ذلك كل شخص على حسب أفعاله مع الله فقط لا غير، وقل دائمًا اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه".

قلت لها:

-"ونعم بالله".

-"والحمد لله على كل شيء".

-"أريد أن أطلب منك طلب".

-"تفضل أنت أخي مراد وابن خالي".

-"هناك صندوق في غرفتي، أعرف أنك صادقة ولا تخلفين الأمانة ولا تدخلين في شيء ليس من حقك".

-"لم أفهم شيء من كلامك! المُلَخَص؟"

-"هذا الصندوق بعد موتي..."

-"عدنا لقصة الموت!"

-"الوقت يُدَاهِمُنَا ألم تقولي أن ملك الموت يأتي في ثانية ويقبض روحك".

-"يمكن أن تكون روحي قبل روحك".
- خذي ذلك الصندوق وسلميه للشرطة، أتعديني بذلك؟"
-"حسنًا، وعد ولن أفتحه أبدًا والله، والله".
-"شكرًا"
-"ولكن سؤال!"
-"ماذا؟"
-"ما علاقتك بالشرطة كي تعطي لهم هذا الصندوق؟"
-"ستعرفين عندما تعطينه لهم".
-"حسنًا، ولكن أنا أقسمت بالله أنني لن أفتحه حتى أموت".
ضحكا كلاهما، وقال مراد:
-"عدنا لقصة الموت!"
-"لقد أخذت منك الفيروس".
وكان هاتف مراد منذ الصباح وهو يتصل ولم يجيب وكان المتصل إبراهيم قد عاد من مصر بعد أربعة شهور مضت، وقال مراد لسارة:
-"أريد أن أطلب منكِ آخر طلب".
-"ماذا؟"
-"اجعلي هاتفي معك وسيتصل إبراهيم وأجيبي وقولي له إنه ذهب للبحر".
-"ولما لا تريد أن تجيب أنت؟"
-"هكذا، بعد آخر لقاء بيننا ومكالمة ليس لدي عزم لأكلمه".
-"أنت تريد اللعب بكمال الأجسام، ليس لديك عزم؟"
-"المهم، أن تفعلي ما طلبته منك".
-"حسنًا، إن اتصل سأقول له إنك ذهبت، ولكن أي بحر!"
-"بحر الصابري".
-"حسنًا".
-"وداعًا".
-"لماذا تتصرف وكأنك ستموت منذ أن جلسنا وأنت تُوَدِع؟"

-"ألست من قلت لي أن ملك الموت..."

-"حسنًا، حسنًا، ولكن أحيانًا نحن من نقوم بأخذ روحنا، أو هناك من يأخذنا بدلًا من ملك الموت وهذا عقابه النار في كلا الحالين".

التفت مراد ليذهب، نادته سارة:

-"مراد".

-"نعم".

-"لا تفكر في الموت مرة أخرى، سأعطي لك مثال بسيط أتعرف سيد درويش كيف مات؟"

-"لا!".

-"بسبب جرعة زائدة من المخدرات، وأم كلثوم التي فتنت الناس بصوتها ماتت بسبب سرطان الحنجرة ومرض الغدة فعجز الأطباء عن علاجها حتى ماتت، وإسماعيل ياسين الذي ملأت حياته بالضحك واللهو مات مكتئبًا فقيرًا وأفلس في آخر أيامه، وسعاد حسني سندريلا الشاشة العربية التي ملأت الدنيا مرحًا وضحكًا كانت تعاني من الاكتئاب ثم ماتت مقتولة، والمطرب طلال مداح مات فجأة وهو يغني على خشبة المسرح، والمخرج نيازي مصطفى مات مشنوقًا في شقته!"

-"حتى أنا كذلك سأموت لا تخافي!"

-"ليس هذا مقصدي يا مجنون، سأكمل لك... عمر بن خطاب رضي الله عنه استشهد وهو يصلي الصبح جماعة، عبد الله بن إدريس وهو في سكرات الموت بكت ابنته فقال:"يا بنيتي لا تبكي فقد ختمت القرآن في هذا البيت أربعة آلاف ختمة كلها لأجل هذا الوقت"، عامر بن عبد الله بن الزبير كان على فراش الموت وأهله حوله يبكون سمع المؤذن ينادي لصلاة المغرب قال لهم:"خذوا بيدي!"، قالوا:"إلى أين؟"، قال:"إلى المسجد، أأسمع منادي الصلاة ولا أجيبه!"، فحملوه بين رجلين فصلى ركعة مع الإمام ثم مات في سجوده".

-"سبحان الله!"

-"أنت تختار طريقك فأحسن رسمه، وقل اللهم أحسن خاتمتنا وثبتنا على دينك الصحيح ولا تقبض أرواحنا إلا وأنت راضٍ عنا يا أرحم الراحمين".

-"آمين يا رب".
ابتسم مراد وقال:
-"السلام عليكم ورحمة الله وبركاته شيخة سارة".
-"وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته شيخ مراد".
*****

وذهبت إلى بحر الصابري وكانت الساعة السابعة صباحًا، والطريق خالية، والسماء صافية، والشمس مشرقة، والهواء نقي، وصوت طيور النورس، على البحر تذكرت تلك الخالة التي ماتت، وأول لقاء بيننا عندما شاهدت الطيور وقلت يا ليتني مثلها فعندما تضيق الأرض علي أحلق في السماء، وماتت أمام البحر وحيدة ورحلت للسماء، ومرت قطة أمامي فنظرت للأسفل رأيت دخان محترق بالكامل تذكرت عمي رشيد الذي كان يقول لي أن الوفي الوحيد هو الدخان لا يخونك أنت تموت لأجله وهو يحترق لأجلك، تمنيت أنني كذلك أقول جملة في حياتي وأُطَبِقُها، تذكرت جُملَتِي مع إبراهيم أننا سنبقى مع بعضنا إلى ما لا نهاية، وأن أقدرانا و نهايتنا ستظل مرتبطة ببعض مهما طال الزمن، ابتسمت وتذكرت أنه من تركني يوم كنت محتاج له، ولم يتذكرني إلا بعد علمه بموت الجميع وأنا سأموت، وتذكرت كلام جدي حينها:
-"هل تعرف يا مراد لو أن الوفاء ثوبًا، ماذا سيحصل؟"
-"ماذا؟ ستلبس الثوب وفاء؟"
-"لا!"
-"سترمي وفاء الثوب".
-"لا يا غبي!"
-"ماذا يا جدي؟"
-"الوفاء أي شخص يكون مخلص معك".
-"نعم، فهمت!"
-"لو كان ثوبًا لأصبح نصف سكان العالم عراه، فالذكريات أصبحت أوفى من أصحابها، لهذا السبب أنت لا ترسم في مخيلتك أن أحدهم لا يستطيع الاستغناء عنك كي لا تصاب بالوجع والخيبة فقط، وإن فعلت عكس ذلك ستتألم قل لماذا؟"

-"قلت لماذا؟"

-"لأنك يا شاطر ستتذكر كيف كان قبل أن يتغير؟ لا من حبك له".

-"فهمت الآن!"

-"لأن اليد التي تمسكك وتتركك اشكرها من كل قلبك، فلولاها لما تعلمت من الحياة أن هناك أشياء لا تُؤتَمَن، أحيانًا يقول لك كلمة في وقت الغضب ولن تنساها وستتذكرها دائمًا لأن في الغالب الكلام الصادق يُقَال وقت الغضب، لأن اللسان مجرم مسجون إن فرجت عنه وقت الغضب رماك في زنزانة الندم تحت حكم الضمير، وستنسى الألم الذي سببه ولكن لن تنسى من غرسه".

-"يا جدي كل كلامك لي حزين جدًا، لم تقل لي يومًا شيء يفرحني".

-"لأن حياتي كانت حزينة".

-"كيف كانت؟"

-"لقد حدث معي شيئًا في صغري لن تفهمه الآن ولن أتكلم عنه، غير من شخصيتي وطبعي وفكري وكل شيء في، وتعلقت بأشياء وأشخاص عوضوا لي النقص ولكن أبي كان رجل تاجر!"

-"تاجر، ماذا؟"

-"في...في الألعاب، لن تفهم الآن أي ألعاب، شغلني معه حتى تحسنت قليلًا وبقيت بجانبه دائمًا وأصبح يعتمد علي في كل شيء وسندهُ لأنني ابنه الوحيد".

-"وهل أنا كذلك؟ سيصبح أبي معي ولن يتركني؟"

-"نعم، مهما حدث معك سيظل بجانبك، تربيتي وإن شاء الله لن يحصل معه شيء".

-"وما دخل أبي ليحصل معه؟"

-"لأن أباك دخل في نفس التجارة".

-"الألعاب؟"

-"نعم، وإن فعل خطأ أو أصبح عليه ديون، أو حتى من أقاربه مثل أبي سيفعلون بك مثل ما فعلوا بي".

-"ماذا فعلوا بك يا جدي؟"

-"قتلوني!"

-"وكيف أنت الآن أمامي؟"
-"لأن أبي ظل بجانبي وأمي معي، ووقفت على أرجُلي وتَقَويت، ولكن بقيت الروح مقتولة!"
-"وهل أنا سأصبح قوي وكبير مثلك؟"
-"نعم ستصبح!"
-"معنى ذلك أفرحني بكلام يُقَوِيني لمرة؟"
-"أولًا: العلاقات التي تخسرها من أجل راحة بالك لا تعتبر خسارة بل ربح، ثانيًا: لا تَعَق من يُودُ الفراق والرحيل لأن الله قد يُبعد عنا من نحب ليعوضنا بما نحتاج ونتمنى، ثالثًا: تأسف من الله حين تعصيه وتفعل الذنوب وقل له أعلم يا الله أن رحمتك واسعة وأعلم أنك تسمع دعائي ومُناجاتي إني لا أعبدك بالطريقة التي ترضيك ولكني أحاول وأظل أحاول وإني أحبك يا الله رغم عصياني فاللهم الثبات اللهم الاتزان، ورابعًا: لا تكن حزينًا هذا الوقت سيمضي، وأخيرًا: كلنا لله راجعون، اللهم ارحمني يوم لا يسمع لقلبي نبض أحبك يا الله".
-"الحمد لله يا جدي سمعت شيء يريح قلبي!"
-"نعم، نعم، الحياة بسيطة وقصيرة فاستمتع بها، فأحب الله واجعل وقتك كله له فقط".
-"وأنت لن تجعل وقتك لي الآن!"
-"سأجعله يا ملعون".
-"سنلعب الآن لعبة الشيطان".
-"أعوذ بالله!"
-"هكذا سميتها لي أنت يا جدي!"
-"أعرف، سنغلق الباب ونطفئ النور والمكان سيظل مظلم وكل واحد منا سيذهب في مكان ويأخذ معه هذا المصباح ويبقى يشعل فيه حتى يجد الآخر ويخيفه".
-"حسنًا".
-"لنبدأ".
-"ولكن سنعد بعضنا ألا تتركني يا جدي طوال لعبنا ولا في حياتي".

-"أعدك".

-"أعدك".

هذه كانت آخر ليلة لي مع جدي قبل أن أنام في حضنه ووضعني في فراشي وتركني ورحل، وبقيت أنا في الغرفة المظلمة لأجد الشيطان بنفسي، أم هو أمامي؟ أم إنه يخرج لنا ونحن لا نعرف كيف سيسطر علينا؟ وأصبحت أحارب بمفردي في الظلام مع كل من واجهني في حياتي وقد كانت سوداء لسواد الغرفة، أو بالأحرى كسواد الليل، انتصر الشيطان، ومُت أنا.

*****

لا أعرف كمية الألم الذي أصاب جسدي ومشاعري وقلبي بنيران ملتهبة، عندما سمعت كلام سارة الذي تغلغل في قلبي وصدري، وعرفت أن بالتقوى وتذكر الله دائمًا هو الطريق الوحيد الذي سيساعدنا على تخطي صعاب وظروف الحياة، ولكن في مثل ظروفي ووضعي النفسي الذي لا أعرف إن كنت سأفعل هذا! لأنني أضعف وسأضعف، كنت وما زالت وسأظل أريد الاهتمام والحب والعطف من أي شخص، الملجأ الذي أبحث عنه طوال حياتي وجاء الوقت لأموت وما زلت أبحث عنه، أهو موجود ذاك الاهتمام؟ أم أنني أتوهم كعادتي مواقف حب واهتمام وكلام لم يقل لي، وأصطنع أشياء لم تحصل كي يفاجئونني بها، وأظل أضحك وأبتسم وفي واقعي هو حقيقي، لا تقولون هذا كذب، الخيال عند الكاذب هو الحقيقة! أحيانًا تصادف هذه المقولة واقعنا، ولكن هذه كانت إحدى أعراض أمراض النقص العاطفي، وتنفس مراد ببطيء شديد، ورن هاتفه، وأجاب:

-"ألو؟"

-"أين أنت يا مراد؟ اتصلت على رقمك الآخر أجابت فتاة وقالت لي إن معك هاتف آخر".

-"نعم، أريد أن أرتاح وأن أنام وأنام بلا عودة".

-"ماذا بك؟"

-"صداع فقط، أعراض المرض".

-"حسنًا، قرأت القصة كاملة، كم هناك كمية ألم وحزن ووجع هناك مشاهد جعلتني

أبكي ولكن لما جعلت النهاية هكذا!"

-"حياتنا مثلما قالت سارة كظل شجرة نجلس قليلًا ونرحل، أو كقطار نركبه والتفاصيل تحدث داخله، أو كأنها كخطوط اليدين وفي وقت ما سيتوقف كل شيء!"

-"لم أفهم شيء!"

-"غدًا ستفهم! متى ستبدؤون بطباعتها؟"

-"أيام قليلة وستنشر خلال شهرين، لأنها تناقش مواضيع وقضايا اجتماعية ونفسية وجنسية ودولية في قصة واحدة، أنا متشوق كثيرًا لها وستكون ناجحة وتحقق نسبة مبيعات عالية جدًا".

-"أيؤلم ذلك أن الشيء الوحيد الذي تمنيته في حياتك لن تشعر به ولا نجاحه بعد موتك؟"

-"لا تتكلم هكذا! ستشفى".

-"بل القلب لن يشفى، حتى وإن تعافى جسدي، القلب سيظل يتألم وحيدًا طيلة حياته".

-"يا مراد؟!"

-"لا مفر من النهاية!"

وأغلق السماعة، وبوجه شاحب أصفر اللون، عينان انطفأ فيهما روح الحياة، والترهل يحيط بهما، رحل وجه مراد الجميل، رحلت لمعة وضحكة عينيه، ونور وجهه الساطع، وشفتاه اللتان كانتا مثل حبات التوت، وشعره الأسود الداكن، وحاجباه المرفوعان، وأهدابه الكثيفة، لم يبق من كل هذا شيء قط! وحتى جماله تركه، وضحك وتذكر أغنية حلاوة روح الجمال يرحل ولكن جمال الروح لن يرحل، ولكن من قدر جمال روحهُ، لا أحد، وقال جهرًا:

-"لا حتى إبراهيم، ولا حتى إبراهيم".

واتصل بهاتفه، وقال:

-"رضوان، هل فعلت ما قلته لك؟"

-"نعم، ولبست الغطاء الأسود على وجهي وجعلت أحد الرجال الآخرين غير المشبوه فيهم يتكلمون معهم كي لا يعرفون الصوت بعد أسئلة الشرطة".

-"وهل أخفيتم بصرهم عن النظر كي لا يروا المكان، ويعرفون أين كانوا؟"
-"نعم فعلت، ولكن أين المستند الأخير الذي كان عند مصطفى، نحن لا نريد قتلك أو اغتصابك، ما زلنا نقدر مرضك ومساعدتك لنا".
-"سأعطيه لك غدًا، ولا تنس كلامي سابقًا، إنك لن تنسى وجهي طيلة حياتك!"
-"بلا كلام فارغ، وأغلق فمك!"
واتصل مراد بعد ذلك، وقال بخوف وهلع ويصرخ:
-"الشرطة، الشرطة، أرجوك هناك من يريد قتلي ويهددني وأنا مريض، نحن موجودون على بحر الصابري أنقذوني، أنقذ..."
وأغلق السماعة، ونظر بحدة:
-"هكذا ستأتون على الفور".

*****

وبعد دقائق قليلة جدًا، سمع مراد صوت يقول:
-"مراد، مراد".
التفت، وكان إبراهيم، نظر مراد في برود وهدوء واختفى كل هذا الحب لأنه ليس حب بل مرض نفسي، ركض إبراهيم وحضنه، وبقي مراد ثابتًا، وقال له إبراهيم:
-"أين أنت؟ لما لا تجيب على الهاتف؟"
-"لست خاليًا من المواضيع".
-"اصمت يا حيوان، لقد اشتقت إليك كثيرًا".
ابتسم مراد بحرقة وألم، قائلًا:
-"اشتقت؟"
-"نعم، أنت لم تشتاق؟!"
-"أأنا على قيد الحياة من الأساس كي أشتاق لأحد؟!"
-"لما تغيرت؟"
-"تغيرت؟ لم يعجبك مظهري الجديد، كنت دائمًا خائفًا من أن أبقى بشعًا كي لا أبقى وحيدًا والجميع يتركني، وأنت تتركني!"
-"ماذا تقول؟"

-"أنت لم تحبني، أنت أحببت مظهري، خوفًا من أبقى وحيدًا من دونك وللفت انتباه أهلي اخترعت مرض السرطان أنا وعمتي أميرة".
نظر إبراهيم بغرابة وقال:
-"ماذا؟ كيف ذلك؟ مراد هل دماغك حصل به شيء؟!"
-"لم أنتظر منك أي شيء، كنت أريد أن تبقى في دنياي فقط، تقاتل معي، لا أحب شعور الوحدة، كنت أريد الشعور بقلبك معي، أتعرف؟!"
ويتنفس بصعوبة، والبكاء ينهمر من عينيه بغزارة:
-"أتعرف، أنني كلما أرى أشخاص يضعون صورهم على الإنترنت مع والدتهم أشعر بشعور يخنقني، أرى صورك أنت مع أمك، أتمنى أن يحبني شخص ويفتخر بي أمام الناس، كنت أرى الجميع يجعلون أمهاتهم كل شيء في حياتهم، وأنا لا أعرف إن كنت أكرهها أو أحبها، تمنيت الحب منهم، والله تمنيت حضن واحد فقط، قد كنت أنام أتخيلهم بجانبي وأبتسم وأضحك من الوجع، عندما أرى الأخوة تمنيت أن يكون لدي أخ، مع أن محمد كان على قيد الحياة، لكن كانوا يفصلون بيننا، كنت أرى الأمهات يحضنون أبنائهم أبتسم لحرقة قلبي، أنت لن تشعر بي؟ لأنك الوحيد لدى أمك وهي تحبك وأنت كذلك، وأنا بقيت وحيدًا عندما كانوا وحين رحلوا، كنت أتظاهر بالمرض، لا بل صدقته والله كنت أبكي على نفسي لأنني كنت مريض، أتصدق؟ في نفسي كنت مريض، كي يهتموا بي ويحبوني وأنت كذلك كي لا تتركني!"
وجه إبراهيم الذي بدأت تبدو عليه علامات الصدمة، قال:
-"يا حقير! لقد كنت تخدعني طيلة هذه الشهور!"
-"لكي لا ترحل فقط!"
-"ولما؟ قل لما؟ أنا أحبك وسأبقى معك".
-"لم تبقَ، لقد مللت مني لأنني كنت دائمًا حزين، كنت أشكو لك من أشياء هم لم يفعلوها حتى تهتم بي وتتصل وتبقى باستمرار معي، مع ذلك أعرف أنها فترة وسينتهي كل شيء، ولكن أريد أن أشعر بالاهتمام ولو قليلًا فقط".
-"أنت مريض ولا تريد الاهتمام، جئت من أجلك وكنت أريد أن أجلب أمي لعائلتك لتراك!"

-"ما زلت تكذب، لن تأتي، أنا أعرف".
-"أنت الكاذب والمخادع".
-"الدنيا دوارة، كما تكذب على شخص يومًا ما ستعيش أنت نفس مرارته الذي سببتها له، كما كذبت أنت علي في بداية معرفتي بك، سبعة شهور كاملة، أكملت أنا باقي الشهور".
-"لا تعرفنِي ولا أعرفك من الآن".
بدأ مراد يبكي بغزارة من جديد، وقال:
-"لا، لا، لا أريد أن أبقى وحيدًا، لا أريد أن أكون وحيدًا، أنسيت وعدنا سويًا سنموت مع بعضنا، وأقدارنا ستظل مرتبطة ببعضها".
-"ليس وعد!"
تحولت جميع أطراف ملامحه للحزن، وأجاب بهدوء تام:
-"أخبرتك بأنك كل شيء لي، كل شيء أملكهُ، أخبرتك أنني أريدك معي ولا تغيب عني، يا ليت لم أعرفك، ولا أصبحت أنت تعويضًا لنقصي، ويا ليت لم تقترب مني يومًا وبقيت أنا في عينيك حلمًا يصعب الوصول إليه".
-"أنت تريد مستشفى وهذا كله لن ينفعك!"
-"أنت سبب كل هذا الموضوع، وأنت ماذا فعلت؟ تركتني وحيدًا وذهبت، فلما أحكي لك عن الباقي، ماذا ستفعل؟"
-"ماذا؟"
-"كما فعلوا بي فعلت بهم، كانوا يجب أن يحبونني كلهم، فعلت وخططت لكل شخص ظلمني وقهرني في حياتي كلها!"
-"لم أفهم عليك!"
-"سأحكي لك كل ما حصل معي منذ وفاة مريم وموسى اللذان كانت البداية منهما وأكملت بنفسي مسيرتي".

*****

قبل ثلاث سنوات مضت حتى الوقت الحالي.
بدأ كل شيء حين ذهب مراد مع رجل عرفه من الإنترنت، وضربه ورماه على الطريق،

وكان الرجل كما ذكر سابقًا يشتغل مع أبيه مصطفى والبقية، ورأى مراد الجميع وعرف بسرهم هذا! ولم يقل لأحد لأنه لم يكن يهتم لشيء سوى أن يعيش براحة، وكان كتومًا ولا يحكي لأحد أي شيء يحصل معه، وبعد ذلك عندما جاء الدكتور شادي لهم ليعطي كالعادة الإبر والدواء الذي يجعل جدته فاطمة تنام أكثر وتبقى في الغيبوبة، وعندما رحل تكلم مع مصطفى في الخارج، ونسي الدكتور هاتفه فقالت له أميرة أن يعطيه له، فخرج مراد وعندما وصل أمام الباب سمع كلامهما وتحالف الدكتور معهم أيضًا، وبذلك جاء في بال مراد أشياء شنيعة، ولكن كان في ذلك الوقت ما يزال بطيبته وحنيته، وربط الأمور ببعضها وأن الدكتور شادي وأمير ومصطفى وعبد الواحد والمعتصم بالله ورضوان الذي اغتصبه يتعاونون سويًا، فرجع لغرفة جدته وقالت له أميرة:"لما رجعت والهاتف ما يزال معك"، قال لها:"لم أجده"، ودخل مراد غرفته وشغل الكمبيوتر المحمول الخاص به ونقل كل شيء كان موجود في الهاتف، كان الدكتور يسجل صوت وصورة ومستندات كي يضمن نفسه منهم!

وكانت من بينها أخذ أعضاء أم مريم، وعندما مات موسى ترك له رسالة:"مراد، صديقي الوحيد، أعرف أنني أهنتك وأسأت إليك وجرحت كرامتك ولكن ندمت، وكما يقولون ستندمون يوم لا ينفع الندم، هذه رسالة لك، افتح مكتبتي وسترى صندوق صغير موجود فيه مفتاح الحل، لقد أخذت مستندات وصور وتسجيلات من أبي لجميع الأشخاص الذين معه، أكمل أنت طريقك، وانتقم منهم كما فعلوا معك سابقًا، ودمروك كما فعلوا معي، كما يفعلون مع باقي الأطفال والشباب والرجال، أما أنا لن أبقى وأستمر بحياتي بعد ما حصل معي، أرجوك تسامحني على كل شيء".

وعندما ماتت مريم أخذت حق أمها ولحقت بها، وتركت له هي أيضًا نفس الشيء، دخلت لغرفة أبيها فائز وأخذت كل الأوراق التي تثبت أنه كان مشترك في كل العمليات معهم، ووضعتها وكتبت رسالة لمراد، وقالت:"مراد، صديقي حتى لو كان كل شيء في البداية ليس جيد، ولكن أنا كنت صادقة معك منذ البداية، وأحببتك ولكن أريدك أن تسامحني بعد أن أموت وأتركك، وأريدك أن تعرف دائمًا أن لا مفر من النهاية، كما لديك بداية يوجد نهاية، أحبك كثيرًا".

وأخذ مراد هذه الملفات وكان يضعها تحت فراشه، بل كان يضعها تحت الخشب أيضًا،

وهذه كانت مفتاح الحل الذي يتكلمون عنه دائمًا، لا يعرف ماذا سيفعل بها، سوى أنه يأخذ كل شيء ويخبئه!

*****

ورأى مراد نظرة أمير إلى مروة وعرف كل شيء بينهما، وعندما رجع من اليوم الذي رأى فيه إبراهيم، وخرج مصطفى وأميرة ليتكلما وسمع كلامهما ولكن في تلك الساعة لم يفهم، كانت تحكي له بخصوص سوزان وذلك الرجل العجوز الذي تكلم مع مراد قبل خروجه من المستشفى، وبكى كثيرًا من كلام أبيه عنه، وكانت في الصباح عندما أوصل أخاه محمد للمدرسة رأى سيارة مظلمة تلحقه وأعطت له الرقم فأخرج الرقم من حقيبته واتصل وقال:

-"أنا موافق أن أساعدكم في أن تأخذوا حقكم من أبي، وأخذ أنا حقي".

-"حسنًا، سنلتقي إذًا يا حلو".

-"اتفقنا يا رضوان!"

كانت تلك السيارة المظلمة موجود فيها رضوان، لأنهم كانوا يريدون المال من مصطفى، والقائد الأعلى يريد أن يأخذ حقه من جده مراد في السابق، ففكروا بمراد لأنهم يعرفون معاملة أهله معه فقالوا إنه سيساعدنا بما أنه معهم في المنزل وأنه أيضًا يكرههم، فعندما جاءت السيارة أمامه ووجهت السلاح أمام جمجمته وقال:

-"ادخل الآن سريعًا".

-"حسنًا".

دخل مراد وقال:

-"من أنتم؟"

كشف الغطاء عن وجهه، وقال:

-"أنا رضوان الذي استمتع بك منذ زمن".

ارتعش مراد وقال:

-"ماذا تريد مني؟ اتركني!"

-"أنا لا أريد منك! بل أريد من أبيك ويأخذ القائد حقه".

-"وأنا ليس لي شان بأحد!"

-"لك شأن، فكر يا مراد، إنهم يكرهونك ولا يحبونك، يضربونك ويعذبونك ولا يحترمونك، ولم يقدروا ما حصل معك في صغرك حتى أصبحت تخاف من كل شيء، فكر فقط!"

بعد هذا الكلام والدموع تنهمر من عيني مراد، وصمت قليلًا، وقال:

-"لا، لا، لا أريد".

-"أنت سوف تجلب لنا مستندات المال، أبوك نائم على ملايين ولا يعطيكم من بخله، فكر في حياتك، سعادتك ستبقى مع ناس تحبك أنت لهذا الشيء!"

وهذا الكلام أضعف مراد وقال:

-"لا، لا".

-"فكر فقط، واتصل بي، هذا رقمي في هذه الورقة، والآن اذهب قبل أن يأتي أحد!"

*****

وبعدما رجع مراد وسمع كلام مصطفى عنه، وظل يبكي، في تلك اللحظة اتصل به، وكان مراد يريد أن يوقع عصفورين بحجر واحد، سيظل يُغرِي رضوان كي يأخذ هاتفه والفلاش وباقي الأشياء الإلكترونية ليعيد تخزينها لديه، ليس كما ظن أنه سيساعده، كي يرتاح مراد منه فقط، وليتخلص من مصطفى، وقال مراد:

-"كي لا يشك أبي في شيء سأنسخ منها نسختين الأصلية معك والمقلدة معه، وعندما ننتهي منها جميعًا سيكون في ذلك الوقت قد انتهى هو كذلك!"

-"حسنًا".

*****

وفي يوم ما كان مراد قد رجع من البحر يتكلم مع تلك الخالة وكان خاله عبد الواحد ومصطفى يتكلمان، وجاء في ذهنه أن يسمعهما واختبأ بين الأشجار، وظل يسمع كلامهما عن قتل الرجل والد سعد وأنس والذين قتلوا أمه أيضًا، وعندما بحثت عنه أميرة وكانت تنادي ذهب سريعًا لغرفته وتظاهر بأنه يغير ملابسه.

*****

وبعد أن خرج إبراهيم من المستشفى للكسر الموجود به وكان حزينًا لأن الفتاة التي كانت حبيبته-سلسبيل- ستتزوج فخاف أن يتركه ويفقد حضن وحنان الأم والأب

في مخيلته، وعندما رجع وظل يبكي ودخل لمروة وقال لها وسمعهما أمير وخرجت ومسكها وقالت له كل شيء عن مراد وإبراهيم في تلك الساعة كان مراد يسمع كل كلامهما ودخل لغرفته وتظاهر بالنوم، وعندما جاءت مروة لتتكلم معه لم تجده في غرفتها وفتح عينيه وقال لنفسه:

-"وأنتِ التي كنت تقولين لن أخونك أنا بيت أسرارك مع ضعفك قلتِ كل شيء، وكما قلت كل شيء سينقلب عليك، لأن الدنيا دوارة".

وفي هذا اليوم ظل مراد يفكر في شيء كي يتعلق به إبراهيم مثل السابق، ومع ذلك كان كله وهم، وأن يوقع مروة وأمير في نفس المأزق والحساب العسير.

*****

وحلم مراد في نفس الليلة بحلم انشقاق الأرض وخروج الدماء منها، وعندما استيقظ كانت الدماء تخرج من أنفه، كان السرطان في داخله من تلك الساعة، ولأنه وأميرة لم يجريا أي تحاليل سوى الذهاب للمستشفى فقط، فلم يعرف بشيء إلا متأخر، وكل حلم له موجودة فيه الدماء كانت هذه هي الإشارة وبعدما كانت الدماء دائمًا تنزل من أنفه على وسادته أو عندما كان مع جدته فاطمة وغيره، وعندما حزن منه إبراهيم بعد ضرب أمه له ولا يريد أن يأتي للمنزل لم يعد يتصل به، فهذا الشيء جعله يفكر في شيء جهنمي، ذهب لرضوان بينما الجميع كانوا في بيت عبد الواحد في منطقة بوعطني لتهنئة رتاج بنجاحها في الجامعة، ذهب له بسيارة أجرة في مستودع قديم بمنطقة الهواري، وقال له:

-"رضوان، حبيبي ألا تريد أن تعود للأيام القديمة".

ابتسم رضوان وقال:

-"أنا أريد لأنك أصبحت أكثر جمالًا من السابق، جسمك وشكلك وكل شيء".

-"حسنًا، لنذهب لمكانكم أنتم".

-"ولما ليس هنا؟"

-"لنأخذ راحتنا فقط!"

وذهبا هناك وقال مراد:

-"اذهب للغرفة وأنا سألحقك، أين الحمام؟"

-"إنه ليس نظيف كي لا تتعفن وتنزع جمالك".
-"لا تخف".
وذهب مراد مسرعًا إلى مكتبه وكان هناك دولاب كبير فيه جميع المعلومات عنهم والعمليات والبيع والشراء والأسلحة والمراهقين الفتيان والفتيات وكل شيء، فأخذ كل الملفات المخزنة في الفلاش و hard disc وMemory card ووضعها في كيس أسود صغير وفتح النافذة ورمها للخارج، ودخل له وقال:
-"أبي اتصل بي الآن، اجعلها مرة أخرى".
-"لا يصح هذا، لقد لعبت مائة مرة ضغط وجهزت نفسي نفسيًا وعاطفيًا".
-"وجسديًا وجنسيًا، أعرف ولكن سآتي في الأسبوع المقبل".
-"هل أوصلك قريب من المنزل؟!"
-"لا، لا، أريد أن أذهب لبوعطني عند خالي، قريب من هنا، مرة أخرى!"

*****

وذهب مراد إلى هناك، وعندما وصل لبداية الشارع كانت هناك سيارة في الزاوية والظلام مسيطر عليها، وسمع رجل يتكلم بالهاتف يقول:
-"أنا الآن قريب من منزلك، لا تفعلي شيء خاطئ، واجلبي باقي المال، سنتقابل بعد أسبوعين".
رد عليه الآخر:
-"هذا ممتاز يا أنس".
-"ما رأيك يا أخي؟"
فتح مراد باب السيارة من الخلف وصعد فيها، وقال:
-"أهلًا شباب".
رد عليه أنس:
-"من أنت؟"
التفت سعد ونظر نظرة شديدة فيه وقال:
-"أأنت مراد؟"
رفع مراد حاجبيه بمعنى نعم، وقال أنس:

-"مراد من؟ أتعرفه يا أخي؟"
-"نعم يا أنس، رتاج كانت تريني جميع صور العائلة، وهذا ابن عمتها".
قال مراد:
-"لقد سمعت بالصدفة كلامكما، وأظن أن رتاج أرسلت صورها لكما وأنتما تهددانها لأنها دائمًا على المواقع التواصل الاجتماعي".
قال أنس:
-"إنها مواقع فساد فقط، فساد جنسي واجتماعي!"
قال مراد بكل ثقة:
-"أظن أنكما الأخوين اللذين ماتا أبواهما، أهذا صحيح؟"
مسكه سعد من وسط حنجرته، وقال مراد بصعوبة:
-"أنا...فق...فقط...أري...أريد...المساعدة".
أفلته سعد وقال:
-"وفيما ستساعدنا؟ وكيف عرفت بهذه القصة؟"
وقال أنس:
-"وما الذي يجعلنا نثق بك ولا تنزع خطتنا؟"
رد مراد:
-"الصبر ثم الصبر، أهدافنا مشتركة، أنتما قتلوا والديكما بغير حق، وخالي عبد الواحد كان يتكلم في القصة مع أبي وسمعتهما بالصدفة، هناك تفاصيل كثيرة حدثت طويلة لن أذكرها، المهم، أريد أن أقول لكما أنهم الجميع ظلموني ولقد أساءوا بي كثيرًا، ولقد تعذبت في صغري جدًا، أنتم سأجعل لكم رتاج لأنها لم تفعل لي شيئًا، ما رأيك؟"
رد سعد بنبرة كلها شر:
-"ممتاز، أريدها تتعذب كما قتل أمي أمامنا، سأقتل عبد الواحد هذا أمامها".
وقاطعهم أنس:
-"ولكن هل نسيت عبد الله أخاها؟ نحن نعطي له المخدرات والإبر كفيتامينات يوميًا".
قال مراد:

-"أنا أريد عبد الله لأنه ظلمني وأهانني أمام جميع من في المدرسة وكان يسيء لي أمامهم، وآخر شيء أخبر أهلي هو وسليم بكل شيء عني، متفقون؟"
صافحوا بعضهم، وقالوا سويًا:
-"متفقون".
وقال مراد:
-"والآن بما أننا أصدقاء، ضعوني أمام البحر".
*****

وعندما عاد مراد ومعه الملفات التي أخذها من رضوان نسخها على الهاتف، وكانت تحمل جميع المعلومات من صغيرهم لكبيرهم، أسماءهم ومساكنهم وأين الأماكن التي يتقابلون فيها، وسمع صوت أميرة، ودخل مصطفى وصرخ عليه وضربه على صفعه لمحمد، أصبح في تلك اللحظة يريد التخلص من محمد كي يصبح حب واهتمام أهله له، وظل يبكي وكان يخطط لعيد ميلاد إبراهيم، وأميرة خرجت هي ومصطفى لتتكلم معه عن الجد آدم الذي ذهبت له وقالت لها السكرتيرة أنه قد مات بأوامر من مصطفى لأنه دفع المال لها ولدكتور المستشفى، وسمعهما مراد فخاف أن يذهب ويعرف هو بذلك، وبعد أن دخل مصطفى واتصلت به عائشة وصعد أبوه للأعلى لحقه مراد كي يعرف عن ماذا يتكلمان؟
*****

وعندما خرج مراد في الصباح بعد أن اتفق مع رجل من الفيسبوك كي لا يخسر أمله الوحيد في الحياة كما كان يظن، ذهب للبحر والجميع نائم وتقابل مع رشيد الذي سيساعده في نشر قصته وبعد أن رحل، اتصل بهاتفه:
-"رضوان، الأيام القادمة ستخطفونني".
-"هذا ما أريده، وأخيرًا قد عطفت علي ورحمتني، لقد تشردت من الجوع، أنت تطبق في المثل العين ترى واليد لا تصل".
-"سآتي إليك مساءً".
-"ولا تنس، اجلب النسخة من الملفات، تساعدني أساعدك، واحدة بواحدة".
-"حسنًا".

وأغلق الهاتف، وقال مراد لنفسه:
-"يا حيوان، الذي فعلته بي في السابق وجعلتني هكذا وضاع عمري سأدفعك ثمنه غاليًا، ولكن سأبدأ من بداية السلم".
وخنقته العبرة، وقال:
-"لم يحبني أحد، أريد أبي وأمي، ليسا معي في وقت مرضي".
ومع أن في ذلك الوقت لم يتفق مع عمته أميرة ولكن كان دائمًا يتظاهر به للناس الذين لا يعرفهم كي لا يفعلون به شيء ويعطفون ويهتمون به.
*****

وعندما رجع من البحر سمع مصطفى وسمر يتكلمان بهدوء والجميع ما يزالون نائمين عن التحليل في مختبر الرازي الذي يقابل مستشفى الجلاء للحوادث، كي يثبت أبوة الطفل له، فخطط كي يعرف أين ستضعه ويأخذه.
وظل مراد يفكر في عيد ميلاد إبراهيم، وبعدما انتهى منه وأسعده ذاك اليوم، ابتعد إبراهيم وعندما مراد اتصل به، وقال له سأتصل بك لاحقًا، شعر مراد بعد الرغبة به وبدأ يرتعش ويضحك وبعد ذلك يبكي، وقال:"أريد أمي، أمي، أبي، ليس لدي أحد، أنا فقط بمفردي، أنا، أنا فقط".
*****

وفي اليوم التالي اتصل به سعد وقال:
-"مراد، لقد اتصل أخي أنس برتاج الآن وسيلتقيان، ونحن قد وضعنا خطة، ولكن سألني أنس ماذا عن عبد الله؟ قلت له صديقنا الودود سيفعل هذا!"
-"نعم، أنتم لكم رتاج، بعد الانتهاء من قصتها سأتولى موضوع عبد الله، سيتألم كما جعلني أتألم، ولكن أنا لن ألمس أحد، سترى، الجميع سيموت دون أن يكون لي أي شأن!"
وأغلق الهاتف، وقال لنفسه:
-"ولكن إبراهيم تركني، أو على وشك ذلك، لن يبقى لي أحد بعد ذلك، سأتصل برضوان وأقول له اليوم يخطفني!"
ورد رضوان:

-"أين أنت يا حلو؟"

-"رضوان، اليوم ستأتي أمام المدرسة ولكي يظهر الأمر حقيقي وأمام الأعين سأقول لعمتي أن تأتي بما أن يدي مجروحة، وطبعًا لن تقول لهم أنك أنت، مجهولون الهوية خطفوني!"

-"في هذا الشيء سيبدأ شغلنا، لا عليك".

*****

وعندما نزلا مراد لعمته ووجدها في غرفة عمته، وجاء مصطفى وقال له على عيد ميلاده وكم فرح مراد ولم يصدق ذلك، وعندما قالت له أميرة أخرج وسآتي إليك وأخذك كما قال لها مراد، بقي وراء الباب يسمع كلامهما والابتسامة على وجهه، حتى قال مصطفى أنه يريد استغلاله، عبس مراد وخرج للحديقة وجلس يبكي:

-"يا الله، يا الله، لم أفعل لهم شيء، لما يفعلون بي هذا، آه، تعبت، تعبت، إنهم أهلي يا الله، لم يحبني أحد، هل الخطأ أنا؟ أم هم؟ يا الله".

وسمع مراد صوت مصطفى يريد أن يخرج فاختبأ كي لا يراه، وكانت الحديقة على يسار المنزل وكان يتكلم مع سمر وتقول له أن الطفل منه، فقال:"وأخيرًا سيصبح لدي طفل أفتخر به"، هذه الكلمة زرعت الكره والحقد في قلب مراد، ومع أنه عندما سمع بخبر عيد الميلاد أراد أن يتصل برضوان ويلغي كل شيء، ولكن الآن الأمور أصبحت تتأزم أكثر فأكثر.

*****

وخطفوا مراد وقال لرضوان:

-"سنتصل الآن قبل أن يأتي خالي عبد الواحد والمعتصم بالله".

-"نعم، ونحن كذلك نريد أن نتخلص منهما في أقرب وقت، هذه أوامر القائد ولن نخبرهم بما نفعله مع مصطفى، لأنهما سيعرفون كل شيء سنفعله معهما بعد ذلك!"

-"حسنًا اتصل بهما".

واتصل رضوان بهم ولم يكلمهم هو بل شخص آخر من رجاله كي لا يعرف صوته، وجاء عبد الواحد والمعتصم بالله وبعد ذلك ذهبا وكان مراد في الغرفة الداخلية للمستودع الذي يقيمون به، وقال مراد لنفسه:

-"خونة، الجميع يخون بعضه، لا أمان للبشر أبدًا، لا أمان لهم".
وبعد ذلك اتصل بهم مكالمة فيديو كيف يصدقوا كل شيء، وقال لرضوان:
-"اضربني على وجهي، وفي جسمي، اجلب تلك العصا الآن".
-"لماذا؟"
-"عندما يروني هكذا سيأتي أبي مسرعًا، أنا متأكد!"
وضربني، وأطفأ النور ليتضح المكان وكأنه بعيد ومظلم، وبدأت أصرخ وأبكي ولكنني لا أتظاهر بل من كل قلبي كان ذلك، وبعد ذلك في اليوم وصل لنا خبر وفاة عبد الواحد وسجن رتاج وقلت لرضوان:
-"وهل عرفوا من القاتل؟"
-"كانا شابان أحداهما مات والآخر سُجِن!"
-"يا الله".
-"هل تعرفهما؟"
أجاب مراد بارتباك:
-"لا، لا، لا أعرفهما، من أين أعرف أشكال كهذه؟"
-"وهل أنا شكل من هذه الأشكال؟"
-"لا، أريد الحمام الآن!"
-"أتتهرب؟ حسنًا ادخل".
ودخل مراد للمكتب ووضع الملفات الإلكترونية لمكانها، وبعد ذلك فتح رضوان الغرفة وقال:
-"عما تبحث هنا؟"
-"كنت أفكر في أن نقيم ليلة هنا".
-"وأخيرًا بدأت تفكر، ومعنى ذلك متى ستؤكد ذلك؟"
-"قريبًا، ولن تنسى وجهي!"

*****

وبعد مرور ثلاثة أيام من العزاء، وأسبوع آخر قد رحل، قال مراد بحزن:
-"لا يريدني أحد، أول مرة أرى شخص يظل مخطوفًا كل هذه الأيام وأبوه لديه أموال".

قال له رضوان:
-"موت عبد الواحد قد جعلهم ينسون!"
-"ينسون؟! ينسون ابنهم، لو كان محم..."
-"ماذا؟"
-"محمد..."
-"ما به؟"
-"اخطفوه اليوم، أنت اعتدت على الخطف ولن ترفض لي طلب، تساعدني أساعدك!"
-"حسنًا".
-"وبعد ذلك سنتصل به ونطلب مليون جنيه مقابل أن نرجع كلانا، ويجب أن أتظاهر بأنني مخطوف حقيقي أمام أخي".
وخطف رضوان محمد، وكنت أنا في الغرفة الأخرى وهو في الغرفة المجاورة لي، واتصلنا بأبي، وقال:
-"من المؤكد أريد محمد".
كم جعلتني هذه الكلمة أحترق من داخلي، لما أنا لا؟ لم أؤذهِم في شيء، سوى أنني أريد حبهم، اختار محمد، وقلت لرضوان، والدموع على خدي:
-"أترى يا رضوان لقد تخلى عني، اختار ابنه هذا! وتركني أنا، أنا الذي فقدت شرفي، أصبحت غير صالح للاستعمال، هذا من وجهة نظره ونظر الجميع، لهذا لم يفكر في أحد، حتى إبراهيم، حتى إبراهيم".
نظرت بحدة إلى رضوان:
-"أعطيه مهلة اثنتي عشرة ساعة إن جلب المال خذه، وبعد ذلك اتصل به مكالمة فيديو وأكون أنا معكم وأبكي على حظي، وتأخذ السلاح وتقتله، اقتله، اقتله وأرسل له ابنه كما يريد".
وبعد ذلك فعل مصطفى كل شيء وقتلوا محمد ووضعوه في صندوق وأقيم العزاء، وبعد ثلاثة أيام رجعت وكان الاستقبال حارًا جدًا، بالأحضان والحب، هذا كان في مخيلتي فقط، أو هذا ما كنت أريده، لأن الإنسان في الوقت الذي يريد فيه شيء يصنعه في عقله ويؤمن به، وهو في الغالب سيكون شبه مستحيل.

*****

بعدما لم أجد منهم اهتمام وقالوا لي يا ليت أنني مت مكانه، وإبراهيم بعد كل هذا الوقت لم يسأل وعندما وضعت صورتي على صفحته، وفي اليوم التالي رأيت الكلام الذي كانوا يقولونه أصدقائه علي، وأهانني وأساء إلى كرامتي، فَلِأُلفِت الانتباه ويصبحون كلهم يهتمون بي من جديد ويحبونني قررت الانتحار لثاني مرة، والمرة الأولى كانت بعد خروجي من المستشفى بعد أن فعلوا عيد ميلاد لمحمد وأنا تركوني.

*****

ومع ذلك مصطفى لم يهتم، وأوقفوا النزيف بعد أن قطعت شرياني، فقال مراد لعمته أميرة وهما في المستشفى:

-"عمتي، أريدك أن تساعديني يا حبيبتي؟"

وأميرة باكية، قالت:

-"حسنًا، يا حبيبي قل أي شيء أفعله، ولكن لا تفعل هذا الشيء مرة أخرى، كدت أن تقتلني!"

-"إن أردتِ ألا أفعل هذا مرة أخرى، وتريدين صحتي جسديًا ونفسيًا، قولي لهم أنني مريض".

نظرت أميرة والغرابة على وجهها:

-"ماذا؟"

-"قولي لهم أنني مريض بسرطان الدماغ".

-"لماذا؟!"

-"سيحبونني كثيرًا، هم يحبونني ويتمنون ألا أموت من كلام أبي وأمي دائمًا، أنا أعرف ولكن كي يموتون في أكثر، أو أنني أموت".

-"ولماذا السرطان؟ عفاك الله من هذا المرض!"

-"هكذا، لأنه هو الوحيد سيبقى معي حتى النهاية!"

-"حسنًا، ولكن إلى متى؟"

-"شهور قليلة فقط، كي أرتاح يا عمتي، من أجلي، وسيظل بيني وبينك والدكتور شادي فقط حتى الموت".

-"حسنًا، سأقترح عليه هذه الفكرة!"
اتفقنا مع الدكتور شادي ووافق على ذلك، وعندما جاء أبي وأمي هنا الصدمة لم يستجيب أحد أبدًا بل كأنني عدوٌ لهما، أو قاتلٌ، أو جاسوس، لم أكن إلا طفل برئ مسكين انتهكت طفولته ورحل كل شيء يملكه، الأم ليست أمي، والأب كان يريدني كمصدر للمال، وبعد ما حصل معي في صغري رفضني كليًا، ليس هو فقط، بل الجميع!
وبعدما خرجت عمتي أميرة مع مصطفى خارج الغرفة، قال مراد للدكتور شادي:
-"كيف حالك؟"
-"ماذا؟!"
-"ضميرك؟"
-"لم أفهم!"
-"تقتل بدم بارد".
-"اصمت!"
-"أنت الذي ستصمت، وإلا أخبرت الجميع بكل شيء، وأولهم عمتي عن صفقاتك، وقتلك لجدي، وإعطائك الإبر لجدتي، وكل شيء، أتفهم؟!"
-"لماذا؟ أرجوك لا أريد شيء سوى أن تصمت!"
-"حسنًا، إذن مقابل صمتي أنت ستصمت، مثلًا إن فكرت أن تخبر أبي أو أي شخص بموضوع المرض، أفهمت؟!"
-"نعم، فهمت".
وقال مراد بنبرة صوت كلها شر:
-"سوف يدخلون الآن، تصرف بشكل طبيعي، حسنًا يا..."
-"حسنًا، حسنًا، فهمت".
لم يجد سوى إبراهيم بكى عليه، فوضع مراد يده على فمه وأصبح يرتعش ويبتسم ابتسامة عريضة وفرح كثيرًا، وقال في نفسه:
-"هناك من يحبني؟ لما أحزن!"
لقد كانت هذه لحظة واحدة، وظل إبراهيم يعطي له أعذار وأسباب لعدم اتصاله والسؤال عليه، فكان مراد يريد تلك الأشياء فصدم بالعكس حتى منه، وظل كل يوم

يأخذ في إبر الفيتامينات ويذهب للمستشفى مع أميرة، يجلس معها مع الدكتور شادي ويرجعان، ودخل في شخصية المريض، أصبح يبكي على مرضه وأنه سيموت ويشغل أغاني حزينة، ويذهب بأفكاره عندما يسمع إبراهيم وأهله خبر وفاته، وهم يبكون عليه ويبكي وهو يتخيل ذلك، ويضحك ويصدق أنه سيحصل، وينام.

*****

وذهب للبحر وكانت تلك الخالة قد ماتت بسرطان الكبد وحيدة، فظل يبكي، ويقول:

-"أنا سأموت بمفردي كخالتي هذه، لن أموت، لن أموت، يجب أن أتصل برضوان وأعود من جديد!"

*****

وذهب مراد وأميرة لخالته ليلى قبل الذهاب للمستشفى، وكانت تبكي لأنها وجدت مال مع سليم ولا تعرف من أين جلبه، وقالت لها إنه في الداخل مع عبد الله نائمان، فقال مراد في نفسه:

-"قد نسيت موضوع عبد الله، هو يريد المال من أجل المخدرات طبعًا، وأنا سأفتح له الطريق"، وقال لعمته:"سأدخل لأراهما".

فدخلت عليهما، وأيقظتهما وقلت لهما:

-"عبد الله، تريد المال من أجل أن تأخذ كل ما تريد؟"

فأجاب ببطء شديد:

-"ن..ع..م".

-"اذهب لعمك المعتصم بالله، هو وأبوك يشتغلان في تجارة الأعضاء والسلاح والمخدرات، ادخل عليه وقل له أريد المال سيقول لا، قل له أعرف كل شيء، أبي أخبرني قبل أن يموت، من أخبرك؟"

-"أ...أبي".

-"ممتاز، وإذا قال لك لا، اركض للباب وقل له سأخبر الشرطة، سيخاف ويعطيك المال، حسنًا، أفهمت؟"

-"فه...فهمم...فهمت!"

-"بطل".

نهض سليم وقال:
-"قوو...قولوا لي، ماذ..ماذا هناك؟"
ورد عليه مراد:
-"أنت اصمت ولا تتكلم بشيء، أفهمت؟!"
ردد عبد الله الكلام:
-"أنن...أنت اصمت ولا...ولا تتكلم بششش..بشيء، أفهمت؟!"
وقال مراد لسليم:
-"أنت يا سليم، إياك أن تقول شيء سوف أعطيك ما تريد، أفهمت؟ ولا تنطق باسمي على الإطلاق".
-"و ستعطيني ما أريد، أليس كذلك؟!"
-"نعم، هذا مؤكد، أنت فقط لا تقل شيء من الكلام الذي جرى بيننا، وأنا سآتي إليك في الأيام المقبلة وأعطيك ما تريد".
وقال عبد الله:
-"أفهم...أفهمت؟...يا..يا...غبي!"
وأصبح عبد الله وسليم يضحكان، وقال لهما مراد:
-"اصمتا، وإلا تراجعت عن كل شيء".
رد عليه عبد الله:
-"أرجو...أرجوك...لا".
-"حسنًا، إذن اذهب لعمك المعتصم بالله وافعل ما قلته لك، أفهمت؟!"
-"نع...نعم...فهمت".
-"ولا تذكر اسمي على الإطلاق حسنًا، كي أعطيك ما يحلو لك".
-"حسنًا".
-"وأنت أيضًا يا سليم، كما اتفقنا".
وردد سليم:
-"حسن...حسنًا..حسنًا".
وفتحت الباب وكانت عمتي ليلى تقول لعمتي أميرة أنها حامل، وخرجت وقلت:

-"كانا نائمين، دفعني سليم فخرجت".
-"حسنًا، لنذهب يا مراد".
*****

وذهب عبد الله إليه وكان الموت متربصًا له، واتفق مراد مع رضوان على أنه سوف يتصل بالمعتصم بالله في الوقت الذي يكون عبد الله موجود معه كي يخبره المعتصم بالله بكل شيء، واتصل رضوان بعد أن اتصل المعتصم بالله به وجلب معه الدكتور شادي وأخذوا أعضاؤه ودفنوه، فقال رضوان:
-"مراد، المعتصم بالله قتل عبد الله".
-"وأين دفنه؟"
-"في الحديقة".
-"لن يطول الموضوع، سينكشف، وحينها سيقول لك إن لم تخرجني سأقول لما قتلته وكل شيء، قل له حياتك أم سجنك لشهور، اخدعه بهذه الكلام، سيختار حياته طبعًا، وسندعه يتعفن في السجن".
وقال مراد في نفسه:
-"وأنت ستلحقه لأرتاح منكم جميعًا، على كل ألم فعلته بي!"
*****

وعندما اتصل مراد بإبراهيم وذهبوا للمقبرة واستلقى مراد في التابوت، تمنى أن يقول له أي شخص الكلام الذي قرأه له إبراهيم، وذهبا للمنزل وكان إبراهيم يريد الذهاب لمصر، وأصبح هذا آخر لقاء بينهما بعد أن كانت مروة تخبر أمير كل شيء إما بالتهديد أو بالإغراء، وقطعوا علاقة مراد به، وإبراهيم ذهب ولم يودعه لآخر مرة بعد أن توسل إليه مراد عدة مرات، وقال:
-"الجميع سيدفع الثمن، بدايةً من مروة وأمير والباقي أنور وعائشة على سجنهم لي في المزرعة، سيرون جميعهم!"
*****

وعندما ذهبت لمنزل رشيد القطعاني وكان قد توفي هو كذلك بقيت وحدي بعد مغادرة الجميع من حياتي وأصبحت أتألم، وعندما صعدت للأعلى وكانت عمتي أميرة تتكلم

مع الدكتور شادي وتقول:
-"يا شادي، تعبت من هذه المعاملة معي ومع مراد الذي لم ييأس حتى الآن!"
-"أتريدين أن تنهي الموضوع".
-"نعم، لأنني اعتبرته مثل ابني حسام ومللت منه ومن حزنه، مللت كثيرًا، لن أدافع عنه أكثر من ذلك، كلما أفتح له الموضوع وأقول له يجب أن ننهي كل شيء يغلقه وأنا ما زلت أُقَدِر وضعه فقط".
-"يمكنك في أي وقت أن تقولي إنه بدأ يتحسن وسيشفى، سينتهي الموضوع لأنه لم يعطِ له أحد أي اعتبار".
وعندما خرجا وجداني أبكي، ونزلنا والتقينا بعمتي ليلى وكانت تريد التخلص من حياتها ومن الطفل الذي في أحشائها.

*****

وظلت عمتي أميرة تحاول فتح الموضوع وأنا أغلقه، وأصبح الانتقام يضرب في رأسي، لهذا قبل أن أخرج وأذهب للمزرعة أخذت المسدس الخاص بأبي ووضعته في المكتبة كي تراه، وأصبحت أتظاهر أمام مروة أنني ألتفت كي تقول لي عن ماذا تبحث؟ لأنها ما تزال تظلم نفسها على ما فعلته بي، وجلبت لي الساعة ورأت المسدس وأخذه أبي ورأته هي أين وضعه؟ وقلت لها انتبهي لنفسك من أمير لا تجعليه يأتي أمامك، افعلي أي شيء، لأنني كنت مجهز لشيء لن يخطر في بالها، وذهبنا إلى عمتي ليلى وكانت الشرطة آتية لتأخذ سليم فَكُنتُ قد أخذت من رضوان حبوب الترامادول والإبر، ودخلت عليه وقلت:
-"سليم، هذا ما تريده، ولكن سأعطيها لك عندما يسألوك الشرطة كيف ذهب عبد الله؟ تقول إنه هو من قال لي إنه ذاهب لعمي في منزله، أفهمت وستأخذ هذه!"
مد سليم يديه، وأبعد مراد عنه الحبوب والإبر، وقال:
-"بعد أن تقول ما قلته لك، حسنًا؟"
-"حسنًا".
-"شاطر حبيبي سليم".

*****

وبعد أن عرفت أن عبد الله أخرجوا جثته والمعتصم بالله لم تقبض عليه الشرطة حتى الآن، تضايقت وذهبت للعزاء، ومع أنني في تلك اللحظة تمنيت أمي تأتي وتحضنني، ولكنها اتهمتني بقتله، وكانت تحملني مقتل محمد، بَرَدَت روحي تجاههم فقررت أن أكمل ما بدأته.

*****

ورأى مراد أخته قمر التي كان لا يعرفها، ولكن نظرات أميرة وخاله قاسم ومصطفى كانت مشككة، فأصبح حائر مع كل الذي فعله، ما زال بسيط الفهم وطيب وصافي القلب من داخله، ولكن للشيطان لا يوجد لحظة للدخول!

*****

وسمعت عمتي أميرة كلام مصطفى وقاسم عند نزولها، فسألت مراد عندما كانوا راجعين بالسيارة:

-"مراد، حبيبي هل تعرف شيئًا عن شغل أبيك؟"

-"لا".

-"حسنًا".

-"أهناك شيء؟"

-"سؤال فقط! لا أعرف، هناك شيء بينه وبين خال قمر، لأنني رأيتهما يتكلمان بصوت منخفض عند نزولي، ولم أفهم شيء".

-"ماذا هناك بينهما مثلًا؟!"

-"لا أعرف، لقد رأيت هذا الرجل منذ زمن، لكن أين؟ أحاول أن أتذكر أين؟!"

كنت في تلك اللحظة منبهر ومصدوم من سؤالها لأنها لا تعرف شيء عن شغله، ولا أنا كنت أعرف شيء عن قاسم، وبعد ذلك بيوم ذهبت أنا وعمتي للدكتور شادي وسَمِعَت كلامه مع مصطفى ولم تفهم ودخلت ولم يحصل شيء، سألتني حين رجوعنا:

-"مراد، أظن أن أباك يحاول إخفاء سر ما".

فجاءت في بالي فكرة أن أجعلها تفقد الثقة في الدكتور شادي، وقلت:

-"أظنه يعطي دواء ليس جيد لجدتي كما قالت لك دكتورة سلوى، فلماذا لم يعط لكِ الاسم؟ أو عندما تَدخُلِين عليه هو وأبي يُغَيرَانِ الموضوع، فكري قليلًا".

-"صحيح كلامك!"

-"كما فعل معنا نحن وساعدنا في إخفاء المرض طيلة هذا الوقت، وأنت تعرفين أبي، بالمال حياته كلها ومن المؤكد الدكتور يفعل نفس الشيء مع جدتي!"

-"أريدك أن تساعدني لأخذ الدواء، حسنًا؟"

-"حسنًا سنذهب غدًا".

*****

وعندما ذهبت في اليوم التالي لعمتي ليلى وبقيت أميرة وسارة يتكلمان بالخارج، ودخلت أنا عليها وقالت لي عمتي ليلى:

-"مراد، مراد، تعبت لن أنجب هذا الطفل".

-"أجهضيه".

-"قالوا لي لن أستطيع أبدًا، هناك مخاطرة على حياتي، ولا أي مستشفى أرادت فعل شيء، وحتى النساء في البيوت".

-"ماذا ستفعلين؟"

-"أنا أعطيت رسالة لسارة الآن وهي خارجة رأيتها؟"

-"نعم، وماذا تنوين أن تفعلي؟"

-"لأنني لن أستطيع أن أنجب الطفل ويضيع كما ضاع سليم وأنا أموت قهرًا، لأنني ميتة من الآن".

-"تريدين الموت؟!"

هزت رأسها، وقال مراد:

-"إن كان من أجل أن تقتلي أسامة ذاك وتجعلين أبنائك في راحة فهذا ممتاز، وأنتِ ماذا ستفعلين إذن بالطفل إن لم تستطيعي قتله؟!"

نهضت ليلى وقال:

-"مراد أنا خائفة أن أخبرك!"

-"قولي لي!"

نظرت موجهة وجهها للبنزين، ونظر مراد هو أيضًا وقال:

-"نحن في كلا الحالتين سنحترق الآن أو غدًا، لا مفر من النهاية، افعلي ما يحلو لك،

سترتاحين صدقيني!"

-"هذا رأيك؟!"

-"نعم، الرسالة بين يدي سارة الآن، لا تتراجعي، كي تنقذي نفسك وأبنائك، احرقيه واحرقي نفسك يا عمتي، افعليها، افعليها".

-"حسنًا، سأفعل ذلك لأنني الآن ميتة كلا الحالتين".

-"هذه الحياة يا عمتي، أشخاص جسد بلا روح، وأشخاص روح بلا جسد، وهناك من حياته بلا روح، وأشخاص حياتهم خلف القضبان، وفي ضيافة البؤس وظلمة الشروق وعتمة الحياة، ليس لدي ما أقول سوى إننا في رحلة، رحلة في مقبرة الأحياء".

*****

وخرج مراد وتشجعت ليلى على فعل هذا العمل الفظيع! ومراد وجدها فرصة، في وقت العزاء سيظل هنا ولن يعود للمزرعة، كي يختلي بسليم الذي أصبح يتردد على المنزل بعد حرقه، وكان يتصل بمراد ليجلب له الإبر والمخدرات التي كانت ممزوجة بنفس المواد التي قُتِلَت بها أميرة على يد الدكتور شادي، والتي كان يأخذها منه مقابل ألا يقول كل شيء، فبعد خروج مراد من منزل عمته ليلى ذهبا للدكتور شادي وقال لعمته أميرة:

-"عمتي، أنتِ ظلي في السيارة سأصعد له وأعرف كيف أجلب منه الدواء".

-"حسنًا".

ودخل مراد للدكتور شادي، وقال:

-"أهلًا يا دكتور، كيف حال الكبد والقلب معك؟ أتقطعهما جيدًا؟"

بلع ريقه، وقال:

-"ماذا تقول؟"

-"أحرك شفتاي فقط، أترى؟ أو تريد أن تقتلني كما قتلت جدي وحرمتني منه؟"

نهض الدكتور من مكانه، وأشار مراد بيديه للأسفل قائلًا:

-"لا يصح هذا، هدئ من روعك! ما يزال الوقت مبكرًا كي تنفعل!"

-"ماذا تريد؟ لا تتكلم هكذا، سوف يسمع أي أحد هنا".

-"أولًا أريد مثل ذلك السم الذي وضعته في الإبرة وكتبت في شهادة وفاة جدي أنه

توفي أثر سكتة قلبية".
-"من قال لك كل هذا؟"
-"هاتفك".
-"ماذا؟!"
-"ذاك الوقت الذي نسيته على السرير، أتتذكر؟ وكلامك مع أبي".
-"ماذا تريد يا مراد؟ سأعطيك كل شيء لتصمت، مال، أي شيء".
-"حب، إحساس، طفولة، براءة، كرامة، كبرياء، عمر، مشاعر، هل تستطيع أن تعطي لي كل هذا؟ الجواب لا طبعًا".
-"وأميرة ماذا عرفت؟"
-"عرفت اسم الدواء، وشكت فيك أنت وأبي عدة مرات".
كان مراد يريد خداعه كي يعطيه الاسم، ويحقق ما يريده ويجعل عمته تصل إلى السر، وأكمل حديثه، وقال:
-"كان اسمه هو ال..."
-"لا تقل لي أنه صوديوم البينتوثال؟!"
-"نعم هو نفسه".
-"يا الله!"
-"إن شاء الله خير، قل الحمد لله أنها لم تعرف بموضوع جدي".
-"وإن عَرَفَت بكل شيء؟!"
-"مني أنا مستحيل، لكن بنفسها ستعرف، وإن عرفت كي تنقذ مستقبلك ومهنتك يجب أن تقتلها، تعطي لها الإبرة التي تجعلها تفقد الوعي، واحقن لها الباقي، وأخيرًا لن أقول لك كم من شهادة وفاة زورتها يا دكتور، أسألك سؤال؟ من أعطى لك لقب دكتور؟ من اللازم أن تكون قد المسؤولية وأنت ما شاء الله قدها".
-"سأفعل كل شيء من أجل مستقبلي ومهنتي".
-"ومن أجل الذين قتلتهم، من سيفعل لهم كل شيء؟"
-"ستخبر أحد؟!"
-"لا، اقتل عمتي فقط كما تريد أن تقتلني، سمعتها".

وبدأ يبكي مراد بحرقة والحسرة على وجهه:
-"سمعتها، تريد أن تتركني ولا تريد الدفاع عني وملت مني، سأجعلها تدفع الثمن!"
صمت مراد قليلًا، وأكمل حديثه:
-"هل ستقتلها من أجل حماية نفسك إن عرفت؟"
-"نعم ولن يرجف لي جفن".
ابتسم مراد وقال:
-"حسنًا، والآن اجلب لي الإبرة التي استخدمتها لقتل جدي، عفوًا لمساعدة جدي، كيف تكون الثقة سائدة بيننا".
خرج شادي للطابق السفلي كي يجلبها من الثلاجة التي يضع فيها الأدوية، وأخرج مراد هاتفه وأطفأ التسجيل الذي كان يسجله بصوت الدكتور حاليًا ويسجل أيضًا كل مكالمة لرضوان معه، وظل يبحث عن علبة الدواء في مكتبه، الذي يسبب الدخول في الغيبوبة، ويقول:
-"صوديوم البينتوثال، صوديوم البينتوثال، صوديوم البينتوثال، صوديوم البينتوثال، وجدته، مسكين سهل خداعه وهكذا أصبحت رقبتك في يدي عمتي!"
وكان صوت رجلين الدكتور قريبة، جلس مراد على الكرسي وأعطى له الإبرة التي خلطها مراد مع المخدرات وأعطاها لسليم.
-"شكرًا، وتأكد أن سرك في بئر عميق ما له قرار".
-"شكرًا، واتصل بي إن أميرة عرفت شيء كي أجهز نفسي".
-"حسنًا، كن على الموعد!"

*****

ونزل مراد وأعطى الدواء لأميرة، ووضعته عند قمر في اليوم الذي اعترف لها بكل شيء وبحبه لها، وعندما كانت أميرة متجهة نحو الدكتورة سلوى سمعت بموت ليلى وأسامة فعادت، وبعدها قمر قالت لمراد:
-"نحن لا نصلح أن نبقى سويًا".
واتصلوا بمراد وأخبروه بنفس الخبر، فقالت له قمر:
-"يجب أن نذهب الآن!"

-"قفي هنا! يجب أن تقولي لي ماذا هناك؟ لا تنكري، منذ أن جئت وكلام أبي وخالك ليس طبيعي ونظرات وألغاز، أريد أن أفهم الآن!"

-"أنا أختك".

نظرات الصدمة في عينيه، قائلًا:

-"ماذا؟!"

-"نعم، أنت وأنا توأمان من أم واحدة اسمها سوزان".

-"سوزان! دائمًا أسمع بهذا الاسم، عمتي تتكلم مع أبي وتقول له قتلتها!"

-"مراد الذي هو جدك أو جدنا، كان يريد طفل، وهذه الحقيرة أسماء كانت تجهض دائمًا، وأمي كانت مع علاقة بأبي وحامل بنا، فقتلها مع هذا الدكتور صديق أميرة، أنا وضعوني في الملجأ وأنت أخذوك كي يضمنوا المال".

قال مراد في نفسه:

-"شادي الحقير، كنت في جدي والآن بموضوع أمي، سترى!"

وقالت قمر والدموع في طرفي عينيها:

-"قتلوا أمي التي هي أمك، سلبوا منا طفولتنا يا أخي، لهذا السبب اخترعت المرض كي نقترب من هذه العائلة".

وعبس مراد وقال:

-"ولكنني أنا مريض، سأموت يا أختي، سأموت!!"

وما زال مراد مقتنعًا بمرضه، ووجد شخص يحبه حب حقيقي، أخته التي لم يجتمع بها أبدًا قبل ذلك، وحضنها لأنه كان يريد الاهتمام ويجد في حضن أي شخص كان الراحة والأمان وأنه يحبه، ولن يتركه وحيدًا، هذا كان المرض النفسي، وخططت قمر لقتل الجميع هي وقاسم عندما يأتون للمنزل، وقلت لها عن كل العلاقات التي في المنزل والقرف الذي يحصل بينهم كي تواجههم به مع باقي الأشياء، ولم أخبرها هي أي شخص آخر عما فعلته وما أريد فعله، وقالت قمر:

-"إن لم تأت أسماء هذه مشكلة، من اللازم أن نفعل شيء! سنعذبها كما عذبتك!"

-"لا تقلقي أنتِ!"

-"هل حَضَرتَ شيئًا؟"

-"لا، لا، لا شيء، اجعليها على الله فقط".
-"وبعد ذلك سنهرب جميعًا".
-"ولكن أنا لا أثق بقاسم أبدًا، ولا تقولي له أنني عرفت".
-"لماذا؟"
-"هكذا فقط، حتى اليوم الأخير وسنظل نتظاهر بتصرفات طبيعية جدًا مثل السابق".
-"ونعيش أروى وآدم".
-"إن شاء الله".

*****

وبعد أول أيام العزاء وضعت نسخة مقلدة من التحاليل تحت وسادة سمر لأجعل الخوف يطردهما، أما سليم فقد اتصل بي بعد أيام قليلة من وفاة أمه الساعة الثانية بعد منتصف الليل، وذهبت له بمنزلهم الموجود خلف منزلنا، الشوارع خالية من الناس دخلت وكان فاقدًا للوعي وحقنته بالإبرة وقلت له:
-"أتعرف يا سليم، كم كنت أحبك؟ ولكن لماذا أسأت لي أنت وعبد الله أمام الأقارب عدة مرات وأمام الناس وفي الشوارع والجيران والطلاب، كنتما تنكران أنني قريبٌ لكما، وما سيحصل لك نتاج أفعالك، لست أنا الفاعل!"
وبعد دقائق قليلة انتقل سليم إلى رحمة الله، وأغلقت الباب بالمفاتيح التي كانت موجودة معه ورميتها في مجاري المياه وذهبت للنوم.

*****

وعندما ذهبت مع عمتي لجلب الفراولة وأعطيت الجميع، ولكن في كوب مروة وضعت لها كمية كبيرة من المُسهل، وأصبحت كل يوم أعطي لها حليب أو عصير وفيه كمية من المسهل كي تبقى بالمنزل ولا تستطيع التحرك واتصلت بأمير:
-"أمير".
-"عمك، عمى عيناك".
-"حاضر، ولكن اتصلت بك بأمر من مروة، تعرف أنت هي مريضة جدًا".
-"ماذا تريد؟"
-"تقول لك المنزل فارغ غدًا".

-"المعنى؟"

-"قالت لي ذلك فقط، مشتاقة لكلامها مع عمها، وكل شيء، وقالت لك ستجد الباب مقفل افتحه وادخل".

-"ولما لم تكلمني هي؟"

-"هي تخجل منك، وتبكي وتقول لك لا تريد، وهي في الواقع تريد وبقوة، واخترعت أنها مريضة كي تبقى في المنزل فقط من أجلك، تريد العضو الخاص بك، وتفعل ما يحلو لك بها".

-"أنا لست بقوة بل بشراسة، أتتكلم عن أختك هكذا أمامك شيء طبيعي؟!"

-"وأنت عمها!"

-"حسنًا قل لها سآتي غدًا على صلاة العصر بعد أن يذهب الجميع للغداء كي نُصَلِيهِ جماعة".

-"حسنًا، وتقبل الله لكم من الآن!"

وأغلق الهاتف، وقال لنفسه:

-"كما قلتِ لي يا مروة سابقًا، ما أفعله فيك سيرجع لي والدنيا دوارة".

*****

وعندما كانت أسماء تبحث عن مفاتيحها، كان مراد قبل أن يخرج وضعهم في الدولاب وتحتهم ورقة التحاليل كي تعرف كل شيء! لأنها قد قالت له كلمة لن ينساها طوال حياته كسرت قلبه، حرقت جدران صدره، كتمت على أنفاسه، أصبح هنالك فيضان داخله من البراكين تجتمع وتكون شيء واحد لا ألم ولا وجع ولا قهر، وكل ذلك الكلام بل كان داخل مراد الرماد، الرماد فقط! قالت له:"سأموت في سيارتي ولن أدفع عليك جنيه"، فحقق أمنيتها، أخذ المفتاح كي تبحث عنه ووضع الورقة كي تقرأها ولتشغل سيارتها وتذهب إليهم في غضب، وعندما تريد أن توقف السيارة لن تقف لأنه قد قطع فرامل السيارة.

*****

وكان مراد بعد أن ترك أميرة صاعدة للدكتور شادي لأنها سمعت وعرفت بكل شيء، وظل مراد يخفي الدواء عنها بعد وفاة ليلى ولم تجده ولا يريدها أن تعرف لكي يحصل

ما خطط له، إلا في هذا اليوم ويكون نهاية الجميع، أعطاه لها على أساس أنه وجده تحت كرسي السيارة، وبعدما صعدت، وذهب مراد في سيارة أجرة، اتصل بالدكتور شادي قبل أن تصعد له:

-"دكتور، عمتي آتية إليك الآن، لقد عرفت بكل شيء".

-"يا الله، يا الله، ماذا أفعل؟"

-"قلت لك إن حياتك ومهنتك في خطر".

-"سأقتلها وسأغير التقرير".

-"نعم هذا الكلام، اصعد للمكتب العلوي، لا يوجد أحد في هذا الطابق وافعل كما تريد".

-"صحيح كلامك المكتب العلوي أفضل، سأجلب الإبرة كي أجهزها".

-"واجعل رهف تساعدك، السكرتيرة، أليس هي من تساعدك في أعمال بيع الأعضاء؟!"

-"وأنت كيف عرفت ذلك؟"

-"من هاتفك، تهدد الفتاة بالقتل إن تكلمت يا حقير، على كل حال موفق!"

وكان مراد قد آتى في الصباح ووضع كاميرا صغيرة للتسجيل بين باقة للأشجار وأخذها بعد أن آتى للمستشفى وجلبوه مع قمر في النهاية.

*****

وذهب مراد مسرعًا إلى بيته وأغلق الباب بالمفاتيح كي لا تخرج مروة، وبعد ذلك ذهب لقمر واتصل برضوان وهو في الطريق وقال:

-"رضوان، لم تخبرني بشيء آخر".

-"بخصوص ماذا؟,نعم، تذكرت، بخصوص قاسم قلت لك يريد العودة ولكن نحن نريد التخلص من الجميع، وقال إنه سيترك ابنة أخته ويأتي لنا".

-"هذا الحيوان أعرف ذلك، ليس لدينا حظ أبدًا!"

-"ماذا سيحدث؟"

-"اتصل أنت بالشرطة فورًا وأخبرهم عن المكان ليأتوا هم بعدي تمامًا وأكون خارج كل قصة وجريمة حصلت، وارمي الرقم في القمامة بعيدًا عن مكان وجودك، أتفهم؟! والأهم أنه ليس باسمك؟"

-"ليس باسمي".
-"رائع جدًا، افعل ما قتله لك، لكي يكون آخر مستند لديك اليومين القادمين وترتاح هكذا".
-"حسنًا".
وسمعت بعد ذلك قمر مكالمة قاسم، وكان رضوان قد أخبر الشرطة بالمكان وأغلق الهاتف ورمى الرقم، وبعد ذلك وصل مراد للمنزل، ودخل ووجد قمر على الأرض، ومسكه قاسم من الخلف، فحاول خنقه حتى الموت حتى قتلته قمر، ومات قاسم ودخلت هي السجن مدى الحياة، وبقي مراد على قيد الحياة.
أما باقي الأحداث فجميعها كانت موضحة، حتى وصلت إلى هنا أمام البحر وإبراهيم معي.

*****

وكان إبراهيم مصدوم بكل ما سمعه، لم يكن يتوقع كل هذا من مراد، وقال له وهو يحرك رأسه يمينًا ويسارًا:
-"أنت لست مراد! لست مراد الذي كنت أعرفه!"
ومراد كانت الدموع تنهمر من عينيه، وقال:
-"لم أقصد أن أفعل كل هذا، والله صدقني!"
-"هذا كله لم تقصد، معنى ذلك إن كنت تقصد ماذا فعلت؟!"
-"هم من أجبروني على فعل هذا، كنت أحبهم وهم لم يحبوني!"
-"أنا الآن كرهتك كثيرًا".
صرخ مراد وقال:
-"لا، لا، لا تقل هذا، أنت الوحيد الذي أحبني بصدق".
-"أنت مريض، مريض!"
-"الجميع يحبني أنا أعرف، أمي كانت معي بالأمس، بجانبي تحضنني وتقبلني".
وعلامات الغضب والكره على وجه إبراهيم، وقال مراد وهو ينظر إليه بكل ألم ورجاء:
-"أرجوك، أرجوك لا أريد أن أموت أو أكون وحيدًا، أتعرف، أتعرف؟ لم أرتح أبدًا في حياتي، كنت أرى حب الأهل لأبنائهم وأنا لم أستطع حتى التعبير عنه، عندما يطلبون

مني في المدرسة التعبير عن الأم والأب أشعر بكسرة وألم داخلي".
وصرخ مراد بصوت كله ألم:
-"أتفهم هذا الشعور؟ لا لن تفهم! لأنك لم تعش ربع الذي عشته، كنت أرى حب الجميع لأهلهم، ويسألوني هل أهلك يجلبون لك الهدايا؟ أتشعر بهذا الوجع، أبتسم وأقول نعم يجلبون لي، كنت أرى الاهتمام من الرجال الذين يودون ممارسة الجنس والرغبة والشهوة في جسدي فقط، حتى بعد موتي أعرف أنه لن يحبني أحد، أعرف، سيكشف كل شيء، ولهذا لا أريد أن أموت بمفردي، إبراهيم أريد فقط أن تبقى بجانبي حتى أموت، لا أريد أن أكون وحيدًا أو أذهب لأي رجل".
-"أنا لست تعويضًا للنقص، لست مستشفى أمراض نفسية، أهلك وقتلتهم..."
-"هم قتلوني، هم قتلوني!!"
-"اصمت! هذا عقاب الله لك على أفعالك، سيجعلك تتعذب وحدك وتموت وحدك، كما قضيت حياتك تبحث عن النقص الذي بداخلك".
تقدم مراد نحو إبراهيم ليُقبل يديه، وقال:
-"أرجوك، أرجوك، لا أريد أن أموت وأكون وحيدًا، من أجل ما كان بيننا فقط".
-"ما كان بيننا وهم، وهم. استيقظ لم تكن سوى فترة قصيرة وتنتهي".
حدق فيه مراد بنظرة تحمل الألم والحسرة، وقال:
-"لا تمزح يا حيوان، ألم تشتاق لشجارنا؟"
-"يا شاب أنت خيالك واسع جدًا، شجار ماذا؟ صدقت كل ذلك الكلام!"
خنقته العبرة، وقال:
-"لا تكذب علي، لا تكذب!!"
-"مراد، يا مراد".
-"أنسيت كم بكيت علي كثيرًا، وكم كنت تحب الجلوس معي وسماع صوتي وكل شيء".
-"ذلك كله كان ماضيًا، لا يوجد أحد يبقى لأحد لكي تتعلم كل القصة أنني اعتدت عليك فقط!"
-"ابق معي!"

-"الآن ما أستطيع فعله أنني لن أخبر الشرطة عنك، تقديرًا لوضعك، لأن أيامك أصبحت قليلة".
-"أريد البقاء معك في أيامي القليلة".
-"أنا؟ أبقى معك أنت؟!"
-"لماذا لا تبقى؟"
وصرخ مراد ودفعه وقال:
-"ها، قل لماذا؟ لقد فعلت كل شيء، كنت أفعل أشياء قذرة من أجلك كي لا تتركني وأبقى وحيدًا ولا أحد معي، أبيع نفسي كي أجلب المال وأقيم لك عيد ميلاد كي تعود كما كنت، وتبقى معي كنت أريد أمي وأبي، أريدهم معي".
-"وأنا لست هم!"
-"تظاهر، لا تصبح هم، تكسب الأجر و لك الثواب والله، عندما تعطف على ضعيف مثلي".
وضحك إبراهيم باستهزاء:
-"أنت ضعيف؟!"
-"ضعيف، لهذا السبب أغراني الشيطان وفعلت كل هذه الذنوب".
وصمت قليلًا، وابتسم وقال:
-"أتذكر عندما قلت لي سأفعل لك عيد ميلاد؟"
-"سأفعله على قبرك!"
عبس وجهه، وابتسم ابتسامة عريضة وقال:
-"أتتذكر وعدنا؟!"
-"لا تصدق أي وعد من أي أحد، حتى وإن كان شخص يحبك!"
خنقته العبرة، وقال مراد:
-"ولكن لم يعدني أحد إلا أنت، لأنني أنام لسنوات وسنوات لن يسأل أحد، ولن يخاف علي أحد، يمكنني أن أغيب متى شئت!"
صمت قليلًا، والدموع تسيل بصمت، حدق في إبراهيم ببرود وقال له إبراهيم:
-"ماذا؟"

-"أتعرف أن عدم الاهتمام والوحدة وقلة العاطفة أفظع وأسوأ فقر في الدنيا".
-"وأنا ما موقعي؟"
-"أنت لن تشعر لأنك لم تجرب، لم تجرب الوحدة التي تجتاحك بين أهلك، بينك وبين أمك التي كانت تضربني دائمًا وتسيء لي، لم تقل أي كلمة جيدة أتذكرها سوى أنت كالفتيات، اذهب للرجال ليغتصبوك، هؤلاء أصدقائك، كانت تُهِنني وتذكرني بما حصل معي، لم تُدَافع عني يومًا، عندما كان محمد يفعل شيء تصرخ ولا تفعل له شيء، كنت أتخيل ذلك على نفسي وأبتسم من الألم، بل أنني أصبحت الألم نفسه، عندما اختبرتهم وقلت إن أبي سيأتي بالمال وينقذني وجربت ولم يحصل شيء، خطفنا محمد قال سيأتي سريعًا، وقلت لرضوان أن نُخيرَهُ بيني وبينه، فصرخ وقال:"من المؤكد محمد، من المؤكد محمد".
ضحك مراد وقال:
-"لن أقدر أن أصف لك كمية السعادة".
وخنقته العبرة، وأكمل حديثه:
-"لن أقدر، أتعرف كم تمنيت حب أمك لك وأبيك؟ كم تمنيت أن يحبني شخص كحب أمك لك؟ كانت تنقصني عائلة كاملة، ينقصني صديق، ينقصني أن أحب فتاة وهي تحبني، ينقصني حب، ينقصني أمان، ينقصني راحة، ينقصني القوة، ينقصني. ..ينقصني..."
صمت مراد قليلًا، وبدأت الابتسامة ترفع ببطء بنظرة حزن، وقال:
-"ينقصني أن أنظف جسمي، تمنيت لو أنني نظيف في وسط الفساد الذي نعيش فيه، أنتزع جسمي مرة فأصبح معتاد على هذا الشيء، وأصبح جميع الناس ينفرون مني أصبحت وحيدًا، ذليلًا، حتى وإن بَيَضت صفحتي أمام الناس".
حرك مراد رأسه يمينًا ويسارًا، والدمع يسيل منه:
-"لن أستطيع أن أُبَيَضَ جسمي، لن أستطيع".
نظر مراد في جمود للبحر، وقال:
-"الجميع يحبني، أمي وأبي معي أنا أعرف، لن أبقى وحيدًا، وإبراهيم معي، نعم أنت معي!!"

وصمت قليلًا، وقال:
-"ولكن سأظل بمفردي، وسأموت بمفردي، يا الله، يا الله أفهم أنني غلطت كثيرًا، كانت كل الأحلام إشارة لي، جدي لقد رأيته وقال لي ابتعد يا مراد، ومرات عديدة حلمت بالدماء ورأيتهم كلهم وكانوا باللباس الأسود، واختفوا وبقيت أنا وحدي في التابوت، ومرة أخرى أنا وكنت أخنق نفسي، وأحلام كثيرة كان تدل على ما كنت أفعله، وما سيحصل لي ولهم جميعًا، وعن مرضي كذلك!"
صمت قليلًا، وتنهد وقال:
-"مرضي الذي كان موجود بداخلي قبل أن أخترعه مع عمتي، كان الدم كل يوم من أنفي ولكن لم أهتم لذلك، لأنني كنت أقول لجميع الناس إنني مريض، وأتخيل ذلك بيني وبين نفسي فقط، حتى مثلته على الجميع وحدث لي بالفعل!"
تنهد إبراهيم تنهيدة ملل، والتفت، وقال مراد في صراخ:
-"إبراهيم، إبراهيم، إلى أين تذهب وتتركني بمفردي؟ لقد بقيت بمفردي طيلة أربعة شهور وقبل أن تذهب تركتني تسعة أيام، أي ثلاثة آلاف ساعة وستة وتسعين، ومائة وخمسة وثمانين ألف وسبعمائة وستين دقيقة، وإحدى عشر مليون ومائة وخمسة وأربعين ألف وستمائة ثانية، كنت طيلة هذا الوقت بمفردي!!"
التفت إليه إبراهيم وقال:
-"ما هذا المرض؟"
-"هذا ليس مرض، ولا ألم، ولا وجع، إنما يسمى بالموت الموت ببطء، في كل ثانية من الثواني أنا أموت، أستنزف كل شيء، وأنا بمفردي منذ موت جدي، أي قبل إحدى عشرة سنة".
-"هششش، أتريد أن تحكي لي قصة العمر؟!"
-"أتتذكر قصة العمر، أول جملة في رسالتي التي كتبتها لك، وتواعدنا أننا سنظل سويًا وأقدارنا ستظل مرتبطة ببعضها".
-"هذا كلام فارغ!"
-"ليس فارغًا، أريد أن أحقق في حياتي شيئًا، لا أريد أن أموت وحيدًا كخالتي التي ماتت وحيدة على البحر، أو العم رشيد، أريد أن أموت ومعي أحد".

-"أنت مريض بالعَشَرَة!"
-"أنت ستكون معي كما وعدنا بعضنا!"
-"ماذا؟ اغرب عن وجهي!"
والتفت إبراهيم ليذهب، قال مراد:
-"لننتقل للخطة باء إذن!"
قال إبراهيم بدهشة:
-"الخطة باء؟!"
ملأت عيني مراد الدموع، وقال:
-"نعم".
-"أتريد أن تقتلني؟"
-"لا، بل العكس!"
ضحك إبراهيم بصوتٍ عالٍ، وتوقف فجأة عندما حدق في عيني مراد اللتين كانتا يملؤهما الشر، وقال إبراهيم:
-"تمزح، أليس كذلك؟!"
-"صدق جدي عندما قال لي لا تضحي من أجل أي شخص أو تفعل كل شيء وتستنفد وقتك كله، ولا تحب أكثر من اللازم".
-"ما زلت تسمي هذا حب، هذا نقص أو مرض أو وهم ليس أكثر من ذلك، وأنت الثلاثة فيك!"
-"أنا في كلا الحالتين ميت، ولكن أريد أن أشعر بحب أحد قبل أن أموت، لهذا السبب سنلعب لعبة".
أخرج مراد منديل أسود كبير وموجود فيه شيء بالداخل، وضعه على الحجر الذي بجانبه، وقال له إبراهيم ونظرات الخوف في عينيه:
-"ماذا تريد أن تفعل؟"
-"هششش".
وأخرج هاتفه واتصل برضوان وقال:
-"هل هم أمامك الآن؟"

-"نعم".

-"وفعلت كل ما طلبته؟"

-"نعم، هل افتح الكاميرا الآن؟".

-"نعم أفتحها".

وقال إبراهيم:

-"ماذا هناك؟"

وشغل الفيديو وكانت أم إبراهيم العمة شربات مُكتفة في الكرسي ومكمم فمها وعينيها، وبجانبها سلسبيل، ويليها فرج، اتسعت عينا إبراهيم، وقال بتردد:

-"مر...مراد...اتركهم!"

ابتسم مراد وكانت كلها ألم:

-"ما رأيك؟"

-"خذني واتركهم، سأبقى معك حتى تموت".

-"حتى أموت؟"

وصمت قليلًا، وقال:

-"هذا الحب لن ينفع معي، لا أريد أن أموت وحيدًا".

-"فتأخذني معك".

-"كي لا أشعر بالوحدة وأكون قد حققت شيء في حياتي قلته، هو وعدنا سنظل سويًا وأقدارنا مرتبطة ببعضها".

-"لا، لا، لا، أنت مريض للمليون".

-"لديك اختبار الآن!"

-"ما هو؟"

-"وأظن أنك الوحيد في حياتي ستنجح، الجميع خانني وتركني، ولم يعد لديه الطاقة والقدرة ليساعدني كعمتي أميرة ومروة والجميع".

-"مراد، ما المطلوب؟"

-"أريد أن تحضنني!"

-"حسنًا!"

وحضنه بقوة، وقال مراد:

-"هذا الحب، أشعر وكأنك أمي أو أبي نفس الحنان، يا الله!"

-"وماذا الآن؟"

-"قل إنك ستبقى معي!"

-"سأبقى معك".

-"للأبد".

-"للأبد".

-"والآن شاهد، هذه أمك دنيتك، أمي جنة، أمي شمعة، أمي نبضي وكل حياتي، أتعرف هذه الأغنية؟ أسمعها وأظل أبكي، لا أعرف لماذا، يمكن من الجنة التي كنت أعيش فيها معها! تمنيت لو أنها تظاهرت كالممثلين حتى لو كنت لستُ ابنها، تظاهرت فقط".

ويقول إبراهيم لأمه وعيناه تدمع:

-"أمي، أمي، يا روحي".

وحرقة قلب مراد تشتعل، وقال:

-"لما يا إبراهيم؟"

-"هذه أمي، هي لدي بالدنيا كلها!"

-"وأنا لم يكن لدي أحد، لما؟ قل لي لما؟"

وأشار مراد إلى سلسبيل في الهاتف:

-"أترى هذه؟ حبيبة القلب الأولى والأخيرة، كانت ذاهبة للجامعة فوجدت نفسها هنا في ضيافتنا".

-"مراد أتركهم".

-"وفرج صديق عمرك الذي تتخلى عن روحك ولا تتخلى عنه، أنا لم أجد أحد يقول لي كل هذا الكلام ويفعله، كان في الصباح الباكر يفتح في المقهى فأخذناه".

-"اترك الجميع يا مراد وسأفعل ما تريد".

-"لنبدأ بالاختبار النهائي".

-"ماذا؟"

-"خذ هذا المنديل وافتحه".

وأخذ إبراهيم المنديل وفتحه، ومراد يبتسم، وقال:
-"أعرف أنك ستضحي بالجميع من أجلي!"
وكان موجود داخله سلاح، قال له إبراهيم:
-"ماذا أفعل به؟"
ابتسم مراد ابتسامة عريضة، وقال إبراهيم:
-"مراد، ماذا تفكر؟"
-"أنا لا أفكر، بل كل شيء موضوع حتى النهاية، هذه الدقائق الأخيرة قبل أن يذهب كل واحد بحال سبيله!"
-"ماذا تقصد؟"
-"الاختيار هو أن تقتلني يا..."
-"ماذا؟!"
-"هؤلاء الثلاثة على الشاشة سيموتون أمام عينيك ولن تأخذ حقهم وليس لديك دليل على شيء".
-"أنت شيطان! شيطان!!"
-"كل شخص داخله شيطان، لا مفر من النهاية!!"
-"لن أفعل ذلك وأصبح قاتل، أتفهم؟ لن أصبح مثلك!"
-"لن تصبح مثلي، كي تهتم بي بمفردي وتحبني بمفردي، لو استطعت لجلبت صديقك أحمد الذي مات لجعلته هو أيضًا هنا".
وأصبح إبراهيم يبكي، ويقول:
-"يا مراد، أرجوك لا تفعل هذا!"
-"شعور رائع عندما تجعل أحد هكذا يتوسل بعدما كنت أنت دائمًا الذي تحت وهم فوق، وأنت ضعيف وهم أقوياء، أنت حزين وهم سعيدون، أنت تموت وهم يحيون، أنت تذل وتقهر وتتألم وتتوجع وهم يصفقون بذلك ولا يهتمون ويخافون ولا يعطفون عليك، لما؟"
-"مراد، أنت مريض، لنذهب لدكتور نفسي ليراك".
-"أتعرف كم بقيت في المستشفى؟ أتعرف؟ خمس سنوات، أتعرف أبي أو أمي جاءوا

هناك كم مرة؟ ولا مرة، وعندما جاء أبي للمرة الأولى استقبلني بالضرب وكنت أريد منه الحضن، كنت أتظاهر بالمرض دائمًا كي يأتوا أمام رأسي ويبقوا بجانبي حتى الصباح، لم يأتِ أحد يدخلون ويخرجون من الغرفة في دقيقة، وبقيت أقول للناس أنني مريض وأبكي على وسادتي كل ليلة لأنني مريض بالسرطان، كي أشعر بحب الناس لي، أعشت كل هذه التفاصيل؟ لا أنا فقط رحلت من الدنيا في اليوم الذي رحل فيه جدي وتركني وبقيت جسد بلا روح".

-"مراد، مراد".

-"اصمت!,تقتلني أو يموتون الآن، اختر!"

-"أنت ستعيش وستتعافى وتصبح مثل السابق، مراد الطيب، نظيف القلب النقي من داخله".

استعطف هذا الكلام مراد وبعد ذلك قال:

-"كنت، لأن الدنيا لا تريد أحد طيب".

-"مراد، أنت لا تحارب الدنيا بل تحارب نفسك، هذا صراع داخلي بينك وبين نفسك، وأنت الخاسر في النهاية".

-"سنبقى سويًا، أتفهم؟ لن يتركني أحد الجميع سيبقون معي".

-"لنغلق الموضوع إذن!"

-"لا، لا".

وقال مراد لرضوان:

-"ضع السلاح على يد فرج واضربه".

أصيب فرج برصاصة في يده، وقال إبراهيم:

-"لماذا يا مراد؟ قل له لا يفعل شيء بأمي".

-"أنا أو هم؟ ستختارني أنا من المؤكد، قل لي كلمة من المؤكد كما قالها أبي من أجل محمد، أريد أن أسمعها!"

-"مراد، مراد، أرجوك!!"

وقال مراد لرضوان:

-"ضاع السلاح في رجل سلسبيل وأطلق النار عليها".

أصيبت سلسبيل في رجلها، وقال إبراهيم وهو يبكي:
-"مراد، لا تتهور أرجوك، أرجوك اتركهم!!"
وقال مراد وهو في ثبات مؤلم:
-"وأنا من سيبكي لخسارتي؟ من؟ لا أحد، لما؟"
-"أنا سأبكي، أنا".
-"هذا صحيح يا أخي؟! ستبكي، قل والله إنك ستبكي، قلها!!"
وصمت قليلًا، وابتسم مراد وقال:
-"أتعرف شيئًا، إنني أعرف أن هذا الكلام ليس من القلب، ولكن أحبه، ترتاح له روحي التي لم ترى الراحة ولا الحب، يفرحني وينسيني كل ألم".
-"مراد..."، والدمع على خديه.
-"والآن جاء دور عمتي شربات التي كانت ذاهبة للمخبز كي تجلب الخبز".
-"اتركها أرجوك!"
-"أنا لم يقل أحد لي هذه الكلمة، أن يدافعوا عني، لم يشعروا بي، لم يتألموا كما تألمت، ولم يوجعوا كما توجعت، لا أحد يشعر بأحد، والآن أمسك السلاح بقوة وصوبه على قلبي وأثبت لي أنني أمك وأبوك والجميع كما أنت لي، أنا وحيد دائمًا بمفردي!"
وصمت قليلًا، وقال مراد لرضوان:
-"ضع السلاح في رأس عمتي شربات".
ضغط على الزناد بسرعة، وأطلق الرصاصة ذهبت مسرعة ودخلت جسده لتنزع آخر أمل بالحياة وتميت روحه، لتركض إلى الله ويقبض عليها ملك الموت، كان هذا مراد وقد أصيب برصاصة اخترقت صدره ودخلت لقلبه من إبراهيم، وسقط مراد أرضًا، وسقط إبراهيم يبكي، وقال رضوان:
-"ماذا أفعل؟ ماذا أفعل؟"
نظر مراد إلى إبراهيم وهو يبكي ويقول:
-"أمي، أمي، يا الله!"
وكان مراد يقول في نفسه:
-"لا أستطيع أن أفعل ذلك وأحرمه من أمه كما أنا حُرمت منها، أو كنت مفطوم على

الحرمان من الأساس".
وقال مراد لرضوان، وهو يتنفس بصعوبة ويتكلم ببطء:
-"اترك...اتركها تذ...تذهب، واترك فر... فرج وسلسبيل".
ابتسم مراد في وجه إبراهيم وهو يضحك ضحكة خفيفة ممزوجة بالبكاء وقال له:
-"شكرًا يا مراد، شكرًا، وأرجو منك أن تسامحني".
-"لماذا أسام...أسامحك؟"
-"على ما فعلته بك، أنا أريد الذهاب الآن!"
ونهض إبراهيم، وأخذ مراد الهاتف وفككه وكسر الرقم، وكان البحر خلفه ورماه هو والهاتف، وقال له إبراهيم:
-"لما فعلت هذا؟"
-"لأنن...لأنني...حققت...أمني...أمنيتي...ولن أمو...أموت وحدي...ونفذت وع.. .وعدنا!"
-"ماذا تقول؟ لم أفهم!"

*****

وكانت الساعة السابعة والنصف والطريق خالية من الناس، وأوراق الشجر تتطاير، لم تسمع إلا أصوات سيارات الشرطة آتية، فالتفت إبراهيم وكانت الصدمة على وجهه، وقال له مراد:
-"إبرا...إبراهيم...قل لي...إن...إنك تحبني!"
-"شيطان، شيطان!"
-"قل لي آخ...آخر جم...جملة!"
-"أكرهك جدًا، وإن شاء الله في الجحيم!"
-"يمر مرا...مراد من هذ...هذه الدنيا".
كانت تلك هي آخر جملة يقولها مراد في حياته،"يمر مراد من هذه الدنيا".
وقبضت الشرطة على إبراهيم وجاءت الإسعاف لتأخذ مراد.
وجاءوا ليدخلوا مراد لسيارة الإسعاف، أوقفهم إبراهيم وهو يصرخ:
-"اجعل هذا في بالك حتى يوم الآخرة يا شيطان".

والشرطي يقول له:
-"لا يصح هذا".
وقال له إبراهيم:
-"هو من فعل كل هذا، هذا الشيطان!"
-"الشاب سيموت اذهبوا به".
-"أريد أن أقول آخر كلمة فقط".
وجاء إبراهيم أمام أذن مراد وهو في سرير الإسعاف وكان على وشك الموت ولم يتكلم بكلمة لكنه ابتسم، قال له إبراهيم:
-"هذه ليست نهايتنا، هذه نهايتك أنت!"
*****

لا يمكن أن أصف لكم الشعور، كان قاسيًا ومؤلمًا ومفرحًا في نفس الوقت، إنني سأموت وحققت ما أتمنى، أنا لم أكن طبيعيًا بل كنت مريضًا، هل الظروف السبب؟ أم الدنيا؟ أم من كانوا حولي؟ مع أنني تمنيت لو أنه لم يفعل ذلك بي، أتعبت نفسي طيلة حياتي باحثًا عن الحب ولم أجده، عن الاهتمام ولم أجده، وفي النهاية لم أتحصل على شيء، سوى عذاب في الدنيا، وعذابي في المرض، وسيأتي عذابي في الآخرة، ولكنني فرحت أن قصتي سيقرئها كل الناس، وأتمنى أن تعجبهم، ولن أجعل من قام بكل هذه الأفعال في الأطفال يهرب بأفعاله، ترقبوا القادم فهو غير متوقع أبدًا!
*****

أين أنا؟ في المستشفى، تلك اللحظة تمنيت لو يعود الزمن قليلًا لبقيت على صلاتي وديني وأصبح حبي كله لله وحده، لأن حب البشر لن يدوم، أما إن أحببت الله سيظل يحبك طوال حياتك حتى مماتك، وكلام سارة هو الذي جعلني أستيقظ وأنتبه لنفسي، ولكن بعد ماذا؟ بعد فوات الأوان،"اجلب الصدمات،"اجلب الصدمات"، من هؤلاء؟ "لا يستجيب"،"أضف جرعة أخرى"،"لا يستجيب"،"سنحاول، سنحاول"،"قلبه توقف، قلبه توقف"، مثل ما قلت سابقًا الحياة كخط الموت، إن أصبح ثابت توقفت الحياة وذهبت الروح،"لا إله إلا الله، هل لديه أحد؟"،"كان ابن أخ الممرضة أميرة، لدي رقم سارة ابنة أختها سأتصل بها"،"حسنًا"،"يؤسف أن أخبرك بأنه قد مات"،"من الذي

مات؟ لم أفهم شيء!"،"مراد مات"، وأنا لقد مت، ورحلت بجميع وكل شيء يخصني، ضحكتي، صوتي، كلامي، وجهي، جسدي، خطواتي، همساتي، عيوني، شفتاي، ألمي ووجعي، مرضي وهواجسي، عذابي، عروقي وأنفاسي، تبخرت روحي، ورحل كل شيء، رحلت أنا، رحل مراد!

فأصبح بهذه النهاية، هو القاتل والقتيل نفسه!

*****

وأدخلوا إبراهيم للحجز، وكان الشرطي يحقق معه:

-"ما هي الأسباب التي جعلتك تقتله؟"

-"لقد خطف أمي وصديقي وفتاة كانت حبيبتي، وقال لي اقتلني أو أقتلهم!"

ضحك الشرطي، وقال:

-"هنا ليس مكان للهو يا حلو!"

-"والله، والله!"

-"فتى مريض بالسرطان يقول لك تعال واقتلني، وماذا؟ خطف أمك وصديقك والفتاة التي كانت حبيبتك، كل ذلك منه هو، أتمزح معي؟ لست مجنونًا أمامك!"

-"والله، اسألوا أمي والآخرين!"

-"سألناهم وكانوا مخطوفين، ولكن الذي خطفهم كان كبيرًا في السن ولم يتكلم ولم يروا وجهه لأنه كان يغطيه، وهم كذلك قد غطى أعينهم".

-"لم أكذب عليكم بكلمة، كل ذلك من هذا الشيطان!"

-"ليس لديه سوابق، ولا جرائم، ولا حتى سرقة، ملفه فارغ، وشيء آخر تريد أن تقول أنه تعاون مع ذلك الرجل الذي خطف أمك وصديقك وحبيبتك، هذا مستحيل".

وضع إبراهيم يده على جبينه، وقال:

-"تذكرت، قبل أن تأتوا بدقيقة كان معه هاتف واتصل عليه منه ورماه في البحر".

-"لن نجده الآن، ولم يكن لديه إلا ذلك الهاتف فقط".

-"لقد اتصلت برقمه السابق وأجابت فتاة أظنها قريبة له".

-"سنراها ونأخذ هاتفه ونبحث عن كل شخص لديه رقمه، وإن وجدنا أي شيء مشبوه ستخفف الحكم، أما على هذا الوضع فحكمك إعدام أو السجن مدى الحياة".

*****

في المحكمة.

"بعد أن عرضنا كل الأدلة وأوضحنا كل شيء، من بصمات اليد على السلاح، وأن المجني عليه لم يكن لديه سوابق وفي حالة صحية سيئة، وأخذنا هاتفه ولم نجد فيه إلا أصدقاء وأقارب، أما على الهاتف الذي أدعى المتهم إبراهيم أنه قد رماه المجني عليه في البحر لم نجد منه شيء فأظن أن كلامه ليس له أي أساس من الصحة، سوى أنه يريد الهرب من الجريمة، وكانت أمه بحالة جيدة أما صديقه والفتاة فلم يعرفا هوية الخاطف لأنهم لم يسمعوا صوته ولم يروا منه شيء، ولا يوجد أي دليل يثبت أن المجني عليه تعاون لعملية الخطف لأنه لم يكن له أي سوابق كما ذكرنا سابقًا، ومن الأشخاص المقربين له لم يكن إلا حسن الخلق وطيب القلب، فأصبح بهذه الطريقة كل شيء واضح أمام أعيننا، فقد قتله المتهم بكامل قواه العقلية ومع سبق الإصرار، ووفقًا لقانون العقوبات الليبية(مادة ١٩) حَكَمَت المحكمة على المدعو إبراهيم سالم العمامي بالإعدام، وكما نص قانون العقوبات الليبية(مادة ١٩) كل محكوم عليه بالإعدام يقتل رميًا بالرصاص طبقًا للإجراءات المقررة قانونًا".

*****

أقرؤوا الفاتحة على روح(مراد مصطفى مراد).

وهكذا مات مراد، قرؤوا الفاتحة وذهبوا وبقي وحيدًا في قبره، كما قال له جده، كما ولدت من بطن أمك وحيدًا ستموت وحيدًا، لأن في قبرك لن يضعوا شخص آخر ولن يسع غيرك، فاجعل حياتك لك وليس للآخرين، وغير حياتك بنفسك، ولا تجعل الناس يغيروك كما تغير مراد، فتخسر نفسك أولًا، ثم حياتك.

*****

وظل فرج والعمة شربات ينتظرون حكم تخفيف العقوبة حتى للسجن، ومع ذلك لن يحصل، وكانت سلسبيل ما تزال متزوجة جديدة، ولكن كي تطمئن على إبراهيم وما يحدث معه سمعها زوجها عن طريق الصدفة تتكلم مع فرج تسأله عنه، فلم يعطي لها الفرصة للشرح فضربها أشد الضرب وسبب لها عاهة مستديمة، وبعد ضَربُهُ لها في منطقة الرحم جعلها لن تستطيع أن تنجب بعد الآن، وطلقها ولم تتزوج حتى نهاية

حياتها بسبب كلام الناس عليها أنها كانت مع إبراهيم وتزوجت وظلت تقيم علاقة معه ومع صديقه فرج.

*****

وبعد أسبوع نفذ الحكم في إبراهيم، وظل طيلة الوقت من موت مراد حتى إعدامه وهو يتذكر كلامه، وهذا ما كان مراد يريده، وقال إبراهيم في نفسه:

-"خططت لكل شيء بذكاء حاد، جلبت معك الهاتف الذي تستعمله لأفعالك، وجعلت الهاتف العادي في المنزل، وأعطيتني السلاح وهو في الغطاء ولم تكن بصماتك عليه وأنا فقط من لمسه، وجعلت الخاطف لا يتكلم وقد أخفى وجوههم كي لا يروا وجهه ولا المكان، ولم يكن هناك شاهد لأي شيء حصل، وحدك يا الله الشاهد الوحيد دائمًا وأبدًا، خذ حقي منه يا الله يوم الحشر، خذ حقي منه، خذ حقي منه!"

وآخر شيء تذكره عندما قال له مراد:"كل شيء يحصل لنا نتاج أفعالنا يا إبراهيم!"

وقال إبراهيم في الوقت الحالي جهرًا:

-"صدقتك يا مراد، كل شيء يحصل لنا نتاج أفعالنا، كما أخطأت في أن أعرفك وهذه النتيجة، اذهب إلى الجحيم!"

"استعد...أطلق"، وأعدم إبراهيم وأخذوا جثته إلى أهله، وكانت العمة شربات ستموت من البكاء، وفرج صديقه الذي كان رفيق حياته، هل مراد مرتاح الآن؟ لا أظن ذلك مع الله، أي أنه لم يرتح في حياته، ولن يرتاح في مماته، ولن يرتاح يوم الآخرة!

*****

وبعد مرور شهر.

ذهبت سارة وأخذت ذاك الصندوق الذي وعدت به مراد إلى الشرطة، دخلت لمركز العروبة في منطقة الوحيشي:

-"السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أخي".

-"وعليكم السلام، تفضلي".

-"أريد أن أقابل المدير أو المسؤول هنا، لو سمحت!"

-"ماذا هناك؟"

-"هذه أمانة لن أستطيع".

-"حسنًا".
ودخلت للمكتب، وقال لها المسؤول:
-"تفضلي يا ابنتي".
-"السلام عليكم ورحمة الله وبركاته عمي".
-"وعليكم السلام، ماذا هناك؟"
-"هذا صندوق أمانة من ابن خالي، لقد انتقل لرحمة الله عز وجل، وأوصاني أن أعطي الصندوق لكم".
-"ماذا يوجد فيه؟"
-"لا أعرف! أوصاني ألا أفتحه، أنتم من ترون فقط ما يوجد فيه!"
-"حسنًا، أعطيني الصندوق".
وفتح المسؤول على المركز الصندوق، وكان مراد يريد أن يأخذ حق اغتصابه وحق موسى ومريم اللذين أعطيا له بعض المعلومات، التي أخذاها من فائز وسلطان أبويهما، فعندما وافق على طلب رضوان كان السبب الرئيسي والقوي كي يأخذ منه كل شيء، ويسجلها من مستندات وأوراق واتفاقات والمشاريع القادمة، معلومات عن كل شخص وأين أماكن تواجدهم؟ ومع من يتعاملون في باقي الدول العربية والأوروبية؟ وجميع تسجيلات مكالمات بينه وبين رضوان والدكتور شادي وتسجيلات لهم، ومشهد قتل أميرة ليأخذ حق قتل جده من شادي، ومن أبيه أيضًا مصطفى، أما مراد فكان يجب أن يعاقب، ولكن بعد أن انتقل لرحمة الله تعالى فقد رفعت المحكمة كل التهم المنسوبة له، وبذلك مراد رحل من الدنيا، وجلب الجميع معه.

*****

وانتقلت كل المعلومات للمحكمة فورًا، وكان مراد مُسجلً أين أماكنهم؟، فداهموا المكان وأخذوا الجميع والقائد الأعلى الذي هو أبو رضوان وذهبوا للمستشفى وأخذوا الدكتور شادي والسكرتيرة رهف التي تساعده دائمًا، وبما أنهم لهم أعوام عديدة في الشغل المحرم والشنيع في تجارة الأعضاء والسلاح والمخدرات والأطفال والدعارة، وملفاتهم التي سجلها مراد تحمل العديد من الجرائم التي تجعل القاضي يحكم عليهم وهو مغمض العينين بالإعدام فورًا، ونفذ بعد أيام قليلة الحكم فيهم جميعًا.

*****

واستيقظت الجدة فاطمة بعد الغيبوبة التي طالت ثمانية عشرة سنة، وكانت الدكتورة سلوى صديقة أميرة المسئولة عن علاج أمها بعد موتها، وظلت الجدة في المستشفى أيام لكي تعود كما كانت وتتحسن حالتها الصحية، وسارة لم تقل لها عن الذي حصل طيلة هذه السنوات ولم تعرف حتى عن موت الحاج مراد وكلما تسألها تقول لها: "سافروا لعلاج جدي وللاستجمام جميعهم ومعهم أبي وأمي"، وحتى في يوم قبل خروجها دخلت الممرضة تعطي لها في الدواء وقالت:

-"كانت طيبة جدًا وروحها حلوة، كنا صديقات جدًا ودرسنا معًا حتى تخرجنا".

كان الكلام يخرج ببطء شديد:

-"من...يا...ابن...ابنتي؟"

أجابت بتنهيدة وجع وألم، قائلة:

-"أميرة، أميرة يا خالة، الله يرحمها، والله يصبرك على فراقها وعلى فراق جميع الذين ماتوا لديكم، الله يرحم أبنائك وعمي مراد".

وأكملت تلك الممرضة تترحم عليهم كلهم وتذكر بالأسماء، وتوقف قلب الجدة فاطمة، ما أصعب تلك اللحظة وكم هي مؤلمة وموجعة لها أن تعود بعد كل هذه السنين وتجد كل من أحبته قد مات، حتى مراد الذي بسبب معرفتها قصته حصل معها هذا، إلى أن جاءت ووصلت بها الحياة إلى هنا، والتي لم ترى منها سوى أيام قليلة وعادت إلى غيبوبتها، ولكن هذه المرة لن تحاول حتى المحاولة أن تستيقظ، لأن هذه الغيبوبة تسمى بالغيبوبة الأبدية!

*****

وظلت سارة في المنزل بنفسها تتردد عليها الدكتورة سلوى كل فترة لتطمئن عليها، وبقيت مرام تدرس في المسجد مع سارة وحفظت القرآن وتعلمت أصول الدين وتعاليم الإسلام، حتى جاء يوم وطلبت منهما امرأة أن تأتي للبيت لتطلبهما لأبنائها، فكلمت سارة جارهما فتحي وأصبح الوصي عليهما، وأقيم الزفاف وتزوجت سارة ومرام وكانت حياتهما الزوجية جميلة، والأهم من ذلك حياتهما مع الله أجمل!

*****

وبعد أن اكتمل هذا الشهر أيضًا، جاء موعد نشر كتاب مراد الذي كان اسمه آدم، بعد مرور شهرين كما قال له مدير أعمال العم رشيد، ومر شهرين على وفاة مراد كذلك، وخلال مدة لا تزيد عن خمسة شهور حقق الكتاب نسبة مبيعات عالية جدًا وأخذ شهرة واسعة، حتى أصبح مدراء دور النشر الأوروبية يطبعون منه النسخ الخاصة لدولتهم عندما رأوا النجاح الباهر الذي حققه الكتاب لأنه كان مليء بالقضايا الاجتماعية العديدة التي تحصل في وطننا العربي عامةً، والموضوع الأهم معاناة الأطفال، وأنه كان قصة حقيقية مأخوذة من قصة حياة الكاتب نفسه، وطبعت منه باللغة الإنجليزية، والفرنسية، والإيطالية، والإسبانية، واليونانية، والألمانية، والروسية، والهندية، والصينية، وخاصةً العربية التي تداول في أغلب الدول العربية، وقد قام المخرجون بأخذ الرواية كمسلسل وفيلم تلفزيوني، وقد حقق نسب مشاهدة عالية، هذا هو ما يسمى بالنجاح!

*****

لو كان مراد على قيد الحياة ليرى ما فعلته قصته من ضجة إعلامية وأدبية لكان نسي كل آلامه وأوجاعه وعاش حياته وترك حب العباد وذهب لحب الله عز وجل، وأحيانًا لم تكن ستنجح كل هذا النجاح الكبير لو أن القصة لم تكن حقيقية، وماذا فعل بهم مراد في النهاية؟ وقال مراد في يوم من الأيام في حوار مع نفسه:

-"أتمنى لو أن حياتي كتاب، أو أكون أنا الكاتب، لأصبح ألعب بالشخصيات وبهذا، و بهذا، وأتحكم في هذا، وأفعل كل ما أريد في هذا، وأقتل هذا، وأحيي هذا، وأفعل كل شيء، ولكن لما لا أفعل هذا في واقعي؟! يا ليت حياتنا ككتاب، وتكون أنت الكاتب لتغير فيها ما تريد، وما يحلو لك، يا ليت!"

وهو فعل ذلك بالفعل ولكن نسي نفسه، وظل على ما كان عليه، كما قالت سارة عندما تحكي له عن موت الفنانين والأنبياء، إنه من عاش على شيء مات عليه، عاش مراد يبحث عن الحب والاهتمام والعاطفة والراحة والأمان ومات عليه، فلم يكن هناك أحد خاسر، إلا هو مراد!

*****

وانتهى بذلك عام ٢٠١٩ الذي رحل فيه الكثيرون والكثيرون على يد مراد، بل لم يكن

بيديه بل كان المُسَبِب والسَبَب الأساسي لكل ما حدث لهم، هذا كله من سيطرة أفكار ووسوسة الشيطان له في كل مرة يفعل معه أحد شيء، فيتخذ قرار بفعل شيء شيطاني ولا يكون هو القاتل الرئيسي، وأحيانًا يشعر بالندم بعد ذلك، وكان فقط يريد الحب منهم، وهم سيئون معه جدًا، وأمه أقصد زوجة أبيه والتي لم تحبه يومًا، وأبوه الذي كان شخص أناني وترك مراد بمفرده بعد الاعتداء عليه وكأنه لم يكن هو السبب لما حصل له، وهذه تأثيرات نفسية يمكن أن تحصل مع أي شخص كان، كالغضب مرض نفسي، والحزن والاكتئاب مرض نفسي، وضعف الشخصية مرض نفسي، الغيرة والحقد مرض نفسي، حب الظلام مرض نفسي، عدم الكلام مع الناس والابتعاد عن مجالستهم مرض نفسي، الكذب مرض نفسي، السرقة مرض نفسي، الكره بدون سبب مرض نفسي، التكبر والغرور مرض نفسي، ممارسة الفاحشة وهم من نفس النوع مرض نفسي، الخيال الزائد عن اللزوم مرض نفسي، والشهوة الجنسية دائمًا مرض جنسي، الانتقام مرض نفسي، تريد حب الناس مرض نفسي، حب الله ودع الله ييسر حياتك.

*****

١ فبراير ٢٠٢٠.

"أنا ميرفت وجدي من مصر دكتورة علم نفس واجتماع، وكُنتُ صديقة رشيد القطعاني الذي أوصاني على مراد كثيرًا قبل موته، الله يرحمه، كان رشيد لدى شركات النشر والطباعة وتعرفت عليه صدفة عن طريق صديق مشترك بما أنني طبيبة نفسية، فتكلم معي عن مشاعره وظروفه، ولكن لن أستطيع الإفشاء عن أسرار الناس الخاصة، لأنكم لو تعرفون النفس البشرية بما تشعر في أحشاء قلبها وإحساسها المرهف لكان الجميع عطف على بعضه، هذه حقيقة للأسف، ولكن سننتقل لهذا الموضوع لاحقًا.

واليوم جمعتكم في هذه الندوة والأمسية الأدبية في مسرح الطفل بمدينة بنغازي، وجئت خصيصًا من دولتي مصر ومن أجل روح رشيد ومن أجل روح مراد، الوحيد الذي تحدث عن قصة حياته كاملة بلا نقصان، وكما تعرفون النجاح الرهيب والفظيع الذي حققه الكتاب منذ أن انتشر، ولولا ذلك لما كنتم هنا الآن، وهذا اليوم تحديدًا كان أسعد يوم لمراد فجعلت هذه الجلسة تقام في هذا اليوم، اليوم الذي ولد فيه مراد، نحن فعلنا ذلك احترامًا له ولروحه فقط، وهو اليوم الذي رأى إبراهيم الذي كان

يعتبره كل شيء، وهو كان فعلًا يعتبره كل شيء، لماذا؟ لأنه لم يلمسه أبدًا، والسبب الرئيسي لأنه ملأ النقص الموجود فيه، وغياب الأب وغياب الأم، وغياب الأخ، وغياب الصديق، وغياب الحبيب، غياب الحياة، وهذا ما يفسر ما فعله في النهاية، ليس لأنه أراد إبراهيم نفسه أن يموت معه، بل خاف من الوحدة وعدم الاهتمام فقط، كان يظن أنه في القبر سيبقى وحيدًا، هذا اعتقاد سخيف عند الكثيرين، ولا يحصل مع الكثير في مثل حالة مراد بل لأنه وصل لمرحلة مؤلمة جدًا، جدًا، جدًا، جعلته يفكر هكذا! وإن الوحدة ليست فرضًا بل أسلوب حياة، وإنها هي العمق والرمق الأخير للشرط الإنساني كما تعمقنا في مراد،وتعمقنا في رحلة حياته, وإن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يشعر بالوحدة والذي يبحث عن الآخر!

وكتاب آدم الذي كان محوره المرض النفسي وحياة مراد وإهمال الأهل، وأضرار الاغتصاب، والوحدة والحزن، الخيانة، والغدر، والخطأ، وأشياء عديدة غيرها، موجودة فيه المشاعر، والأحاسيس، والبكاء والحزن، والفرحة والسعادة، والمواقف الطريفة والمضحكة، والجريئة والمثيرة، والتشويقية الحماسية، الألم والوجع، والقهر والذل، وناقش العديد من القضايا الإنسانية، والعاطفية، والاجتماعية، والنفسية، والكثير غيرها".

*****

لنحكي قليلًا عن قصص ذكرت في كتاب آدم وموجودة بكثرة في الوطن العربي، وعندما تبحثون عنها أو تسألون قد يكون شخص بيننا حصل معه شيء ما، ستصدقون ذلك وأنا الآن لدي هنا على الكمبيوتر بعض القضايا التي بعناوين وأخرى مذكورة بتفاصيلها، سنبدأ بقضايا اغتصاب الأطفال!

وكما تعرفون عن الاغتصاب يسبب عدة مشاكل لنفسية الشخص ويغير كل ما فيه، فيمكن أن ينتحر، أو يفعل أشياء مؤذية في الآخرين، وهذا الشيء أيضًا يجعله عندما يكبر يفعل بأشخاص آخرين كما فعلوا به في الصغر ويعد هذا انتقام، وهو كذلك مرض نفسي ولكن الشخص ذاته لا يعترف به حتى لنفسه، وهذه الحقيقة التي يجهلها أغلب الناس للأسف! ويأتي دور العامل المساعد هنا وهم العائلة، إن تصرفوا مع هذا الفعل بطريقة جيدة للطفل أو الطفلة أو حتى الشاب أو الشابة، فإن إهمالهم هذا يؤدي

إلى كوارث عديدة قد تصل للانتحار أو حتى للقتل!
فإن تأثير إهمال الطفل في مرحلة الطفولة المبكرة أو تجاهله في الغالب من أسوأ معاملة للطفل، وأغلب من يمارسون هذا النوع من العنف ضد الأطفال يكون الوالدين نفسهما، حيث يشكل آباء الضحايا نسبة ٤.٧٩٪ من إجمالي من يمارسون العنف والإهمال ضد الأطفال، ومن بين هذه النسبة هناك ٦١٪ يهملون أطفالهم تمامًا، ويمكن أن يتسبب هذا الإهمال في حدوث تأثيرات ضارة على النمو الجسدي والعاطفي والإدراكي، ويمكن أن تستمر حتى مرحلة البلوغ وأكثر.
سنحكي الآن عن مواضيع ذكرت في حياة مراد حقيقية وواقعية جدًا في العالم أجمع!

*****

ستندهشون من هذه القصة التي حدثت مع الطفلة جنا، تبلغ من العمر عامين بمحافظة الدقهلية، وقد عرفت إعلاميًا بطفلة البامبرز وقام المغتصب بالاعتداء عليها، وتسبب لها في جرح عميق، هل سمعتم أشد وأقذر وأفظع من هذا الكلام؟!
وبقيت الكلمة التي تقال دائمًا، اغتصاب الأطفال في أرقام.

*****

٢١ يونيو ٢٠١٧
في هذا التاريخ حدث فعل شنيع سأعرضه لكم الآن على الشاشة، وتحديدًا في محافظة مطروح، عثر على جثة طفلة عمرها سبعة سنوات ملقاة في الشارع بمنطقة حي الشروق، ولقد تبين أنهم قد قاموا باغتصابها ثم قتلها.
وفي نوفمبر ٢٠١٣، لقد لقت الطفلة زينة صاحبة الثمانية أعوام مثواها الأخير بعد أن استدرجها شخصين إلى الشقة في بور سعيد وحاول نزع ملابسها للاعتداء عليها، وألقياها من الدور الخامس للعقار ولاذا بالفرار.
أبريل ٢٠١٤، الطفلة ميادة كما هي موضحة لديكم صاحبة الثلاثة أعوام ونصف، تعرضت للاغتصاب على يد عشيق الأم، بعد أن ساعدته الأم ليمارس معها الرذيلة دون مقاومة، هل هناك أبشع من ذلك؟ فوضعت لها الترامادول في العصير لكي تغيب عن الوعي.
مايو ٢٠١٤، اغتصب أب في الثلاثين من عمره ويعمل ميكانيكي في مدينة كفر صقر

بمحافظة الشرقية، أطفاله الثلاثة، فتاتين وفتى وذلك بعد تعاطيه عقار التامول الذي غيب عقله.

وفي نفس العام في يوليو، عثر على جثة الطفلة هدى طه صاحبة الخمسة أعوام في المنيا بمنزل مهجور ملقاة على الأرض وعارية تمامًا و بها إصابات عديدة، حيث تم اغتصابها ثم قتلتها، وفي سبتمبر من نفس العام، اغتصب أستاذ بأحد دور الرعاية في المقطم طفلة معاقة عمرها ثمانية سنوات ثم قتلها خنقًا.

وفي أكتوبر ٢٠١٥، حدث شيء لا تتوقعه، اعتدى أب جنسيًا على ابنته البالغة من العمر أحد عشر عامًا، وعلى مدى ستة شهور حتى اكتشفت والدتها الواقعة.

وفي أبريل ٢٠١٦، اعتدى فرد أمن بمدرسة future British الدولية، على سبعة أطفال في عمر الثلاثة أعوام واستدرجهم إلى أعلى السطح وفعل فعلته.

وفي ديسمبر ٢٠١٦، طلب مدرس علوم يبلغ من العمر أربعين عامًا بمدرسة شنشا الإعدادية التابعة لمركز أجا، طالبة تبلغ من العمر خمسة عشرة عامًا، بحجة شرح سؤال لها فأغلق الباب وانهال عليها بالضرب واغتصبها، ولم يكتف بذلك فهددها برسوبها في حال إخبار أحد إلا أنه تبين أنها حملت منه.

وفي يناير ٢٠١٧، فقد أب عامل الإنسانية، عامل زراعي بالإسماعيلية استغل خروج زوجته من المنزل واغتصب ابنته حتى حملت منه، واكتشفوا أنها في شهرها الخامس، وفي نفس الشهر، اغتصب عامل ابنة شقيقته تبلغ من العمر اثنا عشر عامًا وهي معاقة ذهنيًا داخل شقتها بالمرج أثناء خروج والدتها من المنزل.

*****

كل هذه الأفعال التي تمارس بطريقة وحشية حتى من الآباء والأقارب، لا توجد رحمة ولا شفقة بهم وتتعرض براءة الكثير من الأطفال للانتهاك يوميًا دون القدرة على المقاومة، فهم يحملون بداخلهم أنينًا وألمًا يجعلهم مدمرين ومشوهين نفسيًا وجسديًا، وبالرغم من القوانين المواجهة إلا أنه ما زالت تلك الظاهرة في تزايد مستمر، وفي آخر إحصائية أجراها المجلس القومي للأمومة والطفولة تم رصد ألف حالة اغتصاب تعرض لها أطفال في الفترة من يناير إلى أكتوبر ٢٠١٤، وقدرت الحالات غير المسجلة بثلاثة آلاف حالة سنويًا.

سأل أحد الجالسين، وقال:
-"وهل هناك قصص حقيقية غير قضايا الاعتداء، مثل ما حدثت قصص متنوعة في كتاب آدم؟!"
-"نعم، هناك الكثير جدًا، سأعرضها هنا الآن!
سنبدأ مثلًا بقصص الدعارة وممارسة الجنس والمتاجرة بأعضاء البشر التي ذكرت في الكتاب، وسأتكلم عن الدعارة، وتحديدًا في ليبيا، هي غير قانونية ولكن بالطبع هناك من يذهب كل نهاية أسبوع، وهناك نساء ليبيات يمارسن الجنس و يقضين الليلة سويًا، ولكنها وبالرغم من ذلك فهي شائعة بدرجة كبيرة منذ الثورة الشعبية في عام ١٩٧٣، وضعوا قوانين وتم اعتماد حد الزنا، أما اليوم فعقاب الداعرات هو مائةُ جلدة، أما استغلال البغايا وكسب لقمة العيش من خلال العمل في الدعارة والمشاركة في إدارة وتسيير بيوت الدعارة فهو أمر ممنوع منعًا باتًا ومخالف للقانون بموجب (المادة ٤١٧) من قانون العقوبات الليبية، وفي ليبيا هناك العديد من العاملين في مجال الجنس من نيجيريا، أكثر من١٠٠٠ شخص في عام ٢٠١٥، وكذلك غانا وليبيريا وسيراليون، ويعود سبب عمل المهاجرين في هذا المجال هو الفرار من الفقر في بلدانهم وصعوبة العثور على لقمة عيش في ليبيا، وعلى الرغم من أن معمر القذافي أمر بإغلاق كل بيوت الدعارة إلا أن هذا لم يتم، حيث تواجدت العشرات منها في الوقت الحالي الفاخرة والبسيطة وتعتمد على القوادين لضمان الإمدادات المستمرة من النساء".
وسأل شخص آخر:
-"وهل هناك إتجار بهم؟"
-"نعم، سأكمل".
تعد ليبيا مقصدًا لعبور الرجال والنساء على حد السواء ولا سيما القادمين من بلدان إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى وآسيا حيث يتعرضون للإتجار بالجنس، وقد ساهم عدم الاستقرار وانعدام الرقابة الحكومية والانحلال الثقافي الذي شاهدته ليبيا مطلع العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين في انتشار جرائم الإتجار بالبشر بشكل مهول وخيالي، وخاصةً أن مثل هذه الأعمال غير الشرعية مربحة جدًا جدًا، ونشرت عدة تقارير عام ٢٠١٦ أكدت فيها على أن ضحايا الإتجار بالبشر بما فيهم الرجال والنساء

والأطفال يعانون بشكل مفرط ويعنفون من كل الجهات كما يتعرضون لانتهاكات جسيمة يوميًا وحتى من قبل المسئولين الحكوميين الذي لا يتكلفون بالدفاع عن حقوقهم".

وسأل شخص، وقال:

-"وأين أماكنهم تحديدًا؟"

هي في جميع أنحاء ليبيا، وتحديدًا وتنتشر كثيرًا في جنوب ليبيا، وتجدر الإشارة إلى أن المرأة النيجرية هي الأكثر عرضةً لخطر البيع والإجبار على ممارسة الرذيلة، ولكن بخصوص المرأة الليبية فبسبب المجتمع العربي المتحفظ ما يزال لديهم تكتم على هذا الموضوع، وشبكات التهريب تأتي من الخارج وتنشط بشكل خاص في السودان ونيجيريا وتشاد وإثيوبيا والصومال وغيرها.

ومنذ منتصف عام ٢٠١٥، اختطفت منظمة داعش التي تصنف كإرهابية ٥٤٠ من المهاجرين داخل الأراضي الليبية بما في ذلك ٦٣ من النساء اللائي أجبرن على العبودية الجنسية وممارسة جهاد النكاح، فإن وزارة الخارجية الأمريكية صنفت ليبيا كحالة خاصة فيما يتعلق بهذا الموضوع".

*****

وكما يقولون البحر ملآن ولا يشبع، والشيطان لا يشبع شرًا، ومن البلايا المستجدة في الواقع الليبي أيضًا انتشار بيوت الدعارة علنيًا وسرقة الأعضاء البشرية للأموات، حيث بدأت تنتشر بيوت دعارة تحت حماية جماعات مسلحة وأمام مسامع وأعين جهات رسمية لا نزع ولا فزع على انتشار هذا الوباء الذي شوهد بؤر انتشاره في بعض المناطق من طرابلس والجنوب والشرق الليبي، وتلجأ بعض النسوة الليبيات إلى هذه البيوت لأجل العيش بسبب الحروب التي فككت بعض الأسر وقتلتها وشردتهن من بيوتهن، مع انعدام أي حماية معيشية لهؤلاء النسوة، وهناك بيوت تلجأ لخطف بعض الفتيات والنساء وحجزهن في بيوت الدعارة هذه بما يشبه السبي وإجبارهن بالإكراه والقوة.

*****

أما الإتجار بالأعضاء البشرية وخصوصًا الأطفال بعد خطفهم، وهناك شواهد حدثت

في ليبيا ولكنها غير مثبتة، وبعد خطفهم نزع أعضائهم أو تجارة بيع الأطفال الذكور والإناث بعد خطفهم أو بيعهم من والديهم بسبب الفقر ونقلهم لدول أوروبية لاستغلالهم جنسيًا أو للتبني، وقد حدث ذلك لأطفال العراق والذي يتشابه وضعهم مع الوضع في ليبيا.

وانتشرت عصابات الإتجار بالأعضاء البشرية في مصر والسودان وليبيا والمغرب والجزائر واليمن ولبنان وسوريا والسودان والأردن والعراق وتركيا، وبيعها في السوق السوداء، لا سيما مع تحالفها مع المافيا الإجرامية في مجالات أخرى، وتضم الشبكة أساتذة جامعات وأطباء وأصحاب مراكز ومختبرات طبية وغيرهم.

وطبقًا لتقارير الأمم المتحدة فإنه في عام ٢٠١٢ وصل عدد ضحايا الإتجار بالبشر إلى٤.٢ مليون شخص، تم خطف وبيع أكثر من ٨٠٪ منهم للقيام بأعمال جنسية، وتصل أرباح هذه الصناعة إلى ٣٢ مليار دولار سنويًا، وطبقًا لمنظمة العمل الدولية فإن ٩.٢٠ مليون إنسان يعد ضحية للخطف و الإتجار، و٢٢٪ منهم أي(٥.٤ مليون) هم ضحايا استغلال جنسي قسري، ومع ذلك الأرقام ما تزال غير دقيقة نتيجة لصعوبة جمعها، وغالبًا ما يكون الهروب شيء مستحيل، فهذه أحد أهم مشاكل حقوق الإنسان التي يصعب حلها!

سأل أحدهم، وقال:

-"وهل هناك قضايا قتل، كما ذكر في الكتاب؟"

-"نعم، هناك سأقولها...

كقضية فتاة اتفقت مع صديقتها ودفعت لها عشرون ألف كيف تنفذ لها جريمة قتل، وتقتل لها شخص يهددها بصورها الخاصة، فقطعته بالساطور إربًا إربًا، وهذه حقيقية حصلت في مصر، وهناك من قتلت زوجها بمساعدة ابنها وضعت له المنوم وخنقته وهذه كذلك في مصر، ومريضة نفسية تقتل طفليها في أسيوط، وهناك جريمة أخرى ستثبت لكم أن للمرض النفسي عواقب خطيرة، وهذه حصلت في الإسكندرية رجل يقتل زوجته المرضة وطفلتهما التي لم يتعد عمرها الخمسة والثلاثين يومًا، وقال إنه كان دائمًا يشك في سلوكها فقام بخنقها ثم أمسك يديها ووضعها على فم طفلتهما وضغط عليهما حتى ماتت، وهناك أخ يزني بأخته، ولكن هذه القصص لا تظهر كثيرًا

وتكون مدفونة ومتكتم عليها دائمًا في المجتمع الليبي للأسف! وأخ يتمتع بزوجة أخيه، وأخوة يمارسون الجنس سويًا، وبين الطلاب، وبين الأقارب، بين الأصدقاء، بين الجيران، إلخ، من الأفعال الشاذة والتي لا يرضها الله!

ونهض أحدهم وقال:

-"وهل يوجد مثل هذه الجرائم وحقيقية وتحديدًا في مدينة بنغازي؟"

-"نعم وهناك الكثير منها سأذكرها لكم الآن!"

كشفت الصدفة عن زوجة من مدينة بنغازي كانت قد حاولت في مرتين فاشلتين العمل على قتل زوجها، وذلك بالتنسيق مع عشيقها لوجود علاقة محرمة بينهما، حيث ألقت الإدارة العامة للبحث الجنائي ببنغازي، القبض على الزوجة وعشيقها لقيامهما بالترتيب لقتل زوجها، وتم إحالة أوراق القضية للنيابة العامة من حيث الاختصاص، وقالت الإدارة العامة إن مواطنًا تقدم بشكوى ضد شخص يتصل بزوجته ويقوم بمضايقتها هاتفيًا، وبعد إعداد الكمين له أفاد بأنه على علاقة معها على مدى ثلاث سنوات وبأنه كان يبيت معها في فترات سابقة، وفي أول مرة وضعت له كمية حبوب كبيرة وكاد أن يفارق الحياة، والثانية أن تخرج الزوج خارج بنغازي نحو مدينة قمينس ليتم قتله بسلاح ناري، والزوجة قالت إنه كان يضربها وخططت مع عشيقها للتخلص منه حتى تتمكن من الزواج من عشيقها بعد أن يقتلاه، وكما اعترفت بأنها أنجبت طفلة غير شرعية من عشيقها تبلغ من العمر ثمانية أشهر.

ولن ننسى قصة إيمان العبيدي التي خرجت أمام الكاميرات في عام ٢٠١١ باكية يملأ وجهها ندوب وجروح، ولم تكن هي الوحيدة أو الأخيرة، بل كان يجمع الاغتصاب بين الرجال والنساء والأطفال في عدد من المدن الليبية، وتم تسجيل أكثر من ٢٣٥ حالة اغتصاب تسببت في حالات نفسية للأطفال الذين عايشوا هذه الأحداث!

وأخيرًا هناك ممرضون مثل ذلك الذي ذكر في الكتاب الدكتور شادي، والذي يوجد منه الكثيرون في الوطن العربي وخارجه يقتلون مرضاهم بسبب أو بدون سبب، أما اغتصاب الأطفال فأكدت الدراسات الجديدة بأن ضحايا الاعتداء الجنسي تتراوح أعمارهم ما بين الأشهر والثمانية عشرة عامًا، وتندهشون من هذه المعلومة التي هي مؤكدة مائة في المائة، أن حالات الاعتداء على الذكور هي أكثر من حالات الاعتداء على الإناث.

*****

وهذا فقط القليل من القضايا الاجتماعية البشعة، من خيانات، وجنس، ومخدرات، ودعارة والمتاجرة بالأعضاء البشرية، وغيرها، والأهم اغتصاب الأطفال الذي أصبح من المخاطر المنتشرة في جميع العالم، ولم تكن هذه إلا قصص لأطفال بالآلاف، من الذين تعرضوا وما زالوا للاغتصاب، فتسلب منهم طفولتهم ويدمر مستقبلهم! للأسف.

وما تزال جريمة اغتصاب الأطفال مستمرة حتى الآن!

فهل من مُنقذ؟

*****

والسؤال الأهم والأصعب الذي كنت أريد أن أقوله منذ أن دخلت إلى هنا، هل الجميع قرأ كتاب آدم؟

أجاب الجميع بنعم.

وهل تعمقتم فيه جيدًا وفهمتم العبرة منه؟

أجاب الجميع بنعم.

ولكن ليس هذا هو السؤال.

قال أحد:"وما هو السؤال؟"

إن سألت هذا السؤال أريد إجابة صريحة لكل قارئ وقارئة قرأ الكتاب، أو شعر بحالته ومأساته التي عشاها والتي جعلته يذهب إلى هذا الطريق.

الأول: إن كنت أنت أيها القارئ والقارئة في مكان مراد ماذا ستفعل؟

أعطوا لي إجاباتكم على صفحتي، حسنًا!

والسؤال الأهم، وأريده من وجهة نظرك أنت الشخصية، لأنه لن يتطلب منك هذا السؤال إجابة فقط بل إحساس ومشاعر ورحمة والأهم من ذلك قلب... قلب!

-س: هل ترى مراد هو الجاني أم المجني عليه؟!

وشكرًا لكم جميعًا.

*****

الخاتمة

النهاية.

لا، هذه ليست النهاية، بل هي بداية النهاية لقصص لم تنته ولن تنتهي، لكل ما ذكر هنا وسيظل تحديدًا اغتصاب الأطفال"نزيف لا ينتهي"، فحارب كل شيء يقف أمامك ولا تجعل الظروف تهزمك وتضعف لوسوسة الشيطان، فبدلًا من أن تحسن حياتك وتغيرها، ستدمرها كليًا! وقال مراد في آخر رسالة له كتبها ووضعها على كتابه الخاص: "عزيزي القارئ، عزيزتي القارئة، أتمنى أن تكون حياتي عبرة لكل شخص، وأن تكون قد دخلت قلوبكم وترعرعت وسط روحكم وأثرت في مشاعركم وإحساسكم، وأنكم لم تكرهوني أنتم كذلك، كما كرهني الجميع! لأن هناك جملة تقول: وحيدًا تمامًا مثل صدى صوت في كهف مهجور يحرسه جني أخرس، هكذا كانت حياتي، ليست حياتي فقط بل قلبي وروحي ومشاعري، كان الألم يصرخ لي، كان الحزن يبكي علي، كان البكاء ينهمر كالشلال من أجلي، ونزف الحجر دم، وأمطرت السماء في الصيف، وسقطت أوراق الشجر في الربيع، كل ذاك كان يشعر بي، إلا من كانوا حولي وعائلتي، ولكنني نسيت الله لم أخشع له، لم أشكِ وأبكِ له، لم أفكر في حبه وفكرت في حب الناس، وهذا خاطئ! عرفت أنني أمشي في المسار غير الصحيح بعد فوات الأوان، بعد أن دخل الشيطان وسيطر على قلبي وعقلي، وأعمى عيني، وأغلق فمي، وأخذ جميع حواسي وفكري له، لأنني لم أتجه لله وحده، وأصبحت فخورًا بشيء لا يسوى قلت أنني عندما اخترعت هذا المرض القاتل، كنت أوضح لهم أنه سيقتلهم قبل أن يقتلني! والآن جاء وقت الندم ورحل قطار حياتي في الدنيا ولم أخذ منه شيء لألقاه في آخرتي، كان كل شيء في يريد الحب والاهتمام والعاطفة، ولكن لم انتبه الإنسان ومن أول ما يولد إلى أن يموت وهو يبحث عن شيء لم يخلق في الدنيا، الراحة، إن الله لم يخلق الراحة في الدنيا بل خلقها في الآخرة، فالإنسان يبحث دائمًا عن الراحة، فالطفل يقول متى أكبر؟ والشاب يقول ليتني أعود طفلًا، والرجل العجوز يقول ليت الشباب يعود

يومًا، والعزباء تقول ليتني أتزوج، والمتزوجة تقول ليتني أعود عزباء، والذي لم ينجب يقول يا ليتني لدي أطفال، ومن أنجب أطفال يتضجر ويقول ليتني لم أنجب أطفال، والذي تزوج امرأة واحدة يريد أن يتزوج الأخرى بحثًا عن الراحة، وكلٌ يبحث عن الراحة، ولكن لا وجود للراحة في هذه الدنيا، فيجب أن نقتنع بما كتبه الله لنا ونشكره على ذلك، واعلم أن راحتك مع الله ليس لإشباع شهواتك وضعفك وتتبع الشيطان، ولكن في الدنيا سترحل وحدة الكهف المهجور لأنك سترى في نهاية هذا الكهف شعاع ضوء يشع أمل وحب، فدائمًا اجعل ثقتك بالله هي الأولى والأخيرة وأنه سيرحمك من عذابك، ولكن سيتطلب منك العبادة والخشوع له، لا لتضعف ويغريك الشيطان، من المؤكد أنكم اندهشتم من كلامي هذا! لأنني قد استيقظت من سباتي العميق بعدما اكتمل وقتي، وجعلت قلبي حزين لأنني لم أملأه بالإيمان ولا بحب الله".

ولكن هناك قانون في الدنيا سيغلبك وسيسيطر على مشاعرك وعقلك وقلبك، لأنك ستصبح مريض نفسي إن لم تحصل على ما تريد، وتكون قد جربت أو قد عشت ولو قليل من حياة مراد التي لن أستطيع أن أوصفها بكلمة، وأن القانون يقول:

"الإنسان وغرائزه وشهواته \ الدنيا وملذاتها ومغرياتها"

وهناك شيء يفصل بينهما ويعيق طريقهما وأحيانًا تتبعه وأحيانًا لا فتضعف وترجع له ويأتي على آلامك وجراحك ووجعك وعلى نقصك النفسي، فلن يكون لك طريق تذهب إليه سيحصرك ولن تقصد ما تفعله أحيانًا وأحيانًا لا، ولن تستفيد شيء سوى أنك تخسر نفسك وتخسر الله، وهذا الشيء يعرف بالشيطان!

سأقول شيء لن تنساه طيلة حياتك واجعله يدور في دماغك وضعه بين عينيك وعلى قلبك وداخل روحك واستعين به وتذكره في كل ما تفعله، في كل ما تفعله، وستؤمن بهذه الجملة، وتذكروني جيدًا والتي أريد أن أقولها أنا مراد للمرة الأخيرة:

-"ثق بنفسك ولكن لا تثق بالشيطان الذي بداخلك!"

سنلتقي يومًا ما، لا، لا، أقصد أننا سنلتقي ولكن في العالم الآخر الذي لا نعرف ما يحصل فيه وماذا سيحصل لنا.

وداعًا!

*****

فصلة
للنشر والتوزيع
Fasla Publishing & Distribution

تواصل معنا :

01067000701

E-mail -: Fasla .Pub@Gmail .com

Facebook .Com/Fasla .Pub